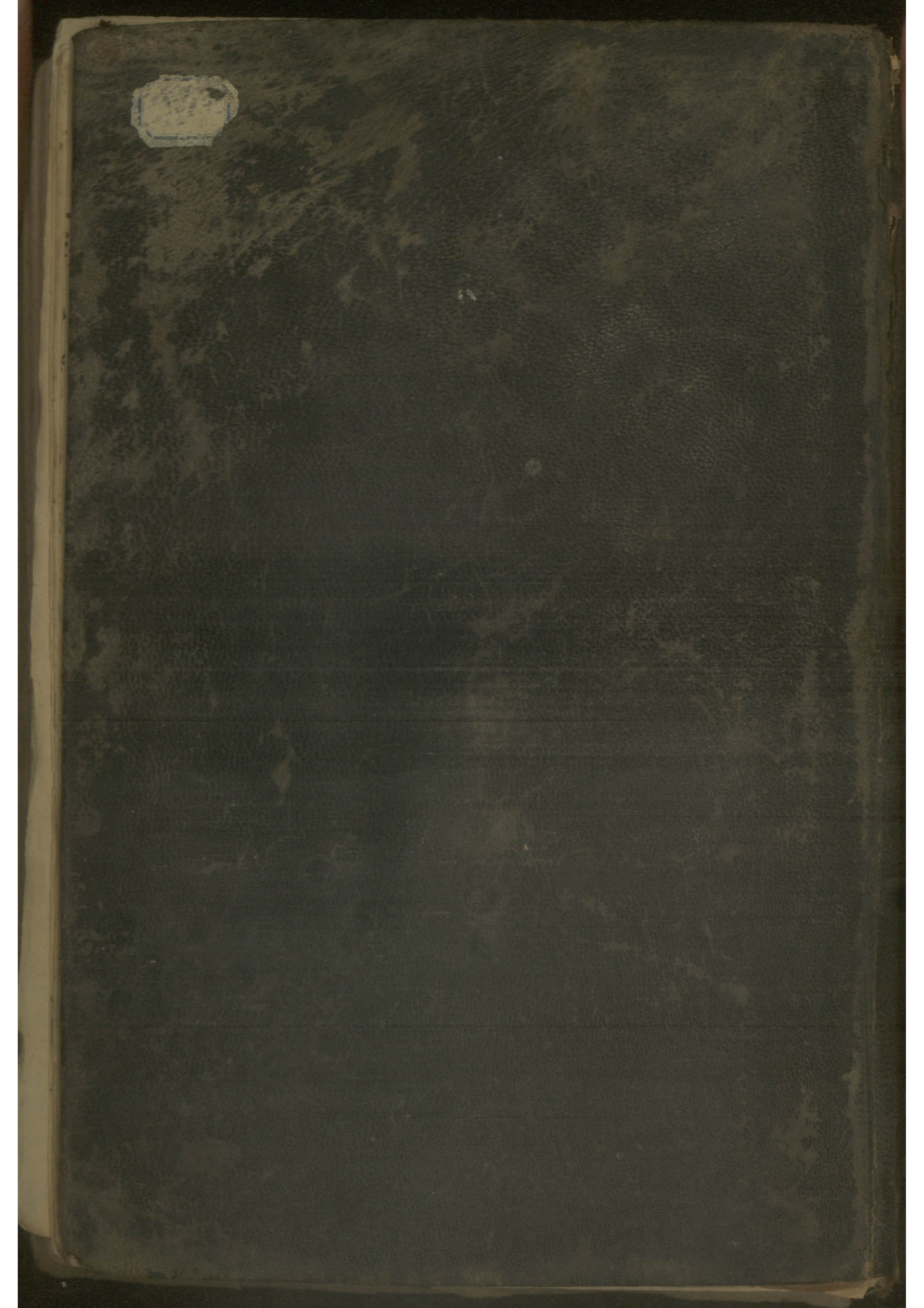
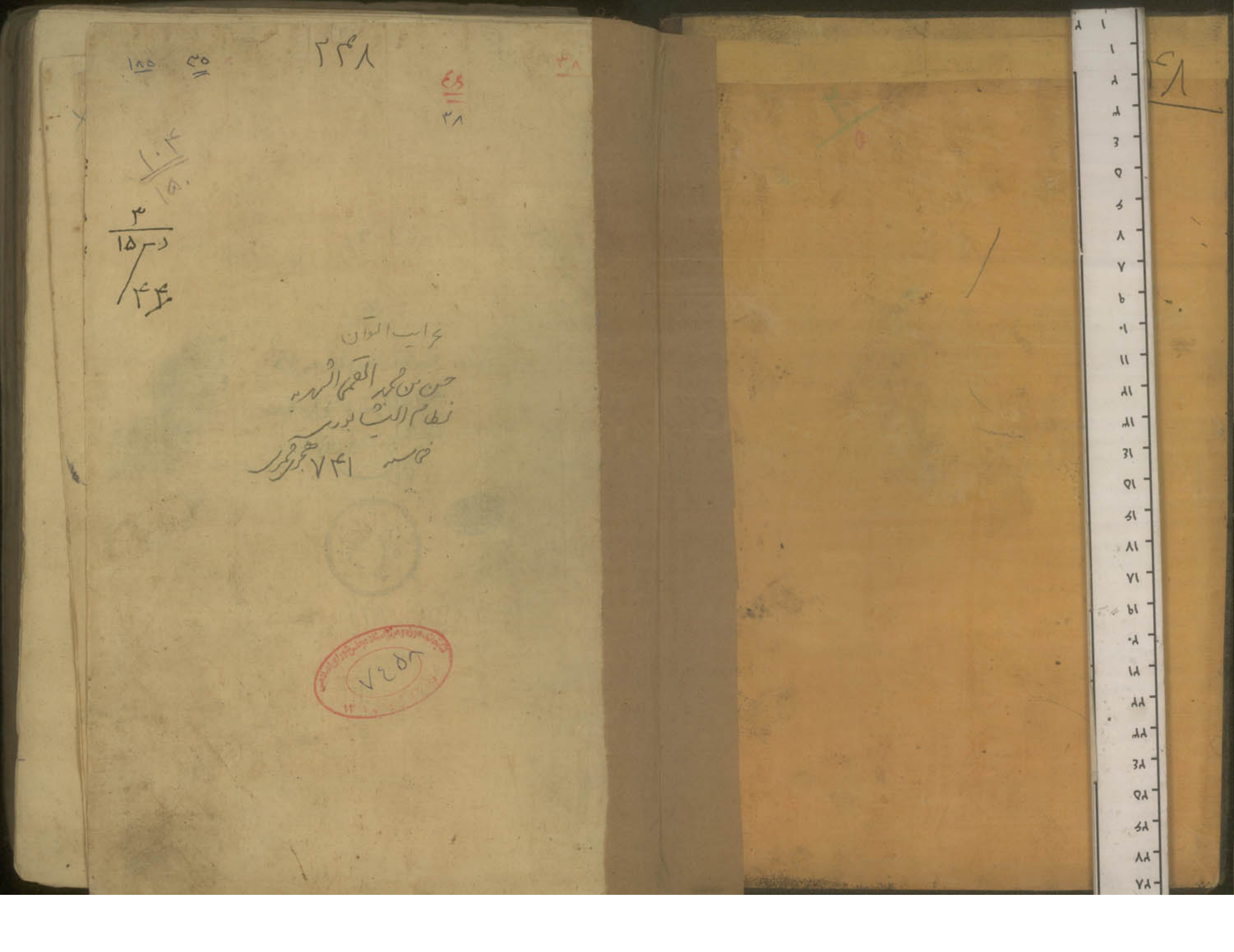
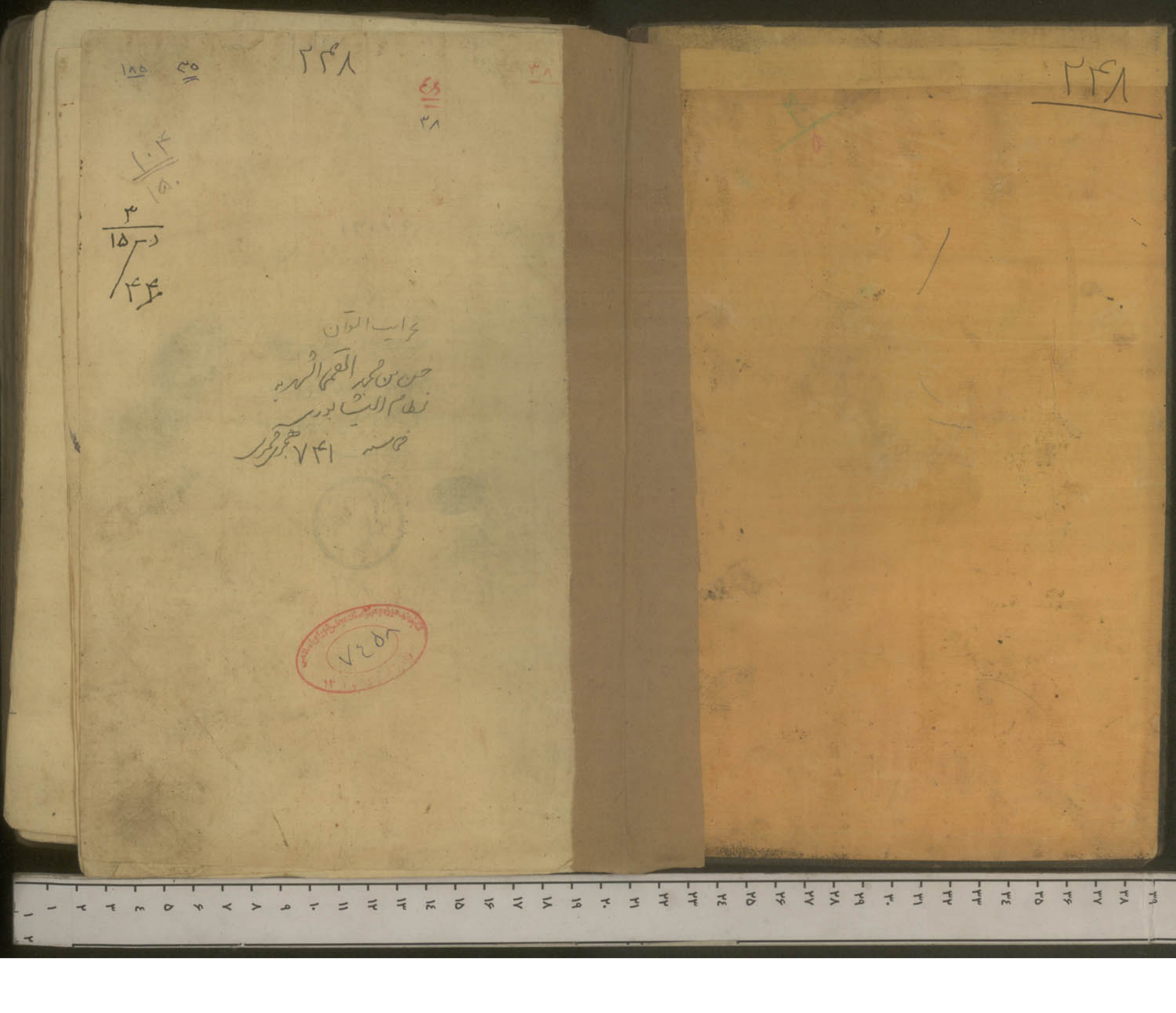
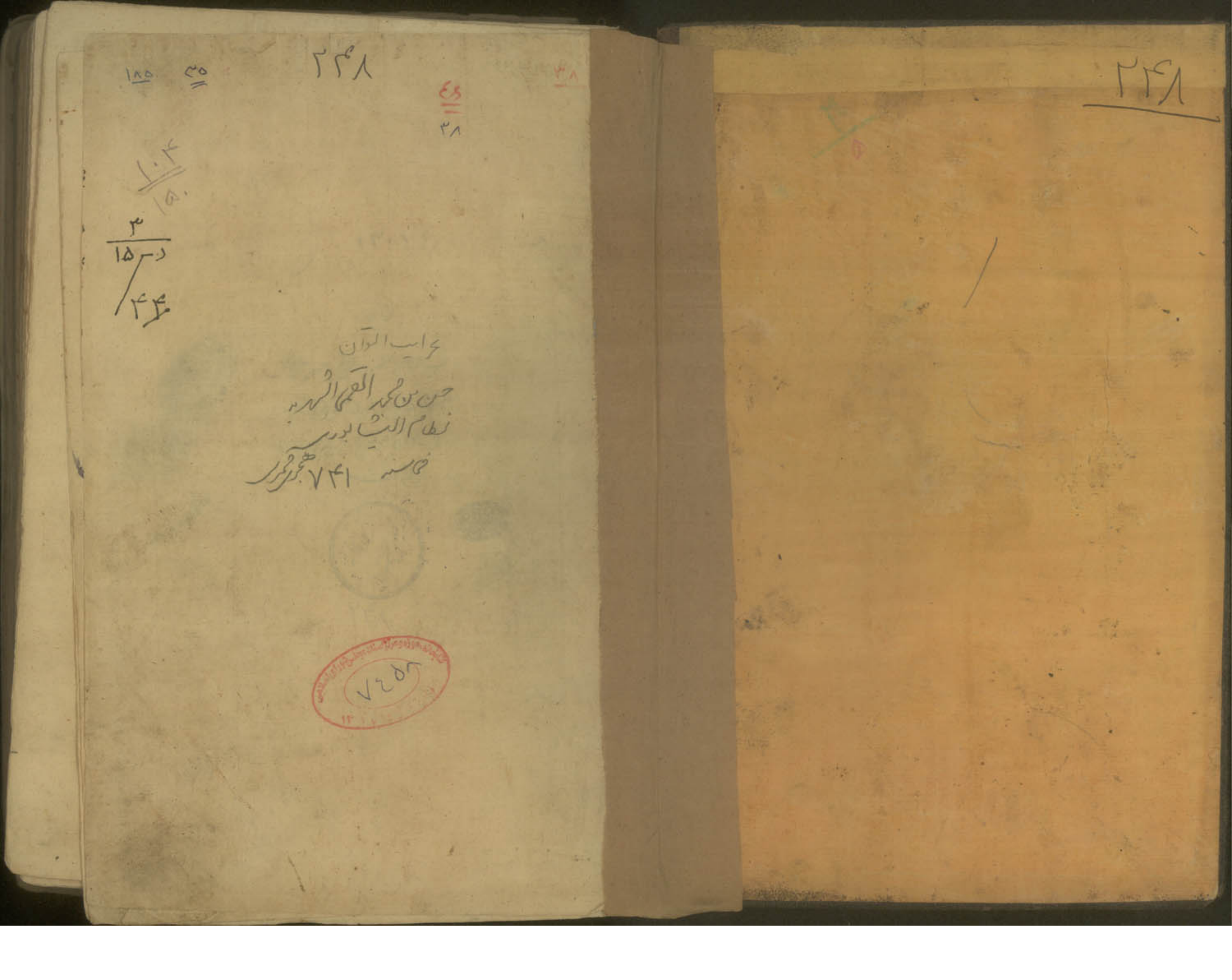




٢٤٨
غرایب القرآن
حسن بن محمد القمی الشهیر به
نظام النیشابوری
م سنه ٧٤١ هجری قمری
٧٤٥٦


۲۴۸
غرایب القرآن
حسن بن محمد القمی الشهیر به
نظام النیشابوری
خ سنه ۷۴۱ هجری قمری
۲۴۸



۲۴۸
غرایب القرآن
حسن بن محمد القمی المشهور به
نظام النیشابوری
م سنه ۷۴۱ هجری قمری



هو لا سواه

تفسير الفاضل النحرير والبحر الغزير حسن بن محمد القمي
المشتهر بنظام النيسابوري المسمى بغرائب القرآن
ورغائب الفرقان اعني الربع الاول من اوله الى آخر سورة
آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الله الكريم ارغب فی ابداع غرایب القران وبفضله العمیم اتاهب لابداع رغایب الفرقان فالیه منتهی الامل والسئول وهذا حین افتتح فاقول الحمد لله الذی جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو علی نور من ربه وجبلنی ذا نفس ابیة وهمة علیة لا یکاد یستانس الا بذکر حبه اعاف سفساف الامور واخاف الموبقات الموجبات للثبور امیل ان زخرف الدنیا وزبرجها واکبح النفس ان تحوم حول مخرجها ومولجها هی النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت استرسلت وان قدعت انقدعت فی کدول ولله السلف الذین زروا العیون الی الدمانی الفارغة الفانیة ولا ضالیل الملهیة المنبتة عن السعادات الباقیة تاقت قلوبهم الی الکرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الی اللذات الحقیقیات وتاهت ضمائرهم فی بیداء عظمة الملک والملکوت وتلاشت سرائرهم فی دماء دیمومیة العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الی اللاهوت وفنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضی کل منهم بعضا معبوده فتجلت لهم الذات واتحدت عندهم المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشیات ولم تطمح اعینهم الا الی تحصیل ما یقرب الی الله زلفی وما جرت السنتهم الا بذکر الحق طوبی لهم وبشری اسالک اللهم کما قدا اولئک الذین لشکر ما اسبقت علی من عطائک واتممت من نعمائک واعوذ بک ان ازل او اضل فیما اتی واذر او ارکن الی الذین ظلموا فتمسنی النار یوم العرض الاکبر ثبت اقدام اقدامی علی الصدق ولا ینقص ان ینطق

في

فیّ بکلام سوی الحق واجعلنی بفضلک ممن لا ینظر الا الیک ولا یرغب الا فیما لدیک ربیتنی من غیر سابقة علم منی وربیتنی من غیر حق یوجب ذلک علیک فان افتخرت فبما انعمت علی وقد امرت واما بنعمة ربک فحدث ولئن استغفرت فمما اسرفت علی نفسی وقد قلت ومن یعمل سوءا او یظلم نفسه ثم یستغفر الله یجد الله غفورا رحیما فیا من لا یوجد فی جوده شوب غرض ولا علة شرفنی فی الآخرة بالعزة واحرسنی فی دنیای من الذلة ولا تواخذنی بالنقصان الامکانی ولا تعاقبنی بالنسیان الانسانی حتی یکون لک الفضل فی الآخرة والاولی والثناء فی المبدا والحمد فی العقبی ادعوک دعاء البائس الفقیر المستعین واتضرع الیک تضرع الذلیل المهین المستکین الماثل بین یدی مولاه الآئس بالکلیة عمن سواه فاسمع فانک سمیع الدعاء واجب فانک قادر علی ما تشاء والصلوة والسلام علی عبیدک المخصوصین بتایید کل المنزهین عن الادناس الجسمیة المطهرین عن الارجاس النفسیة الفائزین باشرف مراتب الانس الواصلین الی اعلی مدارج الانس الضاربین فی ارقی معارج القدس لا سیما محمدا الذی اشرق فی سماء النبوة بدرا واشرف علی بساط الرسالة صدرا سید الثقلین وسید الخافقین امام المتقین ورسول رب العالمین الکائن نبیا وآدم بین الماء والطین المعفر لجباه الاملاک المشرف بلولاک لما خلقت الافلاک صلی الله علیه وعلی آله مفاتیح الجنة واصحابه مصابیح الدجنة وسلم تسلیما کثیرا وبعد فان المفتقر الی عفو ربه الکریم الحسن بن محمد القمی المشتهر بنظام النیسابوری نظم الله احواله فی اولاه واخراه یقول من المعلوم عند ذوی الافهام ان کلام الملوک ملوک الکلام وبقدر

البون بين الواجب الذات والممكن الذات يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام
المخلوقات ولاسيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هنالك من المتنبي
وهذا شان القرآن العظيم والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المناطق قضهم
بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فيما بين اوجههم وحضيضهم حتى اختاروا
المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة
والمكالمة باللهاذم على المكالمة باللهاذم ومبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة
من القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع التحدي
على القرآن جملة ثم على عشر سور ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على
الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل دليل على حقية
المنزل وصدق المنزل عليه وكيف لا وفيه نباء الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق
اجمعين قال صلى الله عليه وسلم في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا
يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه

هدى

هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين ثم من
من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في
تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه نقلا
وعقلا واخذا واجتهادا فتباعدت مطامح همائمهم وتباينت سوابق فرسانهم وتشعبت سالك
اقدامهم وتفننت مقاطر اقلامهم فمن وجيز واوجز ومطنب ومعترض ومقتصر على حل
الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان ونعم الحاظ فشكر الله مساعيهم
وصان عن ازراء القادح معاليهم ومنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو
عندي ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانهم لقليل
ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات
ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط السبح والزجاج وقد وفقني الله تعالى
لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما لا يستتر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل
الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان و
قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه
عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاعانة
سولهم وانجاح مظنونهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات تثبيتا على ما
وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء

الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا
استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر
الفنون لا كمن هو بابه وبشعره مفتون كيف وقد قال عز من قائل وما أوتيتم من العلم
إلا قليلا ومن أصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير
الكبير المنسوب إلى الإمام الأفضل والهمام الأمثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول
والمنقول الفائز بالفروع والأصول أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر
ابن الحسين الطبيب الشيرازي الرازي تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابقا للمسماة
وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوائد والعثوث ما لا يخفى فإنه قد بذل
مجهوده ومثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الطالبين الراغبين
حاويت سياق مراتبه وأوردت حاصل كلامه وقربت مسالك أقدامه والتقطت
عقود نظامه من غير إخلال شيء من الفرائد وإهمال ما يعد من اللطائف والفوائد وضممت
إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات أو رزقني الله تعالى من
البضاعة المزجاة وأثبت القراءات المعتبرات والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على
المباحث اللفظيات والمعنويات مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغي إتمامه من المسائل
الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع حل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات
سوى الأبيات المعقدات فإن ذلك يوردها من ظن أن تصحيح القراءات وغرائب القرآن
إنما يكون بالأمثال والمستشهدات كلا فإن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا أن

نقتصر

نقتصر في غرائب القرآن على تفسيرها بالألفاظ المشتهرات وعلى إيراد بعض المتجانسات التي
يعرف منها أصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الإشارات المقنعات والتأويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على أداء الواجبات
والتزمت إيراد لفظ القرآن الكريم أولا ثم ترجمته على وجه بديع وطريق منيع مشتمل على
إبراز المقدرات وإظهار المضمرات وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات
والاستعارات فإن هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات ويزل المترجمون هنالك
إلى العثرات وقلما يفطن له الناشئ الواقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل القاصر
في العلوم الأدبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف
الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في إفادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال
ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من
الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده
مفاتيح الفضل والإحسان وخزائن البر والامتنان وهذا أوان الشروع في تفسير
القرآن ولنقدم أمام ذلك مقدمات **المقدمة الأولى** في فضل
القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز اختلاف القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين
عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره
فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار
وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما

قال قال رجل من غيرهم يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال
المرتحل قال يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القرآن
ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم
السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ
الجهني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم
القيامة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا
وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن مثل الابل
المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند
آخر آية تقرا وفي الصحاح كليهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام
يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف
كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته
بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم

فقلت

فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه
اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة
والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسامي رواتهم ليتعين
ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق

ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات

ابو عمرو

زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس
عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وخمسين ومائة رحمة الله عليه
ورواته ثلثة ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر حفص بن
عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن
صالح الموصلي المعروف بابوقيه طريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابو شعيب صالح
بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابرهيم بن حماد طريق
ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي رحمهم الله وابو نعيم شجاع بن ابي نصر
الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف رحمه الله تعالى

وعباس بن الفضل الانصاري روى عنه ابو عمر محمد بن عمر بن رومي طريق ابي اسحق ابرهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب بن خليفة وهو الاصح واوقيه طريق ابن اسحق ايضا عن اوقيه رحمه الله تعالى

ابن كثير

ابو محمد عبدالله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة رحمه الله تعالى ورواته اربعة

١ ابو الحسن احمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبدالله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي وابو محمد اسحق بن احمد الخزاعي المكي طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطوابيقي وطريق ابي القاسم الرندي وطريق ابي الحسن علي بن ذوابة القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي

٢ ابو الحسن احمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبدالله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابن مجاهد طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم السوندي

٣ عبدالله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبدالله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحلاد

طريق

طريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ ٤ زمعة بن صالح عن ابن كثير طريق عبدالله بن سعوة وطريق شعيب بن مرة رحمهم الله تعالى

نافع

ابن ابي نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة

١ اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء بن بشار النحوي وابو بكر الحسن بن علي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير

بن بشار ال[illegible]

٢ قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن عباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقري وابو ابرهيم مصعب بن ابرهيم الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبدالله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق الحسن بن العباس الرازي وطريق ابي عمر القاضي

٣ ورش واسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبدالرحيم الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي وطريق ابي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبدالله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسد احمد بن ابرهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد بن محمد بن مرثد التميمي رحمهم الله

عبدالله بن عامر

اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله

١ ابو محمد عبدالله بن احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه

احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقرئ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش
الموصلي المفسر طريق الحسن ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن
الاخرم عن الاخفش عن ابن ذكوان ٢ هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر
ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام
طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق ابرهيم بن يوسف الرازي طريق البخاري رحمهم الله تعالى

عاصم

بن بهدلة الاسدي قرا عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته اربعة ١ ابو عمر حفص بن سليمان المغيرة
البزاز الاسدي وكان ربيب ابي حنيفة روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الخشنون بن
الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ٢ ابو بكر
شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب السكري وابو زكريا يحيى
بن آدم القرشي طريق ابي حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق شعيب بن ايوب بن رزيق الصريفيني
وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله راويان روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب
ومحمد بن حبيب الشموني ٣ حماد بن ابي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري
رحمه الله تعالى ٤ المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابن يزيد

عمر

عمرو بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطعي رحمهم الله تعالى

حمزة

بن حبيب الزيات العجلي قرا على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش
على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته اربعة
١ ابو اسحق ابرهيم الزيني طريق ابي المستنير رجاء بن عيسى بن رجاء الجوهري
٢ عبد الرحمن بن قلوقا طريق ابي المستنير ايضا ٣ ابو محمد عبد الله بن
صالح العجلي طريق ابي حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابرهيم بن نصر بن عبد العزيز المقرئ ويرو
نصير بن عبد الله المقرئ وهو الاصح ٤ سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد
الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام البزار
طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان
وطريق ابي واصل احمد بن واصل وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء رحمهم الله تعالى

علي بن حمزة الكسائي

قرا على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي
صلى الله عليه وسلم توفي سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله تعالى وله ستة رواة
١ ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الآزاداني روى عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم
المقرئ طريق ابي الفضل العباس بن الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق احمد
بن جدى ٢ ابو المنذر نصير بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشوتي

المعروف بالزندانى طريق ابى على الحسن بن على بن حماد الازرق و ابو عبد الله محمد بن عيسى
الاصفهانى طريق ابى على الحسن بن العباس الرازى و ابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبرى طريق بكار
بن احمد المقرى و ابو جعفر على بن نصير النحوى طريق الازرق المذكور ابو الحارث ٣ الليث
بن خالد طريق ابى عبد الله محمد بن يحيى الكسائى حمدويه بن ميمون الزجاج ٤ طريق ابى الحسن
ابى العباس احمد بن يعقوب السمسار ابو حمدون الطيب بن اسمعيل ٥ طريق ابى على
بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى ٦ روى عنه
ابو بكر الحسن بن على بن بشار النحوى طريق ابى الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم و ابو الزعراء طريق ابى بكر
بن مجاهد و ابو الحسن على بن سليم طريق ابى القاسم هبة الله بن جعفر و طريق ابرهيم بن احمد الخرقى
و ابو جعفر احمد بن فرح الضرير طريق ابى بكر النقاش الموصلى رحمهم الله تعالى

ذكر الائمة المختارين وتسمية رواتهم

ابو جعفر يزيد بن القعقاع القارى المدنى

وقارة موضع من المدينه ورواته اثنان ابو موسى عيسى ١ بن وردان الحذاء
طريق قالون عيسى بن مينا النحوى ابو مسلم ٢ سليمن بن مسلم الجماز الزهرى
طريق ابى عبد الرحمن قتيبة بن مهران رحمهم الله تعالى

ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمى

توفى فى ذى الحجة سنة خمس ومائتين و قرا على ابى المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وابى عمرو
ورواته ثلثه روح ١ بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر ٢ محمد بن
المتوكل

المتوكل اللؤلوى الملقب برويس طريق ابى بكر محمد بن هرون وطريق ابى الحسن احمد بن محمد
بن يعقوب بن مقسم الفقيه ابو احمد ٣ زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل الصا
وطريق محمد بن هرون له

ابو محمد خلف

بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابى الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر
محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرا خلف على سليم على حمزة رحمهم الله تعالى

ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى

طريق ابى على الحسن بن تميم وطريق ابى بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسبح بن حاتم
وقرا سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل رحمهم الله تعالى اجمعين
فهذا هو المعول عليه من القرآت واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك فى
اثناء التفسير لا فى خلال القرآت والله اعلم بالصواب

المقدمة الثانية

الاستعاذة المندوب اليها فى قوله عز من قائل فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمى وعاصم غير هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم وقراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلى الكسائى
وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة نستعيذ بالله او
نستعيذ مخيرا وقرا سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
ومنشا هذه الاختلافات انه قد جاء فى سورة النحل فاذا قرات القرآن الآية وفى حم السجدة فاستعذ بالله
انه هو السميع وروى جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا الى ان قال
العليم

وكذا فى سوره الاعراف ... من الشيطان ... فاستعذ بالله

والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد استعيذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم في الفقه
مسائل ا الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرأت اذا
اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة
والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي ويروى عن حمزة وابن سيرين ايضا انه يتعوذ
بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها
طاعة موجبة للثواب فناسب ان يستعيذ من ذلك ب الاكثرون على ان الاستعاذة
مندوبة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وزيف بان
الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها
وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي صلى الله عليه وسلم واظب عليها
وقال تعالى فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما يجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت
فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان
الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ج المستحب فيها

الاسرار

الاسرار في الصلوة ولئن كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الاستفتاح
ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانها تستحب
في كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها آكد في الاولى د اعلم
ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة
والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول
معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم اي التجئ الى
رحمة الله او التصق بفضله والباء في بالله للالصاق كان من يفر من الشيطان للالتجاء لانه ابتداء
بالتبري من الشيطان والتصق برحمة الله واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه
عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنياوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى قادر
على تحصيل المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة
هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات
ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله سبحانه عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا
وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه
جواد مطلقا والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا
لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية
لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره

ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا
اعانة الله تعالى وارشاده لم تتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل احد يريد
ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من مضل مبطل في الدنيا فلا خلاص
من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا
بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن شبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي
الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ومحال تصرف كل
منها غير متناهية بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانيات
الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية
لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخياليات وكما انه لا يمكن تحصيل
الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات
الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يؤمل غيري
باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه
متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب
غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة
كالكلام في سائر الادعية والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة
والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى
افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امرك

بالاستعاذة

بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب
سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب لان كان الاشباع
والارواء من الله تعالى اولا لكان بتقدير الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية
والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا يتمسك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك **البحث الثاني** المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق يفتقر الى الاستعاذة
به تعالى ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله
يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف عليه الصلوة والسلام معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه
السوء والفحشاء وقال موسى عليه الصلوة والسلام اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه
واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امراة عمران عليها الصلوة والسلام اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق
قل اعوذ برب الناس فوقي شر النفاثات في العقد وكفي شر الوسواس الخناس **البحث الثالث**
المستعاذ به وانما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير
مادة ومدة فكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور
الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك

واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فنائه نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك **البحث الرابع**
المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اللغة فمن شطن
ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن الرشاد والسداد وقد يسمى كل متمرد من الانس
او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر رضي الله عنه برذونا
فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي
سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه في موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط
يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر
الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى
الاستعاذة قوله انه هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على
دفعها عني فادفعها عني بفضلك ولنتكلم في الجن والشياطين فنقول من الناس من انكرهم
لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا
نراه ولو كان جسما لطيفا لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصف ولزم ايضا ان لا
يقدر على الاعمال الشاقة التي نسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا
وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك

الوجه

الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم
العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون اليهم
ومحال المنع في هذا الوجه لا يخفى لثبوت الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الى كثير قال عز من
قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم
الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز ان تفعل كل ما اتى
به الانبياء فاما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع
ادى الى ابطال الاصل فهو باطل **والجواب** ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء عليهم السلام
كما يدل على صدق وصحة اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم
واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن
شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح
المتعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة
السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة
على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه
الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ
الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة للانسان

وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل
بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن
لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم متصرفين في باطن الانسان
ولئن كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا
كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والاختلاف في
ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين بخلاف
ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عليه الصلوة والسلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه
ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على
قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما
لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ
بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها
ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه خطاء الخواطر بصوابها احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم
بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها فمن عصم
من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا واتفق المحققون على ان من
كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان

النفس

النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب
يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان
بينا هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث الميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل
فكان الذي اتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير وانما تقدم الشيطان
على ذلك لعدم قابلية وقع في فطرته لاولي حكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة
لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد ولهذا اخص بالذكر في القرآن العظيم
ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية فلا ضير **نكت في الاستعاذة**
ا اعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان اعوذ اشارة الى الحاجة
التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف
نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه
بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب **ب** سر الاستعاذة الالتجاء
الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن
عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة **ج** عند الفرار
من العدو الغدار تقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار
تقول بسم الله الرحمن الرحيم **د** الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل
الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله فيقول بسم الله **ه** العبد مامور بمحاربة العدو الظاهر

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومحاربة العدو الباطن لان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
واذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك لان عبادى ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو
الباطن اولى لان العدو الظاهر لان غلب فى الدين واليقين وكنا ماجورين ولان غلب العدو الباطن
كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا والخلاص
من شره بالايمان تقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم و قال الله تعالى يا عبدى قلبك بستانى
وجنتى بستانك فلما لم تبخل علىّ ببستانك بل انزلت معرفتى فيه لم ابخل عليك ببستانى وانزلك
فيها وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذى انزلت سلطان المعرفة فى حجرة
قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا فى حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة
قلبك من تلوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ز اقسم فى حق ابويك انه
لمن الناصحين فدليهما بغرور واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته معك فقل
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ح انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر الاسماء
لان العدو كلما كان اشد احتيج الى عدة اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما
هو الله فكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذى لا يرضى بشى من المنكرات من الشيطان الرجيم
ط الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد لان الشيطان
بقى فى الخدمة الوفا من السنين ولم يقدر على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك
الشيطان لحظة واحدة اخلدك فى النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ى يقول

ى يقول الله تعالى عبدى انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك بمن يرى الشيطان
ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا الالف واللام فى الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة
من هذا الجنس مطلقا مرئيا او غير مرئى ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا
يب الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما ان الشيطان لا يجعله
الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لا يجعلك بعيدا حيث جعلك قريبا
يج انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم
يد الشيطان عدو غالب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب
على امره فاذا قصدك العدو الغالب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة فى مسائل
مهمة المسئلة الاولى القرآءات السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة
عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قرائته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
فى قرائته ولا مدخل للقارى فى ذلك الا من حيث ان مباشرته لقرائته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه
وانما قلنا ان القرآءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما
اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه متواتر دون الآخر
تحكم باطل لاستوائهما فى النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما ثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء
كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القرآءة فى الصلوة بالوجوه
الشاذة لان الدليل ينفى جواز القرآءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لبلغت فى الشهرة الى حد
التواتر عدلنا عن الدليل فى جواز القرآءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان ينفى قرآتها فى الصلوة على اصل المنع

الثالثة السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على
سبعة احرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء انها سبع لغات من لغات قريش
لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك لان قريشا تجاور البيت وكانت احياء
العرب تأتي اليهم للحج فيسمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة احسنها فصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك
العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبع الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين
ان ابن مسعود قال اقرأوا القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم
انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا
وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله صلى الله عليه وسلم انه
قد وسع لي ان اقرئ كل قوم بلغتهم وقيل معناها ان تقول في صفات الرب تبارك وتعالى
مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اقرأوا القرآن على سبعة
احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب وعذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة
في الحرجاء على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس
انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكلمة ربك
وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله
وكوجوه التصريف في مثل يعرِشون ويعرُشون وكاختلاف الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد
ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو يعلمون بالتاء والياء وننشزها بالزاء والراء

وكالتفخيم

وكالتفخيم والامالة والمد والقصر والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة
الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر
ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في مخاصمة
الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه
التي تخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء لا تزيد ولا تنقص وبجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول
ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها ابن مسعود كالصوف المنفوش **الثاني**
ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه **الثالث** تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد
واما في الحروف نحو افلم ييأس الذين آمنوا وافلم يايس **الرابع** زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه
وفلا تك في مرية **الخامس** اختلاف حركات البناء نحو يحسَبن ويحسِبن بفتح السين وكسرها
السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع **السابع** التفخيم والامالة
وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه
السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن متفرقة فانه ليعلم بذلك ان من زل
عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو ما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب
عليه وكل هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعاني فان **قيل** فما قولكم في القراآت التي تختلف بها المعاني قلنا
انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون
فيما انزل الله من الالفاظ التي تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى
التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها **تتجه** على وجوه **فمنها** ان تختلف بها الحكم الشرعي عند المبادلة

بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل
وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا
الضرب هو الذي لا يجوز القراءة به الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعد من زل
في مثله عالما بالمنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يخالف الحكم فيه على غير
المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطّهّرن مشددة
الطاء من التطهر فان القراءتين همنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض
لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في امثال
هذه الا بالنقل الظاهر ومن زل في مثله الى ما يقتضي امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يلزمه فيه
حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا وصححه واحد فيقراه الربا بالراء والباء من الربو في المال فانه
منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد
والتنافي فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند
ورود الناسخ منتهى المنسوخ وتبين ان في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى
عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل يعلو ان يومن به باطنا كما يومن به ظاهرا
وقوله لكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه من مامور او منهي
او مباح مصعد وما يؤتى منه ويفهم كما هو ومقداره من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة ويطلع
عليه كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني

ما يشرف

ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت

المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن

روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر
ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر اي اشتد بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء
في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني ارى ان تامر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له
ورأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد
كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع
والعسب واللخاف ومن صدور الرجال فكانت الصحف عند ابي بكر رضي الله عنه حتى مات ثم كانت
عند عمر رضي الله عنه حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي
الي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت الى عثمان رضي الله عنه فارسل عثمان
الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم
ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه
بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل
افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال زيد بن ثابت
فرأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي رضي الله عنه
لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد
بن ثابت نسخ المصاحف وقال يا معشر المسلمين أأعزل عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل والله

العسب جمع عسيب وهو سعف النخل واللخاف جمع لخفة وهي حجارة بيض

لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدًا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابا بكر الصديق
رضي الله عنه مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤون بقرآن مختلفة على
سبيل ما اقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد
وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما نزلت آية الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له ان يضعها
في موضع كذا من سورة كذا وما نزلت سورة الا وقد امر الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال
ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد
قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراء توالي سورها
وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتبها ثم خرج في سرية
فنزل في مغيبه سور فانه كان اذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع
ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد
على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعار شعرائها من غير كتابة
ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدون
من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والانصار اجنادًا فتفرقوا في اقطار الدنيا واستحر

القتل

القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف

المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف

وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد
او ورق يكتب فيه وقد يقال مِصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما استشار الناس بعد جمع
القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر
كتب اي جمع قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب
ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل على عيسى
والزبور المنزل على داود عليهم السلام والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همز وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان
والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء
في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شيء فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي قرآنا لانه جمع
السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تاليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه
جمعت الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القران وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر
واما على ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه قرن السور وما فيها بعضها
الى بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل ويسمى القرآن
فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن ففيها
تهمز ولا تهمز والهمز اكثر وعليه القراء والسورة اسم لما اي جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت

وبلغت في الطول المقدر الذي اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم
ولا تكون السورة الا معروف المبتدا معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء او المدينة لان السور
يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهي الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن ايضا وضع آية الى جنب آية حتى بلغت السورة
في عدد الآي المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وصفت بالعلو والرفعة كالسور
المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
اي شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كاحاطة سور المدينة محيط لساكنيها وابنيتها
وجمع سورة القرآن سُوَر بفتح الواو مثل جُملة وجُمَل وجمع سورة البناء سُوْر بالسكون مثل صوفة وصوف
ومن همز سؤرة جعلها من اسأرت في الاناء سؤرا اي افضلت منه بقية ومنه سؤر الدواب كانها قطعة
من القرآن على حدة واما الآية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه
والانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على
نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها والمتأخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم
اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين من قولهم
فلان آية من الآيات واختلف في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها أيّة فاستثقلوا
التشديد فابدلوه الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح واصلها الاصل أيية قلبت الياء
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها آيية فاعلة كضاربة وكان يلزم الياء الادغام
على نحو دابة وخاصة ولكن مستثقلا فحذفوا احدى اليائين واما الكلمة فان تراكيب كلم
تفيد القوة والشدة وتقاليب هذه الحروف الكلمة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقي معتبرة

منها

منها كَلَمَ فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن بواسطة افادة المعنى
ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها كمل لان الكامل اقوى من الناقص ومنها لكم ومعنى
الشدة في اللكم واضح ومنها مكل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها
مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة منابعها ومنها لمك ملكت العجين
اذا انعمت عجينه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد تستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد
بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة
ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب
المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وافعال الله تعالى كلمات اما لانه حدث بقوله كن او لانه
حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر
في ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ومنكروا الكلام النفسي اتفقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلام
والاشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون شعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما ٭ جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وقد تسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا
بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالتبنة والتبن والرطبة والرطب لان
الرطب والتبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى كلمة ثم جمع بالالف والتاء
وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس
بتكليم الله موسى وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ودقته
ولذلك قيل حرف الشيء لطرفه لانه آخره والقليل منه والحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها

والحرف ايضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة ايضا حرف فهو من الاضداد والحرف ايضا اللغة
قال صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك لان الكلمة ان احتاجت
في الدلالة على معناها الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع
بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر وينصر
والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان
كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناها
يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب ههنا فانه لو سلم ان معناه يدل على
الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل
نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون
معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لادنى درجات الاقتران
ولو سلم انه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر
مجازا

المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول والمثاني والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى
والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما
نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما
بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني
فسبع سور تتلو السبع الطول اولها سورة يونس وآخرها سورة النحل لانها ثنت الطول
اى تلثها

اى تلثها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها
وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقد قيل المثاني
في هذه الآية آيات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع
اولها سورة بني اسرائيل وآخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة آية وقيل المائون
الطول م
ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع هي المائون الى الحواميم وبعد
الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز
وبالطواسين التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة
الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس ان لكل شيء
لبابا وان لباب القرآن آل حم او قال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم ومن اسماء
الله تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس
القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال لي يا زر بن حبيش قد بلغت عرائس القرآن
فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال
الاخبات الخشوع
يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة
الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم
مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي

رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار
السور الى آخر القرآن لكثرة الفصل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف
والجمعة والتغابن والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كالف آية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد
كان العلماء يقرؤون هذه السورة في التهجد ويعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون
والاخلاص لانهما تبرئان من النفاق والشرك يقال قشقشه اذا ابرأه وتقشقش المريض من علته
اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال المعوذات

المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي
في الاصل واحدة فاول ذلك بسم الله كتب بحذف الالف التي قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك
وسبح اسم ربك وبئس الاسم ومنه اسمه بالالف والاصل في ذلك كله واحد ولو لم تكتب بالالف
وانما حذفت من بسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ فقط وقد كثر استعمال الناس
اياها في صدر الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبتدأ به فامنوا ان يجهل القارئ معناها
وكتب فيما موصولا كل القرآن الا في البقرة في ما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها في ما فعلن
في انفسهن من معروف وفي الانعام في ما اوحي الى محرما وفيها ليبلوكم في ما آتاكم وفي الانفال
في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي النور في ما افضتم وفي
الشعراء في ما ههنا آمنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر في ما هم فيه يختلفون وفيها في ما
كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة في ما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول

وكتب

وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت ايمانكم وفي الروم من ما
ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما
تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمن وان ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو ان ما في الارض
وكتب انما موصولة كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لآت وكتب لكيلا مقطوعة
كل القرآن الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا
تأسوا وكتب بئس ما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة بئسما يأمركم به ايمانكم
وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اين ما مقطوعا في
جميع القرآن الا اربع مواضع في البقرة فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم
وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا
اقول على الله الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجا من الله الا اليه
وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا
الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها
واختلف في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط
النون كل القرآن من غير لبس تنشأ مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب الم موصولا في كل القرآن
الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا
مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا
اربعة مواضع في سورة النساء ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة ام من اسس بنيانه وفي الصافات

ام من خلقنا وفي حم السجدة ام من ياتي آمنا وكتب اِمّا فاِمّا موصولا الا في الرعد
وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب ان لن مقطوعا
الا في ثلثة مواضع في الكهف الّن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الّن تحصوه وفي القيمة الّن نجمع عظامه
وكتب كلّما موصولا الا خمسة مواضع في النسآء كلّ ما ردّوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كلّ ما دخلت
امّة وفي سبحن كلّ ما جآءت وفي الملك كلّ ما القي فيها وفي نوح كلّ ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا
الا في المومن يوم هم بارزون وفي الذريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن بالهاء
الا سبع مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله
وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى آثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك
وفيها ورحمت ربك فانها بالتاء وكتب النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم
وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدّلوا نعمت الله كفرا
وفيها وان تعدّوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا
نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب
امراة بالهاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف امرأت العزيز تراود
وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص وقالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط
وامرأت فرعون وكتب سنّة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنّت
الاولين وفي فاطر الا سنّت الاولين فلن تجد لسنّت الله تبديلا ولن تجد لسنّت الله تحويلا
وفي المومن سنّت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة

معصيت

ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء كل القرآن الا في آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور
ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنّت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان
شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرّت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيّت الله
وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربع مواضع في
الانعام وتمّت كلمت ربك وفي يونس حقّت كلمت ربك وفي المومن حقّت كلمت ربك وكتب غيابت الجب
بالتاء فهم على بيّنت منه بالتاء وكتب كلما في القرآن من ذكر آية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه
آيت فانها بالتاء وكتب فطرت الله وعفريت افرأيتم اللات ولات حين وذات بهجة وهيهات
هيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملا بالالف الا اربع مواضع في المومنين فقال
الملؤا الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملؤا انى يا ايها الملؤا افتوني يا ايها الملؤا ايكم يأتيني فانها كتبت بالواو
وكتب في البقرة يبصط بالصاد وما سواه بالسين وكتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد
وكتب في آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرءنا عربيا
بغير الف وسائر القرآن قرآنا بالالف وكتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعراء
بكل سحّار عليم بالف بعد الحاء وكتب في الذريات ساحر او مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في
يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله انا لننصر رسلنا في المومن وكتب في يونس ننجي
المومنين بنونين وحذف الياء وفي آخر يوسف فنجّي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك نجّي
المومنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذريات
والسماء بنيناها بايْيد فانها كتبت بيائين والاصل كتبه بياء واحدة وكتب الّن بغير الف كل

القرآن الا في الجن فمن يستمع الآن فانه بالالف وكتب في حم السجدة سماوات بالالف وما سواه
كتبت سموات بغير الف وكتب في اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف
واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيئتكم بحرفين بينهما وكتب رآ بغير يآء كل القرآن الا في
النجم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما رأى وكتب في يونس وما تغني الآيات بالياء
على الاصل وفي القمر فما تغن النذر بغير يآء على اللفظ وكتب في البقرة يؤتي الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يوت
الله بغير يآء على اللفظ وكتب في يمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع
بغير يآء حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمودا بالالف في حال النصب وهي في اربعة مواضع
في هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهدي
بالياء وفي الروم بهاد بغير يآء والاصل فيهما اليآء وكتب في الحج ولؤلؤا بالف وفي فاطر بغير الف وكتب في
الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يا بنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحاب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة
وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا
بالالف وكتب الربوا بواو بعدها الف كل القرآن الا قوله وما آتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب
لدا الباب بالالف ولدى الحناجر باليآء وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف وفي مصاحف الشام
ولامة مومنة بزيادة الف ايضا وكتب ايه المومنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما
سواها يا ايها ويا ايتها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان
ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل وبما رأس آية وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير

٢

من فضة بغير الف وكتب في انكم لتشهدون وفي الاعراف انكم لتأتون الرجال وفي العنكبوت
انكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة انكم لتكفرون بالياء وما سواها بغير يآء وكتب في الاعراف ان لنا
لاجرا بغير يآء وفي الشعراء اين لنا لاجرا وكتب في النمل اينا لمخرجون باليآء وكذا في الصافات اينا لتاركوا
وما سواهما فهو أئنا بغير يا وكتب في الواقعة ائذا باليآء وفي سائر القرآن اذا بغير يا وكتب في هود في اموالنا
ما نشؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام ما يتهم انبوا وفيها انهم فيكم شركوا وفي عسق ام لهم شركوا
وفي الروم من شركايهم شفعوا وفي ابرهيم فقال الضعفوا وفي الشعراء فسياتيهم انبوا وفيها ايضا ان يعلمه
علموا وفي فاطر من عباده العلموا وفي الصافات لهو البلوا وفي حم الاولى وما دعوا الكافرين وفي
الدخان ما فيه بلوا وفي الممتحنة انا برءوا وكتب جزاو بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب
ان امرؤا هلك وتتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم واتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها ونبؤا الذين ونبوا
الخصم وينشؤا في الحلية ولا تظمؤا تظموا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليقرؤا
بها الهمزة المضمومة او على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها او بالالف وحدها لجاز وكتب
في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي القربى
وفي طه ومن آناي الليل وفي عسق من وراي حجاب وكتب ما في القرآن من ذوات الواو بالالف
مثل دعا وعفا وتلا الا ضحيها وتليها وطحيها وسجى وما زكى وذوات اليآء تكتب باليآء مثل هدى
ورمى وقضى الا احرفا هي ومضى مثل الاولين وجنا الجنتين وان طغا الماء واقصا المدينة واحيا
الناس وكلتا الجنتين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا
في قوله يحيى وامات واحيى في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة وكمشكوة وبالغدوة بالواو

وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم
وفي اول المومنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم وفيها على صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم
ساهون وكتب فاذا لا يوتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف
عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم باليا وفي المائدة واخشون اليوم واخشون ولا بغير يا
وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله باليا وفي آل عمران ومن اتبعن وقل بغير يا وكتب في سبحان
لئن اخرتن بغير يا وفي المنافقون لولا اخرتني باليا وكتب في يوسف ما نبغي باليا وفي الكهف ما كنا نبغ بغير يا
وفي هود يوم يات لا تكلم بغير يا وفي النحل يوم تاتي كل نفس باليا وفي الدخان يوم تاتي السماء باليا وفي الانعام
وقد هدان بغير يا واني هداني باليا وفي الاعراف ثم كيدون بغير يا وفي هود فكيدوني جميعا باليا وفي هود
فلا تسئلن بغير يا وفي الكهف فلا تسئلني باليا وفي الكهف ان يهدين ربي بغير يا وفي القصص ان يهديني
سواء السبيل باليا وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري باليا وفي الزخرف فاتبعون هذا بغير يا وكذلك في
المومن وفي الاعراف فهو المهتدي باليا وفي سبحان والكهف فهو المهتد بغير يا وفي ابرهيم قل لعبادي الذين
آمنوا باليا وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير يا وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين
بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء
وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب في الفرقان وعتو عتوا
كبيرا بغير الف وفي سبا والذين سعو بغير الف وفي الحشر والذين تبوؤ الدار بواو من غير الف وفي
المعصرات كنت ترابا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي آل عمران افاين مات باليا
وفي الانبيا افاين مت بغير يا وكتب انا قتلنا ونحوه بالالف وكتب فادارءتم ليس بين الدال والرا

ولابين

وما بين الرا والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه
وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وفبهديهم اقتده لان الها فيها
لبيان الحركة او لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هولاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا
الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا اللام معها مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها
ما هو انفع للقاري واكثر فائدة واما الجزئيات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا
الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقنين وروا انهم وجدوها في الامام كذلك
وستراها في مواضعها ان شاء الله تعالى وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وهي في الاصل واحدة
لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين على انهم
كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزم لكثرة الاستعمال
ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى
والفائدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرا هو القرآن الذي انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلاف
من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في
خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم
بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها راينا
الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو او بالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد
وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها
ليدل على القراءتين والله تعالى اعلم المقدمة الثامنة في اقسام الوقف قطع الكلمة اسما

او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند الاكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه
ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذ لو وصل
بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما
هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي نظائر ذلك كثرة يوصلك المرور بها الى العثور
عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستانف مع السين
نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي شيئا الى غير ذلك من النظائر
والجائز ما يتجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول
على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه مثل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
لان الفاء في قوله فلا يخفف للتعقيب تتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على
الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع
النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني
عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان
لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواضع ومواقعه كثيرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل
في جميع القرآن مع علل ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافي
والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى ولكن علامة اللازم م وعلامة
المطلق ط والجائز ج والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة
الآية دائرة صغيرة هكذا ۵ وانما التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغرض الى حث

قصروا

قصروا البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا انه ذاك بحسب الصياغة وما نحن فيه بحسب الصناعة وكل منهما تابع
لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل او بالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة
التاسعة في تقسيمات تعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته
على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني الاول دلالة مطابقة كدلالة البيت على
مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام
كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان يشاركهما من الوضع والعقل تقسيم آخر
اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا
جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى
لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص انساني وما كان له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكن لم يقصد مثل عبد الله
علما له تقسيم آخر للفظ المفرد باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وتعددهما اربعة اقسام الاول اللفظ
واحد والمدلول واحد الثاني يقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه
المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي
ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون
مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكوكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود
في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون
لبعضها اولى او اول او اشد كالموجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض
على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك السامع في انه متواطئ نظرا الى الاشتراك

الكلي في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافهما في ذلك ولما لم يكن في وقوعه تفاوت فهو متواطي كالانسان
بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها ولما لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي
علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى ان ينضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد
والاشارة مضمر ان احتاج الى احدى القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيين والعلم
اما اسم كابرهيم وموسى وعيسى واما لقب ان يكون لقبا ان اشعر المسمى بمدح او ذم كاسرائيل او كنية ويختص
بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما للجنس
باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على
فرد من الافراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد
خارجي مطابقة كل طبيعي لجزئياته فهذه تمام اقسام القسم الاول وان كان اللفظ واحدا والمعنى واحدا الثاني
من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته بان كان موضوعا
للجميع فمشترك والمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة ويسمى عرفيا ان كان الناقل هو العرف العام
واصطلاحيا ان كان العرف الخاص وشرعيا ان كان الشرع واما بالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة
الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان بالعكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع
من الاقسام مترادف كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع لكنهما نصوص في معناها
اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه حينئذ
يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث
وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان

متساوي

متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح
هو المأول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني
نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما تحتمل ذات الاركان تحتمل الدعاء
الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيآت المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق
ايديهم فان اليد يحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر
ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويشملهما المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه
لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتاويل
من آل يؤول اي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد
والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقط زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي يحسب ذلك الدليل بعينه
وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام
باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى
الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان يجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فيرد احدهما الى الآخر
وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات
كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا **تنبيه** العلاقة المعتبرة في المجاز
انما تقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل
الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات
بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آئلا

الى ذكر كالخمر للعصير او كانا عليه كالعبد على من اعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري
في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك اي اسنانك
اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها
فانهم لما رأوا بعض الاشياء تتصل بالنداوة استعاروا البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون
الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم اي اناملهم ومنها العكس نحو كل
شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله شعر فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اي قبل يوم القيامة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم وظاهر انهم
ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء ومنها العكس كقوله
سبحانه حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا
نحو واسأل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها
اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على
بدله كما يقال فلان اكل الدم اي ديته قال شعر يأكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز
قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الآخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها
اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق الحرف اللام
وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان
تضلوا اي لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد

اسد

اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراءة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه
والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد او عقليين كالعلم اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والآخر معقولا
كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت
منشرة مرموزة في قرن الحسيات والوهميات في قولك نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان وانه صورة
وهمية محضة وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه ما يشتركان فيه ويكون
امرا واحدا او وحينئذ اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان
وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في الهيئة
الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصود منه مجموعها الى هيئة واحدة كقوله
كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه
السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقا
في الهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب ومتى كان
وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي
مثلا كقولك لمن يتردد في امر تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وذلك لان الاستعارة
هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك
للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع
ما يخص المشبه به وهو اسم جنسها اعني الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه

ومشبه به فاذا افردت في الذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من
المجاز لان المستعير هو زيد مثلا في قولك زيد اسد برز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما اجتراهم على الدعوى ما راوه بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي
اسد اذا لم تعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعي التجريد والترشيح وانما
يلحقها التجريد والترشيح اذا اعقبت بذلك فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له سميت مجردة نحو رأيت
اسدا شاكي السلاح طويل القناة واذا اعقبت بصفات ملائمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو شاهدت اسدا
وافي البراثن هصورا وقد بقي من الاصطلاحات قولهم هذا عام او خاص او مطلق او مقيد
فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ
والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني الحقيقية كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلي كالانسان
لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات ليخرج المثنى وليدخل المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء
لخرجا لان الاصح انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء
العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هي آحادها لكن لا باعتبار امر اشتركت فيه بل باعتبار وضع
اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية او عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون
فانها بقرينة العهد وضربة احتراز من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم
مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فهذا حد العام والخاص بخلافه
وهو ما دل لا على مسميات الى آخره فمن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات
نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدي حر واسم الجنس المضاف

او المعرف

او المعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام
على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وضمائر الجمع
ولا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل
قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء الاول الاستثناء بالا ونحوها
والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه او وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الرجم او وجود الزنى
والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد
يخص بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل
السمعي كقوله عز من قائل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء خصصه الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ
الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان
بالماهية الا باتيان فرد منها وذلك اما في معرض الامر مثل اعتق رقبة او مصدر الامر كقوله تعالى فتحرير رقبة
او الاخبار عن المستقبل مثل ساعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت رجلا
ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شائع في جنسه
فيدخل فيه الدال على المعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على شائع لا في جنسه بل في افراده
كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية
بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق

الرقبة فهي مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه تخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل استثناء
كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة تقسيم آخر
التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت او كذبت من حيث ذلك التركيب لا
من امر خارج عن ذلك التركيب ويقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر
والا فخبر الواحد والثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية
والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي في مطلوبه
ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء
ومتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ
ونحو ذلك تقسيم آخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء
او التخيير او الوضع اما التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو
الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم او مع
جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب
الصلوة او سببا لشيء كالزنا لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما
فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء واما موافقة امر الشرع كالمتكلمين
ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم
الشارع بها او لا والصحة في المعاملات ايضا حكم عقلي لانها في كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع
مشتملا على الاسباب والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم

وقس

وقس البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر
والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك
المقصود من ايرادها لان معاني كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ويندرج فيهما المنسوخ والناسخ
باعتبار ان النسخ بيان انتهاء امد الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر
ومأول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامها
ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير امر مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم او لا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلامه تعالى قديم بعد ان
عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا هذه الحروف واما انها قديمة فلان الكلام صفة الله
تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم
قوم ان الكلام المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن القاري
شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في
بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقرآن وجود عيني وهو القائم بذات الله تعالى
وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص ووجود ذهني كما للحفاظ القرآن ووجود في العبارة وهو
على لسان القاري ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القرآن من حيثيات هذه الوجودات
حادثة بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى

واعلم انه لا برهان على ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة
بل الحال ذلك في الشاهد فقط فالكلام القديم كمال قديم نطق وسمع وابصر ولا آلة ولا جارحة كما انه ادرك وعلم
من غير ما قوى وعضو ومن لم يدرك كما ينبغي لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب
وقوله فصل وحكمه عدل نعمه ظاهرة وجوده شهوده وعيانه بيان والكفر به سواء ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام **المقدمة الحادية عشرة** في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ
القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهنا مباحث لفظية ومباحث معنوية
اما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم
الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها
ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق
باصول الفقه ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها ما يتعلق بعلم احوال الائمة اما القراءة فكما مر واما اللغة فاذا قلنا
العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد
منها مسألة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير وقلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل
هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب ا ل ش ط ن او ش ي ط ومن تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة
فاصل المعنى في كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق الصغير فهل للعوذ معنى
آخر غير الالتجاء وان كان فما الاشتراك بينهما اي شيء هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل
مضارع متكلم واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله اصله الاله كالناس
اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمع لامان فاسكنت

الاولى

الاولى وادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوف فكانك قلت يا اله
وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد والحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكباره
ولو عد هذه المسألة من اللغة جاز لانه غير قياسي والشيطان فيعلان او فعلان والرجيم فعيل بمعنى مفعول
وكلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية
وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان مجرور مثله وشيطان
منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اخر الرجيم دون اللعين او المرجوم مثلا
ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتداء القارئ بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر حين تلاوة
القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى لكونه تجنيسا خطيا وترصيعا واما المعاني فان نقول
انما اخير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اي شاني اني اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل
انا اعوذ او انا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد اني على تجدد هذا القول في لحظة
فلحظة ثابت مستمر لان عوذي مستمر وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما قال في باسم الله ابتدي
لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبري عمن سوى الحق جل
ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام
احضاره في ذهن السامع بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل
على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر فيشمل كل فرد منها ضرورة وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا
جاز كما مر ولو نكر فان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لاطلت والمقام مقام
اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد وذم ولان ادم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل ذي

واما البيان فان قوله اعوذ معناه التصق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام
فالمراد التصق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفى نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعد على ما لا يخفى
ولو لم يرد بالشيطان شيطان الانس ايضا وثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان الاستعارة واذا
تقدرنا الاستعارة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة
التصور واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقع فى التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم
اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم ولان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يركب
جنسه وفصله ولان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور
العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظ خبر ومعناه الدعاء اى اللهم عذنى واما انشاء ونحو بعث ولم يترتب
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر فى موضع الطلب
من مسائل علم المعانى ايضا واما ما يتعلق باصول الدين فان يتكلم ذلك الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار
عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع
ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته نحو ما سبق فى المقدمة الاولى واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة فى الكتاب والسنة واجماع اهل مندوبة ولان كانت
واجبة فتتكرر بتكرر القراءة ام لا وانها تقتضى الفور او تحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب
فى الصلوة ام لا ولان استحبت فيجهر فى المكتوبة ام لا ولان جازت ففى كل ركعة ام فى الاولى وحدها ويسر بها ام
واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى ذكرناها فى المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا
يجب ان يستنبط المسائل من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى فى شىء من ذلك الى ما ليس من العلم

كان نقول

كان نقول فى قراءات الاستعاذة القراءات المشهورة سبع هى كذا وكذا ورواة كل قراءة من هم
وما منشا كل قراءة وفى اللغة ان واضعها من هو وكيف نشات اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدة
وفى الصرف انه معرفة احوال الكلم التى ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما بناؤه وما حد الفعل والكلمة
الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفى النحو ان التركيب
مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبنى وما سبب الاعراب والبناء والصرف
ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هى وكل منها يختص باى شىء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف
ما يختص واصناف الفعل كم هى واصناف الحرف كم هى واسما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة
فمن كل علم نوجد نكت مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين
لزم ايراد كل العلوم او اكثرها فى تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا
لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة فى الملة
الاسلامية وغيرها او فسر بما هو مباين عنه كانواع الآفات واصناف المخافات حتى يلزمهم تكثر المسائل
لم يخل عن التعسف والعنات ومن لم يرتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن
سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات او المسائل على سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها
الاصلية ودلائلها الكلية الا نادرا جاز ما لم يجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب كما اشرنا اليها فى المقدمات
وقد بقى مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحى وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شىء وبيان كيفية
اعجاز القرآن ونحن قد رأينا الاليق بها ايرادها فى مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الآن
فى المقصود وهو التفسير المسمى بجواهر القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة فاتحة الكتاب مكية ويقال مدنية سبع آيات الا ان المكي
والكوفي عدّا التسمية آية دون انعمت عليهم ومذهب المدني والبصري والشامي
بالعكس كلماتها خمس وعشرون حروفها مائة وثلثة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العلمين ۝ لا

بنام خداى بخشايندهٔ مهربان آغاز كار ... ستايش مطلق

الرحمن الرحيم ۝ لا مالك يوم الدين ۝ ط اياك نعبد واياك نستعين ۝ ط

بخشاينده مهربان خداوند كار جزا وحساب تراخصوص مى كردانيم به پرستش ولز تو يارى ميخواهيم در حوايج وبس

اهدنا الصراط المستقيم ۝ لا صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم

راه نماى ما را راه راست موذى راه آنانكه ... كردى بر ايشان ... از انبيا ومومنان بارادت انعام ... بسلامت عاقبت

ولا الضالين ۝ القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم
وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو
وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم او مخرج واحد مثل
ولتأت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل
انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى
الادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو احل لكم ومس سقر او منقوصا مثل وما كنت ترجو كنت ترابا
ويعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا
في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون

الاظهار

الاظهار اخف من الادغام نحو انا انت تهدى اماتت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين في كل القرآن
اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القرآن حمزة وعن يعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي
باشمام السين كل القرآن الباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاآت كل القرآن حمزة ويعقوب ضم
كل ميم جمع يزيد وابن كثير نافع غير ورش مخير وورش يضم الميم عند الف القطع نحو انذرتهم ام **الوقوف**
العلمين ۝ لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم ۝ لا لذلك الدين ۝ ط للعدول عن الغائب الى المخاطبة نستعين ۝ ط
لابتداء الدعاء المستقيم ۝ لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم ۝ لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ۝

التفسير روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد
اخطأ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار
فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك
الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم
قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوا سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما
النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه
ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع
العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة
فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك
الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب

القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني الرابع
الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ
المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا
ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة
كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر
العربية يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او
انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية
والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل
الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور
والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكن يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها
حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا باس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة
الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب
الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف
والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت وجهها والفرس لانه يكشف والمسافر
به عن وجوه الحوائج ومنه الشرف لانه يكشف عن حال الجنيد والرقش لانه يكشف عن عضو في
حال المقيد في رشفاته واصح من التفسير ما تعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف او النحو او المعاني
او البيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في آخر المقدمة العاشرة ومنه لاسباب النزول او ذكر القصص

والاخبار

والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن مع الترجمة القرآنية ثم الوقف ثم التفسير الشامل
لجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان
ولنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل ١ الجار والمجرور لا بد من متعلق وليس بمذكور
فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدأ
بسم الله او ابتدائي بسم الله او بسم الله ابتدي او بسم الله ابتدائي او الابتداء وتقدير الفعل اولى من
تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله بسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فكون المراد ان الشارع ذلك الفعل
انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ او اتلو او ابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر
اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل او ارتحل وكذلك الذابح ونظيره في حذف
متعلق الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين اي بالوفاق اعرست وتقدير المحذوف متأخرا
اولى على نحو قوله عز من قائل بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو
السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله تعالى قبله
ولانهم كانوا يبدأون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في اياك نعبد صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص
قال في الكشاف وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لان تقديم الفعل هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر
بالقراءة اهم وقال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثانية
وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به
شرعا الا بعد تصديره بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات

فی قوله نبت بالدهن ای متبرکا باسم الله اقرا کما فی قوله بالرفاء والبنین ای اعرست ملتبسا بالرفاء

وهذا اعرب واحسن اما کونه ادخل فی العربیة فلانه لا یعرفه الا من له دربة بفنون الکلام والاستعمالات بخلاف

الاول فانه مبتذل واما کونه احسن فلان جعل اسم الله کالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حیث انها آلة

غیر مقصودة بالذات واسم الله تعالی عند الموحد اهم شیء واقدمه وانه مقول علی السنة العباد تعلیما لهم کیف

یتبرکون باسمه وکیف یعظمونه وکذلک الحمد لله رب العالمین الی آخره ب انهم استحسنوا تفخیم اللام

وتغلیظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الکسرة اما الاول فللفرق بینه وبین لفظ اللات فی

الذکر ولان التفخیم مشعر بالتعظیم ولان اللام الرقیقة تذکر بطرف اللسان والغلیظة تذکر بکل اللسان فکان

العمل فیه اکثر فیکون ادخل فی الثواب وهذا کما جاء فی التوریة احبب ربک بکل قلبک واما الثانی فلان النقل من

الکسرة الی اللام الغلیظة ثقیل علی اللسان لکونه کالصعود بعد الانحدار وانما لم تعد اللام الغلیظة حرفا

والرقیقة حرفا آخر کما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقیقة الی الغلیظة کنسبة الدال الی الطاء

فان الدال بطرف اللسان والطاء بکل اللسان لاطراد استعمال الغلیظة مکان کل رقیقة ما لم یعق عائق

الکسرة وعدم اطراد الطاء مکان کل دال ج طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة علی همزة الوصل

المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا یستفتحوا کتاب الله الا بحرف معظم وکان یقول عمر بن عبد العزیز لکتابه طولوا

الباء واظهروا السین ودوروا المیم تعظیما لکتاب الله وقال اهل الاشارة لما کان الباء حرفا منخفضا فی الصورة

فلما اتصل بکتبه لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا یبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله یرتفع حاله ویعلو

شانه د ابقاء لام التعریف فی الخط علی اصله فی لفظ الله کما فی سائر الاسماء المعربة واما حذف الالف

قبل الهاء فلکراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة فی الصورة عند الکتابة ولانه یشبه اللات فی الکتابة قال اهل الاشارة

الاصل

الاصل فی قولنا الله الاله وهو ستة احرف وبقی بعد التصرف اربعة فی اللفظ الف ولامان وهاء

فالهمزة من اقصی الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصی الحلق وهذه حال العبد یبتدی من النکرة

والجهالة ویترقی قلیلا قلیلا فی مقامات العبودیة حتی اذا وصل الی آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل فی عالم

المکاشفات والانوار اخذ یرجع قلیلا قلیلا حتی ینتهی الی الفناء فی بحر التوحید کما قیل النهایة رجوع الی البدایة

واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فجائز فی الخط ولو کتب حسن ه الاسم احد الاسماء العشرة

التی بنوا اوائلها علی السکون وهو عند البصریین فی الاصل سمو بدلیل تکسیره علی اسماء وتصغیره علی سمی وتصریفه

علی سمیت ونحوه فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمیة تنویه بالمسمی واشارة بذکره وقیل لان

اللفظ معرف للمعنی والمعرف متقدم علی المعرف فی المعلومیة فهو عال علیه حذف عجزه کما فی ید ودم فبقی

حرفان اولهما متحرک والثانی ساکن فلما حرک الساکن للاعراب سکن المتحرک للاعتدال فاحتیج الی همزة الوصل

اذ کان دابهم ان یبتدئوا بالمتحرک ویقفوا علی الساکن حذرا من اللکنة والبشاعة ومنهم من لم یزد الهمزة

وابقی السین بحاله فیقول سم قال باسم الذی فی کل سورة سمه وقد یضم السین فیقال سم کان الاصل عنده

سمو وعند الکوفیین اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم کالعلامة المعرفة وزیف بانه لو کان

کذلک لکان تصغیره وسیما وجمعه اوساما و قال بعض المتکلمین ومنهم الاشعری ان الاسم غیر المسمی

وغیر التسمیة وهو حق لان الاسم قد یکون موجودا والمسمی معدوما کلفظ المعدوم والمنفی ونحو ذلک وقد یکون

بالعکس کالحقائق التی لم یوضع لها اسماء ولان الاسماء قد تکون کثیرة مع کون المسمی واحدا کالاسماء المترادفة

وکاسماء الله التسعة والتسعین او بالعکس کالاسماء المشترکة ولان کون الاسم اسما للمسمی وکون المسمی مسمی له من باب

المضاف کالمالکیة والمملوکیة والمضافان متغایران لا محالة واشکل ذلک بکون الشخص عالما بنفسه لانهما متغایران اعتبارا

ولان الاسم اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجوب لذاته ولانه يلزم من التلفظ
بالعسل وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى
تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه مما لا ينبغي ايضا
قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله ﷺ الى الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة
بزينب طلقت مغايرة قلنا المراد الذات التي عبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا
للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته
والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا ز وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان
الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الحروف والافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية
والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفرد والفعل مركب والمفرد سابق
على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم
مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على اسماء المشتقات
لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان تكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة
بانفسها لانا لا نعرف الذوات الا بتوسط الصفات القائمة والمعرف معلوم قبل المعرف فناسب السبق في الذكر
ح اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على
الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان وثالثها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار
رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك خامسها الواقع عليه بحسب صفة
سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند القائل بان العلم

صفة

صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم
من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه
سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما
خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات ط هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان حقيقته تعالى
لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك واقول لا ريب ان الادراك التام
عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي
الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان تعالى الشيء الذي يدرك منه
هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه فلا ان يضع
لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف الذكر بشرف المذكور والعلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد
من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات
والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال
والاكرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من
الاضافية ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من يقول انه الحي القيوم
لقوله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر
ورد بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره
والاول مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها

ورد بما تقرر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب
لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته
المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد فقال والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا
شك ان اسم الله في الآية والحديث اصل والصفات مترتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب
جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرا عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم
الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول في الاسماء الدالة
على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه
وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على
كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شيء ولكن سائر الاشياء
مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل
بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز
اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك

في جواز

في جواز اطلاقه اذ يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك
ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث كذبات ثنتين في ذات الله اي في طلب
مرضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك اي على
ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال صلى الله عليه وسلم لا شخص اغير من الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه
المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال عز من قائل الله
نور السموات والارض وليس المراد به ما يشبه الكيفية المبصرة وانما المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره
واذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات
من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف ياتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور والله اعلم
بحقائق الامور ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته فقيل معناه خلق آدم على
صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة
واحدة وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة
كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه على صفته في كونه خليفة في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية
كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة
ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النير وبالعكس وكانا قد كتبنا في هذا رسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق
عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغني المحل عنه لان ذلك
ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في حيز

اصلاً لكن لما اذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ومنها الجسم وان يطلق عليه الا
المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى القائم بذاته
من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فلا اذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية مطلقا
اي حقيقته التي يسال عنها بما هي وثبوته الدال عليه لفظة ان ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات
المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود
الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان
اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود
منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد به الازلي وهو الذي لا اول له في الطرف الماضي
كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي ويعني والمشتق من السرد التوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة و
بالنسبة في هذه الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان
ومنها الممتد والمستمر ويعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها
بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعالى
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود
لذاته اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي
معناه خود آي اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن
النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظة كان

تفيد

تفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما تفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما تفيد حصول موصوفية
شيء بشيء والاول يتم باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد
عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات
الحقيقية المغايرة للوجود ولكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذات الله تعالى
لشدة انكارهم لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم ان يكون
الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة الغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود
فلها علة موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة
فكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم تكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة
المثبتين ان آثار العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قولنا
ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم
صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية
عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم يقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية
بل تعالى انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما وقادرا والمحققون ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه
ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي
اتصافه بجميع الصفات الكاملة وصدور الاشياء المحكمة على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه قائلا الله
لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين
وهو عند المعتزلة والاشعرية نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان

على سبيل الصحة وهى القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار

وايضا لو كانت قديمة لزم قدم الآثار ولو كانت حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون

قالوا كونه خالقا اذا قالوا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة

اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد

ومنها كونه معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال يا ايها المسبح بكل لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان

ويا ايها المرجوع اليه فى كل حين واوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء

الممكنة بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على كونه موجدا

مثل الموجد ومعناه المؤثر فى الوجود والمحدث وهو اخص لانه الذى جعله موجودا بعد العدم والمكون

وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينبئ عن التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعى وكذا

الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف واما الخالق فهو التقدير وانه فى حق الله تعالى يرجع الى العلم واما

البارئ فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة تعالى رب العلم اذا اضلّه وجعله موافقا لغرض معين

ومنها الفاظ تدل على ايجاد شئ بعينه وانها كالاسماء تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع

الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم سمى ضارا واذا خلق الحيوة

سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا اخصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا اخصهم بالقهر سمى قهارا

جبارا واذا اقل العطا سمى قابضا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب

سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزا سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا احصل النفع والاعطا فى المال

سمى قابضا باسطا واذا احصلا فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها

ما تعود

ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى

شئ غيره فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما تعود الى الصفات ولا يخفى ان كل

صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفى النوم لا تاخذه سنة ولا نوم وكنفى النسيان

وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات

عن العلم بغيره لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة ككونه منزها فى افعاله عن التعب والنصب وما مسنا

من لغوب وانه لا يحتاج فى فعله الى آلات ولتقدم المادة والمدة انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا تنتهى قدرته ان يشا يذهبكم

ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد والاضداد ليس كمثله شئ ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغنا وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما تعود

الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين

لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله

بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم

وان اساتم فلها ليس لاحد ان يعترض عليه فى افعاله واحكامه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا يخلف الميعاد ومن اسماء

السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم عن نقائص الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير او لا يغلبه

شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب المسئ مع القدرة عليه واما الاسماء

الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك

والقوى وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه عالم الغيب

والشهادة وهو بكل شيء عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم آدم الاسماء ولم يرد علامة ولكن كان يفيد المبالغة لان ذلك تاويل امة او جماعة
والخبير يقرب من العليم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها واذا اخذ من الشهادة كان من وصف الكلام و الحكمة
تشارك العلم من حيث انه ادراك حقائق الاشياء كما هي وتباينه بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغي واللطيف قد يراد
به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والحقوق له الذى نفذ تصرفه في جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى
الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله
قيلا انا امره ان الله يأمركم وعد الله حقا فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيهم مشكورا
وذكر انه اثنى على عبيده لمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا موضوع الشكر
ومنها ما يرجع الى الارادات يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم اي صار مريدا لافعالهم يحبهم ويحبونه والله يحب المطهرين
يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل
المعتزلة صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه متركب من معنيين
احدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره وكالآخر فانه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم
فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اي انه ظاهر بحسب الدلائل باطن
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق
هذا اللفظ في الاسلام على غير الله واما الله فسيأتي انه اسم علم وقد بقي ههنا اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه
لكونه متحيزا او حالا في المتحيز لاستبعادهم انه كيف يكون موجود خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال

للزوم

للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال الاستصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم
والكبير وهما مشعران بان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي آخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع من الازار ولهذا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب
ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى بحسب الجثة والمقدار كالاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها
العلي والمتعالي فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله تعالى فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف
على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي ونكل معانيها الى مراد الله تعالى واما ان يستمد في
ادراكها بضرب من الكشف والعيان ت في الاسماء المضمرة قال عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا
ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال شعر انا من اهوى ومن اهوى انا
لاشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء ارادته في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغائبين
واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك الدرجة
ورب غائب حاضر كما قيل شعر ايا غائبا حاضرا في الفواد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظ هو اسرار عجيبة
منها ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم
وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم
على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا تعين
النداء ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته او يطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات
فاما اذا قال يا هو فكانه يستغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول

أجلّ حضرتك أن أمدحك وأثني عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك وهي صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر
ولا عرض ولا في المحل أو بإسناد كمالات الممكنات إليك وهي صفات الإكرام لكونه مرتبا للوجود دالا على النحو الأكمل
لا أمدحك ولا أثني عليك إلا بهويتك من حيث هي ومنها أن هذا الذكر يفيد أن المنادى بسيط محض لا طريق إلى تصوره
إلا بالإشارة العقلية ومنها أن العبد كأنه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما لكم إلا عن هذه الإشارة ولاختصاص
هذا الذكر بهذه الأسرار ذكر الغزالي رحمه الله أن لا إله إلا الله توحيد العوام ولا هو إلا هو توحيد الخواص وذكر أن قوله
لا هو معناه كل شيء هالك إلا وجهه وقوله إلا هو معناه إلا وجهه ومن جملة الأذكار الشريفة يا هو يا من لا هو إلا هو
يا أزل يا أبد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو
يا من لا هو إلا هو يا من لا هو بلا هو إلا هو فالأول فناء عما سوى الله والثاني فناء في الله والثالث فناء عما
سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقية مباحث الأسماء اختلفوا في أن أسماء الله تعالى
توقيفية أم لا فمال بعضهم إلى التوقيف لأنا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستيقنا
فلولا أن أسماءه توقيفية لوصف بها ولو كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بأن أسماء الله
تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية ولو شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الأخبار مع أن المسلمين أجمعوا
على جواز إطلاقها والجواب أن عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبأن الله تعالى قال
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها فكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا فيجوز إطلاقه والجواب
أنه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم أنه ليس كذلك والغزالي رحمه الله تعالى فرق بين اسم الذات وبين أسماء الصفات فمنع الأول
وجوز الثاني واعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على معان لا يمكن إثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها
الاستهزاء الله يستهزئ بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

ومنها

ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون
فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر
ومنها الحياء إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب وللوجه عند فعل شيء قبيح والقانون
في تصحيح هذه الألفاظ أن يقال لكل واحدة من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية وآثار يصل منها
في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والأثر الحاصل منها في النهاية
إيصال الضرر إلى المغضوب عليه فالغضب في حق تعالى محمول على الأثر الحاصل في النهاية لا الأمر الكائن في البداية
وقس على هذا قيل أن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن والأخبار وألف في التوراة وألف في الإنجيل وألف في
الزبور وقد يقال ألف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك إلى البشر وهذا غير مستبعد فإن أقسام صفات الله تعالى
بحسب السلوب والإضافات لا تكاد تنحصر فكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي والعالم
السفلي أكثر كان اطلاعه على أسماء الله أكثر ولو قلنا أن له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة من منافع أعضاء
الحيوان والنبات والأحجار خرجت الأسماء عن حيز العد والإحصاء كما قال عز من قائل وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فإن قلت إنا نرى في كتب العزائم أذكارا غير معلومة ورقى غير مفهومة وقد تكون كتابتها أيضا غير معلومة فما بال تلك
الأذكار والرقى قلت لا شك أن تلك الكلمات إن لم تدل على شيء أصلا لم تفد ولو دلت فأحسن أحوال تلك
الكلمات أن تكون شيئا من هذه الأدعية ولا ريب أن الأذكار المعلومة أدخل في التأثير من قراءة تلك المجهولات إلا أن أكثر
الناس إذا قرأوا هذه الأذكار المعلومة ولم تكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم إلى عالم القدس ويلوح عليهم آثار الآيات
لم يكد يظهر عليهم شروق أنوارها ولهذا قد نرى تالي القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة لما إذا قرأوا
تلك الألفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم أوهام أنها كلمات عالية يستولي الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل

لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم وتؤثر وهذا
وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة
والجنسية علة الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع
والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب السهروردي كان يأمر المريد بالاربعين مرة او ستين تطهر بالبركة مصاحبته
فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى
السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه متأثرا مزيد تأثر عند سماع اسم خاص
امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة
لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث لا تستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس
معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث
عن مطلق الاسماء ب في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل وتابعيه وعند اكثر الاصوليين
والفقهاء ان هذا اللفظ ليس بمشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع
نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون قوله لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله
اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما لو قال اشهد ان لا اله الا الرحيم او الا الملك لا يدخل به لكن يدخل في الاسلام
بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انا نقول
الله الرحمن الرحيم العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقرأ من قرأ الى صراط العزيز
الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله ليست لاجل انه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه
وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا لزم خلاف

الواقع

الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله
في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك
جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا
وايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى
الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون
على ان الاله مشتق من اله بالفتح الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل
ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لا يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من كون الله تعالى معبودا
كونه مستحقا ومستاهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد فان اللائق بحال المعبود لا يليق على احد
من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا وابدا وان كل من سواه عابد له
بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض
رغبة في الثواب ورهبة من العقاب حتى لو فرض حصول المرغوب او فقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك ينبغي ان
لا يقطع النظر عن عبادته ايضا وقيل اشتقاقه من الهت الى فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول
لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء الواصلون
الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى مرتفع عن مشابهة
الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير فيه لان العقل وقف عن الاقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود

مصنوعاته وبين تكذيب النفس لتعاليه عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا ان يقر بالوجود والكمال مع
الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال فههنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا
احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها
وجودا او عدما وشروقا وافولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل الاطمئنان بكون الشعاع مستفادا منها
ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات التابعة لم يكد يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها
فلا سبب لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل من اله الفصيل اذا اولع بامه لان
العباد تتضرع اليه في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شان الناقصين واما الكاملون
فهو جليسهم وانيسهم ابدا شكا بعض المريدين كثرة الوساوس فقال الشيخ كنت حدادا عشرين وقصابا عشرا
وبوابا عشرا فقيل وكيف ومارايناك فقال القلب كالحديد الينته بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار
والاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم اترك حتى يخرج منه حب الله ويدخل
فيه حب غير الله فلما خلت عرصة القلب عن غيره وقويت فيه محبته سقطت من بحر عالم الجلال قطرة من النور
فغرق القلب فيها في تلك القطرة وفني عن الكل لم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله وقيل من اله الرجل يأله اذا
فزع من امر نزل به فالهه اي اجاره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف اسم الله
انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية
على صورة له له ما في السموات وما في الارض وان تركت اللام الباقية ايضا بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زائدة
بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات
بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله تعالى اعلم بحث فيما تعلق بالرحمن الرحيم

الرحمن

الرحمن فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقهما من الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها وارادة الخير لاهله
واصلها الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث
على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة
لم يصرفه واذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو ان الاصل في الاسماء الصرف وللمنع الصرف وجه
وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتاكيد
والاتباع كقولهم جاد مجد قال طرفة متى أدن منه ينأ عني ويبعد وقوم الرحمن اشد مبالغة لانه مستند الا
بالزيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وربما قال رحمن الدنيا
ورحيم الاخرة لان رحمته في الدنيا عمت المومن والكافر والبر والفاجر وفي الاخرة اختصت بالمومنين فالرحمن
خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى لانه من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما
عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمومنين والتوفيق الضحاك الرحمن باهل
السماء حيث اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات وانطق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم الافات
وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب عكرمة
الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة وانه انزل منها رحمة
واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها
عباده يوم القيامة ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسأل غضب قال صلى الله عليه وسلم
من لم يسأل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وحبا والرحيم باللأواء وهي ما صرف وزوى

بلا انقذكم من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام آمنين

الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم ولن لم يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن

تعنت منهم وانقطاع من اسماء الله تعالى قال عطاء ولذلك قرن الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لم يتسم به غيره وانما

قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم والعادة التدرج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم واصولها

فاردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما دق منها ولطف واعلم ان الاشياء التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة

اقسام الاول ما يكون نافعا وضروريا وذلك في الدنيا التنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الاخرة

معرفة الله تعالى فانها اذا زالت عن القلب لحظة مات القلب ويستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا

كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة الثالث ان يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والعلل

ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الاخرة وبالجملة

فكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او تندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شائبة

غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عقابه

يد في نكتة شريفة الاولى ان العلوم يندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم

القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله وذلك ان المقصود

من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذا الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية

المطالب واقصى المقصد وقيل انما وقع ابتداء كتاب الله بالباء دون الالف لان الالف تطاول وترفع

والباء انكسر وتساقط ومن تواضع لله رفعه الله الثانية مرض موسى عليه الصلوة والسلام واشتد وجع

بطنه فشكا الى الله تعالى فدله على عشب في المفازة فاكل فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في

وقت

وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته اولا فاشفيت به واكلت ثانيا

فضرني فقال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلاء فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت

منك الى الكلاء فازداد المرض اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي الثالثة بات رابعة

ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها وقصد الباب

فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب وفعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية البيت ضع

القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما

فحضر في غنمه الذئب ولا يضر اغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب قال الراعي

من حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة روى ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصد او امر ان

يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالهية وارسل الله اليه موسى ودعا فلم ير به الرشد قال

الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى

ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا عن الهلاك وان كان كافرا

فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى آخره كيف حاله السادسة سمى نفسه رحمانا رحيما

فكيف لا يرحم روى ان سائلا وقف على باب رفيع فسال شيئا فاعطي قليلا فجاء بفاس واخذ يخرب الباب

فقيل له لم تفعل ذلك قال اما ان تجعل الباب لائقا بالعطية او العطية لائقة بالباب الهي كما اثبت

في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة اذا اشترى العبد شيا

من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدو الشيطان

فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله

قرينك حتى لا تبعد عنه في احوالك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى ابي بكر رضي الله عنه فقال
اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك
فاتى ابو بكر بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال يا
ابا بكر ما هذه الزوائد فقال يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك من اسم الله فما رضي الله ان يفرق اسمي
عن اسمك التاسعة ان نوحا عليه الصلوة والسلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها فنجا بنصف
هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره العاشرة الناس ثلثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم
لنفسه فقال انا الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطاء الرحمن المجاوز عن زلات
الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغنياء يعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقاك ولو علمت المراة لجفتك
ولو علمت الامة لا قدمت على الفرار ولو علم الجار لسعى في تخريب الدار لكن الله يوجب ولاية الله ولي
الذين آمنوا الرحمن يستدعي محبته ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم
يقتضي رحمته وكان بالمؤمنين رحيما هو رحيم بهم في ستة مواضع في القبر وحسراته والقيامة وظلماته
وقراءة الكتب وفزعاته والصراط ومخافاته [illegible] ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشرة
مر عيسى عليه الصلوة والسلام بقبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر
فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان
هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امراة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته الى الكتاب
فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه بناري في بطن الارض
وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل

في كفنه

في كفنه فقيل له في ذلك فقال اقول يوم القيامة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم
فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر
فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلته اربع وعشرون ساعة
فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم
وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله
لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب
وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض
فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا
مشركين وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت
هذه الآية على آدم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه الصلوة والسلام
فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان عليه الصلوة والسلام
وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزل الله تعالى علي ثم ياتي امتي يوم القيامة وهم
يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا
لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى
تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتبت له من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس

اعقابه لمن كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله
يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات
حتى تخرج منها وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم
اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك
من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى شعر

كانت لنفسي اهواء مفرقة • فاستجمعت اذ رآك النفس اهوائي • فصار يحسدني من كنت احسده •
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي • تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي •

هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسائل ا
في اسماء هذه السورة هي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك
لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن
وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان اولها الحمد الثالث ام الكتاب
وام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر
والنبوات او لان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة
وطلب المكاشفات والمشاهدات او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية
او لانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان او اصل جميع البلدان حيث دحيت من تحتها
وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانها جعلوها معظم الاوجاع والدم الضرب الرابع السبع المثاني
لانها سبع آيات ولانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب والنصف الآخر عطاء الرب للعبد

اولانها

او لانها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية والانجيل
ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم او لانها انزلت مرتين او لانها اثنية
ومدائح لله تعالى الخامس الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزى بعضها في الصلوة السادس
الكافية قال صلى الله عليه وسلم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء والشافية
لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهو كالاساس او لانها
تشتمل على اساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس
القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس
تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني
وبين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة
في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها آداب السؤال فبدا بالثناء ثم بالاخلاص
ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب انه قال نزلت فاتحة الكتاب من كنز تحت العرش
ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطاوا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل من القرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها
قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا
فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقال انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا
فانما لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة
انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم

ولان جهنم تملو عدهم اجمعين والخاء وهو الخزى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو لظى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهى بعدد ابواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجا من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات النار وعذابها ب في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اى الحمد ثابت لله واصله النصب الذى هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع الدالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قالوا سلاما قال سلام ولهذا كان تحية ابراهيم صلوات الله عليه احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب ان قوله اياك نعبد بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فحمد ابويه مثلا لا يدخل فيه وايضا الحمد لله لا يفهم الاختصاص الحمد من حيث هو وكذا ما ثابت به وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام الرب المالك ربه يربه فهو رب او مصدر وصف به للمبالغة كالعدل او هو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس واكثر المفسرين وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض لقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمى به

وبالواو

وبالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين صفة اخرى واليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به في الآية الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف ويسوق الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمنزلة الصفة المشبهة للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا يعمل فتكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخففا ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك رفعا ونصبا وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف الخطاب نحو ارايتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وستنتظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل ثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدي

للذى يأتى الى الجرم اى أميل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط
الشئ ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمى لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر
والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته
التوكيد كقولك هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك
هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقرا ابن مسعود
صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا
تعريف كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك
عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة والنعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى
والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل
واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اى بالغت فى دقه وكل ما فى القرآن
من ذكر النعمة بكسر النون فهى المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا
فيها فاكهين والغضب فى اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخالق وعلى الخالق واصل الضلال
الغيبوبة ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق قال تعالى ائذا ضللنا فى الارض
وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الآخر وتقول انا زيدا غير ضارب كما تقول انا
زيدا لا ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرا ايوب السختيانى ولا الضالين بالهمز كما قرا عمرو بن
عبيد ولا جأن وامين مدا وقصرا معناه استجب كرويد بمعناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم معناه افعل ج فى المباحث الفقهية البحث الاول اجمع الاكثرون منهم الشافعى رضى الله عنه

على ان

على ان قراءة الفاتحة واجبة فى الصلوة فان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم تصح صلوته وعند ابى حنيفة رضى الله عنه
قراءتها غير واجبة لنا انه صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره على قراءتها فى الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا
اقيموا الصلوة معناه الصلوة التى اتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرا الفاتحة فيها فيجب وايضا روى
فى ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج وروى
رفاعة بن مالك ان رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمنى الصلوة يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم اذا توجهت الى الصلوة فكبر واقرا بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب لا سيما فى معرض
التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء
الراشدين وايضا المواظبة عليهم على قراءة الفاتحة توجب هجران سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت انها
واجبة حجة ابى حنيفة فاقرؤوا ما تيسر من القرآن قلنا الفاتحة هى المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال رضى الله عنه
اذا قرا آية واحدة كفت مثل الم او حم والطور مدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلث آيات
او آية واحدة طويلة مثل آية الدين البحث الثانى قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية
ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابى حنيفة ومن تابعه
ولذلك لا يجهر بها عندهم فى الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من كل سورة وعليه الشافعى
رضى الله عنه واصحابه لما روى عن ام سلمة انها قالت قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم
آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم
آية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد المقبرى عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبى فى تفسيره باسناده عن ابى بريدة

عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بآية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى
فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن
جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله
قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة
يقرا بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وباسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى
علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله
هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال الى غير ذلك من الاخبار
وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم
يثبتوا آمين وايضا قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم
فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست آية تامة في قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فتكون آية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عليه الصلوة والسلام
عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان عليه الصلوة والسلام الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله
انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت الكتاب قرات التسمية فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم
ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال

قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت
بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن
فوجب ان نعتقد كونه من القرآن مثل فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة
ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله
حمدني عبدي الى الآخر قال لم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان
فالترجيح للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلث آيات
ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك نستعين الى آخر السورة اما اذا قلنا التسمية آية صار القسم الاول
اربع آيات ونصفا فينخرم التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد انعمت عليهم وهذا اولى رعاية
لتشابه المقاطع وان غير صفة او بدل ويختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط
المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير مغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام
مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي رضي الله عنه لعل عائشة رضي الله عنها جعلت الحمد لله رب العالمين
اسما لهذه السورة كما يقال قرا فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم
التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القرآن فان قيل اذا عدت التسمية آية من كل سورة
على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله فما وجه ما روي عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلثون آية وفي الكوثر انها ثلث آيات مع ان العدد حاصل بدون التسمية

قلت اما ان تعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك غير بعيد لانا نرى ان قوله الحمد لله رب العالمين آية
تامة وفي قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض آية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلث آيات
فان التسمية كالشيء المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها
في كل ركعة ابو حنيفة ليست بآية ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي آية ويجهر
ويجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من الفاتحة او القرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بها ويجهر
بذلك وايضا انه ثناء على الله وذكر له فوجب ان يكون الاعلان به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم
آباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والستر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول يا من ذكره شرف
للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت هذا منه تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم
اللهم ادر الحق معه حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجهر في الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم مثل ذلك وروى الشافعي
باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم
ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع والسجود
ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان مقررا
عند كل الصحابة لم يجترؤا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون القرآءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية
ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية فلم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله

بن المغفل

بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام
قد صليت خلف ابي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان
فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض بما روي
عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ايضا انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
والاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وايضا
ففيها تهمة اخرى وهي ان عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية بالغوا في المنع
من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن ابي طالب فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله
وايضا من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان
عليا وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كانوا اعلى حالا من انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه صلى الله عليه وسلم
ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا
ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كما مر
البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل
الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم تصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما امرك الله
والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب والحائض لا يقولها لقصد القراءة
والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا
لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل

والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال
بسم الله واذا انتبه قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب او اعطى او اخذ قال
بسم الله ويستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات
وادخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر احواله من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال
بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي رضي الله عنه ترجمة القرآن لا تكفي في
صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة رضي الله عنه انها كافية في حق القادر والعاجز
وقال ابو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرأوا
في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام
البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطاء في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم
بل ان تضع آية الرحمة مكان آية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين اخبر
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية
والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرآنا
فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل ينتفي بانتفاء الجزء البحث السادس قال الشافعي في القول الجديد
تجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم تجب اذا اسر الامام ولا
تجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة تكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرأوا
ما تيسر من القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب تشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي

في جامعه

في جامعه باسناده عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما
انصرف قال اني اراكم تقرؤون خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلوة
لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن وايضا قراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوز ان يبطلها
عدم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
وباخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول اما القرآن فمخصوص بغير الفاتحة لما مر واما الاخبار
فبتقدير انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه احوط
البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر
وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي
علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرأ فاتحة
الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير
واجبة اصلا وقيل تجب في ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند
ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنين وفي الرباعية في
ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت
صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر رضي الله عنه صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال
كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة وايضا
لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع
غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر ان لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها
من القرآن ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه وقفة بقدرها فان تعلم قراءتها لم يفرغ منه البحث الحادي عشر
ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه
كاذب والا فجحد المتواتر كيف يليق بحاله د فيما يختص بتفسير الحمد لله من الفوائد الفائدة
الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤة والياقوتة الثمينة والحمد
للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه
قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس

لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد
قول دال على انه مختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان يكون على جهة التفضيل
لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان
والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في
عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم
ولهذا قيل الشعير يوكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول
لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر من ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال
الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم تعطني
فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء
والشكر لله على ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء وكانه يقول انا شاكر لادنى
النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء
الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية
لو قال احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين
وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي
واللام الجارة وذلك بسبب كثرة الائه وانواع الائه على عبيده وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من حمده
شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا
ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان اكمل فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه
فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد
الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة
وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم
من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء
او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة
اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه

جوداً

جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة انا لم يقل احمد والله لان الانسان عاجز عن
الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره
اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل
وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعم الله
فقد اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على
الاتيان به او لم يقدروا ونقل ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني
لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكرك فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا انعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما
انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد لله فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى
وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي
فالذي بقي للعبد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير
السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده
فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق وعلى كل محدث احدثه
من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه تعالى سبحان الله والحمد لله
فما السبب في وقوع البداية بالتحميد الجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على
كونه مبرأ في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات
ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان غنيا في ذاته
والا اشتغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والافات
السابعة الحمد له تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد
النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف
بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكر في موضعها ليحصل المقصود قال السري
منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحرقت دكاكين الناس
فاخبروا احد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين
سنة فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال القلوب اولى من الحمد على اعمال الجوارح

النعم من حيث هي عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضع
اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى اهل
الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك وآخرها
مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان يقال قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه
وان كان عاقا كان اثمه اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل مما
لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشرة شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا
واختيارا والاستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد
والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة
على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبيح في فعله ولا جور في قضيته
وعندكم لا قبيح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبت ان لو امكن تصور الفعل
المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة
الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة
ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتب الحكم
على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاق الحمد ثابت لكونه
ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم
ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله يستكمل بها ولا لانه تعالى يجازي بها
ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الله حسبي في فوائد قوله رب العالمين الاولى
الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر
الفرد والجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح
والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما
ينشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار
واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض
باجناسها وانواعها القسم الثالث الارواح وهي اما سفلية خيرة كالجن او شريرة كالشياطين واما
علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد وغير متعلقة
وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي

البقاء

البقاء ايضا فهو اله العالمين من حيث انه اخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث
انه يبقيها حال استمرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفصيلها كان اكثر وقوفا على تفسير
قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه ومن اول شأن
المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب او غير ذلك والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال
خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في خزانته بسبب
التربية والافادة والافاضة اختلال يحب الملحين في الدعاء يزيد في الخلق ما يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني
كرمه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما ويربي كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا
ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب
العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام
والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيك كانه ليس له عبد سواك وسواه الكواكب
الصدوات تخدمه كان لك ربا يا عبده فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت
لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب وفي فوائد
قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا
الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم
اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب المهم اليسير من الرجل
اليسير فكان الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن
لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالد اذا
اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان وفي
حال من يقطع يده لاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة والتأديب بصلة شريفة وكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة
رحمة ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وضع موسى مع الخضر كالجن في
موضعها يؤديها اذ ربنا والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها السلام رحمة ولنجعله آية للناس ورحمة منا فاذن

سببا لنجاتهما من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا نجو بسببه من عذاب النار
الخامسة وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر اسنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يقول
امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما ايضا وكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فقدرني عبيدي فانا
الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يبعد كغير المتناهي فستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك
ربك فترضى السادسة حكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا
فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون
انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا يعدو فلما
وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل
الضفدع الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة ورأيت افعى يقصده
فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى ولدغتها والافعى ايضا لدغتها وماتتا معا وفي ادعية العرب
يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض يكون كانه قطعة لحم فتهجره امه تنفرا حتى اذا
خرج ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروي ان فتى قرب وفاته اعتقل
لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه فقام ودخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل
لسانه فقال صلى الله عليه وسلم اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته قالوا نعم فقال
هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمني ففقأ عيني
فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار بين يديك
جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام
فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن
الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل
منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية ز
في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي
والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل
يوم القيامة فينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي
ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك
النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل وتوزن حسناته بسيئاته

فتخف

يوم القيامة

فتخف حسناته فتاتيه بطاقة فتثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا تثقل مع ذكر الله غيره واعلم
ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من ياتي يوم القيامة
بصلوة وصيام وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من
حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار
الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثاني في القيامة ملوك ولا مالك الا
الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية
فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك باختيارهم بخلاف
المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما
المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يستقل في امر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا
اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا
يكون الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك اقصر
ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات
قبل الاتمام كالونوى بعد غروب الشمس يجب صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القرائتين
احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة الملك لان اقصى ما يرجى من الملك العدل
والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك
والمالك انت تطمع فيه الملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده
عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا
الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الآخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم
اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فان اعطاك عشرة اولاد
زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم الملك كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومثله
الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فيه تصف بعض الصغر من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض
الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة
متضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون

فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه مالك يوم الدين
اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا يخلف الملك اثم
نفعا واتم وقعا من ان يكون عادلا ومن هنا يظهر البركة في العالم او يرتفع لان كان السلطان عادلا او جائرا حكى ان انوشروان خرج
يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال الصبي فيه اعطني رمانة فعصرها
واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه
فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل مالك البلد عزم على الظلم
فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه وانابَ فقال الصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاولى
فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في باطنه ... لكلمة
فكان من يمن عدله ان ورد في حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا بمعناه
انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ومنازع وعلى قضية الحكمة
والعدالة فهو الملك الحق وانه مالك يوم الدين اضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان
الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشور لا ياتي الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم
الدين الا الله فان قيل لم كان مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين
بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيمة امرا حقا لا محالة
في الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم في الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السوال الرابعة فان القدرية
ان كان الكل من الله فقول الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة
وخلق اهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك لان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ملك فخلق لكل صفة مظهرا
ولا يسال عما يفعل لان كل سوال ينقلب فهو باطل الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن
الرحيم المالك كانه هو يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم
تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة
دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبهما بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتر وابهما
ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون
لكونه كاملا في ذاته ولئن لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه
سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين
وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون رهبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين ح
في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول يفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم

فيه الذوق السليم ولاستحقاق هذا الاختصاص به تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق الا لمن
صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك لان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما
فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر
فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى آخره مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب
رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فامور المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية
فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب
كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون غيره من الفلكيات والطبائع
والنفوس كذلك فمشكوك فيه ان لم يجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله
سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان
الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني
ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقدم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا
وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع
الاستاذ مرارا فقيل له فلان الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى
اذا يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كالذي من اراد حمل ثقيل يقدم على ذلك اداء او غذاء
يعينه على ذلك وكما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة يطلع اجلال
الله من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية وايضا ان بدا بالعبادة نص ابليس تلبيسه
ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس اما اذا عبر هذا الترتيب وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا
الواجب لذاته متقدم في الوجود فناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققين نظرهم على المعبود لا على العبادة
وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد صلى الله عليه وسلم اذكروني فذكر المعبود عندهم
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد
حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت
عبوديتي ولم تستنكف ان تكون عبدا لي جعلناك امة ان ابرهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا
عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع
ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها

عة

وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان تولت الحالة لا يبقى بهذا القدر من الايذاء فكيف يبقى بما هو اكثر ايذاء للمسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وساير انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عباد الله الصالحين ومنها ان المومنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير واني اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز من العبادات ولا ان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض ويرد البعض في تلك الصفقة الرابعة من فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جلاله ولهذا قد ورد من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموت والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها واداء الامانة من احد الجانبين سبب لادائها من الجانب الاخر قال بعض الصحابة اتى اعرابي باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد فليقرا قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الموحد العابد وقد يجد الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لما لك الملك هو لانه اما ان يعبد الله تعالى رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويخص الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى ان عابدا من بني اسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله اليه

بابه

الى ملك ان عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودة واني الزال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب نيتك والتحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المومنين وانها عاقبة حال المتقين قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى بها نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتتح عيسى عليه الصلوة والسلام بذكرها اول ما نطق فقال اني عبد الله وكان علي رضي الله عنه يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة فالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا نال شرف التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ط في فوائد قوله تعالى واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم في القدرة والعقل والجد في الطلب ولا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه ربما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم الثانية لقائل ان يقول الاستعانة على العمل انما يحسن قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة والجواب كانه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان الاستعانة مطلقة تتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبريل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل الله قال حسبي من سوالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المومن في الصلوة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله تعالى قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فكذلك تقول له نار جهنم جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي الرابعة لا استعين بغيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكما مذكور

في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول
الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما واحوال المعاد يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فاولها
اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا
ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع
في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالفاظ المغايبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت باني اله
رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبد رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل
اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شي من ملكوته
منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية
الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة
وطلب الاستعانة ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة الا به ومنها ان الدعاء
بالحضور اولى كما ان الثناء في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا رب
هب لي حكما رب زدني علما رب ارني رب لا تذرني فردا ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى
على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة
اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الها من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم
من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه
من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس او العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم
من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح
من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها
وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك
فنقول قد مر ان الحمد لله تضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع انواع المحامد له
واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم
مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله فثبت ان سورة الفاتحة
مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم كت في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو
مهتد تحصيل للحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضاة الله تعالى
يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا
ان لكل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله

بالدليل

بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين مستقيم بين المنحرفين
ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في موضعها على قضية
العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود
وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة
الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة
والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل
والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة
التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة وتتبعها الصداقة
والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه
واولي الامر وانقياد اوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتممها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان
والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن
ان يزيد عليها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين
وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل اوقاته وقلة الفترات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل
كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته
وربما صح دين الانسان بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل فكانه يقول عرفنا اللهم ما في كل شي
من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء
وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع
كالخليل ولو امر ان يذبح انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه
بعد بلوغه اعلى منصب ائتمر كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا قال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض
فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
ما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان
والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والآراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء
عسر فاهدني الطريق المستوي الذي لا زيغ به حكي عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا
اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر
طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا
انزلت الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل بي القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شي علمت

ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن او الاسلام وقيل
بنبي اذ يصير المعنى اهدنا صراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها
كما قال تعالى فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزل
ومهتد يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق او السبيل تذكرة للصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم
سهل الله تعالى علينا وروده وعبوره **الثانية** انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى
الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك ان تسكت
في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوقع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا التخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل
واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض
فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن هنا ورد في السنة ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء وبعده لان
الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط تبعية ذلك لا محالة وايضا
قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك
ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك **وايضا** الحمد لله شامل الحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع
واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين
انعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك
في الآخرة ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا **الثالثة** الخط المستقيم اقرب خط يصل بين نقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم
وايضا المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص
وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سأل الصراط المستقيم **يا** في فوائد قوله صراط الذين
انعمت عليهم **الاولى** حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه
او لا على جهة الاحسان لم تكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى
لقوله وما بكم من نعمة فمن الله وان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعية
ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا بطاعاتنا هي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته وان اباح الاسلام الاسباب
وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار
قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم فانه
لو كان له على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى **والجواب** ان
قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك **ومنها** قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي
لهم

لهم ليزدادوا اثما **والجواب** انه لا يلزم من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر
اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فاما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على ان
نفس الاملاء ايضا لتمتع حالي **قال** ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا الا كمن جعل السم
في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه استعمال
الحلواء لا كما ينبغي افسد مزاج الحلواء وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء الآية **وقال** وكنتم امواتا فاحياكم كل ذلك
في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة **الثالثة** ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا تتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية
ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم
في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة
لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحيوة
فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله فكذا
الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يتاهل الثواب والموحد لا يبقى مخلدا
في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم الانعام لن يعاقبه باشد الآلام فما الانعام الا بالاتمام فان قيل لو كان رعاية
الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما **قلت** النزاع لفظي لان الاصلح
لا بد ان يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت فسمه **يب** في فوائد قوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين **الاولى** من المغضوب عليهم ومن الضالون **قلت** المغضوب عليهم هم المائلون
في كل خلق او اعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى
وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب يلزمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل
فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود ومني بالحيران كالذي
استهوته الشياطين في الارض حيران فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم
الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة
روى عدي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك
من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شان
الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط بين المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم

نبياء

امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوساطها الثانية الآية تدل على ان احدا من الملائكة والا
ما اقدم على عمل او اعتقاد يخالف الحق ولما كان ضلالة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه
الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان يقول اهدنا صراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا فقوله
صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الآية يدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه بح في تفسير السورة
مجموعة وفيه مناهج المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل
شاهد ظل في الغيب اصل ولما كان كل ظل زايل وخيال باطل وكل غايب فله في الشاهد مثال ولما كان الشجرة بلا ثمرة
ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع
في عالم الاجساد هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما ملاقاة ومجانسة وكتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة
وحاصل الدعوة امور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها تتعلق بالمبدا وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله
تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدا العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية
وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب
واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك
للقضاء والحكومة في يوم الدين مالك يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجانا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور
عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد
صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير
عنها بسورة الفاتحة فمن قراها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد محمد صلى الله عليه وسلم
من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الصلوة معراج المومن المنهج الثاني المداخل التي
ياتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى
شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء الشهوة
والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم

الظلم

الظلم ثلاثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك
هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة
الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الستة في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو
نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشر الانسانية
بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخباثات الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة
والناس روي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس ولو كنت الها ما جهلت فلما
دخل قال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء
الثلاثة في التسمية دافعة للاخلاق الثلاثة الاصلية والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من
عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى افرايت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا
هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن
عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله
واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم
الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال
اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال غير المغضوب
عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب
من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة
وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله وبسببها ختم القرآن عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة
فقل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث
في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدا والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع
المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه
وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بخلق الخلائق كثيرا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني
فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام
عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبائع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك
الاعضاء على تلك الصور والطبائع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا احق بالحمد
والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت

معرفة

الربوبية ثم من قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة عنه
على الاعمال والاعمال لها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله
وهو قوله واياك نستعين واما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين
الطرفين المستقيمة من المنحرفين اهدنا الصراط المستقيم الى آخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة
بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية هم القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب شعر
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ۞ فكل قرين بالمقارن يقتدي ۞ والجمر يوضع في الرماد فيخمده
المنهج الرابع قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال
العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفي رواية فوض
الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي
وفي رواية واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا
لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه
بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء بذلك العهد وقوله
اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني من
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن
كثيرا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر
لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك وآخر كلام في الجنة وآخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين ولان الفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فكلما تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان
وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله
وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين ولهذا انه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال
الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن التركيب والتغير والمثل والند والضد
هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال
والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم له وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني

وقدسني

وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضى فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف شعر أيحسب الظالم في ظلمه اهمله القادر ام اهملا ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا
وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام
العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل بالاتيان
بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل لتقرير ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها
مع استواء الكل في العقل والنظر فلا اهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده كما قالت الملائكة
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى عليه الصلوة
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس آيات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة
القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة
لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما
اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا
اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لانه الثناء
على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسط بين القيام والسجود
وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع
فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله
مالك يوم الدين مناسب للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية
الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت
واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق
به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب للقعود لان العبد لما اتى
بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في معراجه
فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس آيات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقرر ومراتب
خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين
فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبع ونور الاعمال السبع يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور
ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الجسم واما في عالم الارواح

من الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب وهذا منزل قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين
وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما تعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح
السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم
محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا
يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله او من ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم
لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراج
الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى واضا عنده ملك
وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة
وحق
والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم
فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا وفي الآخرة
قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة
وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس الى غيره بانه اكبر ثم ليقل
سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه
عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة
فيتجلى له
الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان
كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل الالسن
ويدهش الالباب ثم عند هذا ايها المصلي ارجع الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك
سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد
صلى الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل عليه الصلوة والسلام وقولك
ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج
عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي
هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين
يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد
واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقوله اهدنا الصراط المستقيم
يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقوله صراط الذين انعمت الى آخره يفتح باب الاقتداء بالارواح
الطيبة والاهتداء بانوارهم فبهذه المعارف الربانية انفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان
المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولى المراتب ان تقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا

فقالوا

فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت
وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد في ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله
فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها
على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها مستقيمة مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض
لله التواضع
الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية الخضوع واذكر ربك
بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع
تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من عقبة الغضب الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثاني تنجو من عقبة الهوى الداعي
الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات
وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بالجنان
وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل روح محمد صلى الله عليه وسلم فيلاقي الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل بم نلت هذه الكرامات
فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك اي شيء هديتك له فقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد فقيل لك ان ابرهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم فيقال لك
هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية
ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه واذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى
ان الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

المنهج الثامن اعظم المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان
امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول
والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكل هذه الاربع الرحيم الرحمن فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا
ووسع الزمان اولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه
السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه
والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم والعلو والعظمة درجتان
من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من الازار
وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات ويستحق الالهية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظوا
بياذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والانجاس والارجاس واولى المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد

ثم من الكونين الدنيا والآخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى اعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى
عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم فاقم وجهك
للدين حنيفا ولتستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله اكبر اي من الكل كانه
او من ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر
من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت الله اكبر فاجعل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل
سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لك تبصر فيها
عجائب الدنيا والآخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العلى والاديان السالفة والكتب الالهية
والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات
الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت
الحمد لله رب العالمين ابصرت به الآخرة فبالحمد قامت الآخرة وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن
الرحيم ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين ابصرت به عالم
الجلال وما يحصل هناك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت عالم الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم ابصرت عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم
ابصرت درجات ارباب المكاشفات واصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات
اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت الغايات بل عد الى الاقرار
للحق بالكبرياء ولنفسك بالمعولين وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب
ثانيا وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا اسأت الى الغير كل وجدتها لنفسك فالله في
عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان الكمال التكبير من الكبرياء الهيبة والخوف
وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا
روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين ثم ثلثين
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثاني
من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربي الاعلى اما فوائد السجدتين فالاولى للازل والثانية للابد
والفترة بينهما هي الدنيا فتعرف بازليته انه لا اول له فتسجد له وبابديته انه لا آخر فتسجد له ثانيا وايضا
الاولى فناء الدنيا في الآخرة والثانية فناء الآخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقاؤها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الاشباح للقدرة والثانية انقياد عالم الارواح لعزة الاله الخلق والامر
وايضا الاولى سجدة الشكر لقدر ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق

كبريائه

كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فتواضعنا بالسجدتين بازاء تواضع ركوع
واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود لاخذ من الوحدة
الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم
صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس مرتبة واحدة وفي السجود مرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر
مما ادركنا المنهج التاسع في اللطائف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام سال
ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة
كتابه وخاتمة كلام اهل الجنة في جنته وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي رضي الله عنه ان اول ما خلق
العقل من نور مكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا
اعز علي منك ونقل ان آدم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول
كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه وايضا اول كلام الله الحمد لله وآخر انبيائه
محمد رسول الله وبين الاول والآخر مناسبة فجعل الحمد لله اول آية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك
وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد وعند هذا قال صلى الله عليه وسلم انا في السماء احمد وفي الارض محمد
فاهل السماء في تحميد الله ورسول الله احمدهم والله تعالى في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله
محمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول الكلمات وجب ان تكون
النعمة والرحمة اول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه احمد اي اكثر
الحامدين حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين اخرى ان من اسماء الرسول
سوى محمد واحمد الحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة
وقال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد وهو من ذكر قبل العباد والياء في قوله
عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور الرحيم صفتان لله فالعبد يمشي يوم القيامة وقدامه الرسول صلى الله
عليه وسلم مع خمسة اسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من اسماء الله تعالى تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه
الاصناف من الرحمة اخرى في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن
الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في
قوله انعمت عليهم فكانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم
وافض علينا سجال فضلك يا مالك اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس

سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فيتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمأن اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب
ويتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الربانيين رب اعوذ بك من همزات الشياطين
ويتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان
ويتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان ويتجلى للابدان بصفة القهر والمالكية
لان البدن غليظ كثيف محتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فلان فلما كان هذه
التجليات انغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك
نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس
السبعية قال اهدنا وارشدنا على دينك يمننا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط
المستقيم وبجوهر العقل الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة لا المدنسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة لا اله الا الله من تجلي نور اسم الله واقام الصلوة من تجلي نور
اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي ايمانه عند الصلوة وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان
الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء
فيعطيهم يحكى ان يوسف عليه السلام حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال اخاف ان اشبع
فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن اللذاذ المحسوسات فعند
الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة
الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة
اخرى الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب
السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب
الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستعن
باوائل الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس اخرى الشطر الاول
من الفاتحة مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها على الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات
الخمس للعبد فيصعد منها اسرار الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته ولقربه الاسرار لان حاجة العبد
اما لدفع ضر او جلب خير وكل منها اما في الدنيا واما في الآخرة فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف
وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها

شيا

شيا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا
وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الآخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات
الدنيا الموقعة في عذاب الآخرة اعاذنا الله تعالى منها اخرى للتجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون وهذا للعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي
الصفات وهو في اواسط الاحوال ويكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بدايات الاحوال ويكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض
مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك
لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان
الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتم الامور بسم الله ذكر الحمد لله شكر بسم الله
لمستحق الرحمة رحمن الدنيا والحمد لله لمستحق رحمة اخرى رحيم الآخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين
مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنبح
العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية
في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبدا ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة
المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد
ويدل عليه مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله
الخالق واياك نستعين لانك الرب الرازق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك
نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا ننتقل من دار الغرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين
لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة
والطرق كثيرة فلا طريق الا ان نطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك
الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء
غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية هي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم
ادفع عنا كل ما يحجب بيننا وبينك انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة وقد يقال السورة التي تذكر فيها البقرة مدنية غير آية نزلت يوم عرفة
بمنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حروفها ٢١٥٥٥
كلماتها ٦١٢١ آياتها عند اهل الكوفة ٢٨٦ آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

راه نمونی است مر پرهیزگاران را آنانکه اعتراف می نمایند

الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُونَ ۵ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

نماز را و از آنچه روزی دادیم ایشان را می رسانند بنصیب مستحقان را و آنانکه می گروند بدانچه فرو فرستاده شد بتو

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ج وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۵ط أُولٰئِكَ عَلٰى هُدًى مِنْ

و آنچه فرو فرستاده شد پیش از تو و در رای بازپسین ایشان بی گمان اند ایشان بر راه راست اند

رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۵ القراءة لا ريب بالمد خلف

پروردگار ایشان و ایشان ایشانند رستگاران

والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير ولا جرم ونحو ذلك لاجتماع الفتحة مع الالف او لتاكيد معنى النفي للجنس فيهي ابن كثير وكذلك يشبع كل هاء كناية في جميع القرآن هُدًى لِلْمُتَّقِينَ مد عباس عن يزيد حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق البخاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء في ادغام اصل النون والتنوين في اللام والواو والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف يسيرة تذكر في مواضعها الباقون بالهمز باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع الباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قبلها فتحة فيكون فتحا تاما وبالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان نقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة روي عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون على كل حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا آمنا واشباه ذلك والسبب في التسكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدا بها ولا اختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكن على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم ۵ ج للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا لتقديره لا ريب فيه ثم تستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبرا او وصف ريب وحذف خبر لا لتقديره لا ريب فيه عند المومنين والوقف على المقدرين على فيه وهدى خبر محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين ۵ لا لان الذين

صفتهم

صفتهم يُنْفِقُونَ ۵ لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القرآن لهم هدى وليدخل الصحابة المومنون بالغيب في ثبات الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدئ والذين كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن واسم المتقي بالذين يومنون بالغيب مِنْ قَبْلِكَ ج لاختلاف النظم بتقديم المفعول يُوقِنُونَ ۵ ط لان اولئك مبتدا وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية ووقف الا ما اعلم بعلامة لا الْمُفْلِحُونَ ۵

التفسير وفيه ابحاث البحث الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا وبالتفخيم نحو باتا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم با تا ثا متهجاة مقصورة نحو لا وقولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لاء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا ذلك في التهجي لكثرة الاستعمال ولا يستدعانها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز لانه اسم للحرف وهما متلازمان او لان الحرف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سال اصحابه كيف تنطقون بالباء التي في ضرب والكاف التي في لك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال اقول به كه ثم انهم راعوا في هذه التسمية لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما ناضاهيها في ابداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها نحو رحم وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها كالعدد مقتضى الاعراب نحو اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين والثاني في الم مما يجري مجراه من فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم بحر اجري منه وادي ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطي

الرسل منها اودية ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم
ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء
سر وللملائكة سر ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر
الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع
الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا
تحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال
عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف هذا القول بقوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شيء هدى
للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما وبقوله صلى الله عليه وسلم اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي
بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان الراسخين لو كانوا
عالمين كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند ربنا فائدة على ما لا
يخفى وبقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي
كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة
ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة لكثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور
الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني يظهر اكثر فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة
اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا
على وجوه الاول انها اسماء للسور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام
الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيعود تمام الكلام في هذا القول الثاني
انها اسماء الله تعالى روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض
اسماء الله تعالى فان الرحمن مجموعها اسم الرحمن لكنها لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القران وهو
قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته فالالف اشارة
الى انه احد اول آخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف
لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق او الكاف محمول على الكبير والكريم والياء على انه
مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل وفي الر انا
الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس
الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام السابع
الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد لكون

كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اي ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز محشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجمع غفير التاسع كانه تعالى
يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريق تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى
العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغائهم ليهجم عليهم القرآن من حيث
لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روي ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب
برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسالوا عن
الم وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا
اني لاعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدته
احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا
فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال حيي
لا ندري باي اقوالك ناخذ قال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يوقتوا انها كم تكون
فان كان محمد صادقا فيما يقول اني لاراه سيجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر تدل على انقطاع كلام واستيناف كلام آخر
الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يتعارفون ويذكرون
الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد وتريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو
المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الامي واهل الخط
والكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة
كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم بكم ذلك الكتاب اي نزل
وهذا لا ياتي في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى
صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي تكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم
السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو آخر المخارج اي اول ذكر العبد
ووسطه وآخره لا ينبغي الا الله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكرر لن يبقى ما يمكن ان يركب منه
علي صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر
اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكرر وقد اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية
تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام
والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها اكطق ومن الرخوة نصفها لمرصعسحين

ومن المطبقة نصفها صط ومن المنفتحة نصفها الر كهو س ح ق ي ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط
ومن المنخفضة نصفها ا ل م ر ك ه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القرآن من
هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر
في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين و الله تعالى اعلم التاسع عشر
قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من آخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من
هذه الاقوال عند الاكثر القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في
التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم تتجاوز
ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور
خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السور بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس
هذه الالفاظ داخلة في السور وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا وهو محال
وليس هذا كتسميتهم صاد بالحروف الاول منه فان هذا تسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تاخر المركب عن المفرد بوجهين
وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع
واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى تميز كل واحد من الآخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية
السورة بلفظ معينة ليست من الامور العظام التي تتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء
خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما منثورة من اسماء العدد فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه
ان يحكى حكاية كتابط شرا وبرق نحره وكما لو سمي ببيت شعر او بطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب
اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخر ما هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة
تمثل القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرا فاتحة الكتاب
في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة
لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر وثانيهما ما يتاتى فيه
الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل
وكذلك طسم اذا فتحت نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه الامران الاعراب والحكاية
فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال شعر يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم
والحكاية فيه ان يجي بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدات بالحمد لله قال شعر ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا واما من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات فيحتمل
مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء الساكنين ولاستكراه جعلها مقسما بها على طريقة قولهم نعم الله لافعلن على
حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقرآن والقلم بعدها محلوف بهما ولاستكراه هو الجمع بين قسمين

على

على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف
لا القسم نحو وحوتي ثم حوتك لافعلن ولو كان القسم بالاول على شيء لجاز ان تستعمل كلا منهما آخر نحو بالله لافعلن
تالله لاخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان تقدر مجرورة
باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واما
من قرا صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها
لا على صور اساميها لان المالوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب شكلها واما انه التسمية لان اسمها ان المراد
بها الاسامي لا المسميات آمن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المعتبر هنالك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء للسور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتداة والمفردات
المعدودة ومن جعلها اسماء للسور فمحلها الرفع او النصب او الجر كما يتبين مع ما بعدها ان شاء الله البحث الثاني في قوله
ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعدما
سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او لانه لما وصل من المرسل الى المرسل
اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك او لانه ان كان حاضرا نظرا الى الفاظه لكنه
غائب نظرا الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآنا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما
اخبر به الانبياء ان الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ
كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه
نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان قال الذبياني شعر نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
ولان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في
التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك
الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر
وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه
او شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها شبهه بما يحدث
به فان الله تعالى خاطب المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك
انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب احكمت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما
ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب حيوة الارواح
ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين

ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه
نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه ثنى فيه القصص والاخبار ومنها
النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اى القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير
قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر باسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا
لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذى انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها
العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه جملة الاسماء وسيجى تفاسيرها فى مواضعها الرابعة
فى التاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففى التاليف وجوه ان يكون الم مبتداء وذلك مبتداء ثانيا
والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول اى هو الكتاب الكامل الذى يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اى
الكامل فى الرجولية وكقوله هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب
الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم
جملة وذلك الكتاب جملة اخرى ويفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت
كان ذلك مبتداء خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتداء
محذوف اى هو يعنى المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفى قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب
البحث الثالث فى قوله لا ريب فيه الريب مصدر رابنى وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن على
عليهما السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اى كون الامر
مشكوكا فيه مما تقلق لها النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة
وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بظبى حاقف اى منعوج مضطجع وهم محرمون فقال لا يريبه احد
بشئ اى لا يزعجه والحاصل ان الريب شك مع زيادة ظن سوء فان قلت كيف الريب على سبيل الاستغراق
وكم من شقى مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له
لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم فى الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغى ان يوجد
الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان يحرزوا انفسهم ويبرزوا قواهم فى البلاغة
هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله تعالى
لا فيها غول قلت لان المقصود ههنا ليس الا نفى الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس
بمراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله لا فيها غول تعريضا بان خمر
الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب

الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفى الماهية والثانى لان قوله
لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع فى
قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى فى حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة
وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه فى مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدى
فى معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل
الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدى انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم
وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح فى العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطاء لوقوعه صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح
لوقوعه فى مقابلة الضلالة الثانية المتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقى من وجاها
اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقى حافره ان يصيبه ادنى شئ وهو فى الشرع المؤمن الذى يقى نفسه
تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف فى الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روى عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وحقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة
التقوى اى التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اى تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا
فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اى من
اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن
عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على
الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه التقوى ترك
الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابرهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق فى لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون فى افعالك
عيبا ولا ملك العرش فى سرك عيبا الواقدى ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك
حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى كن مثل ماش فى طريق الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفى قوله هدى للمتقين ثم فى موضع آخر شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى
للناس دليل على ان الناس محصورون فى المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى بالمتقين
وايضا المتقى مهتد فكيف يهتدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر
مدحا لهم كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وايضا قوله هدى
للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه ووجه آخر سماهم عند
مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كمن قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشئ بما هو آئل اليه واللطف
انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا فى موضعه فان تصدير السورة التى هى اولى الزهراوين وسنام القرآن

واول الثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا
فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون
الهدى في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه قال لابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه رسولا
الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم ذو وجهين ولهذا فان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا
المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون
القرآن هدى على صحته ككون الله تعالى وصفاته وكون النبوة فالقرآن ليس هدى فيه فكيف جعل هدى على الاطلاق قلنا
المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تاكيد ما في العقول ايضا فيعم الرابعة
محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان
ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان قال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف ههنا
لمجيئها متآخية آخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله لانه لا كمال
اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات
جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثاني وفي الثانية ما في التعريف من التفخيم
اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابع الحذف ووضع المصدر
الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين
او هم الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة
بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة
ام العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات
المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول
لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف
بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب
تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل المدح
والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح
كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري

ثم قال

ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به
قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية
واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فعناه التصديق
على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه
ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق
ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت
واجبة او مندوبة او من باب الاقوال او الافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات
فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد
فيه الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان
بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما
امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فالمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث
ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون
شيء منها ايمانا الا اذا كانت مترتبة على الاصل الذي هو ~~الاصل الذي~~ هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل
معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد
الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك
نافلة لم ينتقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان
بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة
وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في صفة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا
تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال
وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال
ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداها من الطوائف والانصاف ان المعتبر
هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته ومرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن
الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار
باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء
من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان
وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخل في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان
والامامة
ايضا

معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول
الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة
بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مومن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المومنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا
قول الكرامية ثم قال الامام رحمة الله عليه عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد
صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك لان الايمان اكثر الالفاظ دورانا
على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل وتواتر وليس كذلك وايضا
الايمان المعدى بالباء على اصله اتفاقا فغير المعدى ايضا كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه
الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل
الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
وان طائفتان من المومنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن
عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المومنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا لا يليق
الا بالمومن القيد الثاني ان الايمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر
وما هم بمومنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مومنا القيد
الرابع لا نشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مومنة بعد قولها لقوله صلى الله عليه وسلم لها اين الله قالت في
السماء ونعلم ما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكان تام العرفان مات او وجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة
لكنه لم يتلفظ بها كان مومنا وكان الامتناع عن النطق جاريا مجرى المعاصي التي يوتى بها مع الايمان وبهذا احكم الغزالي
رحمه الله تعالى قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان
ووجودا في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجود له فرع وتابع فالوجود العيني للايمان
هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع
حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى
له الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد خاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم في جميع ما اخبروا عنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل
بكل مامور والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فملاحظة المومن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه
واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع سماه ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى ان مجرد اللفظ

بقولنا

بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد الا كما يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها
مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا
عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة
للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف
الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته
والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة
والخفاء اي يومنون غائبين عن المومن به وحقيقته ملتبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب وفيه
تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القرآن وورد في الخبر وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج
رجل من امتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة
الصلوة احد ثلثة اشياء اما تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه
واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها
قال الاسدي اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امراة شبيب الخارجي قتله الحجاج فحاربته
سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي توجه
اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في موديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر اذا جد فيه وتقاعد عنه
فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع هذه المعاني يستحق المدح والثناء السادسة
الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او نفلا
الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي افلح وابيه ان صدق
بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوات المفروضة واشتقاقها في اللغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي وضع عليها الرسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار
اذا لينتها وقومتها قال فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم
باطنه كالخشب الذي يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند

المصدر

صلاة والصلا ما عن يمين الذنب وشماله فالمصلي ملازم لفعله من حيث يردد عالي اوليه فراهه والصلوة اسم وضع موضع
تقال صليت صلوة ولا تقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم
وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة
الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام والماكول وغيره والمملوك وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا آخر وهو ان
لا يكون ممنوعا من الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم
ينفقون الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن
الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به
والحق ان التمكين من الانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل ثقلة الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب
ولا سيما في هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة انفق الشيء وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون
وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل في هذا الانفاق الواجب من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها
ومن الانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول كل منفق في سبيل الخير للاطلاق وقال تعالى
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى
والذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل
ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله سالف ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا بعضه ببعض مربوطا اثبته بحاضره وايقنوا
بالآخرة اتفاقا زال عنهم ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان اهل
الجنة لا يتلذذ دون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اذ ثمة مغايرة المباينة
وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام واما
مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى او لم يكن ويكون
السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهم الاولون عليهم السلام ويوسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزال الوحي ان جبريل سمع في السماء
كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة في علو فينزل
فيؤدي في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدي بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع
جبريل كلام الله وكلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ثم اقدره على عبارة يعبر بها
عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبريل فحفظه ويجوز ان يخلق
اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبريل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة
المودية لذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة

الثالثة

الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية اعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
على سبيل التفصيل ليقوم بمواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين الآية واما المنزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته مفصلة
لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الآخرة صفة الدار تلك الدار الآخرة وهي
من الصفات الغالبة تانيث الآخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب واليقين هو العلم بالشيء ضرورة او استدلالا
بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي او اني موجود وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته ومن عدم ايقان ولان المعنى ما عليه من آمن
بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من
الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى
خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الثانية وعجبا كل العجب ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى
يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله
نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وفيه مسائل الاولى في
كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه احدها ان ينوي الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى
الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك
فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف يجيء تارة
باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الآية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه
وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا
بالهدى فقيل اولئك الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها ان يجعل الموصول
الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سينالون عند الله تعالى والفضل من هذه الوجوه
اولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير
كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت وايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول ركنا
من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد
يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهدى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه
من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل فالافضل واما الارشاد الى الدليل الموجب
للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغ اي هدى لا يبلغ كنهه ... الهدى

فلا واى الطير المرقبة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم اى لحم واى لحم والارب بالمكان اذا اقام به والاب مُخِمّ
للاستعظام اذ الكنى انما تكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير ايضا استعظام من الوقوع على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى
من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة
فى تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف
بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة
الانعام شىء واحد الرابعة هم فصل وفائدته بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فائدة المسند
ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية
والمفلج بالجيم مثله كان الذى انفتح له وجوه الظفر وكذلك اخواته فى الفاء والعين يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ
ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد اى المتقون هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون فى الآخرة او الجنس
على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه
من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التى
عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت
بذكرهم اولى الزهراوين وقد ورد فى الخبر يحشر الناس يوم القيامة ثم يقول الله عز وجل انكم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا
اليوم حتى اتكلم انى رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم
ووضعتم نسبى فاليوم ارفع نسبى واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فلما اخذ العالم
بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والسيئ لا بما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين
ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والرى على الاكل والشرب لم يتعهد الاتكال على ما
يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص وارواءه من غير تناول طعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة
ينتفع بها من وفق لها ان شاء الله تعالى ٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

بدرستى آنانكه كافر شدند [illegible] برابر است بر ايشان

أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ

آيا بيم كردى ايشانرا يا بيم نكردى ايشانرا ايمان نمى آرند مهر نهاد خداى بر دلهاى ايشان

وَعَلَى سَمْعِهِمْ ط وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ز وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥

وبر شنواى ايشان و بر چشمهاى ايشان پوشش [illegible] و مر ايشانراست عذابى بزرگ

القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان وروى الحلوانى
عن هشام آأنذرتهم بهمزتين بينهما مدة الباقون يهمزون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة

بين بين

بين بين اى بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم مماله ابو عمرو وعلى غير ليث والى حمدون
وحمدويه وحمزة فى رواية ابن سعدان والى عمر وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن
انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعنى اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة فى موضع
اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرأ حمزة فى رواية خلف وابن سعدان وخلف
لنفسه وابو اسحق ابراهيم بن احمد عن ابى الحرث عن على وورش من طريق البخارى مدغمة النون والتنوين فى الواو
فى جميع القرآن عظيم بالاشمام فى الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلى وخلف وهو الاختيار عندنا
الوقوف لا يؤمنون ٥ على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى
بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ٥ التفسير وفيه مسائل الاولى
فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد فى جواب الكندى من
ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار
منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم ايضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك فى اليأس
حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجئ اذا ظن المتكلم فى الذى وجد انه لا يوجد كقولك انه
كان منى اليه احسان فقابلنى بالسوء فكانك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى
حكاية عن ام مريم قالت انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومى كذبون الثانية
لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحه اياهم بها عقب ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة
من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما فى نحو قوله
ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباين الجملتين ههنا فى الغرض والاسلوب اذ الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام
المبتدأ على سبيل الاستيناف مبنى على تقدير سؤال وذلك ادراج له فى حكم المتقين وتصيير له تبعا له فى المعنى فحكمه حكم الاول
وكذا اذا جعلت الموصول الثانى مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لا ارتباط بينهما
من حيث المعنى الثالثة التعريف فى الذين اما ان يراد به ناس بأعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد
بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم
من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه
باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع كافر لانه يستر
الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شىء والكافر الذى كفر درعه بثوب اى غطى ولبسه فوقه قال فى التفسير الكبير
كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضى فيقتضى كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث

فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت المحقق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى ازلي لكن حكمته
في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترمنين فكل ما هو مقدم
على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل
نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم
ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر
الى زمان نزول الآية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع
الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم
في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم
لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا
يصح من عطف الاسم فان قلت ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام
لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه هذا اشل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء
في الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه فكلاهما
معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما الاستواء في الحكم في ذهن المستفهم والثاني
طلب معرفة احدهما بخصوصه فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة الاصلية
وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل
ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله تعالى بل في علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحالنا في باب التقرير والتصوير
او نقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد
الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو
اخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون
البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله
لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها او خبر ان والجملة قبلها اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان
في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتمانا له وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه
اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبري المودع في
التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء

بتوسط

بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الانسانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد امتثال الاوامر
والنواهي والقيام بمواجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده
على مادة ومدة بعد ارادة موجده انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كما ان البدن بل اللحم الصنوبري
من عالم الخلق الذي هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي والسمع قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح
الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث
منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك
الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة
المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل
الى سطوح الاجسام الصقيلة وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون ذلك
ابصارا وهم في اكثر الامر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب
ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فمنطبع فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي ومدركه جزئي واما نور القلب فمفارق
لانه من عالم الامر وهو نور كلي ومدركه كلي وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل
فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر
مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب
والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والملزومات المختلفة لا تتفق في الاشتراك في اللوازم وهذا
القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم
وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا
يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع
لوجوه منها ان اللبس لا يقع كما في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص واذا لبس ان لكل واحد
بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر
لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس
سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور
السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم
بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول الى الفهم
والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد
السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلقه ابصار النور ومتعلق السمع الريح

والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله تعالى في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله
كلامه موسى من غير سبق سؤال وتوقف في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان وفي العين جمال الوجه
دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها
على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضوعه ضروري وتفضيل البعض على البعض
تطويل بلا طائل فسبحان من دقت في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الآية الاولى فيها
الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والآية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا
وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي
خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسأل عما يفعل
واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف ينشئ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الحق بالباطل
ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته فتأولوا الآية
على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه او على انها تمثيل لحال قلوبهم
بما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال
به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء او الشيطان هو الخاتم
في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير
المدينة او انهم لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم
لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من
قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري
سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه اي عما يشبه الظلم والقبيح ولا يليق بالحكمة وسئل عن اهل
الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى
القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعث الرسول وانزال الكتب او نقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة
وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية
بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال [illegible]
هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الانارة والسطوع اذا
لوحظت المبادئ ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه
وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدائية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر

والنفع

والنفع والضر وسائر الاشياء بلا استثناء كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة
بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من
عند الله كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى عند ربهما فحج
آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اشادة كا التنزيه
عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من
جهة اخرى وهو الخلل في مبدائيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب
في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الآخر ومن منع
ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن
والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار
والافعال المعقبة اياها وهما سر ومولى اللطف والقهر والجنة والنار لما صح وجود كل من كل منهما بوجود الآخر فلولا
القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم تتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در
القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل
النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا
تظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي
ام سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب
والتميز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت
شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا
لان كلا منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص مع ان كلا منهما ضروري
في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظ فافسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة
الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانا لما بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل
الله تعالى الشيء الفلاني سببا وواسطة للشيء الفلاني كما انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في
الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان وبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب
ترجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشاها كالشمس
نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ونحو ذلك فالنفع

عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كان الاكمه ربما
لا يصدق البصراء ولا يعرف لزّ التقصير والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرئي وظهور النيّر موجود
وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية
كالرعشة مثلا فاقول لا ريب لزّ للانسان ارادات وقوى بها يتم لها حصول الملائم واجتناب المنافي
الا انّ تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة المذكورة سببها انّ في الرعشة نقصت
واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستعن بها
في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح
لم يستفد باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب
عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي
كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير
انّ على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا
الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم
لا يحسن وفسّر قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه
العفو وذكروا ايضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله
تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسيط ذلك العذاب
والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى حصل ترتب
عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف او وجد لكنه
لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد
لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفا الله عنه ارى هذا الكرم العظيم ما بقي في الآخرة او سلبت عقول
اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولم كان في الدنيا بحيث قال ادعوني
استجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون واجيب بان تعذيبهم
نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبهة التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح
واقول قد بيّنت بالبرهان النيّر في المسئلة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما
تقتضيه حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن انه قبيح كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبح في النظر الاول وهو حسن من جهات
اخرى لا يعلمها الا منشيها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للحشوش جدرانا
او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطأها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا

ثم

ثم العذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب عدم انتفاع
الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك لان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي
انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الآخرة الا ترى انه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم
الفلاني فقصّر واخّر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال اني اشرب الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك
وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت آخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الاعتذار بلا غرض
الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ
السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝
القراءة ومن الناس ممالة قرأ قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول
مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري

بمومنين غير مهموز ابو عمرو غير مجاح ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء
وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان
من طريق مجاهد والنقاش ابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف
قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف
وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا
بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبههما مما اختلفت الهمزتان فيما الا
لن تكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء اذ وجاء امة واشباه ذلك مستهزءون بترك الهمزة في الحالين
يزيد ووافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو
طغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات
الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرا اهل المدينة من الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز
الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم **الوقوف** بمومنين ه م لما مر في المقدمة الثامنة امنوا ج
لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون ه ط للاية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده
مرض لا لان الفاء للجزاء وكان تاكيدا لما في قلوبهم مرضا ج لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون ه
في الارض لا لان قالوا جواب اذا وعامله مصلحون ه لا يشعرون ه كما امن السفهاء ط للابتداء
بكلمة التنبيه ومن وصل فلم يجعل رد السفه عليهم لا يعلمون ه امنا ج لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل
اولى لبيان حالتيهم المتناقضتين وهو المقصود شياطينهم لا لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا
عن قول ما لا يقوله مسلم ولن جاز الابتداء بانما مستهزءون ه يعمهون ه بالهدى ص لانقطاع النفس
ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين ه **التفسير** وفيه مباحث
البحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية وفيه مسائل **الاولى** عن مجاهد قال اربع
آيات من اول هذه السورة نزلت في المومنين واثنتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلث عشرة بعدها نزلت
في المنافقين **فاقول** احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل
وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث
الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب اربعة وعشرون قسما فلنتكلم
في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر **النوع الاول** العرفان القلبي ان انضم اليه
الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مومن حقا بالاتفاق وان اضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه
ينكر تكذيب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فهو مسلم حقا لانه خاف او كما عرف مات فجاة فيكون

معذورا

معذورًا واختيارًا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الائمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من الايمان **النوع الثاني** الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسئلة المشهورة
من ان المقلد مومن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه
الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم
بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند **النوع الثالث** الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق
وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت **النوع الرابع**
القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختياريا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه
الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما
اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار
لم يكن عمله قبيحا **والقلب الخالي** مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في
مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق
هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره
ومنه النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء
براسه فانتفق اي خرج **الثانية** زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب
كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن
كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا انه قصد التلبيس
والكافر الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا
الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى كفره الاستهزاء
والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافقين قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف
الكفار في آيتين وحال المنافقين في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم
واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة
الثالثة قصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل
انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس
قليل ونويس من المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن ق افعل وهو اسم الجمع كرخال
للانثى من اولاد الضان واما الذي مفرده رخل بكسر الخاء فرخال بكسر الراء ومن في من يقول موصوفة ان جعلت
اللام في الناس للجنس كقوله من المومنين رجال ليكون معنى الكلام ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فهو دفائدة الكلام

الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز ان يكون
من موصولة حينئذ لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف ايضا فيبقى الكلام
غير مفيد راسا ولو جعلت اللام للعهد فمن تكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي وتكون اللام اشارة الى الذين
كفروا المار ذكرهم ولا يجوز ان تكون من موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوبه
نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وماهم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله
وماهم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار
اللفظ نحو ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الآية في يقول وآمنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله
والايمان باليوم الآخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا
كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من
المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الآخر ولو كانوا من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله
ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر
عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخيلا
للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الآخر اما طرف الابد الذي لا
ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وماهم بمؤمنين قولهم آمنا
والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية لتكون معناها احدثنا الدخول
في الايمان لترويج دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية لتفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع
وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين فكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا
ونظير الآية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ثم ان قوله وماهم بمؤمنين يحتمل ان يكون
مقيدا او تركه لدلالة التقييد في آمنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء وظاهر الايمان بالله
واليوم الآخر وابين الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى يكذبون اعلم ان الله
تعالى ذكر من قبائح افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع
والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخدع
مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير او التخلص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر
والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال ذو الرمة تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحليم وذا الاسلام يختلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم

كاذون

كاذون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده
اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم
فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان
ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا
بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق
باوامره ونواهيه مع عباده كما ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى
يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم
هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض
ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطية وتمهيد
ووجه الاقتصار بخادعت على واحد ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة
والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة
قوة الداعي اليه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين فقيل
يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم
واعطائهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه تعالى
لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل والرد على استبقاء
الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا من الحقائق ولا
سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقرأ من قرأ يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة
لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين
ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم
حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب ولن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعل للمبالغة
والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس
ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة
توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم
كالقول في جوفه مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء اعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي
فان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف
عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه

له

وماهم

بالعصابة وذلك شئ منظوم بالجواهر شبه التاج اى بجعلوه ملكا فلما اراد الله ذلك بالحق الذى اعطاكه
شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد
فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله فى قلوبهم من الرعب ضعفت
جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحى فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند
الفعل الى المسبب لما كان السند الى السورة فى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن غير النقى
كلما غذوته زدته شرا او كلما زاد رسوله نصرة وبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض
الطبع ويحتمل ان يراد الغل والحسد قد يفضى الى تغير مزاج القلب ويؤدى الى تلف صاحبه كقوله اصبر على مضض الحسود
فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله فافضى صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع
ووصف العذاب على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفى ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابرهيم صلوات الرحمن عليه
انه كذب ثلث كذبات احدها قوله انى سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختى وثالثها
قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب
سمى به والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه
وقراءة من قرا يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذى هو نقيض صدقه واما من كذب الذى هو مبالغة فى كذب
كما بولغ فى صدق فقيل صدّق نحو بان الشئ وبيّن ومنه قولهم قد بيّن الصبح لذى عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم
او من قولهم كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد فى امره مذبذب
بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة
وما فى قوله بما كانوا مصدرية اى بكذبهم وكان تحمه لمفيد الثبوت والدوام اى بسبب ان هذا شانهم وهجيراهم
البحث الثالث فى قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع
الثانى من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اى ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون
وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا واما على يقول اى ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان تكون الواو للاستيناف
واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اى واذا
قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم النفاق ولم يتقطع بذلك
نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم فى الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل
منهم ويعظهم واما بعض المومنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن يختص بالدين والفساد خروج الشئ عن ان يكون منتفعا
به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدى ان المراد بالافساد
المنهى عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد

شانه

شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت
الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه لاشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين
الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار رجح انهم فى الظاهر مومنون اوهم ذلك ضعف امر النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار فى المومنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون فى السر الى تكذيبه
ويلقون الشبه ويفشون اسرار المومنين ولما نهوا عن الافساد فى الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له
فيهما احتمالات احدها انهم اعتقدوا ان دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون
وثانيها اذا فسر الافساد بموالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم
فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار ما اعترى المسلمين ونسبة انفسهم
الى الاستقامة والسداد وجيء باداة القصر دلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اى حالنا مقصورة
على الاصلاح لا يتعداها الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها
كقوله اليس ذلك بقادر ولافادتها التحقق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التى
هى اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذى ابكى واضحك والذى امات واحيا والذى امره الامر
رد الله ما ادعوه من الانضمام فى زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعاءهم ذلك مع توغلهم
فى الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو هو المطابق ومن جهة ما فى الا
وان من التاكيد ومن قبل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع فى قوله واذا قيل
لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المومنين اتوهم فى النصيحة من وجهين
احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثانى دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوى الاحلام
وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغى وثانيا بالتحلية بما ينبغى لان كمال حال الانسان فى هاتين فكان من جوابهم
فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم لتمادى سفههم وفى هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل واذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بانى كامل وما فى كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة
كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو او زيد صديقى كما عمرو اخى ويجوز ان تكون مصدرية مثلها فى بما رحبت واللام فى الناس للعهد
اى كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون اى ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هولاء ثابت او ليحصل ايمانكم كحصول
ايمان هولاء او آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم اى كما آمن اصحابكم ويحتمل ان تكون للجنس اى كما
آمن الكاملون فى الانسانية من الاقرار اللسانى الناشئ عن الاعتقاد القلبى او جعل [illegible] كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس
فى عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام فى انومن فى معنى الانكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس فى السفه
والسفه ضد الحلم واصله الخفة والحركة تقال تسفهت الريح الشجر اذا امالته به قال ذو الرمة

جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المومنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وانهم كانوا فى رياسة وثروة وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت فى اعضادهم عن انس ان سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ارض يخترف فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرنى بهن جبريل آنفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل ان تسالهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال اى رجل عبد الله فيكم قالوا اخيرنا وابن اخيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذى كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى قلب عليهم هذا اللقب مقرونا بالموكدات التى بناها فى قولهم انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة المجدود يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود يحير نطحة الاوعال وانما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل امر عقلى نظرى واما النفاق وما يؤول اليه من الفساد فى الارض فامر دنيوى مبنى على العادات خصوصا عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا

البحث الخامس فى قوله واذا لقوا الآيات هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا ان تلك فى بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان معاملتهم مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابى انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتمونى فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز

لزيكم

لن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اى انهى اليك حمدى لفلان او ذمى وعن ابن عباس رضى الله عنه انى احمد اليكم غسل الاحليل اى اخبركم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم المالكون المنافقون والقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على ما انتم عليه من الكفر والكافرون فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما قرنا الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد فى الارض وانما خاطبوا المومنين باضعف الجملتين وهى الفعلية وشياطينهم باقواهما وهى الاسمية المحققة بان لانهم فى ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلى واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بمنظر من المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفى حيز القبول والرواج وكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قولهم انا معكم وبين قولهم انما نحن مستهزئون لان الاول معناه الثبات على الكفر والثانى رد للاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات وتاكيد للشئ او ان الثانى بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه استيناف كانه قيل ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصير امرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفى تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المومنين هم الذين يستهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصود الاصلى للمستهزئ او سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله تعالى معاملة المستهزئ فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى الآخرة على ما روى عن ابن عباس اذا دخل المومنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا راى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقولهم نحن مستهزئون لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات فى شانهم اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم وهو من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به

ما يقويه وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانا قلنا انه من المدد لا من المد في العمر والامهال لقراءة نافع في موضع آخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد لا مع اللام كاملى له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه اي امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مددنا الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه التي يمنحها المؤمنين بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا او بانه لم يقسرهم او بانه لسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما في هذا التوجيه من التكلف لان انتهاء الكل الى حسب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم وان الله برئ منه فان الانتهاء الى الله لما كان ضروريا فكيف يتبرأ من ذلك ويعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى في البصر وفي الراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر قال ابو النجم اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا التمكين من الهدى بحسب الفطرة الانسانية التخصيصية كانه في ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه اي جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا للملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة كقوله ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فلما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عزة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ج فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ

داستان ایشان چون داستان آن است که برافروخت آتشی را پس آنگاه که روشن کرد آنچه گرداگرد او بود

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ

ببرد خدای تعالی روشنی ایشان را و بگذاشت ایشان را در تاریکیها ...

فهم

فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ لا أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

پس ایشان باز نگردند از حالت خود یا چون داستان اصحاب باران فرود آینده از جوانب آسمان که در آن بود تاریکیها و بانگی

وَبَرْقٌ ج يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ط

و درخشیدن آتشی می کنند انگشتهای خویش را در گوشهای ایشان از بیم آوازهای هلاک کننده از بیم مردن

وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ط كُلَّمَا

و خدای داناست بحال اهل کفر و نفاق نزدیک بود آتش ابر که رباید و ببرد بینائیهای ایشان را هر گاه

أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ لا وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ط وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ

که روشن کرد از برق راه را روند در روشنی و چون تاریک شود بر ایشان بایستند یعنی فرو مانند برجای خود و اگر خواستی خدای ببردی

بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ط إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

شنوائی ایشان را و بینائیها ایشان را هر آینه خدای بر همه چیزی تواناست

القراءة آذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبههما ما كان في محل الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير دوح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان

الوقوف نارا ج لان جواب لما منتظر لما فيهما من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ۝ لا يرجعون ۝ لا للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير باق مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انتهاء راس آية وقد اعترضت بينهما آية على تقدير وشبههم كصيب وبرق ج لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر محذوف اي هم يجعلون او حالا عاملها معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اي كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ۝ ابصارهم ط لان كلما استيناف فيه لا لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وابصارهم ط قدير ۝

التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض المتيقن والغائب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغير واستعير للحال او الصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة الشان من حيث انهم اوتوا ضربا من الهدى بحسب الفطرة وبما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوصلوا بذلك الى نعيم الابد باستبطانهم الكفر فيؤول حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي يستوقد نارا في توجه الطمع الى تسني مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب

اوتوا

والمراد بالذي استوقد اما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون استطالة بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد
الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة اذ يمكن
ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار و وقود النار سطوعها
وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير واشتقاقها
من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية
ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او يستتر في الفعل
اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتأليفه للدوران والعام حولا لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى
الذي استوقد نظرا الى المعنى كان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما خمدوا
لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله
كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خائبين بعد الكدح في احياء النار ثم استأنف بلا كانه قيل ما بالهم قد
اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا
ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اي مثلهم كمثل الذي استوقد كمثل الذي ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل
الى الله تعالى انه اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد
نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها واضائتها
فما نوهما الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل النزوة كل
طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي
ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر
النور ابلغ في الغرض ومولن ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب
زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه
ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح
وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة
فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض
ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع الظلمة
وفي جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة
بلغت مبلغا بهتت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا
يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة

لظلمات

لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا آخر ثانيا او حالا من هم مثل وتركهم في طغيانهم يعمهون
اي حال كونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت الآية في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم
واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره
كزوال ذلك النور صم بكم عمي لما كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت
مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطق به السنتهم وان ينظروا
ويتبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الآية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة
لان ذلك في حكم المنطوق به ولا يبقى الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن
الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون
والى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون شعر وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم ومثل حال
مريد الطريقة الذي له بداية ولازم خلوة وصحبة حتى شرقت له من صفاء القلب شموس الشوق وبرقت له
من انوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وازعجته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم
الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وفضل يومه امسه ثم ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا آخر
ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين
كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما
سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايتهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان
جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع
من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلك اخر تدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي
صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف التشبيه مفردا يتأتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل
الحيوة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا
هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من
شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن
من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى
مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة
والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب للدلالة على انه نوع
من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون

مقام

الأمر بالسماء أي أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لكنه
غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب من صاد وياء وباء والبناء على فيعل
والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا واعلم أنه إذا وقعت القوى الفلكية في العناصر بإذن الله تعالى فحركتها وخلطتها
حصل من اختلاطها موجودات شتى فإذا هيج الفلك بسخانة الحرارة بخارا من الأجسام المائية ودخانا من الأجسام
الأرضية وأثار شيئا بين البخار والدخان من الأجسام المائية والأرضية أما الدخان فإنه قد يتعدى صعوده
حيز الهواء إلى أن يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى فيه الاشتعال فرأى كأن كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل
بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وأما البخار الصاعد فمنه ما يلطف
ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا
والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليل قبل أن يتراكم سحابا وهذا
هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الأعالي أعني السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الأعالي
أعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار
بعد ما استحال قطرات ماء فكان بردا وإنما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب
وذلك إذا سخن خارجه فبطنت البرودة إلى داخله فكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف
الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا وأما الجواهر البخارية الدخانية المركبة من مادتي
الرطوبة واليبوسة فمنها ما تخلص إلى من الأرض فيكون منها الرياح وإذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا فبرد وتقلقل فيه الدخان طلبا للنفوذ إلى العلو فيحصل من تقلقله ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة
في سحاب كثيف وربما امتد ذلك التقلقل لكثرة وصول المواد ويكون أعالي السحاب أكثف لأن البرد هناك أشد
أو يكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع إلى أسفل وقد اشعلته المحاكة والحركة نارا ابترق فتشق
السحاب شعلة لم يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وإن كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة
وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال فهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا يضر
في معرفتها بعد أن يعتقد انتهاء أسبابها إلى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع إلى ما كنا فيه فقول فيه ظلمات
بالظرف على الاتفاق من سيبويه والأخفش لاعتماده على موصوف والصيب إن كان سحابا فظلماته
سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وإن كان مطرا فظلماته تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة
إظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم إن كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وإن كان مطرا فكونه
ملتبسا بهما في الجملة سوغ ذلك وإنما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري شعر يا عارضا متلفعا ببروده
يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات لأنهما في الأصل مصدران فروعي حكم الأصل ويمكن أن يراد بهما
الحدث كأنه قيل وإرعاد وإبراق ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية

ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب لأنه في حكم المذكور قال
حسان يسقون من ورد البريص عليهم ✱ بردى يصفق بالرحيق السلسل ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى وهو
واد بدمشق والبريص نهر من أنهارها ويصفق أي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كأنه قيل
فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع ذلك البرق فأجيب يكاد البرق
يخطف أبصارهم وإنما لم يقل أناملهم مع أنها هي التي تجعل في الآذان لأن في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل
ولأن اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا أيديهما والمراد إلى الرسغ وليس بعض الأصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في
الأذن أولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق أي من أجل الصواعق نحو سقاه
من العيمة وقد تحصل ما ذكرنا أن الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب إذا اصطكت
أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت
على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت
أو بالإحراق وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالعافية
والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره ✱ وأعرض عن شتم اللئيم تكرما
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه إحساس وإحاطة الله بالكافرين مجاز
أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من أفعال المقاربة كاد يفعل
كذا يكاد كودا ومكادة ومكادا وضعت لمقاربة الشيء فعل أو لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن
وقوع الفعل وخبرها كالفعل مضارع بغير أن وهو ههنا يخطف والبرق اسمه والخطف الأخذ بسرعة كلما أضاء
لهم استيناف ثالث كأنه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وفتوره وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى
ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة
ودونها السعي وفوقه العدو وأظلم إما لازم وهو الظاهر وإما متعد منقول من ظلم الليل أي أظلم البرق الطريق
عليهم بأن فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وإنما قيل مع الإضاءة كلما
ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم
أو في ضوء البرق فأعماهم ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء أن يذهب بسمعهم وأبصارهم
لذهب بها وهذا الحذف في شاء وأراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله شعر
فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ✱ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع وقال عز من قائل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه
وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الأول وقد يجيء للمبالغة كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه والمراد
أن عدم العصيان ثابت على كل حال لأنه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف أولى والشيء أعم العام

هذا الكلام عند صاحب الكشف صحيح وعند الحق وبحث

كان الله اخص الخاص يجرى على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل
من الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده
وابقاؤه على وجوده جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني آناً من الآنات ولحظة من اللحظات عن تاثير القادر فيه
وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ لا

اى مردمان بپرستيد پروردگار شما را آنكه بيافريد شما را وآنان را كه پيش از شما بودند تا مگر شما پرهيزكار شويد

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ

آن پروردگارى كه كرد اين براى شما زمين را مانند گستردنى وآسمان را چون خانه ساز كرده وفرو فرستاد از آسمان آبى را پس بيرون آورد

بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

بسبب آن آب چيزى از ميوها براى روزى دادن شما پس مكنيد خداى را همتايان وحال آنكه شما اهل دانش ايد

القراءات خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان
قبلها ساكن مثل خلقكم وصدّقكم ورزقكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها
باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب **الوقوف**
تتقون ۝ لا لان الذى صفة الرب تعالى بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع
النظم مع فاء التعقيب تعلمون ۝ **التفسير** لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجارى امورهم عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات
الذى يورث الكلام رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول
واسطة بينى وبينك اولا والآن ازيد فى اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة
شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد بما اشتغل بالعبودية زاد قربا وحضورا وايضا الآيات
المتقدمة حكايات احوالهم وهذا امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهى ان يرفع ملك الملوك الواسطة
من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف ويستلذ هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شئ نزل فيه
يا ايها الناس فهو مكى و يا ايها الذين آمنوا فهو مدنى فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركى مكة بحسب
النقل ولئن كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها
و يا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادى لا الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهى ان اقوى المراتب
الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان
ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم
مع الحرف فى حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعونى استجب لكم واذا سألك عبادى

عنى

عنى فانى قريب فاذكرونى اذكركم و يا وضع فى اصله لنداء ما ليس بقرب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا
او نائما او لتبعيد المنادى عن ساحة عزة المنادى هضما ولاستقصارا كقول الداعى فى جؤاره يا رب يا الله
مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة لمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب الفاطن فى
غير هذه الصورة بيا ويكون المراد بذلك ان الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادى يا ايها النبى
لان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهى والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا
بقلوبهم وبصائرهم اليها واى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود
بالنداء مع ضرب من التاكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفى حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء
بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما استحقه اى من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين
لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون فى مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل
صحة الاستثناء فالاقرب انه لا يتناول الا الموجودين فى ذلك العصر وانما تناول الذين سيوجدون بدليل
منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم الموجودين فى عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة
ولئن قلنا ان الخطاب لمشركى مكة فدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا اصحّحوا
نسبة العبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية
ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمامورية والذل
ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه
ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا ما ثلا بين يدى مولاه طائعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا اعتقد
كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى
مخالفته فى شئ اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والاصل فى نسبة عبوديته عن الاصمعى انه
اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسمينى قال ايش تاكل قال ما تطعمنى قال ما تشرب قال ما تسقينى قال
تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية
الخطاب ويندرج فيه المبادى والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشرى وضعف قواهم
الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى
معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والنسبة لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث
او مجموعهما كل منهما فى الجواهر او فى الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وانتم
الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض الذى جعل لكم الارض فراشا
وبحدوث الاجسام قول ابرهيم صلوات الرحمن عليه انى لا احب الآفلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل
الآفاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك وان الموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا

الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا طبائع الفصول والافلاك لا افلات في افق الامكان فهو شيء غير متسم
بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه
لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعمة السابغة وعطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب
المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي او
الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى
كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه الامر وايضا
فمن ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم انجازها على ان يقولوا عسى ولعل وحينئذ لا
يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب او جاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل
العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل
خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم
النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان
قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه
بانها للاطماع والكريم الرحيم اذا اطمع فعل يجري اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال
القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد ولقولهم علك ان تفعل كذا وعل تفيد التكرير ومنه العلل
بعد النهل فتقول للقائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعل فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه
البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون
او اتقوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما قررنا اذ المعنى يعود الى قولنا
صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر
واما قوله الذي جعل لكم الارض فراشا الآية فنقول في لفظ الذي مع صلته اما ان يكون في محل
النصب بدلا من الذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة
الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية
معلومة فادخل عليها الذي كي يتنبهوا للجاعل ويعرفوا به والحاصل انه تعالى عد في هذا المقام خمسة
دلائل اثنين من الانفس مما خلقهم وخلق اصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامر
الحاصل من مجموعهما وهو انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب
الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاؤه ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون
كما يتقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من

شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان
الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض
والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا
كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة
والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ولنرتب ههنا مسائل الاولى في مباحث الارض
الفراش اسم لما يفترش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا
كالفرش على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد
اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل
الى التحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما
انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها فيما يقابلنا لان ذلك الهبوط صعود
ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك
ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ومما من الله تعالى به على عباده في خلق الارض ان لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء
ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها ويتأتى حفر الابار واجراء الانهار ومنها
ان لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف لتستقر الانوار عليها وتتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت
بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها
وهو قريب من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة
والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين
تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع
القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير
على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر ونتوء
الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها
ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها
ومنها ان تختمر الرطب به فيحصل التماسك في ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة
والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع
ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار

العظام التي فيها والارض مددناها ومنها ان الزرع طبع الكريم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها احياؤها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة
وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف
طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام
ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود
ومنها الاشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت
الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر
واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية
وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا
ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيمياء افلس ومنها ما وجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة
للبناء والسقف والحطب وما اشتد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تأمل
العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقتدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني سواء كان قبة او خباء او ابنية العرب اخبيتهم ومنه
بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي
وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا
وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل
الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وبنجومها رجوما للشياطين
وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاقطار
وغروبا ليصلح معه الهدوء والقرار في الاكنان لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى
الاعضاء ولولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية
وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع
لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض وههنا نكتة كأن الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناءه على
كوة الفقير ولا يصل النور الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه اما

ارتفاع

ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعل الله سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد
منه مواد الثمار ويستلطف الهواء فيكثر السحاب والمطر وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية
في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف
يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف
يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم
عدد السنين والحساب وتضبط المواقيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي
غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك
ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اسأله لك ولئن اهديت الي سرورا
فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشأ يقول ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول
القمر يدرك الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني
الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن
برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب
النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل
وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم
السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى آدم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة
وقال الله لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا
وورد في الاكثر ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسماويات مؤثرة والارضيات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر
وقال آخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام
ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلت
انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات
قال وفي الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها
خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله
الارض وكانت كالصدفة والتربة المودعة فيها آدم واولاده ثم علم الله احتياجاتهم قال يا آدم لا احوجك الى
شيء غير هذه الارض التي هي لك كالام وقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج

به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي لأن أعز الأشياء عندك الذهب والفضة ولو أني خلقت الأرض منهما هل كان
يحصل منهما هذه المنافع ثم إني جعلت هذه الأشياء في الدنيا مع أنها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل أن الأرض أمك
بل أشفق من الأم لأن الأم تسقيك نوعا واحدا من اللبن والأرض تطعمك ألوانا من الأطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها
نعيدكم معناه نردكم إلى هذه الأم وهذا ليس بوعيد لأن المرء لا يتوعد بأمه وذلك لأن مكانك من الأم التي ولدتك
أضيق من مكانك من الأرض ثم إنك كنت في بطن الأم تسعة أشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف إذا دخلت بطن الأم
الكبرى ولكن الشرط أن تدخل بطن الأم الكبرى كما كنت في بطن الأم الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من أن تكون لك كبيرة
بل كنت مطيعا لله بحيث دعاك مرة إلى الخروج إلى الدنيا خرجت إليها بالرأس طاعة لربك واليوم يدعوك سبعين مرة
إلى الصلوة فلا تجيبه برجلك الرابعة معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته
أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الأشياء بلا أسباب ومواد
كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما تبصر بها من يستبصر ويتفطن لها
من يعتبر ومن في من الثمرات للتبعيض كأنه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لأنه مفرد في سياق الإثبات
فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لأنه لم ينزل من
السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات فيكون كل الثمرات بعض الرزق فضلا
عن بعضها ويجوز أن يكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا ثم إن كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا
بأنه مفعول له وإن كانت للبيان كان مفعولا لأخرج ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل مصدرا
فهو مفعول له كأنه قيل رزقا إياكم وإنما قيل الثمرات على لفظ القلة وإن كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا
لأنه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه يريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة
وللقرية مدرة أو لأن القلة وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء وتنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الآخرة
الخامسة قوله فلا تجعلوا إما أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة
وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل فينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فأطلع في رواية حفص عن عاصم أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي نصب لكم
هذه الأدلة القاطعة والآيات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف
المناوي من ناددت الرجل خالفته ونافرته وند يند نُدودا إذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما
يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وأنتم تعلمون متروك المفعول معناه وأنتم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الأمور
وغوامض الأحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء
والفطنة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم العرافون المميزون ثم ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا
هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت

أو وأنتم

أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم أنه ليس في العالم أحد
يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة لكن الثنوية يثبتون إلهين حكيما يفعل الخير وسفيها
يفعل الشر أما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين إليه كثرة الفريق الأول عبدة الكواكب وهم الصابئة فإنهم يقولون
إن الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا أن نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله والفريق الثاني
عبدة المسيح عليه السلام والفريق الثالث عبدة الأوثان فنقول لا دين أقدم من دين عبدة الأوثان لأن
أقدم الأنبياء الذين نقل إلينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو إنما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق إلى الآن والدين الذي هذا شأنه يستحيل أن يعرف فساده بالضرورة
لكن العلم بأن هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والأرض علم ضروري فيمتنع إطباق الجمع العظيم
على وجه لا يكون لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها أحدها ما ذكره أبو معشر جعفر بن محمد
المنجم البلخي أن كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون أنه جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من
الصور وكذا الملائكة وأنهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وأن الواجب عليهم أن يصوغوا تماثيل أنيقة المنظر على الهيئة التي
كانوا يعتقدونها من صور الإله والملائكة فيعتكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى إلى الله تعالى وملائكته فعلى هذا
السبب في عبادة الأوثان هو اعتقاد التشبيه وثانيها ما ذكره أكثر العلماء وهو أن الناس لما رأوا تغيرات أحوال
هذا العالم مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب واعتقدوا أن السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع
الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد أنها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم
من اعتقد أنها مخلوقة لله الأكبر لكنها خالقة لهذا العالم وأنها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها
والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في أكثر الأوقات عن الأبصار اتخذوا لها أصناما وأقبلوا على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة تلك الأجرام العالية ومتقربين إلى أشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب
وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها أن أصحاب الأحكام كانوا يعينون أوقاتا
في السنين المتطاولة نحو الألف والألفين ويزعمون أن من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فإنه ينتفع به
في أحوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا إذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم
أنهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الأمر بتطاول المدة واشتغلوا
بعبادتها ورابعها أنه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى
اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون إليها لا لها كما أنا نسجد
إلى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم أنه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من
المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهب عليها

حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل ما مرجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت
فما وجه المنع عنها قلنا انهم لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة
مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط والتقييد في طريق عبادة الا الحنيفية والاخلاص
ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة
باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهو
عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل
زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة
مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ
ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى
قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه اوثان نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم
ان يأتوا بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس
الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك
على اسم الزهرة بصنعاء وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك
على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث
لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى
لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها
ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

وَاِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ص
واگر هستید در گمان از آنچه فرستادیم بر بنده خاص خود پس بیارید سوره که مانند آن سوره باشد
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا
و بخوانید برای مدد خود گواهان خود را بجز خدا اگر هستید راستگویان پس اگر نکنید و هرگز نتوانید کرد
فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ج اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝
پس بترسید از آتشی که آتش انگیز آن مردمانست و سنگ ساخته کرده اند برای کافران

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر الوقوف
من مثله ج صادقين ۝ والحجارة ج على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت

بدل الجملة الاولى في كونها صلة للتي للكافرين ۝ التفسير لما ثبت بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف
بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقية ما نزل عليه وقد ذكر في كون
القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها
والاولان باطلان لانهم وهم زعماء الجاهلية وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها
مع انهم كانوا متهالكين في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية
والانفة الى حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثاني انه ان بلغت السورة
المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم
الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض في مستانف الزمان ولم
يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي والا لزم تغرير المبطل المشبه
للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم
ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز
هو الذوق ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام
او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وما ينخرط في سلك هذه الآراء فقد كذب ابن اخت
خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع
يدي على رأسي وتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وايضا تسمية كل اسلوب
غريب معجزا باطل وكذا تسمية كل كلام مبرأ عن التناقض او مشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل
كيف يعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها
قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة النبوة لكن النبي
صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته وصفته يجب ان يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن
اذن في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة هي بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب
حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهي فينا كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة
قوانين علمي المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه
فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري
من اين تتوصل وباي طريق معناه تتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون
على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة
العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم

والطبع المستقيم فعلى ينجع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك
فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها في وصف
المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء
مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا فان لبيد بن
ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح
والشعر الفصيح انما يتفق في بيت او بيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح بكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح
اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
أعِدْ ذكرَ نعمان أعِدْ انّ ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم
المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه
المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى
عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر
في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم
ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
وفي الوعظ افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الالهيات
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني
والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الاتيان باقصر سورة
منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر **شعر** فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح وانما قيل وان كنتم
دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على
سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا
شيئا فشيئا وحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا
الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر
ومعنى السورة مذكور في المقدمة الرابعة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه ممن صح نسبة العبودية المامور بها في قوله يا ايها الناس
اعبدوا واضافة العبد الى الضمير ايضا تؤيد ذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة

في نسبة

في نسبة العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي
وكمال العبدية في كمال الحرية عما سوى الله واما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت
تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد كل من صاحبه احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول
ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا
او طوى فرسخا ومن ثم جزؤوا القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة
اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة
وآل عمران جدّ فينا ولهذا كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته
في البيان الغريب والنظم الانيق او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل
ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد
من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل
اوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك مطابق للآيات الاخر فأتوا
بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع في المنزل لا في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القرآن منزل
من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول لاقتضى الترتيب ان يقال وان ارتبتم ان محمدا
منزل عليه فأتوا بسورة ممن يماثله وايضا لو كان عائدا الى القرآن اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين
او متفرقين اميين او قارئين ولو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك
ان الاعجاز على الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقوية نقص للنبي صلى الله عليه وسلم وايهام ان الاتيان
بالقرآن عمن يكون قارئا ممكن وايضا الاول هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليأت واحد آخر امي
بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهي جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها
اما آلهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تشفع وتنصر فقد دفعتم في منازعة محمد
الى فاقة شديدة فتعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال
كونها آلهة ومن جهة ابطال ما انكروه من اعجاز القرآن واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او
ليحكموا لكم او عليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها
بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي خذه من دونك اي من ادنى
مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان بنى عليه رايه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا تجاوزوا ولاية المؤمنين

الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم
آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي
الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدام الزجاجة والحال ان الخمر
قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية
التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا
لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله
ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس
الذين شهاداتهم ظاهرة تصح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة
قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن
والانس فكانه قيل لهم ادعوا غير الله من الجن والانس من اردتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى
الله لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد واعلم ان المحقق في التحدي هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوني اهدكم سبيل الخير
والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي اقدر عليه باظهار الله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون
عليه لعدم اقداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل من عنده واني صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم هداهم الله
تعالى ونور هدايته اتبعوه واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربطها الله تعالى بها
الوقائع والحوادث حسبما اراد ولا يلزم من هذا ان يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدي عليها بل الله يهدي من
يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا ولقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز ان يكون قيدا
لقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله
عليه المقدر وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في ان اصنامكم تنفعكم او في ان القرآن غير معجز فادعوا
شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الاقرار في قولك انت مكرم ان جئتني وانما يتقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القرآن كثير فاعتبر
في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القرآن وصحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه اشد المعاداة ويتهالكون
في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه
مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا

وثانيها

وثانيها انه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل
فلو خاف عاقبة امره لتهمة فيه حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه الغاية وثالثها انه لو لم يكن قاطعا بنبوته
لكان يجوز خلافه وتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه
ورابعها ان قوله ولن تفعلوا نفي لن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال اذ
احد لو عارضه لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين
عنه واذا لم يقع المعارضة الى الآن غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لا سيما بعد استقرار الاسلام وفل شوكة الطاعنين
وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم
وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وانما اختير قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول
فعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكني عنه كما لو قلت اتيت
فلانا واعطيته لربما فقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف
والمعترضة تجيء بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا
العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى
النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني وافعلوا ما هو نتيجة
حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانه الموجب للنار
ولهذا تشنيع بتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح فان قيل صلة الذي والتي
يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم
لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه
بالمدينة وذلك في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا اشارة بها
الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد
بنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار لاشتعلت وارتفع لهيبها ولعل
لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل نفس بما يشاكلها من العذاب والحجارة قيل هي حجارة الكبريت
وقيل هي ما نحتوها اصناما لكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله
وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوريثا لنقيض مطلوبهم
ونحوه ما يفعل بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي بمنع حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقد يدور في الخلد من هذه الاية

ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لان المراد بالحجارة
هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا
في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من
الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين ۝

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ط
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا ط وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

الوقوف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ۝ ه التفسير

انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة واجرى الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر
ثواب المومنين جريا على سنته المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد
والوعيد والجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الايات من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين
والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا سكنى آدم وحواء الجنة وقد جمع الله تعالى في الآية جوامع اللذات
من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرات ثم ازال عنهم نغص الزوال
بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به
ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره
بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر
من اوائل ضوءه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق
امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد
بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر
عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد
باحساني اليهم وقال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة
غير عزيز كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المامور به في قوله وبشر اما الرسول
صلى الله عليه وسلم واما كل من له استيهال لان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني ه واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة
المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف ويستدل بعموم الآية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان
والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وملائكته
ورسله وجبريل وميكائيل ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا
عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطها
المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما اوجده من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن اشركت ليحبطن عملك
وانما طوى ذكر هذا الشرط في الآية للعلم به فانه قد تقرر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه
بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من آمن وعمل
صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب
فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار
وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كانها
فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات
من تلك الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر
واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري
هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما
تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها
فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من
ماء غير آسن الآية وكلما رزقوا اما صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستانفة
لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس
اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من
اي ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدا من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من
ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك
انما يكون بنوع التفاح اولا وبالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان الشخص امر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه

مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذى اى هذا مثل الذى رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذى
رزقوه فى الجنة لا يكون هو ذلك الذى رزقوه فى الدنيا والضمير فى قوله واتوا به يرجع الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا
لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين والغرض فى تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان
بالمالوف آنس والى المعهود اميل وانه اذا ظفر بشىء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال استعجابه
وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والنبقة فى الدنيا وحجمها حجمها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال
هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك
الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر
فى ظهور المزية وكمال الاستغراب فى كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى فى غير اخدود والعنقود اثنا عشرة ذراعا ويحتمل ان يرجع الضمير فى
اتوا به الى الرزق كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه اما ان يساوى ثوابهم
فى كل الاوقات فى القدر والرتبة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشىء واعجبه لا تتعلق نفسه الا بمثله
فاذا جاءوه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه فى اللون فقط فان يؤتى احدهم
بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف
وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه
حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والمبينة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة
ليس الا فى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح
وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا
ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق البدنية فاذا زال العائق بعد الموت وشاهد تلك
المعارف قال هذه هى التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق الجنة
جنة الوصول واشجارها هى الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار
والاشارات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون احوال الاشياء فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم
فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهده قبل هذا فكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى
كان موسى شاهد نور الهداية فى صورة نار فيكون تارة تلك النار نار صفة غضبه كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت
قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم
بيت وجودهم فافهم وايضا كل شىء له صورة فى الدنيا فله فى الآخرة معنى آخر يعنى كقوله صلى الله عليه وسلم فى دماء الشهداء
اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك
فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التى تختص بالنساء وكذا

من الاخلاق

من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وبما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى وجماعة ازواج
مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز
وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهى ان المرأة اذا حاضت فالله تعالى منع من مباشرتها
قال فاعتزلوا النساء فى المحيض مع انها معذورة فى نجسها فاذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت نجسا
بالمعاصى مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه
كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم
منها بسبب الزلة الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف من صلى وعلى
قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصى والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع بدليل قوله
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو
الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التأبيد داخلا فى مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال فى الوقف
حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والحق ان خوف الانقطاع ينغص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين وهو اعلم

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ط فَأَمَّا الَّذِينَ
بدرستى كه خداى ترك نكند كه بيان كند هر داستانى كه باشد پشه را برابر آنچه زيادت بود از حقارت اما آنانكه
آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ج وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
گرويدند پس ميدانند كه بدرستى آن داستان كار راستى است از پروردگار ايشان و اما آنانكه كافر شدند پس
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِهَذَا مَثَلًا م يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
ميگويند چه چيز خواسته است خداى باين چيز حقير از روى داستان گمراه ميكند خداى بسبب آن داستان بسيارى را وراه مى نمايد بسبب آن
كَثِيرًا ط وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ه لا الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ
بسيارى را وگمراه نمى كند بسبب آن مگر آنانرا كه بيرون آيند از طاعت خداى آنانكه مى شكنند پيمان خدا را
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ص وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
پس از استوارى آن پيمان ومى برند آنرا كه فرموده خداى بدان كه به پيوندند وتباهى ميكنند
فِي الْأَرْضِ ط أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ه الوقوف فما فوقها ط من ربهم ج
در زمين گروه گروه ايشانند زيانكاران
لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما
للتفصيل بين الجمل مثلا م لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل
جوابا لهم ويهدى به كثيرا ط الفاسقين ه لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين فى الارض ط
الخاسرون ه التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب عنها
عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا

الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في
كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك
وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة
في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتني
مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل
والمنخل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة
جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان
فقال عبيد الزارع يا سيدنا اليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان
قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين
ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين
يعملون بطاعة الله والعدو الذي زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي يزرعها ابليس واصحابه والحصادون
هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما
ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم
فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك في ملكوت ربهم من
كانت له اذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل
وهي اصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير
السماء تعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظمه ورفع ذكره ونجا بمن اهتدى
وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون
الغل في صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا تلينها الماء ولا تنسفها الرياح
وقال لا تدخروا ذخائركم عباد الله تحت فتجد دواب عليها لباسها وهناك رزقها وهن لا يغزلن
ولا يتخصصن ومنهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من ياتيهن بلباسهن وارزاقهن الا الله
افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم هذا ونحن نرى
ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك لان مطبوع الخيال حب المحاكاة
فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة
الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في
الكتاب الذي انزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبراءه عامة بالغة

وليس

وليس الصغير احب اليه من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها
الذباب والعنكبوت لخسة مضرب المثل وهونه فكيف يضرب بالفيل وشبهه مع استحكام النسج والصناعة وهذا مما
لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم شعر
وكم من عائب قولا صحيحا ۞ وآفته من الفهم السقيم ۞ والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به
ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحيي صار
منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى
بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي وفي حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم
يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب
العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد
ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام
من مبلغ افناء يعرب كلها ۞ اني بنيت الجار قبل المنزل ۞ فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد يستعمل الحياء
فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ۞ كرعن بسبت في اناء من الورد ۞ يصف كرام مياه الاقطار
في طريقه وانه انما ذهب وراء الماء وكانه يعرض نفسه على النوق فتستحيي فتكرع فيه مسافر كانها السبت وهو الجلد
المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان يستحيي منه ويستحييه وهما
محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني
كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي مثلا حقا او البتة وانتصب بعوضة بانها
عطف بيان لمثلا وذلك ان ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم مثل في الجود او مفعول ليضرب ومثلا حال
عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل والبعوض في الاصل صفة على فعول من البعض
القطع فغلبت ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقه انه مع صغره اعطي كل ما
اعطي الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان خلق احدهما ليس باصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اي على صفته فاعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا
ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجائب ان خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره
وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله
تعالى في راس خرطومه من السم وقوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب
فان القوم انكروا التمثيل لله بكل هذه الاشياء او اراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا

وهذا اولى لان الآية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول
والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لانه ذكر في هذا المقام الاحقر فالاحقر كقوله يا دار مية بالعلياء فالسند لانه
يذكر في تعريف الامكنة الاخص بعد الاعم فكان العلياء موضع واسع يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى
الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد ولان الذهاب منه عزيمة قلت
اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير ان اما
بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اي ان لم يكن في الدنيا شيء توجد ذهاب زيد
فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا
بد من حصول شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد
عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين رميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا
يسوغ انكاره حق الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وماذا فيه وجهان ان يكون ذا
اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا
فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء
العكس كما تقول في جواب من قال ما رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا
والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها
وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في
الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق هذا اللفظ على
الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ
والكعبي وابو الحسين البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي
او الصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون
ذاتية وهو القول الآخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك
المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم آخر ولم يقل به احد او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي
وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص حين افتى
بنقض ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون
بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير
في الحقيقة وان قلوا في الصورة شعر ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال

الى الله تعالى

الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهداهم
وزادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا يذهبن في نجد وغورا غائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن
في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزى خلفه ويقال للخلفاء المردة
من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز والتنابز ان المنافقين
هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل
على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف
على العالم بانه بحر تسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شيء من لوازمه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه
ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما كل من ضل وكفر انهم نقضوا عهدا ابرمه الله باراءة اياته في الآفاق وفي انفسهم وبما ركز
في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى توحيده وعلى حقية شرائعه بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم
من اهل الكتاب قد اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره
وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذي اخذه على
جميع ذرية آدم واذ اخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة
او اسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما
وثق به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل اما قطيعة ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القرابة والرحم او قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور لانه الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه
مأمور به وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل
في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب او الاباحة يتوقف على القرينة وقوله
ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي بوصله والافساد
في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن اولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع
بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

چه حال می گردید بخدای و حال آنکه بودید مردگان پس زنده کرد شما را پس بمیراند شما را پس زنده کند شما را پس بسوی حکم او

تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

باز گردانید شما را او آنست که آفرید برای انتفاع شما هر چه در زمین است همه پس قصد کرد بارادت

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ط وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

بآفرینش آسمان پس تمام گردانید ایشان را که هفت آسمان باشند و او بهر چیزی داناست

القراءة فاحياكم وبابه بالامالة علي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو الوقوف فاحياكم ج للعدول الى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ۝ سموات ط عليم ۝ التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك لان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فهو لان نعوه قرآن الاحوال ما ذكرنا ووجهه بقولنا الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله واما جاهلين ولا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر احوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنهما لان كان ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اني حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا وكذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فبقي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عن القوي مع صحة اختيار في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا يشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور او حين تسألون في القبور ثم اليه اي الى حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا يشك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو نخيلة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ولا يخفى ان الآية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم مرتين كالذي مر على قرية فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وآتيناه اهله ومثلهم معهم والله اعلم

لان هذه الآية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على ان له قدرة على الاحياء والاماتة الا الله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه من ان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهل الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حيوة ثانية للسؤال او الحشر ثم من الرجوع اليه للثواب او العقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا عثير ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادى فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر كان اقاربي لم يعرفوني * كان اقاربي لم يعرفوني * الى اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤوسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيامة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الآية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الآية لا يدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان لم يرد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعه والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم يستدل بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها ويمكن ان يقال بل في هذه الآية ولا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض ولو كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا فيما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان يكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق تشبه له من يسر عليه قيل انه خلق الكل للكل ولا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك

وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا ازلا ولم يكن
متأخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو
كانه قيل ثم استوى الى فوق او هذا الكوكب لا اعلى هذا النوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها
سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في
تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله
فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتفسير هذه الآية في قوله قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات في يومين كما يقول القائل
من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين آخرين
ومجموع ذلك ستة ايام كما قال خلق السموات والارض في ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد
ذلك دحيها قلنا اجاب في الكشاف بان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن
الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
يدل على ان خلق الارض وخلق ما فيها متقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت
مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء
على الارض ولا يقتضي ان تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله ءانتم اشد خلقا
ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق
السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم
في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله ان يقول الرجل الست قد اعطيتك نعما
عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخره في الذكر مقدم في الوقوع قلت وهذا
صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا
فلا احالة في انه تعالى خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات
ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كميتها الآن والله تعالى اعلم
والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا

اوقع

اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء تعني الجنس
وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج
والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في
الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وبه يهدم
بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم تكن مخلوقاته على غاية الاتقان والاحكام فسبحان
من خبير يعلم الذرة في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في الصدر وعلى هذا يدور
نظام العالم وبه يحصل قوام مناجح بني آدم ثم ان النقل قد دل على وجود سبع السموات وتخصيص عدد بالذكر
لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى المحرك
اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا بالكل وثانيهما للثوابت جميعها لتحديدها
لا في الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبع جمع
ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب خسف بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر فوقه لعطارد ثم
للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل وما زعم بعض الناس في زيادة الفلكين الثامن والتاسع
فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فتحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة
تحركه حركته الخاصة به ويكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر
كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر

وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّي جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيفَةً ط قَالُوٓا اَتَجْعَلُ فِيهَا

یاد کن ای محمد وقتی که گفت پروردگار تو فرشتگان را بدرستی که من کننده‌ام در زمین خلیفه گفتند آیا می‌کنی در وی

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ ج وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ط قَالَ اِنِّيٓ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

کسی را که تباهی کند در وی و بریزد خونها را و ما تسبیح می‌گوییم با ستایش تو و پاکی یاد می‌کنیم ترا گفت بدرستی که من میدانم آنچه شما نمیدانید

القراءة خليفة وامثالها بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي
الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصة وقبضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف
عن اهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح
اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف خليفة ط بناء على ان عامل
اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عاملا اذ وصل الدماء ج لان ابتداء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء
يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون ه
التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم عليه السلام وعن كيفية تعظيم اياه فينخرط في سلك ما تقدم

من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية اى اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر
اخا عاد اذ انذر اى وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لكل واحد من بني آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا افكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة
من الالوكة وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل وشمائل ثم تركت همزة
المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك
قبل النبي بالشرف والعلية ولذا كان بعده في عقولنا واذهاننا وقد جعل الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ
الوحي والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء فيه والناس في حقيقة
الملك مذاهب فمنهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات
وهو قول اكثر المليين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس
وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية
القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل
والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر
الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة
ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية
خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس
الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها
نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة
لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها
ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة
الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان
لجالينوس وجع في الكبد فراى في المنام كان آتيا يامره ان يفصد الشريان الذي على ظهر الكف اليمنى بين السبابة
والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات
الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر
وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر

ملائكة

ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في
مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة
الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا
قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة
الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم
اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبرئيل عليه السلام وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن
عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم
اكابر الملائكة جبرئيل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت
ومنهم ملائكة الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم
الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا
واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون
ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه
والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة
في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش
اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار
القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه
بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس
لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في
جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون
من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف
الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق
بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين
وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره
ويقوم مقامه اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمع خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه
على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم عليه السلام لانه صار خليفة اولئك الجن الذين تقدموه
ويروى ذلك عن ابن عباس ولانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن عباس والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء آدم لانه

يخلف بعضهم بعضاً ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وجد تاويل من يخلف او خلفا
يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات ولا
يخلف شي منها ادم لاجتمع في شي منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه
الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب
زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء العقل ولو لم تمسسه نار النور وفي مصباح السر فتيل الخفي فاذا استنار
مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة
واللطف والقهر ولا تظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما
تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا
بما اجيب واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون فلا شي من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه ولا يدخل
فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا قوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض على الله من
اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم
بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا
قوله ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد
والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت
وماروت ولان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك
السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شي لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها
ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه يستفهم عن ذلك
متعجبا فكأنهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا يفعل الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك
ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكأنه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة وتمكين السفيه
من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة ويستدلوا به على ان الملائكة لم يجوزوا
صدور القبيح من الله تعالى وكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يوكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين
لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس والتقديس تنزيه افعاله
عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة

وهذا

يعملون

وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه الحكمة المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لا
يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل فيها مسألة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول
موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء
ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا
اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكأنهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة
فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وانا اعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي
تقتضي ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين
كما انه لا تضره معصية المذنبين والجواب عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك
ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث وكأنهم قالوا
ما سألناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب
بل لان ترك السؤال كان اولى وروي عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينهم وقالوا
ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم
وعلمه الاسماء كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى
التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها
منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوه على حال الجن الذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الارض وهو مروي عن ابن عباس
والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها
الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة
وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء واما انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او انه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة فلعلهم
طالعوا اللوح فعرفوا ذلك او لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند
التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله
النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا
الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم تظهر واما قصة ابليس
وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيهما واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالفلاسفة وكثير
من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما
معصية او ترك الاولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم

وهذا المعنى كونهم موجودين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا
على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو
في ونحن نسبح للحال كقولك احسن الى فلان وانا احق الاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس
من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيهما وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان
المستلزم لنفي الكثرة المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون بريا عن العجز والجهل
والتغير محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار
تقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي
كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان
يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي لا علم الا بتعليمي ولا ارشاد الا من شيئي سبحانك لا
علم لنا الا ما علمتنا انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان
الله فسبح ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا
عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على
تسبيحي سبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا
يسامون فسبح لي البحر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار والجنة والنار
والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح
بحمده ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح
والا الضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب
هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من
في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية لتنتفع بها لا انا سبحان
ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرا عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حتى ارد الواحد عليك عشرة وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم
لا حاجة لي الى العسكر ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن اذا انصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني
ايها الناس اعبدوا ربكم لا اني احتاج الى خدمتك لاني انا الملك ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف في
خدمتي عمرا قصيرا لتنال ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي نسبحك
ملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل

فقال

فقال ما اصطفاه الله للملائكة سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي
الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء
الثالثة ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان الحي الذي لا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح
الصلوة وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك ونطهر قلوبنا عن الالتفات
الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تتعجبوا او لا تعترضوا بان فيهم من يفسد ويسفك
فاني اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره او اعلم ان معكم ابليس وفي قلبه الحسد والكبر والنفاق او انكم لما
وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح انفسكم لا في تسبيحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدوني ثم
يخشونني يؤدون حق العبادة ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين
من خشية ربهم مشفقون والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين او اعلم من المصالح
في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في هذا الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد واحد

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

وبياموخت آدم را نامها هر چیزی همه آن نامها پس عرضه کرد مسمیات آن را بر فرشتگان پس گفت خدای خبر دهید مرا

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ط

نامهای این چیزها اگر هستید راست گویان آن گفتند فرشتگان پاکی مر ترا دانیم ما هیچ دانشی نیست ما را مگر آنچه آموزاندی ما را

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ج فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ

بدرستی که تو تویی دانا به همه چیزها درست کار گفت خدای ای آدم آگاه کن ایشان را بنامهای آن مسمیات پس چون آگاه کرد

بِأَسْمَائِهِمْ لا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ

بنامهای ایشان گفت خدای ای نگفتم شما را بدرستی که من میدانم نهانی آسمانها را و زمین را و میدانم آنچه آشکارا میکنید

القراءة أنبوني وكذلك خاطون وخاسين وفالون ونحن المستون ولنطفوا وليواطوا ومتكين
وقل استهزوا ومتكا ويستنبونك ونابه بريا ويريون ونابه وكهيئة واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر
ونافع وابو عمرو هولا ها بغير المد اولا بالمد يزيد ويعقوب واوقيه ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلمتان
لا يمدها ويمد اولا هولاء ان بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والبزي من طريق الهاشمي
بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك في المفتوحتين والمضمومتين وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية وكذلك
في المضمومتين واما في المفتوحتين فكابي عمرو انبئهم عن ابن عامر روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة
الهاء والباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين ۝ علمتنا ط الحكيم ۝ انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء
التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب فلما تكتمون ۝ التفسير وفيه ابحاث الاول الاشعري
والجبائي والكعبي على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك

الا الفاظ موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملئكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابي هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهمه ودعته داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس اي الهمناه او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء المسميات قلنا تعليم المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض الالف واللام عن المضاف اليه كما في قوله واشتعل الرأس اي علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد بلغة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد ان ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فان كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل قبل العلم بالمدلول واما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما توقف ادراكها على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العرفي لا يحسن من ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به واما قيل ثم عرضهم بلفظ التذكير لان في جملة المسميات الملئكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اي في اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اي في قولكم انه لا شيء مما تتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل انبئوني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل اخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يجترئوا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انما عرفوا خطاءهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فاذا لم والذين انكروا معصيتهم قالوا ذكروا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه او انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبحك تسبيحا اي ننزهك تنزيها وهو مصدر غير متصرف اي لا يستعمل

الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية واذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالآية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الادلة فعندي ان حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم آدم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل آدم خليفة في الارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط واشرح فيندرج فيه علمه باحوال آدم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر وان لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه منهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني قالت المعتزلة ما ظهر من آدم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء او الى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط عليهما السلام واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم باسماء ان علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات اولا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا ان آدم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان آدم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من آدم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه عليه السلام ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك ولا اقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملك وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف ولان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث

في فضل العلم لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل آدم بذلك الشيء وما يدل على فضيلته الكتاب
والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ
القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة
وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبع نفر في كتابه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من
الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال
لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الاستشهاد في المرتبة
الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك
وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون آمنا به وبشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وبالبكاء
والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان
وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار
فمنها ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم
يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة كل سنة له ويبني بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض والارض
تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله
وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله
ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم
القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت
لكم وقال صلى الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر وعن ابي هريرة مرفوعا
من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين
حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلي حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما
طلعت عليه الشمس وتغرب وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا

وعن عامر

وعن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة لا يفضل احدهما على الآخر وفي رواية
فيترجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فاما
احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ من كلامه قال الا
اخبركم عن النفر الثلاثة فاما الاول فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيا من الناس فاستحيا الله منه واما الثالث
فاعرض فاعرض الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم برتبة هي الواسطة
بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح
يدعو له بالخير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الحوائج فاسالوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال اهل القرآن قيل ثم من
قال ثم اهل العلم قيل ثم من قال صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل القرآن من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم
كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى
الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن
مستمعا جالسا او ذيبا خالسا او كلبا حارسا واياك ان تكون انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحدث
انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول
صلى الله عليه وسلم بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على اوفق عمل في هذه الساعة قال اشتغل بالتعلم
فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي ولو كان شيء افضل من العلم لامره النبي صلى الله عليه وسلم به في ذلك الوقت
واما الآثار فان مصعب بن الزبير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يكن لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال
كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل
مثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم
المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم
واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل
القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه
ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره
وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة اصناف وذلك اني اقرا القرآن فاقول عن الله وعن الرسول
فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب كان مؤمنا
مخلصا وقال ايضا ثلاثة من النوم يبغضها الله وثلاثة من الضحك النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة والنوم في الصلاة
والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم اولى من الاب
والام لان الآباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها وقيل لابن
مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسالة الحمقى واحفظ

بالتلميذ

حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان زينت بخمسة اشيا علم العلما وعدل الامرا وعبادة العباد وامانة التجار
ونصيحة المحترفين فجا ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجا بالحسد فركزه في جنب العلم وجا بالجور
فركزه بجنب العدل وجا بالريا فركزه بجنب العبادة وجا بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجا بالغش فركزه بجنب النصيحة
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كرم الله وجهه العلم افضل من المال بسبعة اوجه العلم ميراث الانبيا والمال ميراث الفراعنة
العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه اذا مات الرجل خلف مالا والعلم يدخل
معه قبره المال يحصل للمومن والكافر والعلم لا يحصل الا للمومن جميع الناس محتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى
صاحب المال العلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند
العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيا فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا
عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم نزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب وما دام
يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي
واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق تنفر عن الفسق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان
يانف منه وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسوال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم
ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشيا علم آدم الاسما وعلم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه
من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم
وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية
وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والملك وعلم سليمان لوجدان بلقيس
والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن امه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة فمن علم
اسمار المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام قولا من رب
رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
ويوسف بتاويل الرويا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وايضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث
فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر الكلام وسميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا للخلق وواعظا
لعباده وسراجا لاهل بلاده وقائدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث العلماء
سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالما روي عن نافع بن الازرق
قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الما قال لان الارض له كالزجاج يرى باطنها من ظاهرها فقال
نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولاه يأتيني

عل

سقراط

عليك بالادب فانه دليل على المروءة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند
انقطاع الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال من فضيلة العلم انك لا تقدر
على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشيا بل يخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكما
لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فمه فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن بعض الحكما
عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند المزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه
ولا ترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم آفة الزعما ضعف السياسة وآفة
العلما حب الرياسة واما النكتة فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند الشهوة يرجى زوالها انظر الى
آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار
ملكا احتاج الى وزير فسال ربه حكمتك عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختار الا فلانا فرآه في اسوء الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح
لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبريل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف يستحق التركي في مملكته فمن ذب عن الدين القويم
بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل ان راد واحد خدمة ملك فقال الملك
اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا
لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم تريني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله
وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم القلب ميت
وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب
واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا
لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارت الى
تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البري من غير جرم فقالت لا يحطمنكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم
حقائق الاشيا من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا وان الكلب المعلم
يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوضار المعصية
كيف لا تطهر ببركة العلم بالله وبصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا
الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول تزوجتها فلا يحد واما الحكايات فيحكى ان هرون الرشيد
كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه آخر انه اخذ من بيته مالا بالليل ثم اقر الآخذ بذلك في
المجلس فاتفق العلماء على ان تقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف
بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف
لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو يهدي الاقرار

القطع

يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فأتي بيحيى بن يعمر
فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال
فقال الحجاج لتأتيني ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة من كتاب الله
يا حجاج قال فتعجبت من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تأتني بهذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم فقال آتيك بها واضحة
من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى
فقد الحق عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال كأني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه
واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل المدينة جاؤوا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه
ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال
هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته
ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولنا قال ابو حنيفة
فنحن لما اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة
يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال
ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم
فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت
البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلثا ان لا يعلم احدا فاصبح
الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضر لي
امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرجهم واحدا واحدا وقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا
وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللصوص ورد الله عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى
يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما له اني اريد التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي
قال استقرض وادخل عليها فان الله يسهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول
اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على اهل المرأة
وجاؤوا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا اليه
فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها
حتى تقضي ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصل ببركة علم ابي حنيفة كل واحد من الخصمين
وسئل ابو حنيفة عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال يسافر بامرأته
فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على
شيء واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلافة هذا الجالس فاقر به خوفا من القطع

ويحكى

ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين بن علي رضي الله عنهما حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك
واما الكرم فدأبكم وسيرتكم واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا
اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابي
عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت
في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الكل فكل ما عندي وقد
حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله
قال فما نجاة العبد من المهلكة قال الثقة بالله قال فما زين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم
قال فان اخطأه ذلك قال فقر معه صبر قال فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين
ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم برضاء العقل دون الشهوة
كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم برضاء الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا برضاء الشهوة والعقل
وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت
وكما يموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم
ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي
معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال
عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
كأنه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتب
الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطيته واعظم مواهبه
ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك
لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن
عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم
بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم
بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما
فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل
الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض
بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف شناعة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه صلى الله عليه وسلم

بالمزيد بأمره حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن
مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالملك العظيم بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن
للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول
على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك لان التفكر
يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب
الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عليه السلام عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر
له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل
ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقيا فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء
فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه
التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا فان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من
الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون
عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمرة واما الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابع عشر منه
ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم
يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو ان
نعلم فنعمل اذ العلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيامة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم
فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا
في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي ومنها ان كون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم
للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم
فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم ايضا وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان
اذا راى الانسان احتشم بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان
والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله الرعب منه في قلوبهم فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه آيات معجزة
كانت بداهته تغنيك عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا باختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة
الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كان في ظلمة شديدة
اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم
والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم
كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز

عن غيره

عن غيره ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها
جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا ولما طهر الله
عباده ولامرما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء
عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون
وهكذا اظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الزاهر
الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل
من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم
الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوى كذلك علم
الزهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والآثار
الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلماء الا
اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى
الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بناس يوم
القيامة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا
ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل
ان تريناما ارينا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم
الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي اكنت اهون الناظرين عليكم فاليوم
اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب اربعة في اربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الكرامة
ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب
الكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل
لا يتم اربعة اشياء الا باربعة لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا تتم المروة الا بالتواضع
ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم
بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل
بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل

من تعلمه داد بحل الغني المعروف باع الفقر آخرة بدنياه فالويل لهم والثبور بسعير مرة وقيل اذا وضعت على
سواد عينك جزءا من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا
البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال يصير الذات به عالما القاضي العلم
معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس
الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد
اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق
في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدرك
كذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا
ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورا تنورت وازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا الكون
الحال في كلية مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نورية ولا يتجاوز مرتبته
في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقع في نوره بل
يكون نوره نافذا في الكل مستمر فانها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر
لا يجوز التعبير عنها العز بها سقط لبعض ضمائر وفوتها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم ا الادراك
وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول ب الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب
وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى ج التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت
هي في العاقلة حلول الشكل في المادة د الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها
ه التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه يحتاج الى التفات النفس الى عالمها و الذكر وهو وجدان الصورة بعد
محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى اني لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف القول
بانه ذكر لانه سبب حضور المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر ز المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل
انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم
لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء
الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف انه هذا المدرك الذي
ادركه ثانيا هو الذي كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة
البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة ح الفهم وهو تصور
الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع ط الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى
لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف ي العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها
وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى يصير بانعاس الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة

ومن

ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه يا الدراية وهي المعرفة الحاصلة
بضرب من الحيل وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها على الله تعالى يب الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح
وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه
بقدر القوة البشرية وذلك بان يجتهد بان ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه يج
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف
والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال يد الذهن وهو قوة النفس
على اكتساب الحدود والآراء يه الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل
انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلوم من عنده يو الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي بسرعة الى الحد
الاوسط في كل قياس يز الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت يح
الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز يط الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق او حظ ك
الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة
الذئب كا الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العلم وان كان عن
امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم كب الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك
في النوم قد يخص باسم الطيف كج البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء
وقد يقال لها الاوليات كد الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير كه الكياسة وهي تمكن النفس من
استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت كو الخبرة وهو معرفة تحصل
بطريق التجربة وجدت الناس اخبر تقله كز الرأي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج
المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والرأي الفطير
كح الفراسة وهي اختلاف المعارف من غرر الشيء الثاني فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب
لصفاء جوهر الروح وهو شبيه الالهام واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم
وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان
على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق آدم فتجلى فيه فالتجلي علة التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة
تكون خليفة المتجلي فيه انبئوني باسماء هؤلاء اي باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة
فان الفضيلة ليست لمجرد الطاعة فان ذلك للموجودات مسبحات بحمدك وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات
الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل ان يصير الحق والخلق جميعا فيختلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاته وانما قال

ابنهم ولم ينقل علّمهم كقوله وعلّم آدم لان الملكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنار لا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن اباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانات بالنسبة الينا واما الالكيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم ادم الاسماء كلها للملائكة تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم لان خلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى يظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود فكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جارت على وفق فضلاء اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان رازقا ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان محبوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ ط اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّٰلِمِينَ ۝ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ج وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ ۝ فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ۝

القراءة للملائكة اسجدوا برفع التاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنها انها يشمان

الكاف الكسر ورفعان الهاء وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملئكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسائل والبائس فانها بالهمز شيتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازالهما حمزة آدم نصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القرآن وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قرأها علي غير ليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن اليزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه تقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم انه تقف بالتفخيم والاول اكثر

الوقوف ابليس ط لانه معترف والجملة بعده لا تكون صفة له لان الوسط الذي لا عامل فيجعل الجملة حالا الكافرين ۝ شيتما ص لاتفاق الجملتين الظالمين ۝ كانا فيه ص لعطف الجملتين المتفقتين عدو ج لاخلاف الجملتين حين ۝ فتاب عليه ط الرحيم ۝ جميعا ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ۝ النار ج لان ما بعدها مبتدأ وخبر وفصل الجملة خبر بعد خبر ولذلك لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود مثل ايمان جلوحامض خالدون ۝

التفسير لما خصص الله تعالى ابانا آدم بالخلافة ثم علمه من العلم ما ظهر بذلك من رتبته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجود الهم وهذا مقتضى النسق ههنا ظاهرا الا ان قوله في موضع آخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يأمر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة وقال حسان بن ثابت ما كنت اعرف ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا من الساجد وزعم آخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان

من الجن ولا تكون من الملائكة وايضا قال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العين وبان كان
يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الآية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الآية الاولى ايضا
مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار قالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء
من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم
من النور لقوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة
ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل
جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله
على المتصل اولى وبان تخصيص العمومات في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني
الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان
المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة
لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم
فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين
ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ آخر ما حكاه في القرآن بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ
امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل
عن الجانبين ومما يناسب هذه الآية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس ذهب اكثر اهل السنة الى الاول
ومالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة
احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف
وعورض بما حكي عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل في التعظيم
من كون العبد عنده قالوا الآية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض
وامنهم من الهموم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك
واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب ب عباداتهم اشق من عبادات
البشر فتكون ثوابهم اكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اجرك على قدر نصبك وقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها
واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون
الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن
تلك الاعصار المتطاولة لان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة

ومع ذلك

ومع ذلك لم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة
على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا
وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك
فان العبيد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني
بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ج عباداتهم ادوم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها ولان اعمارهم اكثر وعلى الآية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل
قال قلت لكعب ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة
واللعن مانعا عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان
آلة التنفس غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال
ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان شاء الله يستلزم تبعيد من اعتقد في الله
ما لا ينبغي او المراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها
في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم د انهم
لسبقوا السابقين في كل العبادات واليه يقول السابقون والمقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ه الملك
رسل الى الانبياء عليهم السلام علمه شديد القوى نزل به الروح الامين على قلبك والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا
اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسول فلا ولم لا يكون كما يرسل
الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك آخر و انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة
الرفعة والرياسة فيهم ولهذا قالوا اتجعل فيها ولم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا ز لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا
يستنكف من خدمته الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعاني المصححة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع
وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمته القاضي ولا السلطان
ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والغلبة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم
والزهد فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب وليس والحق ان جميع الدرجات مندرج تحت العبودية كما اشرنا اليه
فيما مر فيفيد افضلية الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره كمحمد صلى الله عليه وسلم
ح ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا
افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد اما لان الزلة جائزة على الانبياء
او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته يقيد

مفضوليته وقت نبوته ولئن سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلا نسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فيصح لسترالكم ولن يكون المراد ان النهي مخصوص بالملائكة الخالدين دونكما كالقول الغيرة ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا او تكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية آدم ولا يلزم منه مفضولية جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم ط ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسيمة والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها

ك ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قوله فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق والمرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح ان يكون حجة يا وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا هب ان جنس الملك افضل من جنس بني آدم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الآخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهي حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب يب الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكن طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب افضليتهم في القرب والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها يج وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود يد يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف ولا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده يه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعوية ومنع من ان الواو تفيد الترتيب وعورض بتقديم تبت على الاخلاص يو ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوة الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه ولا تشريف بل تشريف الامة بذلك يز ان جبريل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان من الوصفين ورد بانه ان وصفه همنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا يح ان جبريل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الانبياء في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى والعلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم وان تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم يط ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوا امر الله لما خالفوه الا في ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم ك قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه وهذا يدل على ان الملاء الاعلى اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملاء الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه ا الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له طرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل ب الجواهر الروحانية برية من الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص واظهر اليقين ان في جهتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين ج انها برية من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها المنحصرة في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية د الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قدم في الوجود الا الله ولئن سلم انها وان كانت

ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها عوض ما علم كثير من المحققين ان النفوس البشرية ايضا ازلية بمباديها وكانت كالظلال
تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدأ الاول امرها بالنزول الى عالم الاجسام وشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام
عشقتها واستحكم الفها بها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد
من باب الحمامة المطوقة المذكور في كتاب كليلة ودمنة ه الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة
فاين احدهما من الآخر ورد بان الشرف عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين و الارواح السموية تفضل الارضية
بقوى العلم والعمل اما الاول فللاتفاق على احاطة الارواح السموية بالمغيبات وان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم
البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة
لا يلتذ بها كالتذاذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملك من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الغفلات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق
الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك
قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق وان اشتد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور بها
فهذه الحالة ليست للملك لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد ز الروحانيات
لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك
ترى الحامة اللطيفة تشق الصخرة الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر
انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الاعمال الصعاب ممنوع ولئن سلم فالارواح العلوية اقدر
ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم العالم السفلي لا فيما هو شر لهم واعترض بانه لا مانع من ان يتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية
على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف ح الملائكة لهم اختيارات فائضة عن انوار جلال الله متوجهة الى الخير والاختيارات
البشرية مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما تتوجه الى الخير باعانة الملك عليه السلام كما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده
ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر ط الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح
فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادئ لحصول الاختلافات في هذا العالم
فكذا ارواح العالم العلوي يجب ان تكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادئ لها فهذه هي الآثار وهناك
المنابع والمعادن فكيف يلتحق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى ي
الروحانيات الفلكية مبادئ لروحانيات هذا العالم ومعادنها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت
بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشيء ومصعده اشرف منه المبدأ والى المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم
حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد يا اليس ان الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملائكة يعينونهم في
المضايق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط ويوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء
مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الامر الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون الشيء وسيلة افضليته
يب القسمة العقلية بان الاخيار اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه شريرة

من وجه آخر وهم البشر فيحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت وهو الانسان والناطق غير المائت وهو الملك
والمائت غير الناطق وهي البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب القسمة
العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب بانه مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة العاملين بفضل الانبياء
على الملائكة ا ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لآدم وثبت ان آدم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بغاية التواضع للادون
مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت ب جعله خليفة له خلافة الولاية كما مر وخلق الدنيا متعة لبقائه والآخرة
مملكة لجزائه ولعن ابليس بسبب التكبر عليه وجعل الملائكة حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لذنوبهم وجميع
هذه المناصب تقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال ج انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم والاعلم افضل
د ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الآية دخلها التخصيص لانا نعلم انهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم ه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة من العالمين والتقريب ظاهر و عبادة
البشر اشق لان الآدمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملك ولان الآدمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي
الابصار والتحفي بالنظر المستغرق والملك متعلق بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولان يعرض للآدمي من الشبهات لكون الافلاك
والانجم اسبابا للحوادث اليومية ما يحتاج الى دفعها والملك صحت انهم يشاهدون عالم الملكوت آمنون من ذلك ولان الشيطان
مسلط على الآدمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر ز خلق للملك عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا
عقل وجمع الامرين للآدمي ثم اذا غلب هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب
ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين بالآخر ح الملك حفظة بني آدم والمحفوظ اعز من الحافظ ط روي ان جبريل
اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال
لو دنوت انملة لاحترقت ي قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل
واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيران له فهذا تمام الكلام من جهة
الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز ان يظن
انه عذر اينما [illegible] عن ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك انه ترك عليه
لا تقول فعني الا باتيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من
الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازال الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين
اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عند من يمنع الاحباط فلان خاتمته لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم
فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود
قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم لا ازلي على مساق حكمته اسولة الاول انه قد علم قبل
خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته

وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير
واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة
آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابع اذ خلقني وكلفني
بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر
الخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة آدم بعد ان لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم
وبقي خالدا في الجنة السادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم
فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا تؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك
بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا
كله فلم اذ استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال لاستراح الخلق مني وما بقي شر في العالم
اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك ما
تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم
فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسؤولون هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات
بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وليس يعدوها عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق
ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص واجل عنها بالتحقيق ان الذي ذكره
الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق
فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا
تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين
وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي
صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود
هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال صلى الله عليه وسلم جملة لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة
والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم
اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم
لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل المراد الكفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من
الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه
ولا لمجرد المعصية لا توجب الكفر عندنا ولو كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر
نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا
منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما ذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد

ومما يؤكد

ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال ان الله تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا
لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الآخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوه
في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الآية او ان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا
يصح ان يقال انه فرد من افراد الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثر
واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند الاكثر لان الجمع المحلى للعموم ويؤكده قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون وايضا الاستثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم
ملائكة الارض واستعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية
واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح ان هذا الامر مشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع بجميع
الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة
بالسجود وذلك انه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء
حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه ممنوع من تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل وهبت منك
الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالمقدمة لذلك فهو كما قال رجل لغيره اسكنتك داري لا تصير الدار ملكا له
واجمعوا على ان المراد بالزوج حواء وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ففي سائر القرآن ما يدل على ذلك وانها مخلوقة منه
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة
فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس
وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس
به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد
عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا
لعلمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فقيل فلما اراد آدم مد يده اليها منعته الملائكة
وقالوا اد مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد وآله قال ومن محمد قالوا من اولادك خاتم النبيين ولولاه لما خلقت
وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما
النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلا
الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخال الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال
ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم
الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب الخلد
ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها

لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد غضب الله عليه كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء لا يدخل
المكلف فيها بعد الحمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره
اولى لان ذكر النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبطا منها الى السماء الدنيا ثم منها الى الارض
وقال الجمهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود
بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن لعرض السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار
وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم
اي اي مكان من الجنة شئتما او اي زمان شئتما فان حيث قد يعبر بها عن زمان مجهول وانما قيل هاهنا وكلا بالواو وفي
الاعراف فكلا لان كل فعل عطف على شيء وكان بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى
في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي
الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان
المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف هاهنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول
ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في ولا تقربا للتنزيه او للتحريم الاول لان الصيغ وردت في كليهما والاصل عدم

الاصح

الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل او
الجواز لكن الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع
دليلا على التنزيه وهذا اولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم
قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة
والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سياتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب [illegible]
لسبب الاكل منها ومما يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان
الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة
من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا
وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما تشجر اي اخذ بعضه بعضا وكثرة
والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة
وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت
بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته فلا يظن به احد ان هاهنا
تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله
قوله فازلهما الشيطان الاية بحقيقة فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظ عن في هذه الاية كهي في قوله وما فعلته عن امري

فالضمير

فالضمير للشجرة وقيل لادهمهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ فازالهما فمن الزوال عن المكان
فما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا
في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرهم
اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة قالت الفضيلية انهم قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر
وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت
الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز عنه غير ممكن
واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطاء فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم واباه اخرون واما المتعلق بافعالهم
فالحشوية جوزوا الكبائر عليهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عليهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز
صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يواخذون به
وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا
ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت
بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم يصدر عنهم
الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه ا لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة لانه
قوله عز قائل يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وصغائر الرجل الكبير كبائر
ولا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة بالاجماع ب وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا ج وبتقدير اقدامه على
الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم لان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة د انه صلى الله عليه وسلم لو اتى
بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال هـ نعلم بالبديهة انه لا شيء اقبح من نبي
رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا للهوى حتى يستحق اللعن والعذاب و
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حينئذ من لا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ز انهم كانوا يسارعون
في الخيرات واللفظ للعموم فيشتمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي ح وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار الله يصطفي من
الملئكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب ط انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
والانبياء من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما ي ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي يا
الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب
الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا يب النبي افضل من الملك لما مر والملئكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى يج
اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به في ذنبه يد لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد

النبوة ثبت المطلوب ولئن كان عهد الامامة فالنبي اولى روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه
فقال رسول الله كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات افلا اصدقك في هذا القدر
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك الشهادة الا المخالف
تمسك في باب الاشراك بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجي في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية
ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي
قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الآخر لقوله ارني ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا اري الاستفهام بطريق
الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من
الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ
سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عن ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجي في تفسير
قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والجواب
سوف يجي في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف
من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لان الكلام دال على كونهم محفوظين عن التخبيط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهذا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجي
قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله في التعظيم لله * قالوا في الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان نوع
الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب
وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة
والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة
فاقدامه على الاكل لا يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا
بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فيأكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروي عن ابن عباس
لما اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم معلقة بشجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال
بل حياء منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى
احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب
عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ورفع القلم عن ثلث واجيب بالمنع من ان اقدامه على ذلك
الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه

نبي ان يكون م

لكان

لكان المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة لانه الي اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس فمن باب
الآحاد ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي لشدة الامر على الانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه ادخل كما يؤخذ الرجلان منكم وقيل ان حواء اسقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح
اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون مأذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا يسكر لا فيها غول والذاهبون
الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا وآدم
وكان كبيرة مع ان آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان يجري اعمال
القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب او فعل النهي عمدا لا يعتذر بدعوى
الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطا فيه
وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة تلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار
الى النوع كما روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضا ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله
الصلوة الا به واراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فمراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن ان النهي قد
ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا
حمل آدم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة
الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا ولئن عرفها ومع ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم تكن قرينة فلا يعد
مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا
هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة ولئن كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطاء ولئن قلنا
المصيب واحد فالمخطي فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا استعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان
آدم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما انضم اليها النسيان عذر
حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية وترتب التشديد دلت على الخطار فيها لان النبي قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل
وقد يحمل الخطاء في الاجتهاد من جهة ان آدم ظن ان النهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيحل لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل
كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم مع ان ابليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت اما لانه دخل في فم الحية خافيا عن الخزنة
ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى ولئن كان بعيدا عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم
ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما انه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة
وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على لسان بعض اتباعه لانهما
كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة ولاسناد الازلال والاخراج الى الشيطان لانه حصل
بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ومن الانتهاء الى
الذي لا يسال عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا

مكثين فلما لم ينفذ عدل الى اليمين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس تراهم يوسوسون الكر على
هذا الترتيب اعاذنا الله منهم ثم بعد ذلك عمل لئن لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقاهما
ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم بحقائق الامور اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس انهما في وقت واحد بناء على
ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لآدم وحواء في وقت وله في آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح
ان الخطاب لهما وذريتهما مرادة ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعلا كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها
وقوله فاما ياتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر واباحة الاشبه الاول لان مفارقة ما كانا من
النعيم الى دار المولان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال نفس الاهباط عقوبة
دا اول عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك وبعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم
لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والثاني ليس كعالم الاول الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار او موضع استقرار
حالتي الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيامة او حين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة
ولهذا لو قال انت طالق الى حين نقضت لحظة طلقت وفي قصة آدم وما جرى عليه عبرة عجيب وموعظة بليغة لمن ينبه في
اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در القائل شعر يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد
وعن فتح الموصلي كنا قوما من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر
تطلب الراحة في دار الفنا خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الآية اصل التلقي التعرض للقاء ثم
يوضع موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه
ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتقارضان عمله فيهما تقول لقيني ذاك وبلغته
واصابني خير او نالني واصبته او بلغته وتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى آدم
كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز ان يكون بمعنى التلقي من الرب لان الله تعالى عز في حقيقة التوبة لان المكلف لابد
ان يعرف حقيقة ماهية التوبة ويتمكن من تحصيلها بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية
على وجه آل امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكره نعمه العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القربة الى
التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن لكمل حالها وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وفي رواية عن ابن عباس
ان آدم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت
الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء امر الحج فحجا
فهي الكلمات التي تقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله
ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت

وقالت

وقالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين
استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى
الى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني الا غفرت ذنبه وكشفت همومه
وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي رحمه الله ان التوبة تتحقق من ثلاثة امور مترتبة
اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت
هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما
وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي
كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده
ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله تعالى
ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى
ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد
عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله وغفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى
المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى
الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمتنع من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع
الى رقة طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان والالطاف والرحمة والجود وان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا
من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى
وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود
الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء
آدم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذا لخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء واذا قال نبينا
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين
كاد يكون بالنسبة الى الرين دينا وذلك ان الغين شيء يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس
ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من
الخلاف والشقاق وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى
حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا

عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذكر الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان
القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت
البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت
صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لآدم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منهم مجرى
الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكا آدم الى ربه فقال يا رب
انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت
به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد منك ولدك
التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولها الندم على ما مضى
وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل ثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم
الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما
ذاق حلاوة المعاصي وكان احمد بن الحرب يقول يا صاحب الذنوب الم يان لك ان تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب
يا صاحب الذنوب انت بها في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة آدم
دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك على انها قد ذكرت في موضع آخر فقالا
ربنا ظلمنا انفسنا الآية قوله قلنا اهبطوا الآية فسل فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة
الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب
الهبوط الثاني اولى وايضا قوله فيهما [illegible] دل على ان الهبوط الثاني من الجنة والاوجه ان آدم وحواء لما اتيا بالزلة
امرا بالهبوط فتابا بعد الامر بالهبوط ووقع في قلبهما ان الامر بالهبوط ارتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان حكمه باق
تحقيقا للوعد المتقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو ان يكون التكرير للتاكيد ولما نيط به من
زيادة قوله فاما ياتينكم روي في الاخبار ان آدم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز
وابليس بالابلة من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم تلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا
بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة حتى تحصلت اسماء هذه المواضع من هذه المعاني
وما في اما مزيدة لتاكيد الشرط ولذا دخلت نون التوكيد والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع
بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه كلام الله [illegible]
يدخل فيه دليل العقل وكل كلام نزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة وكانه قال واذ قد اهبطتكم من الجنة الى الارض
فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما اهبط آدم الى الارض اوحى الله تعالى اليه
يا آدم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس
اما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة

واما التي

واما التي بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل رسول وكتاب بدليل والذين كفروا وكذبوا
باياتنا في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن
وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات
البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج
المعارف منها والعمل بها وجمع قوله ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله لاوليائه لان الخوف لا يحصل للنفس من توقع مكروه
او انتظار محذور وزواله يقتضي السلامة من جميع الآفات والحزن انما يعرض للنفس لفقد محبوب او فوات مطلوب
ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم
على حصول ما ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا
عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الموازين ولا عند الصراط لان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيامة
تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى وقوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وفي الحديث تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون
كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم
من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا
نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول امتي امتي مشهور قلت لا ريب ان وعد الله حق فمن وعده الامن يكون آمنا لا محالة الا ان
الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينضم له الى علم اليقين عين اليقين
وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة
فلا عمل الا بالاخلاص ولا علم بالاخلاص الا الله تعالى لانه من عمل القلب وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء
ولهذا جاء والمخلصون على خطر عظيم وكان داب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا
وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله
تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالآخرة
لان مجاري الامور في الدنيا لا تخلو من مواجب الخوف والحزن قال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل
قلت المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك المراد تصح نسبة العبودية وبالرضا
يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان وتثبت حقيقة الايمان والذين كفروا وجحدوا هم هواهم
وكذبوا باياتنا لا اتباعهم حكما لهم بحسب شهواتهم وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما مستمرا سواء كانوا من الانس او من الجن

التأويل انكم اسجدوا لله بالطبيعة الملكية الروحانية اسجدوا لآدم بخلاف الطبيعة تعبدًا ورقًا وانقيادًا للأمر
وامتثالًا للحكم اسجدوا له تعظيمًا لشأن خلافته وتكريمًا لفضيلته المخصوصة به فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لآدم لاجل آدم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابًا لكم ولا تزيد في درجاتكم ولكن فائدتها
تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويتأدب بآدابهم
في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور
والنور من شأنه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شأنها الاستعلاء طبعًا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على
آدم كما سمي ابليس لانه ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي احب لكل نعيم الجنة لاينبها وما كان لك فيها حق لانك ما
عملت بعد عملًا تستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة الواحدة منها وهي كلها لي وانا خلقتها فان طمعت فيها ايضًا فاعلم
ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم حرصه هل من مزيد ولا تمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه
اي سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وقيل لهما اقنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على انفسكما ولا تصطادا من قرية المحبة ما آة المحنة على رأسكما
ولا تقربا شجرة المحبة وقد غرست لاجلي في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي تقتضيه غاية
الجمال واضالو لم ينههما عنها فلعلهما ما فرغا لها لكثرة انواع المرادات النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيًا
فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وايضًا انه تعالى وضع لاسباب الانبساط اولًا ثم ضيق عليه
الامر آخرًا شعر وادنيتني حتى اذا ما فتنتني • بقول يحل العصم سهل الاباطح • تجافيت عني حين لا لي حيلة •
وغادرت ما غادرت من الجوانح • خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه
حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه وانبت شجرة المحبة من يده ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض
ايضًا كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى باقداح الكلام واذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيًا
حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال رب ارني عاقبه بسطوة لن تراني وذلك لان البلاء والولاء توأمان
والمحبة والمحنة رضيعا لبان والمطلوب كلما كان ادفع كان اعز وامنع والجمال لا بد له من الدلال وبه يتميز العاشق
الصادق من المدعي المحتال فلما ذاقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارض السالي
من المحب الغالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا • حديث كطيب المسك شيب به الخمر • فلما اضاء الصبح فرق بيننا
واي نعيم لا يكدره الدهر • وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمس بعد ان كان مسجود الملك محسود السماك السمك
مشمول الرعاية بنور العناية حتى نزع عنه لباس السرور والفراغ وبدل باستيناسه الاستيحاش يدفعونه الملائكة بعنف
ان اخرج من غير مكث ولا بحث فان لما يراد المقدر بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذبابة وقع في لطخ خرطوم
بدم تضح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شيء
واتخذا عدوًا بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما لزم انه لا يقبل الشركة في التعبد

كذلك

كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استقرت حبة المحبة في ارض قلب آدم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية ثمر المحبة
بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان داود
قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزًا مخفيًا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط
بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع ولمن ربى بذر المحبة بماء الطاعة والمتابعة فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم
يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى ذرى حظائر القدس والله ولي التوفيق

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

اي پسران يعقوب ياد آريد نيكوئي مرا انكه نيكوئي كردم بدان بر شما ووفا كنيد بايمان وطاعت من

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا

تا وفا كنم بجزاء آن وخاص از من بترسيد از من وبگرويد بانچه فرو فرستادم مطابق وموافق آن اصول

لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا

مر آن كتاب را كه با شماست ومباشيد نخست ناگرونده بدان وبدل مكنيد بعوض آيتهاء من بهاي را اندك

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

وخاص از من حذر كنيد از من ومياميزيد درست وراست را بنادرست وناراست وپنهان مداريد سخن حق را وحال آنكه شما

تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝

از اهل دانشيد وبپاي داريد نماز را وبدهيد حق خداي را از مال ونماز با ركوع كنيد با نماز كنندگان

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ

اي مي فرمائيد مردم را بكارهاء نيكو وفراموش ميكنيد نفسهاء خود را وحال آنكه شما مي خوانيد توريت را

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا

اي پس در نمي يابيد ويارى خواهيد از خداي از حوايج بشكيبائي ونماز را وبدرستى كه آن بار هر آينه گرانست

عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝

بر متواضعان آنانكه بيقين مى دانند كه ايشان رسنده اند بحضرت پروردگار ايشان وبدرستى كه ايشان بحكم او باز گردندگان اند

القراءة اسرائيل بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نعمتي وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد
عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوف في الخط عند رأس الآية وروى
سبح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافر بماله قتيبة واحمد بن فرج الوقوف
فارهبون ۝ ربع الجزء كافر به ص لاتفاق الجملتين وعلى قليلًا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون ۝ تعلمون ۝
الراكعين ۝ الكتاب ط تعقلون ۝ الصلوة ط الخاشعين ۝ لا لان الذين صفتهم راجعون ۝ التفسير انه تعالى
لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته

اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود امالة لشكيمتهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه
اخبارا بالغيب مندرجا في مطاوي ذلك ما يرشدهم الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم غير منصرف للعلمية والعجمة المعتبرة لقب له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق
في تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى
ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى
على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي يسقيهم ما شاؤا
واعطاهم عمودا من النور اضاءة لهم بالليل وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها
ان فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهي التورية والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم
اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة توجب الحياء من اظهار المخالفة
ومنها ان كثرة النعم تفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنهم كما
قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة
والنعمة على الآباء نعمة على الابناء اذ لولاهم لما بقي نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة
عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا
في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن يشبه اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا
تعالى اوفوا بعهدي اي بما عاهدتموني عليه واوف بعهدكم اي بما عاهدتكم عليه والمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان
بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن
ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه
واليه الاشارة في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار وفي الاعراف فسأكتبها للذين يتقون الآية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الآية وفي الصف واذ
قال عيسى بن مريم الآية وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا
فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به اي بالقرآن غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع
ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق
هذا في القرآن يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن
تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما ذكرتم

فكيف

فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه
واما لان هذا النص كان نصا خفيا لعدم تعين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه حكي في
الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين
قالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا
وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا
الكلام مبسوطة اليه بالخضوع خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في اوائل
العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم
ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا
رهبته اي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص وتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل
التكرير لاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو
وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيامة اكثر وبالعكس
يروى انه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة
ومن خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة
من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى
والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقرآن في التورية
والانجيل فكان الايمان بمحمد والقرآن تصديقا للتورية والانجيل وتكذيب محمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة ان شهادة كتب الانبياء لا تكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك
الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول
كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهاهنا سؤالان الاول كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم
الى الكفر به مشركو العرب وفي الجواب وجوه ا انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم
كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان
امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ب ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا
وانتم تعرفونه موصوفا في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له ج ولا تكونوا اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا
اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل د ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب
تكذيبكم بكتابكم ه المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر
من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق

احدهما على الآخر و ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة ز اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها
قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ح ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا
وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كانهم يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة
على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وآمنوا دلالة على ان كفرهم اولا وآخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا
لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا
الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه يكون عليكم
وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي ثمنا
قليلا ولهم فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام
وقيل الثمن هو الرشى التي يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي
فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكأنه امرهم بالرهبة على ان جواز
العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان تعين العقاب قائم قوله ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله
وآمنوا امر بترك الكفر والضلال واضلال الغير طريقان لان الغير ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله
بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا مجزوم بلا المقدرة للنهي عطفا
على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للصلة كقولك لبست الشيء بالشيء خلطته به وكان المعنى
ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كقولك كتبت بالقلم
فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وبالشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التوراة
والانجيل في امر محمد صلى الله عليه وسلم كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها
ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل يجوز ان يكون وتكتموا منصوبا
باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير
يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر جاز
الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد اطع احدهما للقرينة لان الاثم والكفر
وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيامة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي
عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لا يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه
ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه
ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرائع فقال واقيموا الصلوة
اي التي عرفتموها بوصف النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التأخير فقد
جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المأمور به ما هو

كما لو قال السيد لعبده اني آمرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني
ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب
لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال مأخوذ من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال
تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان
فيها ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الديار واما التي في الآخرة
فتستر العورة وتصير ظلا فوق الرأس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرائع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على
الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع
والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرائع
بناء على ما خصهم به من النعم ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح
في العقول والهمزة في أتأمرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو
طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها
وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها وقال ابن جريج تأمرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونها ابو مسلم كانوا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله
محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يأمرون من
نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتبعوه وقيل يأمرون غيرهم باتباع التورية
وانهم خالفوها لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم ما آمنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا
يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي
غير مكلف فكيف توجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب
اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة
القول العمل افلا تعقلون وهو تعجب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير افعلتم
ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القرآن فانها كثيرة وللتعجب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره من المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ
ولم يتعظ فكأنه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا
الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة على
المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه
فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر لستدلالا بهذه الآية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون. وبان الزاني يأمر المرأة بالتستر يقبح منه لمن ينكر عليها واجيب بان المكلف
مأمور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يستلزم الاخلال بالآخر والذم في الآية مرتب على الشق الثاني
وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا
يأمرون بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار رجلا يتأذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم
لا ينتفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة
على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ
بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل وروي ان يزيد
بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرئي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك
فقلت اما تستحييان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان لي من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله
فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ولما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرائع
وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض
بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة كانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقل طباعكم من قبول دين
محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا
ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر عظمة الله وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا
تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه
عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله
وانما قدم الصوم على الصلوة لان تأثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتأثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات وقيل المراد
بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب
وان كان خاصا ببني اسرائيل لئلا يتفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر
على تكاليفهما مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب وليستحضر العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات
والاسرار ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع البلايا وانكشاف الغموم والرزايا
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
في هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا جزاء
ربهم وانهم الى حكمه راجعون فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالجاحد اذ لم يعتقد في فعلها منفعة لا تواتيه طبيعته في
الاشتغال بها ولئن كان زمانا يسيرا فيثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز العظيم بالنعيم المقيم

والخلاص

والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي
حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان ومنها
الطمأنينة والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا
تفسيران احدهما انه بمعنى العلم يجوز لان الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر
فكيف يمدح به وبسبب هذا التجويز انما يتسرى كان في رجحان الاعتقاد ولئن فرقا بتجويز النقيض وعدم صحة اطلاق احدهما على الآخر
لا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقرب من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما
لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم لانه متوقع كل لحظة [illegible] عند
الموت لانه يقطع امله او لانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ويحتمل الظن ان معناه
على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله
بذنوبه فعند ذلك يسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ولشمول الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقتطع
بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر اتصال التماس
وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه
المجاز فان منع من ذلك مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت
الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي هذه الآية لا ضرورة فيحمل على الادراك اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حيث
لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق بخلاف ايام حياتهم في الدنيا فانه قد يملك
الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
اى فرزندان يعقوب ياد كنيد نعمت مرا كه انعام كردم بدان بر شما و آن كه من فزونى دادم شما را
عَلَى الْعَالَمِينَ ٥ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ
بر اهل زمانه شما و بترسيد از روزى كه بكار نيايد هيچ تنى از هيچ تنى ديگر هيچ چيز را و قبول نكنند
مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ٥
از آن نفس هيچ خواهشى و فرا نگيرند از آن نفس هيچ فدائى و نه ايشان يارى كرده شوند

القراءات ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف
العالمين ٥ ينصرون ٥ التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا

من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل
والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين وتقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة لقرينة العلم بانه لم ير
كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ
العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا
على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها
وقيل الخطاب لمومني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير في جميع ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب
لان الفضيلة بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب
روى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم واتقوا
اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقوله لا تجزي الى آخر الاية الجمل
منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه
فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار وبقي متصلا بالفعل ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا اي اصابوه
فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه والحق ان هذا التكلف لا يمشي في سائر الجمل بل
تعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي
ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في تقدير مصدر اي
قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى
وفي الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة لانها صرف من الحال الذميمة الى الحال الجيدة ولا فداء والضمير في ولا
يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة انها ان
جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي
عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يوخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس
الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل تنكير النفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب
شديد لانه اذا وقع احد في كربة وحاولت اعزته دفاع ذلك عنه بدات باقتنو بما لا يليق من مقتضى الحمية فتحمل
عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان راى من لا طاقة له بما نعته عاد
بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور
تعلل بالمكنة من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يرفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير
من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت مستدرك ولا شفاعة ولا نصرة
ولا فدية علم انه لا ينفع الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم

فان قيل قدم في هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع آخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة
في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يتروح الى
بذل المال ومنهم من على العكس فقدم الفدية على الشفاعة فتغير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم
ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا
فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رتبة الشفاعة في الآخرة وعليه يحمل قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم
فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب يبقى خالدا في النار ولا شفاعة له
ولسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والآيات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة
كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الآيات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له
نار جهنم خالدين فيها ابدا فخرج عن صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة
ان اليهود كانوا يدعون ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وسوف يجي سائر حجج الفريقين في الآيات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود
عام الفيض والنقصان من القابل وجائز ان لا يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول
ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وبين ذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فانها
لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملو من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط من واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف
وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه لا شفاعة الا له

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ

ویاد کنید آن وقت را که خلاص دادیم شما را از قوم فرعون رنج می نمودند شما را بترین عذاب می کشتند

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ

پسران شما را و زنده می گذاشتند زنان شما را و درین نجات نعمتی است از پروردگار شما بزرگ

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

و چون جدا کردانیدیم بسبب شما دریا را پس نجات دادیم شما را و غرق کردانیدیم فرعون را و قوم او را و شما

تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

مشاهده می کردید این حال را و چون وعده دادیم موسی را چهل شبانروز پس عبادت کردید گوساله را

مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ

پس از رفتن او بطور و شما ستمکار بودید پس عفو کردیم گناه را از شما پس از عبادت گوساله

فارقر

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

تا شما سپاس داری نمایید وچون دادیم ما موسی را توریت وآنچه جدا کند میان حق وباطل تا شما راه راست یابید

القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا منقوحتين الاصبهاني عن ورش وعزنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعن ابي عمرو وجهان لان جعله فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر ولان جعله على مفعل فالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل وتكون لكما الكبرياء والياء المكسور ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم ه تنظرون ه ظالمون ه تشكرون ه تهتدون ه التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة لتكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان وكذا واذ في جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه كانه تخلص من ان يعلوه سيل او لان الموضع تخلص مما انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء الى الهمزة على خلاف القياس ثم الى آل وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وانما يقال اهلهما وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره عند بعضهم على اويل كانهم يؤولون الى الاصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ويسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذابا من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها السدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف يشاء لا سيما اذا استعمل

في الاعمال

في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان تأخذه بهم رأفة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما تمنى الموت سئل عن حكيم اي شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم ومعناه يقتلون الذكور من اولادكم دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد ورجاء القوة في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احب وارغب من البنات ولهذا قيل شعر سرور ان ما لمماثلة حيوة البنين وموت البنات لقول النبي عليه السلام دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان وقال بعضهم المراد بالابناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات ومرجع المرأة من غير لفظها قالوا وانما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالآية الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون رأى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والا قدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا محتملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو انه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم ان ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد او نقول انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم عليه الصلوة والسلام واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بواو قلت الوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا باسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا آخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من

كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابرهيم من كلام موسى فعدّد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله
وذكرهم بايام الله وعن بعضهم ان معنى يستحيون يفتشون حياء المراة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه
تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي
تحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث عليهم اهلاك من حاول اهلاكهم
واذلال من بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا
محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتر وانقر محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء
فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينسى امر الآخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة واخلاقها
الردية تسوم الروح الشريف ذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة وتستحيي بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال
القذرة الحيوانية ولا نجيه من ذلك الا الله تعالى قوله واذ فرقنا نعمة اخرى في نعمه اي فصلنا من بعضه وبعض
حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثني عشرة ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين
الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقنا بسبب انجائكم او يكون حالا اي ملتبسا بكم روي انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط
وبلغ بهم الحال في معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر بني اسرائيل ان يستعيروا حلي القبط اما ليبقى خلفهم لاجل
المال واما للسعي اموالهم في ايديهم ثم نزل جبريل وقال اخرج ليلا كما قال تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا وكانوا ستمائة
الف كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي فوالله
ما صاح ليلة ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الي
ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله
فاتبعوهم مشرقين اي بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر قال له يوشع اين امر ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى
البحر فاقتحم يوشع فرسه في البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امر ربك
فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلاث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر
اثني عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهبت الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا
ودخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نراهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال
اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فتراأوا
وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ شاطئ البحر رأى ابليس واقفا فيها فهاب عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل
على مهر فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر
بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون قيل في ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام
ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان

يريهم

يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائتي الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد وانتم بالقرب
منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اعانوك تقول ذلك اذا قرب اهلك منه وان
كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه
صفات القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فينفلق بحر الدنيا بنفي لا اله ويتشكل ما في
شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى
القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الا الله الى ساحل ان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم
ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبته موسى بن عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا
القعدة وعشر ذي الحجة وانما قال اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقال اهل التحقيق لان الليل وقت العبادة
والخلوة تخصصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص
لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والخبر مذكور في الاطول في الاربعينات قال ابو العالية
وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير مضاف اي انقضاء اربعين
كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قرأ وواعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعده الوحي
ووعدهو المجي للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
تلك عشرة كاملة فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثم اتخذتم لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى وعد موسى حضور الميقات لانزال التورية عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتنويها للغائبين
واظهارا للدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التبعيد والتعجب
كما تقول اني احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه
ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل
قالوا تخذ يتخذ وقد اجري اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدا والخبر نحو جعل وصير فالتقدير
اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به ولذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا هذا الهكم واله موسى وقوله
من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب
والحلي استعاروها من القبط قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها
وكان السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر
تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت كانه الخوار فقال
هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وانتم ظالمون كما قال ان الشرك
لظلم عظيم وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم

اما الحال وامّا للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلاً يعبدونه قال صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة وقيل ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعادوه كانه قال ان هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية فكيف بهؤلاء الاخلاف الاجلاف وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحيّر العقلاء من الجهل والتقليد وما اوضح شأن الجهلة المقلّدة رضوا بان يكون العجل الهاً وما رضوا بان يكون البشر نبيّاً وقد تمحّل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التي تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ان السامري ألقى الى القوم ان موسى عليه الصلوة والسلام انما قدر على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروّج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب واطمعهم في ان يصيروا مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسّمة وحلولية فجوّزوا حلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلوات الرحمن عليهما فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيّهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اي حين تبتم بان تقتلوا انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مرّ في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبيّن هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الآية بيّن ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوّه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل آتينا موسى التورية ومحمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسّف

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ

وچون گفت موسى مر گروه خود را اى گروه من هر آينه شما ستم كرديد بر تنهاى خود بگرفتن شما معبودى گوساله را

فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ط ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ط

پس بازگرديد سوى پيدا آورنده شما پس بكشيد مر تنهاى خود را آن كشتن بهترست مر شما را نزد آفريننده شما

فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

پس قبول كرد خداى توبه شما هر آينه اوست توبه پذيرنده مهربان وچون گفتيد شما اى موسى هرگز باور نداريم ترا

حتى

حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ

تا ببينيم خداى را آشكارا معاينه پس گرفت شما را آن صاعقه هلاك كننده وحال آنكه شما مى نگريستيد پس زنده كرديم شما را از پس مرگ شما

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ط

تا مگر شما سپاس دارى كنيد وسايه بان ساختيم بر بالاى شما ابر را و فرو فرستاديم بر شما ترنجبين را و سمانه را

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ط وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝

و گفتيم كه بخوريد از حلالها آنچه روزى داديم شما را وستم نكردند بر ما كافران ولكن بودند بر خويشتن ستم مى كردند

القراءات بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وقرأ ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما ابو عمرو غير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلي نرى الله بكسر الراء روى ابن ادمي عن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء يستقبلها الف ولام مثل ونرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ۝ تنظرون ۝ تشكرون ۝ السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون ۝ التفسير انه سبحانه نبّههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلّصون منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حقهم ولكن الباقين وفي اعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وايضا لما بيّن ان توبتهم لم تتم الا بالقتل ظهر ان نعمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نعمة واحدة لانه لم يأمرهم بشيء من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلأن يرغب احدنا في مجرد الندم كان اولى وقد مرّ ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدّي ضرر فيتبيّن ههنا ان الضرر انما يعود على انفسهم فبذلك استحقوا العقاب الابدي والفرق بين الفاآت الثلث في الآية ان الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة معتبرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا لا تتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلوه ومعنى الى بارئكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم جملة معترضة تفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الآخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد واقع فليس في تحمل القتل الا التقدم والتأخر والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مرّ في الاسماء الذي خلق الخلق على

الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تعريض بما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم الذي براهم بلطف
حكمته على الاشكال المختلفة بريا من التفاوت ومناسبة الحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة
والغباوة فلاجرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من ذواتهم كانهم حيث لم يشكروا النعمة في ذلك
وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما تقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه
والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال او في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرين كقوله ولا تقتلوا
انفسكم ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل امر من لم يعبد
العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عليه السلام بالقتل اجابوا
فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثنى عشر الفا الذين
ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين للسيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم واتقوا
الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون آمين روي
ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فانكشفت
الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل
كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل
من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس
قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال
محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري ما قال
واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلام
فسال موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام
من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور
ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة
الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف
عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله
جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها
وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على
الحال يعني ذوي جهرة ومن قرا جهرة بفتح الهاء فاما انه مصدر كالغلبة واما انه جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم
ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل نار وقعت من السماء

فاحرقتهم

فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما
وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه
اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين
رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله
اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها
فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسكم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل
قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان ياتيه موسى في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت
من بقيتهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين
ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف
يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسال الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك
فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين
سالوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لانه خطاب
مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت
ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك
ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه الصلوة والسلام مع مشاهدتهم
لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه انما لا نظهر على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثلها لعلمنا بانا لو اظهرناها لجحدوها ولو جحدوها
لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتثبيت لفؤاده كي يصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو صحت لكان اولى
الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا
يرتدون كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته
ومنها انه اخبر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن هذه القضية مع كونه اميا تبين ان ذلك من قبل الوحي بقي
ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امرا جائز الوقوع لم تنزل
بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا النقل من فوت الى فوم في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب
بان امتناع رؤيته تعالى في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته تقتضي زوال التكليف
عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا نمنع

لان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاء الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الاولى غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما سيجي في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ضوء نار وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين من الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا ازيد ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد مجاهد المن صمغ حلو وهب هو الخبز السميذ الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكماة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر احمر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلال ان ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في ال عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم

وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا

وچون گفتیم ما در روید درون دیه بیت المقدس پس بخورید ازو هر کجا خواهید خوردنی خوش

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ

و در آیید در در سجده کنندگان و گویید حط از ما گناهان ما تا بیامرزیم برای شما گناهان شما را

وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

و زود بود که بیفزاییم نیکوکاران را ثواب پس بدل کردند آنانکه ستم کردند بر خود سخنی را جز آنکه گفته شد ایشان را

فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝

پس فرو فرستادیم بر آنانکه ستم کردند بر خود عذابی را از سوی آسمان بسبب آنکه بودند که بیرون می آمدند از فرمان خدای تعالی

القراءة تغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وجبلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء نغفر لكم مدغما كالقرى ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة علي قولا غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم ط المحسنين ۝ يفسقون ۝ التفسير القرية مجتمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة

البيا

اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث تقولان ظبيي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر

شكا الي جملي طول السرى ۝ يا جملي ليس الي المشتكى ۝ صبر جميل فكلانا مبتلى ۝ والاصل صبرا اي اصبر صبرا كان القوم امروا ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزم ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الخطاء فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله عنه ليزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويجتنبوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراآت في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطء الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطايئ بياء ثم بهمزة ابدلت الهمزة الفا فانفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا او سعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن بها نزيده على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخر زدنا لكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن يخطئ تصير الكلمة سببا لغفرانه ومن يحسن تصير سببا لزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحدهما بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول

والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله
وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به
لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة
حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمراء
استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على
استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال
الرجز عليهم لظلمهم وهو انهم وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة
وعشرون الفا في ساعة واحدة قال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى مات من الغداة الى العشي عشرون
الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل
الامر النازل من عند الله تفظيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد
بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل وانزال
الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال
التكرير ولان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا تتصور فيها الاستمرار فلو كان
المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ
التمجيد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها
واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول آخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا
الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الآية يتناول كل من بدل قولا بقول آخر
سواء اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا اسولة لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه
صرح بالقائل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام
ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال
في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو لما يتاتى في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة
خطاياكم وفي الاعراف قرئت خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف
القول ههنا الى نفسه وكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال
على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب
واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك

ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد
لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين
احدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة
جزاء المجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة
بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر سيزاد فحذف الواو ليكون استينافا
للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين
ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار آخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر
في اول الآيات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك ولم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا
لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالآخرة
وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب ولم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في
البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله فوصفهم بالامرين في موضعين

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
وچون آب طلبید موسی برای گروه خود پس گفتیم بزن بعصای تو سنگ را پس روان شد از آن سنگ دوازده
عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا
چشمه بتحقیق دانست هر مردی جای آب خوردن خود را بخورید و بیاشامید از روزی خدای و تباهی مکنید
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ
در زمین تباهی کنندگان و چون گفتید شما ای موسی هرگز صبر نکنیم بر خوردنی یگانه
فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
پس بخوان برای ما پروردگار را تا بیرون آرد برای ما از آنچه می رویاند زمین از تره آن و خیار آن
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي
و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت موسی آیا بدل میکنید آن را که فروتر است بآنکه
هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
آن بهتر است فرود آیید بشهری از شهرها که هر آینه شمار است آنچه خواستید و لازم کرده شد بر ایشان خواری
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
و بیچارگی و سزاوار گشتند بارادت انتقامی از خدای این گرفتاری مستحق غضب بسبب آنکه ایشان نمی گرویدند بآیتهای خدای
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝
و می کشتند پیغمبران را بی استحقاق این گفتیم بسبب آنکه نافرمانی کردند و بودند از حد در میگذشتند

القراءة عاشرة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتح فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمز نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا فوري اسمعيل وقالون عنه بغير همز **الوقوف** الحجر ط الحق المحذوف اي فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ه وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤول اليه حالهم من الله ط بغير الحق ط يعتدون ه **التفسير** جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران تسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الفوقاني ومقابله واما الضرب فقيل يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخروجه عليهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا تناقض كما لا تناقض بين المطلق والمقيد والعام والخاص او لعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه او لعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اي كل سبط منهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي وقلنا او وقال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقناكم بلا تعب ولا نصب واشربوا

من

من هذا الماء وقيل لان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم الماكول والمشروب ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان يكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال مستقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بانه ان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا يبالغوا في التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قول عمر من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قوله تعالى جاثيا وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو اقاعدا وقد سار الركب بقي في الآية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فانه ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز انعقاد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه انس انه اتي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ذلك اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد **قال** اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب بمثابة موسى وقومه واذ يستسقي ربه لا رواء لهما من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله وله شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس في حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستقي في حظه بحسب مشربه **قوله** سبحانه واذ قلتم يا موسى الآية زعم بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان الا يجال للمكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا صفوا ولا سيما اذا كان المسؤول ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم فقال اتستبدلون وقال الآخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى والانفجار امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فنزعوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من خلاق وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من اطايب البقول التي ياكلها الناس والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو للعدس والبصل اوفق وقال بعضهم الفوم

الحمص لغة شامية وقال هو الحنطة ومنه قولهم فوّموا لنا اى اختبزوا وقال الفرّاء هى لغة قديمة الذى هو ادنى
اى اقرب منزلة وادون مقدارا كقولهم فى ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا
اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين
اثنا عشر فرسخا فى ثمانية ومصر اما مصر فرعون والتنوين فيه فى القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه
كما فى نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من الامصار كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اى بلد كان لتجدوا فيه هذه
الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بنى اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان يبين مآل حالهم ليكون عبرة
للنظار وتبصرة لاولى الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزى والهوان فقال وضربت عليهم
الذلة اى جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب
كما يضرب الطين على الحائط فيلتصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
هذا حالهم فى الدنيا واما حالهم فى العقبى فذلك قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل
به لمساواته له ومكافاته اى صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه ذلك الذى ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والحلاقة بالغضب
بسبب كفرهم بآيات الله اى القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اى من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الآتى بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة
عنت له وقد يأتى به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثانى اقبح وادخل فى الحجة الفحشاء وكررنا ليكد نحو ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعى الاله الثانى برهان والنبى بالهمز فعيل بمعنى فاعل من نبأ بالتخفيف اى
اخبر لانه نبأ عن الله قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز فى النبى كما
تركوا فى الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون فى غيرها ويخالفون العرب فى ذلك
وقيل نبأ انتقل من ارض الى ارض اى خرج منها الى اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابى بقوله يا نبئ الله اى خرج من مكة الى المدينة
فانكر عليه الهمز وقيل النبى بلا ادغام من النبوة وهى ما ارتفع من الارض اى انه شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول
والجمع انبياء وعلى الاول انما جمع على انبياء لان الهمز لما ابدل والزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف العلة ذلك بما
عصوا تاكيد بتكرير الشىء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتنى
وخالفت امرى هذا بما تجرأت على واغتررت بحلمى ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهم انهمكوا فى العصيان
والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او بكون الباء بمعنى مع اى ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا
سائر انواع المعاصى واعتدوا حدود الله فى كل شىء وقيل هو اعتداؤهم فى السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال
العقوبة بهم بين سبب ذلك اولا بما فعلوه فى حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه فى العظم وهو
قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصى المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك فى نهاية الترتيب وقيل

الاول

الاول البشارة الى متقدميهم والثانى اشارة الى من كان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانه تعالى بين سبب ما نزل بالقوم
من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفى آل عمران
ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذى يوجب القتل ما فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل
دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق
المنكر فالمراد تاكيد العموم اى لم يكن هناك حق لا هذا الذى يعرفه المسلمون ولا غيره البتة والله تعالى اعلم

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا

مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝

القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وورش من طريق النجارى والحلوانى عن هبيرة
وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى ونوادى واوارى
كلها بامالة ما قبل الالف والصابين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة فى الوقف ولين شاء لين الهمزة الوقوف
عند ربهم ج لنوع عدول عن اثبات الى نفى مع اتفاق الجملتين يحزنون ۝ الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا
تتقون ۝ من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ۝ خاسئين ۝ ج للاية والعطف بالفاء
المتقين ۝ التفسير قد انجر الكلام فى الآى المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب ومن يقفو آثارهم فقرن به
ما تضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون ههنا
لان قوله فى آخر الآية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس
المراد الذين آمنوا قبل مبعث محمد وعيسى عليهما الصلوة والسلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة
وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وابى ذر الغفارى كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم

والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين
هادوا انتقلوا يقال هاد يهود وتهوّد اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل
الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي فكانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى
والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا
عن ابن عباس وقيل نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التورية واشتقاق
النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزل بها عيسى عليه السلام قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة
بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ومؤنثه نصرانة والياء في
نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمز اشتقاقه من صبأ الرجل صبوءا اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب
يسمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم صابئا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس
لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب انهم
قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها
قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي
الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم صلوات الرحمن عليه
فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد
فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب على
انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من او الذين معنى الشرط قال اهل البرهان قدم النصارى
على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم
في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة
لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النقم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على
وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من
الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فرأوا
ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبرئيل بقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى
ان قبلتم والا القي عليكم فحينئذ قبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من صلب آدم
واشهدهم على انفسهم والثاني انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم
للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او لان الميثاق شيء واحد اخذه من كل واحد منكم ~~او لان الميثاق شيء واحد اخذه من~~
كل واحد منهم ولو قال مواثيقكم لاشتبه ان يكون لكل منهم مواثيق آخر والواو في ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما

على رافع

على رفع الجبل كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا
الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا وعن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي
وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل
في الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متغافلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا
تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذي هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن
الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير من بعد ذلك اي من بعد القبول والالتزام
قال القفال قد نعلم في الجملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل بها وقتلوا
الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم
ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي
في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التورية التي يقرونها
ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم
ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكتاب وجحودهم الحق وحاله في كتابهم وبينهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم
وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان
الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله
ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي
لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم
قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا تكاد تدخل الماضي بدون قد لانها لتأكيد مضمون الجملة الاسمية
نحو لزيد قائم او لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد ولكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير الماضي كالمضارع مع تناسب
معنى قد ومعنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين بتقدير القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام
بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء
لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة
فلما طال العهد استن الابناء سنة الآباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في
السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا فربما نزل
بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد

في الحياض

علم اعتدآء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزآء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد
مع الاستحلال وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد وعن مجاهد انه مسخ
قلوبهم يعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاد للمتعلم البليد
الذى لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع
حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو
جوزنا ذلك لم نامن فى كل ما نراه قردا او كلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك فى المشاهدات واجيب بان الانسان ليس
هذا الهيكل المتبدل بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع البدن او جزء فى جانب من البدن كقلب او دماغ
او مجرد كما هو قول الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشىء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا
التاويل يحمل ما فى الملك الذى يكون جثته فى غاية العظم لم يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة
والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلق وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر
الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التى
فى زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اى
المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت او هذه الامة نكالا عقوبة شديدة رادعة عن الاقدام على المعصية
والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس من التشفى واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها
عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها
الى الآخرين فيعتبرون او لمن بحضرتها ما يحضرتها من القرى والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل
هذا الفعل وبعده هكذا قاله بعضهم والاولى عندى ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة
ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم فى حكم المرتكبين ولا يلزم من ذلك تجويز
العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتبارى والعقوبة فى نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزدد لاجل الذنب
المتاخر فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب
مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة
للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل
للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم ٥

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ط قَالُوٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا

قال

قَالَ اَعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٥ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ
قَالَ اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ ط فَافْعَلُوا
مَا تُؤْمَرُونَ ٥ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ط قَالَ اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ٥ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ
اِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ط وَاِنَّآ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ ٥ قَالَ اِنَّهٗ يَقُولُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْاَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ط فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٥ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّٰرَءْتُمْ فِيهَا ط وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ٥ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ط كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ اٰيَاتِهٖ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٥ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً ط وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهَارُ ط وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ ط وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ط وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٥

القراءة يامركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجموع من دولت الراء هزوا ساكنة الزاى مهموزة
حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة فى الوقف لمكان الخط وقرا حفص عن الحراز
مثقلا غير مهموز الباقى مثقلا مهموزا حيث وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة فى الوقف فادارءتم بغير همزة
ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف
بقرة ط هزوا ط الجاهلين ٥ نصف الجزء ما هى ط ولا بكر ط لان التقدير هى عوان بين ذلك ط على التقدير فتبين لكم

فافعلوا ما تؤمرون ه ما لونها ط صفراء لا الى آخر الآية لأن الجملة صفة بعد صفة الناظرين ه ما هي لا لأن التقدير
فإن البقر أو لأن البقر تشابه علينا ط لمهتدون ه الحرث ج لأن قوله مسلّمة صفة بقرة أو خبر
محذوف أي هي مسلّمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لأن التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ه
فادّارأتم فيها ط تكتمون ه ج للآية والفاء بعدها ببعضها ط لأن التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي
الله تعقلون ه قسوة ط الأنهار ط الماء ط خشية الله ط لتفصيل دلائل القدرة تعملون ه التفسير

الموتى م

عن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريباً له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك إلى موسى
عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى إليه أن الله
يأمركم أن تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على أنفسهم بالاستفهام حالاً بعد حال واستقصوا في طلب
الوصف فلما تعينت لم يجدوها بذلك النعت إلا عند يتيم وذلك أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها
الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برًّا بوالديه فشبّت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموا
اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين
سنة فذبحوها وأمر موسى عليه السلام أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيًّا وسمّى لهم قاتله
وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قوداً واعلم أن تأخر البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق إلا عند مجوّز تكليف
ما لا يطاق وأما تأخيره إلى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوّزون استدلوا بالآية قالوا أمروا بذبح بقرة معيّنة
بدليل تعيينها بسؤالهم آخراً وبدليل أنه لم يؤمر بمتجدد بل المأمور في الثانية هو المأمور في الأولى بالاتفاق وبدليل
المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا إنما أمروا أولاً ببقرة منكّرة بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في أن المراد بقرة
غير معينة وبدليل قول ابن عباس لو ذبحوا أي بقرة ما أجزأهم ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم وبدليل التعنيف
في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال وأجيب بأن ترك الظاهر
يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز أن يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول البيان
التام وتفرّع على قول المانعين أن التكليف يكون متغايراً فكلفوا في الأول أي بقرة كانت وثانياً أن تكون
لا فارض ولا بكر بل عوان فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا أن تكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا أن تكون لا ذلول تثير
الأرض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب فمنهم من قال في التكليف الواقع آخراً يجب أن يكون مستوفياً
كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الأخيرة لا فارض ولا بكر وصفراء فاقع لونها ومنهم من يقول
إنما يجب كونها بالصفة الأخيرة فقط وهذا أشبه بظاهر الكلام إذا كان تكليفاً بعد تكليف وإن كان الأول
أشبه بالروايات وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال وإذا ثبت أن البيان لا يتأخر وأنه تكليف بعد تكليف
دل على أن الأسهل قد ينسخ بالأشق فإن المربي لولده قد يأمر بالسهل اختباراً فإذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة
في أن يأمره بالصعب ويدل أيضاً على جواز النسخ قبل الفعل وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء

ويدل

ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عليه السلام ويدل أيضاً على أن الزيادة في الخطاب نسخ له أتتخذنا هزواً الاستفهام بمعنى
الإنكار ومعناه أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو مهزوءاً بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء كأن القوم ظنوا
أنه يداعبهم لأن من المحتمل أن موسى عليه السلام أمرهم بذبح البقرة وما أعلمهم أنهم إذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها
صار حيًّا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل أنه وإن كان قد بيّن لهم كيفية الحال إلا أنهم تعجبوا من أن
القتيل كيف يحيى بأن يضرب ببعض أجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لأنهم إن شكّوا
في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فقد كفروا وإن شكّوا في أن الذي أمرهم به موسى عليه السلام هل هو بأمر الله فقد جوّزوا الكذب
على موسى في الوحي وذلك أيضاً كفر وعن آخرين أنه لا يوجب الكفر لأن المداعبة على الأنبياء جائزة فلعلهم ظنوا أنه يداعبهم
مداعبة حقة أو المراد ما أعجب هذا الجواب كأنك تستهزئ بنا لا أنهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين
إطلاق لاسم السبب على المسبَّب فإن الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك
كما يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى أو أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين بما في الاستهزاء
من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلاً فإن الجهل ضد الحلم كما أنه ضد العلم
ثم إن قيل إن المأمور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لأن المأمور به لما كان
مجملاً حسن الاستفسار والاستعلام أما قول القائل إنها للعموم فلا بد من بيان أن ما الذي حملهم على هذا الاستفسار
فذكروا وجوهاً أحدها أنه لما أخبرهم بأن البقرة تحيي تعجبوا وظنوا أن البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا تكون إلا بقرة
معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصي بتلك الخواص إلا أن القوم
كانوا مخطئين في ذلك لأن هذه الآية العجيبة لم تكن خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى
أو لعل القوم أرادوا قتل أي بقرة كانت إلا أن القاتل خاف من الفضيحة فألقى شبهة في البين وقال المأمور به
بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا إلى موسى أو الخطاب وإن أفاد العموم إلا أن القوم أرادوا
الاحتياط فسألوا لمزيد البيان وإزالة الاحتمال إلا أن المصلحة تغيرت واقتضت الأمر بذبح البقرة المعينة فإن قيل
السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم إلا بأجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالأوصاف الخارجة
لا يكون مطابقاً للسؤال قلنا من البيّن أن مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فإن ذلك كالمفروغ
منه عندهم وإنما وقع السؤال عن المشخصات فالظاهر يقتضي أن يقال بأي بقرة هي فإن مطلب أيّ السؤال عن
الصفات الذاتية أو الخواص فسبب العدول إما إقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فإن الشخص من حيث
هو شخص حقيقة أيضاً فقد يطلب تصورها وإما لأنهم تصوروا أن البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وإن كانت صورتها موافقة لصورتها وإما لأن السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو إنما يكون إذا
كان طالباً للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب أن يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضاً
فهي فارض كطالق كأنها فرضت سنّها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية وكان الأظهر أنها التي لم تلد

كما في الانسان والعولز النصف قال نواعم من ابكار وعون شعر فان أتوك وقالوا انها نصف
فان اطيب نصفيها الذى ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة
الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على المفرد ذلك مع
انه يدخل على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مونثين
وهو للاشارة الى واحد مذكر على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اى ما تؤمرونه مثل امرتك
الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مامور كم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم
كمال حالها في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع لشدة ما يكون من الصفرة تعالى في التوكيد اصفر فاقع
مثل اسود حالك واحمر قانى وارتفع اللون على انه فاعل سيبنى لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء
فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها
مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها
والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شئ لذيذ او نافع وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله
مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو لم
يقولوا ان شاء الله لحيل بينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة
بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وارادته الرمدية ما شاء الله كان وما لم يشاء
لم يكن والمعنى انا ان شاء الله نهتدى للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التى بها تمتاز عما عداها
او انا ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان نهتدى لها او انا ان شاء الله على هدى في استقصاء
السؤال اى نرجو ان لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا البحث او انا ان شاء الله نهتدى للقاتل لا ذلول صفة لبقرة
مثل لا فارض اى بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث
لا الاولى للنفى والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية والذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر
والمونث تقول رجل صبور وامراة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل
وحشية مرسلة عن الحبس او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها
كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اى لا لون فيها يخالف سائر لونها فهى صفراء كلها
حتى قرنها وظلفها وهى في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر واصلها وشية حذفت فاؤها كما
في عدة وزنة الآن اسم للوقت الذى انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف

لانه ليس له ما يشركه وهو آتى جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وما بقى اشكال في امرها فحصلوا البقرة
الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو القطع الى العنق وهو المستحب في البقر والغنم والنحر هو قطع اللبة
اسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعى في الحالين قطع الحلقوم والمرئ لكن عنق الابل طويل فاذا قطع
اعلاه يبطاء الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون لتبطائهم
وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل الفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرا
بعضهم بعضا اى يدفعه ويزحمه او ينفى كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة
والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فيها الى القتلة المدلول عليه من
قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله
وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص
لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الى زواله سبيلا وان ما يسره العبد
من خير او شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا
لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تأويل الشخص او الانسان
ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل فخذها
اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين
والظاهر انهم كانوا مخيرين من اى بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيى
فقلنا كذلك يحيى الله الموتى روى انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان
وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعى
رضى الله عنه ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغى او غير مستحق عمدا كان او خطاء وعند
ابى حنيفة رضى الله عنه لا يورث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغى فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه
من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اى يحيى الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام امام الذين حضروا حيوة
القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم
اليقين واما ان يكون مع منكرى البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد
تقدير فضربوه فحيى ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شئ فدلالة هذه القضية على وجود الصانع القادر على
كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام آية ودلالتها على صدق موسى عليه السلام آية ودلالتها

على براءة ساحة من سوى القاتل آية و دلالتهما على حشر الاموات آية فهي ولئن كانت واحدة الا انها في الحقيقة
آيات عدة ويمكن ان يراد بالآيات غير هذه اي مثل هذه الاراءة يريكم سائر الآيات كان مثل هذا الاحياء يحيي سائر
الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه بتبعيده كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون
على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للمخصصات في ذلك فان قيل
ما الفائدة في ضرب المقتول بعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة ابعد
فقد كان الملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة
عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار
بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل تشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال اوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والاشفاق على الاولاد
وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب ان يكون من احسن ما يتقرب
في السن حسن اللون بريئا من العيوب ثم شافيا لن تنالوا مما تحبون واضحايا كم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل
هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة
ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال اولا وبقتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية
ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله
ثم قست قلوبكم الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم
من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددنا من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد
القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ
فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة
ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا
وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى
الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف
هذا الراجح لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او هنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك في شيء وانما
هي للتخيير بانها شئت شبهت فكنت صدوقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في
شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء
الغزير وان منها الذي يتشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة
يجتمع في باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا تنفست وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها
ولا يزال تتواتر مددها الى ان تنشق الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا تترشح

للحق

للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الدلائل وان منها لما يشقق فادغم التاء في الشين
كقولهم يذكرون في يتذكرون لما يهبط الذي يتردى من اعلى الجبل وذلك من خشية الله انه تعالى خلق فيها الحيوة والعقل
والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم واما ان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما
يريد بها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنشق ولا تنزل من اجل ان يحصل خشية
الله في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء
القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا والآخرة فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى
بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم

التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر
موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي موت بالارادة
تحيى بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحى بالحقيقة ماهي اية بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق
لا فارض في سن الشيخوخة فتعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد
ولا بكر في سن شرخ الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين
فانها سيماء الصالحين لا ذلول تثير الارض لا تحملها ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها وشهواتها
ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة
من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون لمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه
واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس الامارة فقلنا
اضربوه ببعضها اضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فيحيى باذن الله
عز وجل وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة
فالتي يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشتهية
بحرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات
عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي
يهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها
الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم
وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وتمردهم واستدراجهم والمسلمون
مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف عليه الصلوة والسلام

لولا ان رأى برهان ربه سئل الحسين بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والله اعلم

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ
آیا طمع می دارید شما که ایمان آرند برای شما و بتحقیق هست گروهی از ایشان که می شنوند سخن خدا را که توریة است
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا
پس تحریف می کردند آنرا از بعد آنکه ضبط کردند آنرا و حال آنکه ایشان میدانند کذب خود را و چون ملاقات کنند آنانرا که ایمان آوردند
قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
گویند ایمان آوردیم و چون خالی شود بعضی از ایشان که منافق اند با بعضی که منافق نیستند گویند منافقانرا آیا خبر می دهید ایشانرا بدانچه گشاده کرد
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
خدای بر شما از نعت محمد تا حجت گویند بدان با شما نزد پروردگار شما آیا در نمی یابید آیا نمی دانند که بدرستی خدای
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ
میداند آنچه پنهان می دارند و آنچه آشکارا می کنند و از ایشان اند جماعتی نانویسنده و ناخوانده که نمی دانند توریت را مگر آرزوهای دروغ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
و نیستند ایشان مگر گمان می برند پس وای مر آنانرا که می نویسند توریت را بدستهای خود پس می گویند
هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
این محرف از نزد خدای است تا بدل کنند آن مکتوب بهای اندک را پس وای مر ایشانرا از آنچه نوشتند دستهای ایشان
وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ
و وای ایشانرا از آنچه کسب می کنند از رشوت و گفتند هرگز نرسد ما را آتش مگر روزهای چند شمرده مدت عبادت عجل
قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝
بگو آیا گرفتید شما نزد خدای عهدی را که هرگز خلاف نکند خدا وعده خود را یا می گوئید بر خدای آنچه نمی دانید
بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
آری هر که بپیوندد بدی را و گرد در آید بدو گناه کبیره او پس آنان ملازمان آتش اند که ایشان در آنجا
خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝
جاوید باشند و آنانکه ایمان آوردند و کردند کارهای نیکو آن جماعت ملازمان بهشت اند ایشان در بهشت جاوید باشند

القراءة: الا اماني حيث كان خفيفا يزيد الاولى تلك امانيهم وليس باماينكم ولا اماني وغيرهم الاماني فان ابن عمرو بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف: يعلمون ۝ آمنا ج والوصل اجوز لبيان حاليهما المتناقضتين وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون ۝ يعلنون ۝ يظنون ۝ قليلا ط يكسبون ۝ معدودة ط ما لا تعلمون ۝ النار ج لان الجملة

مبتدا

مبتدا وخبر بعد خبر خالدون ۝ الجنة ج خالدون ۝ التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وآية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان ولم يفلح ابوه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا اي اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه او قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيه اي دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيامة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ارخت عليك عند الله وانت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل ليصيروا محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني جمع واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه والاماني ان اليهود ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم

وما يُمنّيهم الأحبار من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل الأماني الأكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد قال هذا شيء رويته أو تمنيته أي اختلقته وذكر أن المختلق يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل الا ما يقرأون من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال تمنى كتاب الله أول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر والقارئ مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كأنه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل وعلى الأول يكون الاستثناء منقطعاً ومن قرأ أماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح وإن هم إلا يظنون كالمحقق لما تقدم من قوله لا يعلمون الكتاب الا أماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لأهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على أنهم في الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن إن كان متمكناً من العلم ولا سيما في أصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب عن ابن عباس انه العذاب الأليم وعن الثوري صديد أهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بأيديهم تأكيد كالقول المنكر هذا مما كتبته يمينك حكى عنهم أمرين كتبة الكتاب وإسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني أبلغ و لهذا جيء بثم وقوله ليشتروا به ثمناً قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالأجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم أي مما أسلفت من كتبة ما لم يكن بجعلهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفي إعادة الويل في الكسب دليل على أن الوعيد كان يلحقهم بسبب الكتبة وإسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب أخذ المال عليه لعلمهم أن أخذ المال على الباطل محرم وإن كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا النار نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم الا أياماً قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل سمعياً فلا يجزم به عاقل والأيام المعدودة قالوا أربعون يوماً هي أيام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً وان يوماً عند الله كألف سنة وأيام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الأيام مضت ومضين والعهد ههنا يجري مجرى الوعد وهو الخبر بأن جزم سبحانه كالعهود المؤكدة تارة بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر أنقص النقائص فان قيل هب أن الخلف في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكريم طريقاً آخر سوى هذا فتأمل وأم إما متصلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون كأنه أعرض عن الاستفهام الأول واستأنف سؤالاً ثانياً فالاستفهام الأول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير التقريع الإثبات وفي الآية تنبيه على أن

القول

القول بغير دليل باطل وأن كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الإثبات أو الى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لأنه لما دل الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المسند الى القياس أو الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوماً فكان القول به قولاً بالمعلوم بلى إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد أهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة فقالوا لن نعذب في النار الا ما وجدنا في التوراة فاذا كان يوم القيامة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزنة أهل النار يا أعداء الله زعمتم أنكم لن تعذبوا في النار الا أياماً معدودة فقد انقضى العدد وبقي الأبد قلت وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلين بأن الأرواح وان صارت مكدرة بقبائح أفعال الأشباح الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى أصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الأعمال الا أياماً معدودة بقدر فطام الأرواح عن لبان التمتعات الحيوانية ثم تخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ونعيم من زعم أن استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس وتتكدر بالأخلاق الذميمة البهيمية والسبعية وكيف تصفو وتتطهر بالأخلاق الحميدة الروحانية الملكية فقد يصدأ مرآة القلب بحيث لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها مرور الدهور وكرور الأعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الأخلاق فيبقى خالداً مخلداً في النار فيا ويلاه ويا طول زفيره وعويله نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا والسيئة أصلها سيوئة من ساء يسوء سوءاً ومساءة فقلبت الواو ياء وأدغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة تتناول جميع المعاصي صغرت أو كبرت فضم اليها شرطاً آخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة ولفظ الإحاطة حقيقة في المجسمات كإحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة أن المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة أن الكبيرة تحبط الطاعات وتستولي عليها إحاطة العدو بالإنسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والآية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولهذا تمسك المعتزلة في إثبات الوعيد لأصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فبه تحقق الإحاطة التامة واعلم أن في المسألة خلافاً فأهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم إما مؤبداً وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج وإما منقطعاً وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بأنه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والإمامية القطع بأنه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وأنه اذا عذب أحداً فلا يعذبه أبداً لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين أما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً ومن الحديث من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في آنية الذهب

والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض من دخل ولا يلزم منه تكرر ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اولئك حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد وايضا القرآن مملوء من قوله تعالى عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر واصل ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح وهو الكفر فلا يعدم ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي المكي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب اقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من الحليين لان فعله منزه عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن آمنك حتى تبلغ

وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ اِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ

تشهدون

تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ اَنْتُمْ هٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاِنْ يَاْتُوكُمْ اُسَارٰى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ اِخْرَاجُهُمْ اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ اِلٰٓى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝

القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد ووجهه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف لسارى منهما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي والبخاري عن ورش والخزاز عن هبيرة الباقون اسارى منهما تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء لان آخر الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي ومع ذلك توليتم معرضون ۝ تشهدون ۝ من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه استئنافا وكونه حالا اوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط تعملون ۝ بالآخرة ز لان الفعل مستأنف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون ۝

التفسير انه سبحانه كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف وقولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراه مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة تتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له

ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني
قوله وبالوالدين احسانا معناه وتحسنون بالوالدين احسانا المناسب لا تعبدون او احسنوا المناسب وقولوا ويمكن ان يقدر
وصينا بهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير
الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى
تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك مالا ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على
العبد وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عن مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق
يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة
والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية
وههنا اسرار فليتأمل ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد
الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان
على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر
في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول وقد ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه نهى حنظلة
بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الآية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم صلوات الرحمن
عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي دقائق الادب والخدمة
والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع اعزة اوقاته وكرائم امواله عنهما ويجتهد في تنفيذ وصاياهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الآية التكليف الثالث
الاحسان الى ذوي القرابة ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله
من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اي الرحم مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة
كاشتباك العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية والنصرة
ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى
لاقارب زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد
والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان القريب لا يطلق على
الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب
جد ينسب هو اليه ويعرفون وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرف الى اولاد شافع فانه منسوب اليه
ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن
ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف وقال
المحقق

المحققين هذا في زمان الشافعي واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب
من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة
ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب
بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية مطلقا
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله
والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا
ويشفق عليهم بالمعروف وان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال
الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه لا قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما امكنه
والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم
واليتم في غير الانسان من قبل الام والسيم من الاثر مالا اخت له واما جمع يتيم على يتامى لان اليتيم لما كان من
صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا في وجع وحبط للمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل في
يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وكذا
في البقية التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه
او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة
وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس
قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى
ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس وقولوا
للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط
حسنه او ليحسن قولكم حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل
انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل آية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما
بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل التحقيق انه على العموم وذلك لان
كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا
لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق
فحسن القول ايضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم
انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق
في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم

التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف
عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليهم بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا
وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اعانة المضطر واجبة ولا يجب علينا الزكوة واعلم
ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان تكون بكل الجوارح
والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه
واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة والاشارة اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة
واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها باصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي
العام لكونه منوطا بالمقدرة والامكان سببه اما نسب اولا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان والمقارن
الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره
وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهم المساكين او الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم
الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا
بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كررنا اكثر هذه المعاني في سورة النساء نظرا الى التاكيد فاكد
العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى ذي القربى وما يتلوه بذكر الجار وهو ابن السبيل وضم اصنافا اخر
وهم الجار وغيره اليهم وكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب لمتقدمي
بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجه ان اول الكلام معهم فكذا الآخر الا بدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل
انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي
لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحة نبوته فلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك
توليتم الا قليلا منكم وهم الذين آمنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور
المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم
فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المراد اخذنا ميثاق آبائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع
للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي
والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت عن اهل الهند انهم يعتقدون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم
النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا
او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه او لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون
انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم
فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك واعلم ان لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون
اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها

او اعترفتم

او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيهم مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم
واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتداء وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين
تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء
موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما
كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه
على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة
ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه
الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسأل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع
اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان
وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصفهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال او غيره
ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتداء مبهما ومحرم
خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة
اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا وقد يكون المناقضة
ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليهما والحجة في امرهما
على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض والكل في الميثاق سواء الخزي
الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي استحيى فهو
خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه
وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء
بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن تخلفهم
دون اسلافهم فان قيل عذاب منكري الصانع كالدهرية يجب ان يكون اشد فكيف قال في حق اليهود
يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد انه اشد من الخزي لا الاشد مطلقا
وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة عنهم
يدل على وصول الحقوق الى مستحقيها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها فلا يخفف

اوجه

العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع من تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الاخرة ممتنع يستتبع وجود احدهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق **التأويل** واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دماءكم باستئثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي سعى قدمي ، ارى قدمي اراق دمي ولا تخرجون انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تنتصرون عليهم بل تعاونون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان يأتوكم اسارى تفادوهم فمن اسير في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسير في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه لارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسير في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله الى معبوده ومن اسير في قبضة الحق فليس لاسرائهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا عنهم قرار ولا اليهم نظرة سبيل ولا لديهم الا بهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في اول الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه ان لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبى

ع ١ الساص

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ط أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ج فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ○ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ط بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ○ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ لا وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ج فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ○ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ط وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ط قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ○

القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بيسما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب **الوقوف** القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيها تقتلون ○ غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون ○ لما معهم لا لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء تقتضي تعجيل ذكر جزائهم الكافرين ○ من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين ○ لما معهم ط مؤمنين ○ **التفسير** لما ذكر سبحانه في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امره تعالى ومناقضة حالهم اكد ذلك في هذه الآي بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية آتاه الله تعالى اياه جملة واحدة عن ابن عباس انها لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى عليه السلام فحملها التقفية الاتباع والتقفية الاتباع ومنه القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم روي ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى عليه السلام فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ، ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس الروح المقدسة كما يقال حاتم الجود
ورجل صدق اي بجبريل سمي بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولان
الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه
تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبريل اظهر لان اختصاصه بعيسى
اكثر لانه الذي بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبريل في امه وهو الذي رباه في جميع
الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله افكلما وسطت الهمزة بين
الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على
مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك
انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيا لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا
على عامتهم واخذا لاموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل ويحتجون على
ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم عليه السلام ففريقا
كذبتم على التمام وما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قبل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند وفاته ما زالت اكلة خيبر تعادني
فهذا اوان قطعت ابهري والمراد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب
اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره
في القلوب كقوله فاضربها بلا دهش فخرت وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة في
تقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والآخر بالقتل
كان وصف الرسالة عندهم هو الذي اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون الناس باحد الامرين
وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف باكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف
وهو كل ما في غلاف ومنه الاغلف للذي لم يختتن اي قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لمكان
الحائل بينهما وقيل غلف بخفف غلف بضمتين جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها
عن غيرها لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه
بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفي هذا لطف للمكلفين ان لا يتسلقوا الى المعاصي بالادا نحو هذا العذر وابداء
مثل هذه الحجة ولكن يتمرون عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اي ايمانا قليلا يؤمنون

وما مزيدة

وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشيء
قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل
اي لا تعقل البتة وذلك لان الايمان بالله انما يعبأ به اذا كان مؤمنا بجميع ما انزل الله فاذا فرق بين اوامره فهو عن الايمان
بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة
للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه
لما معهم ليس هو الموافق في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات
والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا او مجاز لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم
ونزول القرآن يسالون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي
نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل
عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي
يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق وهو نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي الذي
كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا
التكذيب بغيا وحسدا او عنادا او لددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان
يوجب عليهم زوال رياستهم ومكاسبهم فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله وهي الابعاد عن
الخيرات الحقيقة الباقية على الكافرين اي عليهم وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد
او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل البراءة تعالى ذكره وقولوا للناس حسنا دل على ان العام قد يخص وان الكافر
يستحق اللعن حسن وايضا اولئك بالمستانس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم اضل بئس لانشاء الذم
وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني مفسر حينئذ بنكرة منصوبة وبعده
المخصوص بالذم وما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا
واختلف في اعراب المخصوص فقيل مبتدا والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو ان يكفروا والشراء بمعنى باعوا
لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بدلا عنها كما ان الثمن حاصل بذل المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب
الله تعالى فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهو لاء اليهود لما
اعتقدوا فيما اتوا به انها تخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل
الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم

ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل الله ويحتمل ان يكون المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباءوا بغضب على غضب لا بد من اثبات سببين لغضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وما انزل عليه فصار ذلك سببا لاحد سببي لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله ويد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكريره لاجل ان هذا الكفر وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت من انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام واماتة ابدهم وتكرره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصلة واحدة كغضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر مقام المضمر اي ولهم عذاب وفائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفة لانها بسببه وما يلزم من اقتران العذاب بالمهين بالاهانة يكون فقد يكون العذاب ولا اهانة كالولد يؤدب ولده آمنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقد يستدل به على عموم ما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية وكتب سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والفرقان وهو الحق الضمير يعود الى ما وراءه او الى القرآن فقط مصدقا حال موكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية اذ كون مضمونها لازما لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم لحقية القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو ثابت او ثبت على الاصح واما الواو فيه وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وحينئذ اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون وعلى ان كلا منهما حال بحيالها او لعله ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه لما ثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التورية فعلم بالضرورة انه استفاده من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما اخبر الله تعالى عنه انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار عن نبوته فدعوى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر

كذب

كذب دعواهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم لا يجوز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل وتقتلون حكاية حال ماضية واصل لم لما باد خال لام التعليل في ما الاستفهامية حذفت الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم تقتلون الانبياء وفي قوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال اكثر الطالبين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فالمستحلة نفوسهم قبلوه وما المستغربة نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا منهم من لم يراع تحمل اعباء الطلب ويشرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلي في اثناء الطلب بالوقفة او الفترة فلم يصر ذكر ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبعد همة الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند رفع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباءوا بغضب من ذوي الاولياء على غضب من الله لاولياء كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا اغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝

القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه
بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرا حمزة وعلي وخلف بضم
الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما التقى الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب
الوقوف ظالمون ○ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ○ صادقين ○ ايديهم ط بالظالمين ○
على حيوة ج على التقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة
واحرص من الذين اشركوا ويود مستانف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس
وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من الديباج سنة ج لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا
ان يعمر ط يعملون ○ **التفسير** السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل هيهنا القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن بما
انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلام بعد
ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه
وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا
سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا
وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا
طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة الحيوة
ما يخرج من الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم
فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله
تعالى ولا ريب ان جميع الاسباب تنتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يامركم المخصوص
بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجل وايهام اضافة
الامر الى ايمانهم تهكم كما قال شعيب اصلواتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه
الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت
لكم الدار الآخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه **الاول** خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم
ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف
الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها
فتعلق حينئذ بمحذوف **الثاني** ان يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة حال والعامل كان او الاستقرار
الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما تعلق به او كان او لكم وسوغ ان يكون لكم
عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا

قوم م

والمراد

والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمل على عندية
المكان ممكن هنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون هيهنا يفيد
التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبت منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوزك الى غيرك والناس للجنس
وقيل للعهد وهم المسلمون والجلس الى القول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد هيهنا معهود
فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا
فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني وكقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله
واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة
في ان النبي المنتظر المبشر به في التورية منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة
وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير
لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن التنغص ولا يفوت الا القليل النكد والوسيلة وان كانت
مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غاياتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان لا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وامتني ما كانت
الوفاة خيرا لي محمول على من سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال القائل شعر الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه الا رحم المهيمن روح عبد تصدق بالوفاة على اخيه فان ذلك نوع من عدم الرضا
بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم او على من سببه الجزم بالوصول
الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان
عليا رضي الله عنه كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن
ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان
يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن القى الاحبة
محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله وبنيل ثوابه
وذلك لمكان البشارة فاما نحن فلا يليق بنا تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن
عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا بقي على الارض يهودي وليس
لهم ان يقلبوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار الآخرة خالصة لك ولامتك دون من
ينازعك في الامر فارض بان نقتلك ونقتل امتك فانا نرى انك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت
تتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود

الا بحيوة وحيوة امته فلا لن يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال تتم بمباشرة اليد وقوله لن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما هو قول الانسان بلسانه تمنيت او ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وايضا لو ان تعالى اوحى اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة للاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا تكون الدار الآخرة لهم خالصة واما انها ليست لهم بالاشتراك ايضا فيستفاد من الآية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون له وفي وضع الظاهر وهو الظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك كونهم اولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن او ان الدعوى الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا يعني ان يلي النبي في الكمال والاكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود فحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هو في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس موكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة ما او اي حيوة وفي جعلهم

احرص

احرص من الذين اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون بمعاد ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال ويحسن ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله فكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك لقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الآية تقديم وتاخير اي ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا واحرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر لانه آخر العقود ولانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني آدم او يندر والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم ولن يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد به انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى تعين حمل البصر فيه على العلم والله تعالى اعلم

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

بگو هر کس که هست دشمن مر جبریل را پس بدرستی او فرود آورد آنرا بر دل تو بفرمان خدای باور دارنده مر آنرا که پیش از وی است

وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ

و راه نمونی و مژده مر مومنانرا هر که باشد دشمن مر خدای را و فرشتگان او را و پیغمبران او را و جبریل را و میکائیل را

فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا

پس بدرستی خدای دشمن است مر کافرانرا و بتحقیق فرو فرستادیم سوی تو آیتهای روشن و منکر نشود آن آیات را

إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

مگر کافران آیا هرگاه که عهد کردند عهدی بیفگند آنرا گروهی از ایشان بلکه بیشتر ایشان ایمان نمی آرند

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ

و چون آمد بدیشان فرستاده از نزد خدای باور دارنده مر آنرا که با ایشان است بیفگند گروهی از آنانکه

أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللّٰهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝

داده شدند کتاب نامه خدای را از پس پشتهای ایشان گوی ایشان نمی دانند

القراءة جَبريل مفتوح الجيم مكسور الراء غير مهموز ابن كثير وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم
غير حفص ويحيى مفتوحا الراء والجيم مهموزًا مشبعا وقرأ يحيى مختلسًا الباقون بكسر الراء والجيم غير مهموز
ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسًا مهموزًا الباقون ميكائيل مهموزًا
مشبعًا **الوقوف** للمؤمنين ه للكافرين ه بيّنات ج لان هذه الواو للابتداء او الحال والوجه
لاتحاد القصة الفاسقون ه فريق منهم ط لان بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون ه اوتوا الكتاب قد قيل لا وقف
لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل لما قبله لا يعلمون ه ج قد يجوز للآية والوصل للعطف على نبذ لانهم سواء اختيارهم
في النبذ والاتباع **التفسير** هذا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلى الله عليه وآله وسلم
لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء
في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وآله وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد من الرجل
يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال
صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله ويشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له
قال صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرّم اسرائيل على نفسه وفي التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وآله وسلم
انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا لئن عافاه
الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة
ان قلتها آمنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا
ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك آمنا بك فقال عمر وما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا
ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه
فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبريل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه
فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل
فانه عدو لجبريل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما
فانكر ذلك على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس
اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في
كتابكم ثم سألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو
صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم
اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر …

فوجد

فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله
بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا
ولا ريب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله
اي ان من عادى منهم احدا فالسبب في عداوته انه نزّل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه او ان عادى
جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزّل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في انزال ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله اي ان عاداه احد
فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء به باذن الله وامره الذي لا محيص عنه ولا سبيل
الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية
والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله عداوة لله ولو انه تعالى امر ميكائيل بذلك لانقاد لامره ايضا
لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة … عن
ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير في نزّله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من
دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه والكراهة على ان القرآن
انما نزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء ثباته في قلبه فمعنى على قلبك حفظه اياك
وفهمك وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن
وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان
عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات
دون الاوساط التي تطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن
يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما
بيان ان الآتي بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم
في الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى تختص بالمؤمنين واما الهدى فلانهم هم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين
والمتباين في الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزّل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا
لله تعالى وبين في الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله تعالى يعاديهم وينتقم منهم والعداوة
بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو للغير هو الذي يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى لا يخاف
المغالطة ولا الغائلة المخافة فمعنى قوله من كان عدوا لله اي لاولياء الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين
يؤذون الله ورسوله او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه
وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله ولملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هؤلاء في النار ولا ابالي

محدثة

لأن محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله إياهم يحبهم ويحبونه وذلك لأن صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق
حادثة والأولى علة للثانية وأفرد الملكان بالذكر دلالة على فضلهما كأنهما من جنس آخر فإن التغاير في الوصف قد ينزل
منزلة التغاير في الذات ولأن الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن أن ينص على اسميهما وتقديم جبريل في الذكر
يدل على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا لأن جبريل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب
والرزق وهو سبب بقاء الأبدان والواو في جبريل وميكائيل بمعنى أو لأن عداوة أحدهما توجب عداوة الله لأن عداوة
كلهم توجب ذلك ويحتمل أن يكون الواو على الأصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع
المضمر دلالة على أن عداوة هؤلاء كفر الآيات البينات هي آيات القرآن ولا يبعد أن تشمل سائر معجزاته وإن كان
لفظ الإنزال نابيا عن بعض النبوة ومعنى كون الآية بينة أن العلوم تنقسم إلى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه
أكثر مقدمات فيكون الوصول إليه أصعب وإلى ما يكون أقل مقدمات فيكون الوصول إليه أقرب وهذا هو الآية البينة
والكفر بها إما جحودها مع العلم بصحتها وإما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والإعراض عن دلائلها وليس في الظاهر
تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الإنسان عما حد له إلى الفساد ويقرب منه الفجور لأنه مأخوذ من فجور
السد الذي يمنع الماء من أن يصير إلى الموضع الذي يفسد عن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع
على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق ولأن تجاوز أمر الله تعالى كمن فسخ من الثمرة تقشيا
صغيرا لا تعالى أخبر النهر وفي قوله إلا الفاسقون وجهان أحدهما أن كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق
أولى ليأتي على الكافر وغيره الثاني أن المراد وما يكفر بها إلا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره وهذه الآيات لما كانت
بينة لم يكفر بها إلا الكافر الذي بلغ في الكفر النهاية القصوى وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس أنهم كانوا
يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا
يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك
وتخبروننا أنه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت
واللام في الفاسقون للجنس أو إشارة إلى أهل الكتاب أوكلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات
وكلما عاهدوا والمراد اليهود يوصفون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لأن من يغلب على هذه الطريقة يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمي بالذمام
ورفضه وإنما قال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض
المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول أي كتاب لتلازمهما بدليل كتاب الله وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول
كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله يعني أن علمهم بذلك رصين من قبل التوراة ولكن المكابرة تجبرهم ونبذه وراء ظهورهم مثل
لإعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التوراة لأنهم لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كافرون وعن سفيان أدرجوه

في الديباج

في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ج وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ط
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ط فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ط وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ ط وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ق وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ ط لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ط لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝

القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم
ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الأعراف قتيبة على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين من

الوقوف على ملك سليمان ج لأن الواو تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان وردا لما افتروا عليه
السحر وقد قيل على جعل ما نافية ولا يتضح لمناقضته ما في سياق الآية من إثبات السحر بل ما خبرية معطوفة
على قوله السحر على أنها ولئن كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل
وفي الآية عشر ما آت أحدهما كافة في إنما والأخيرة نكرة منصوبة في لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على المعا
وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط بإذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق يجوز الوقف لابتداء اللام أنفسهم ط يعلمون
خير ط يعلمون ۝

التفسير من قبائح أفعالهم أنهم نبذوا كتاب الله وأقبلوا على السحر ودعوا الناس إليه
وهذا شأن اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إنهم الذين تقدموا من اليهود وقيل إنهم الذين كانوا
في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان صلى الله عليه وسلم ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين
كانوا منهم في زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنه إنما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والأولى أن يقال اللفظ يتناول
الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا
التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلو تقرأ وعلى ملك سليمان أي على عهده وفي زمانه
وقيل تتلو عليه أي تكذب على القوم لما ادعوا أن سليمان إنما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء

سليمان

على ملك سليمان وأما الشياطين فالأكثرون على أنهم شياطين الجن وأنهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون
إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
في زمان سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وقيل
إنهم شياطين الإنس لما روي في الخبر أن سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا
على أنه إن هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين إلى أن كتبوا في خلال
ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا
الناس أنه من عمل سليمان وأنه ما وصل إلى ما وصل إلا بهذه الأشياء وزيفوا قول الأكثرين بأن شياطين الجن لو قدروا
على تغيير كتب الأنبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا
بخلاف ما يفتعله الإنسان فإنه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب إضافتهم السحر إلى سليمان فقيل لترويج
ذلك منهم وقيل لأنهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لأنه لما خالط الجن وأظهر أسرارا عجيبة غلب على ظنونهم
أنه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم إليه من السحر المستلزم للكفر فإن كونه
نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين أن الذي برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا
فقد كان من الجائز أن يتوهم أنهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما أنزل أي ويعلمونهم الذي أنزل على
الملكين هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت
والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر هنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت
أما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة
وفي الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى أطلق ولم
يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى سحروا أعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى
وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا سمي بعض البيان سحرا
لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح
الحسن فيسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن ما يعلم ثم السحر على أقسام منها سحر الكلدانيين
الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور
والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهم الذين بعث
الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية
بدليل أن الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الأرض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر وتحته
ذلك كالنهر لأن تخيل السقوط متى قوي أوجبه وقد اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء
الحمر والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام

وحكى

وحكى في الشفاء عن أرسطو أن الدجاجة إذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديكة نبت
على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية وأجمعت
الأمم على أن الدعاء مظنة الإجابة وأن الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الأثر ويحكى أن بعض الملوك عرض له فالج
فدخل عليه بعض الحذاق من الأطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز
من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والإصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه
أن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات كانت كأنها روح من الأرواح السماوية فكانت
قوية التأثير في مواد هذا العالم أما إذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف البتة
إلا في هذا البدن فإذا أرادت أن تتعدى تأثيرها إلى بدن آخر اتخذت مثال ذلك الغير ووضعته عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه
الخيال عليه وأقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده
الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم إن كانت النفس مناسبة لهذا الأمر بحسب
ماهيتها وخاصيتها عظم التأثير وأما الرقى فإن كانت بألفاظ معلومة فالأمر فيها ظاهر لأن الغرض منها أن الحس
البصري كما يشتغل بالأمور المناسبة للغرض فحس السمع أيضا يشتغل بها فإن الحواس متى تطابقت متوجهة إلى الغرض
الواحد كان توجه النفس إليه أقوى وإن كانت بألفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش
ويحصل لها إذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات وإقبال على ذلك الفعل فيقوى التأثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا
القول في الدخن قالوا فثبت أن هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتأثير فإن انضم إليه الاستعانة [illegible]
ومواتاة تأثيرات الكواكب قوي الأثر جدا لاسيما إن حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها أو من الأنوار الفائضة
من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين بالأرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات
الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة
واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالإجاصة وترى العظيم من البعيد
صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض
ولا يتميز فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوط كثيرة بألوان مختلفة ثم أديرت فإن البصر يرى لونا واحدا
كأنه مركب من كل تلك الألوان وأيضا النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به
البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما أن قلبه مشغول بشيء آخر
وكذا الناظر في المرآة ربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق
يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء والتحديق
نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتعاون الشيئين اشتغالهم بالأول وسرعة إتيانه بالثاني
ومنها الأعمال العجيبة التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية أو لضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان

فيقتل احدهما الآخر ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها
ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال
وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها
تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق
ان كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف
القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان يفعل فيه ما شاء ولان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب
اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة
وذلك شائع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند الحكماء كلها مستندة الى قدرة الله تعالى فانه لا يمتنع
وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف
ولعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتنابه اقرب الى [illegible]
كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان يجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب
هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم
الاول من السحر واما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على
ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد
يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الاجسام
والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه
ان يعرف صدق الانبياء والرسل ونرد بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله
تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى
التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه
الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصولة الباطل كنار العرفج واما سائر انواع السحر فلا شك انها
ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال انا سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه
القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء
وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا
اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة نعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب
وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت
فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني
اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جماعة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم

ومن بعد

ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة
فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت
وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك
الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما
اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت
الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا
الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان
اظهر هذا السائل للناس ما راى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله
فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة والملك الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انه انما اصابهما ذلك بسبب تعييرهما بني آدم
وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم
الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب
ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر
الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه
القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تكذبها ولاستبعاد
كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله كوكبا مضيئا ولانه ذكر في
القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم
تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا
يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا
من احسن الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة
بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل الجن ابرزوا انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون
ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا اعلمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منع من استعماله كان ذلك في
نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ولعل
هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتهما ليكون
ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس يجب انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم
الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق
او متوصلا به الى تحصيل المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما
يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال

كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه الا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده شيئا من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن يكون المراد ذكره الى زوجه لما كان اشد تخصصا بالذكر ليدل بذلك على ان سائر الصور تاثير السحر فيها اولى وقرأ الاعمش وما هم بضارى به من احد فجعل الجار جزءا من المجرور هو احد واضاف الى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد ولقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه استبدل ما تتلوا الشياطين واختاره على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فمن استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف اي هو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا او يجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سؤال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بلام القسم احتمالا ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الثاني لامتناع الاول وكذا لو كان للتمني فان التمني انما يستدعي امرا هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا آخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن او التوراة التي يصدقها القرآن او بالايمان واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات او اتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء من ثواب خير وانما لم يقل لاثيبوا بفعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو محذوف ايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لاثيبوا وانما ترك الفعلية الى هذه لتدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا او قوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان هو الاكثر على ان دخول اللام الموطئة في لو مستثقل فيشبه ان يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلوا شياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن شياطين النفس والهوى

والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل فيه وحذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى ارض العالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحيوة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي ركبت فيهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي بخامر العقل وزنيا ببغي الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا بالتنكيس رؤوسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما السماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوج دينه

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب اليم ۝

[illegible]

ما يود الذين كفروا من اهل الكتب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم ط

[illegible]

والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝ ما ننسخ من آية او ننسها

[illegible]

نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ۝ الم تعلم ان الله له

[illegible]

ملك السموات والارض ط وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۝ ام تريدون

ربع الجزء

[illegible]

ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ط ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ۝

[illegible]

القراآت ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننساها مهموزا ابن كثير وابو عمرو غير اوقية وروى اوقيه بغير همز الباقون ننسها من الانساء نات بخير بغير همز ابو عمرو غير ابرهيم بن حماد ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابرهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه ان يهمز كلما كان نسقا اي عطفا على المجزوم او جوابا للمجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار حجازي غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك الوقوف واسمعوا ط اليم ۝ من ربكم ط من يشاء ط العظيم ۝ او مثلها ط قدير ۝ والارض ط ولا نصير ۝ ربع الجزء من قبل ط السبيل ۝ التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال اليهود

في السلوك

ومن فبائح أخلاقهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتماعهم في القدح فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب في التورية يا ايها المساكين فكأنه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان عن العذاب آخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولاسيما فان المؤمن اسم من اسمائه العظام ففيه دليل على انه تعالى لقربهم منه في ذلك الكلام وقيل آمنوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل آمنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احدهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي رضي الله عنه لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم يعنون تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك اسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق ويحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي اعوذ عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة ويحتمل انهم ارادوا صرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا راعنا اي منسوبا الى الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسألوا الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجوا الى الاستعادة كانهم قالوا لم توقف في كلامك وبيانك بقدر ما يصل الى فهمنا وهذا اللفظ غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمسه المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل دقائق التفهيم والارشاد من التثبت والتاني والاعادة لئلا يحتاج اليهما ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه

احسنوا

أحسنوا سماع كلام نبيكم بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين واليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الآية من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي فمعنى ما يود ان ينزل يود ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يحذر الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يجب عليه شيء ولا يسأل عما يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان وانها نفحة من بحار كان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من آية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الآية مسائل الاولى النسخ في اللغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو تغيير الشيء في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخ الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده ولفظ الاباحة فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن الناسي الخطاء والنسيان ونحوه بل بمقتضى العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دع الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بتخصيص الكفر الشمرة انى ولئن اوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا تسمى نسخا لانه ليس متأخرا ويمكن ان يقال ان قيد متأخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ويخصصه الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا يحدث ويرتفع وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن يكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى

فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع
من اكثر ارباب الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم
الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى
حكمة ومصلحة ولئن اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات وهذا ما يدل على جواز النسخ وفي
التورية انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق وهذا ما يدل على وقوعه وكيف لا
وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله
ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه امتداد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء له
غاية لا انتساخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم بها ما دامت
السموات والارض وايضا ان نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء والا فعبث
وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول
المنع من انه قول موسى عليه السلام ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقولهم لرسولنا صلى الله عليه وآله وسلم
ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عصره فدل ذلك على انه افك افتراه المتأخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم
اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنع شرب دواء في وقت او حال وضربه في آخر بل الزمان
الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقع فيها الصادرة شيئا فشيئا بحسب وقت و
المصلحة تعود اليه تعالى بل الى المواصلح بالنسبة الى المترتبات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام
والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل
ان لكل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد تطرق المكلف ليستمر له في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما
يبين امده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجدد دليل بالنسبة
الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور متقدما احدهما ومتأخرا
الآخر وليس هذا في الاحكام فقط وانا ذكر في كل حادث فمن تأمل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتعاقبة
بعضها الى بعض بالمقدم والتأخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة اشبه شيء بكتاب يقرأه القاري سطرا
بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع آخر حسب ما رتبه الحكيم العليم عباداته
ونقاطعه فالمقتضى في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والمعية الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة
لانقضاء شيء وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب وهذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولكن تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر
المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن لوجوه احدها هذه الآية اعني ما ننسخ من آية
واجاب ابو مسلم بان المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التي في الكتب القديمة من التورية والانجيل كالسبت

والصلوة

والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى
سائر الكتب وايضا ان ما هاهنا تفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء
بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا تدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان يأتي بما هو خير
منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ
بالاربعة الاشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اجاب
ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا
واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا انتساخا ورد بان عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع
الحمل بسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب انه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون
عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق غير علي ع وبدليل
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وخامسها تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال او مع العلم
اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وسائر الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية
مكان آية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو رفع ونسخ
فهذه الدلائل وامثالها تدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع وايضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه
وكونه قرآنا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة او التلاوة فقط
كما روي عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز
حكيم وروي لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب
الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس
فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة
السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة
وننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى
ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي او ان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير
بهذا الوجه منسيا عن الصدور او يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وآله وسلم كما يروى انهم كانوا يقرؤون السورة فيصبحون وقد نسوها

قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله والانساخ الآية الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة
بالاعلام بنسخها او ننسأها نؤخرها واذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما بان نبدل حكمها
فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ
من آية ما نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال
فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي
ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم
فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما تضمن حكما على المكلف ان الثاني
اخف او اصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة
الى وقتيهما او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول او مساو له فكل منهما قد تقتضيه الحكمة دون ما هو اقل
ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيتعين الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال
اعلى منه وان غصن استكمالهم ابدا ناضر ونجم وصالهم دائما زاهر فلا ينسخ من آثار عبادتهم شيء الا ابدل منها اشياء
من اقمار الربوبية وايضا انهم يشاهدون
من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء
بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام آخر
لا يشاهدون ذلك تلك المشاهدة فيظن السالك الغر انه حجب عن ذلك المقام او الحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات
المقامات او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الآية
مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية
لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة
بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل
عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم
ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك ثابت في كونه
اثقل اجرك على قدر نصبك وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان
والحبس في البيوت للزاني بالجلد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة
الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي
ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان المأتي به من جنسه كما اذا قال الانسان ما آخذ
منك من ثوب آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا فان نأت يدل على ان الآتي
هو الله لا الرسول وايضا المأتي به خير والسنة لا تكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على

ان

ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيته وارادته ولا دافع لما اراد ولا مانع لما
شاء وذلك هو الله تعالى والجواب ان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع
ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك لان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية
الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما
اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية
للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون
الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل آية الرجم مما نسخت تلاوته
له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ
والخطاب في الم تعلم اما للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه
التقرير والاثبات لظهور آيات آثار قدرته ووضوح آيات حكمه وسلطانه وقيل الاشارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين
ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى كشف الصفات ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم نسخت
عن الخيال واثبتت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل
وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات والارض فيدخل
تحت الاستفهام ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع المضمر ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب
للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير
وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما امرتم ام تريدون ان تسألوا رسولكم ولانه سأل قوم من المسلمين ان يجعل لهم
ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب
كما سألوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لاهل مكة
وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد
ما نؤمن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في
السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال
له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء
موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأل السبعون وعن مجاهد ان قريشا سألت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم
الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة من اول قوله
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان
المؤمن بالرسول لا يكاد يسأل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال

بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو ان السؤال الذى ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طالب الدليل على الشى لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية فى نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية فى خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج ملت والاصوب فى الآية ان تكون ام زيدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون فى معنى الجمع ثم اما ان يكون متصلا على معنى اى الامرين كائن فان العلم واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قدرته وتسخيره واما ان يعلم فيسأل وجه الحكمة فى النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثانى فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على العلم الاجمالى ولا يتخطى مقام الادب فى البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمه التى لا تكاد تنحصر ويوهم ان السائل فى شك مما امر به او نهى عنه وعلى هذا لا يوقف على نصير ولما منقطعة على ان اضرب عن الاستفهام الاول واستأنف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال على انهم لهم ما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على ما اعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله او لا يتسنّم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذى مر تفسيره

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ

قال

قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

القراءة قد سلفت **الوقوف** كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اى يحسدون حسدا او حال او مفعول له والوجه والوصل لجر الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط متصل عند الله ط بصير ه او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شى ص لعطف الجملتين المتفقتين على شى لا لان الواو للحال الكتب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه **التفسير** هذا نوع آخر من مكائد اليهود روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردون على انه بمعنى يصيرون والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل وما اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروى ان موسى عليه السلام لما ذهب الى ربه رأى فى ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشى اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شى من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذى ذم الله تعالى صاحبه فى هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله وفى ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فانفق فى سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد تكون مندوبة فى نحو الانفاق فى سبيل الله

وتمني العلم والعمل التعليم وقد تكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم تحصل له
وهذا اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه اليه كرغبته في دار حسنة او امرأة او ولاية فالمطلوب بالذات
حصولها له فاما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها
احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا
الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف
والاولى اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم
ولاسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد
المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما اخبر عن قائل ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا
من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل
غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها الكبر وهو ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير
ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار
لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت
المقاصد وذلك يتحقق بين المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في
التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد
ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته
وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا ممتنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب
وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف
عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار
لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل
البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في
الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب الدين واصحاب اليقين
وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره
وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يرده كراهة كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى
في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس
ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم

من جهتك

من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد غمومك واحزانك
الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله
وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا منك الذي يكمد، لا زلت محسودا على نعمة، فانما الكامل من يحسد، والحاسد مذموم بين الخلق
ملعون عند الخالق مشكور في ابليس واصدقائه مدحور عند الحق واوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله
فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى
فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال
واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان ياتي بالافعال المضادة
لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله
على قطع اسباب الخير عنه سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل في وسعه
فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة
النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه فثبت ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان
صواب حق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا لشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا
وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم ونسيمكم الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم الى هذه
الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التوراة وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من
قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب
لان ذلك اقرب الى تسكين الثائرة اداما بل حتى ياتي الله بامره عن الحسن انه المجازاة يوم القيمة وقيل قوة الاسلام
وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده تعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار
فالآية منسوخة لان الغاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل يحل محل قوله فاعفوا
واصفحوا الى ان انسخه عنكم عن الباقر رضي الله عنه انه لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال حتى نزل جبريل بقوله اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل
كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين
كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفي والاستعانة بسائر اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل
منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصائر الى القوة قويا
ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك

التشدد وعلى هذا لا تكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب
الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما الزمهم لحظ حال
غيرهم بالعفو والصفح كذلك الزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع
فعم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولابد من اضمار اي تجدوا ثوابه
لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء
وقالوا لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد
الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع
هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان
حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على
حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم ويدل ان امانيهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم
لن يدخل الجنة او ليشير بتلك الى ان يودهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم امنية وودادتهم
ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله
قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض وهذا
وهات اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيجب الامر هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح انه
ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة
ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعي نفيا او اثباتا لابد له من برهان والا فدعواه باطلة
شعر من ادعى شيئا بلا شاهد لابد ان يبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى آخره
جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان لهولاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها
لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم في الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما
انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف
الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ومنبع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى
به عن النفس والذات كل شيء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل
بالوجه وهذا الاسلام اخص من الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى
والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر به ابرهيم صلوات الرحمن عليه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

ويؤكد

ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله
وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان من يتول العبد بين
يدي مولاه لا يشتغل عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا وجه الله فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما
الطاعات والمباحات فتكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه
اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده
التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح
الموذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط
ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روي ان رجلا في بني اسرائيل
مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم
قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية ان تقول في
نفسه او بلسانه عند تدريسه او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما الحديث نفس او لسان وما ذاك
الا كقول الفارغ نويت ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في
تصيير ذلك ملكة لنفسك شعر وللناس فيما يعشقون مذاهب فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فلا ذكر ومنهم
من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور هممهم عن طموح ما فوقها من الكمالات واللذات الحقيقيات
اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل
الكتابين في الآية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الآخر والظاهر حمل لفظ اليهود والنصارى
على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل فريق واحد من كل من الطائفتين في الاخرى روي ان
وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شيء اي
يصح ويعتد به ~~اذا كان مومنا برسوله~~ وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس والله صدقوا
قلت وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مومنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما
من كتب الله ان يومن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متوافقة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف
للتشبيه وذلك للاشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون مثل قولهم مكرر للتاكيد وتطويل
الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان
المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا [illegible]

والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر من الظالم المكذب للمظلوم المكذب او يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا اعاذنا الله تعالى منها

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ط

أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ط لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ط بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۝

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ط وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ط كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ

قَوْلِهِمْ ط تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ط قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝

القراءة قالوا اتخذ الله بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل ويس

الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعدها اخبار ووعيد مبتدأ منتظر عظيم ۝ وجه الله ط عليم ۝ ولدا لا تعجيلا للتنزيه سبحنه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون ۝ والارض ط لان اذا اجيبت بالفاء فكانت للشرط فيكون ۝ آية ط قولهم ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد الاستيناف يوقنون ۝

التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر رضي الله عنه فنزلت الآية فيهم وعن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حين خرب بيت المقدس واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بمكة والجأوه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القول الاول ان هولاء النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة فقط فبين انهم اظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الآخرين هو انه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية بمعنى النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف حرف الجر مع ان والتقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا من اظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد من منع العموم ايضا لا الذين منعوا من اولئك النصارى او المشركين باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى فعن الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع الشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان يعبد الله عرف وجوب عبادته عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المتعبد يبنى عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كما مر اسوأ حالا من الكافر الاصلي بلا نفاق اولئك المانعون ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في امر تضمن الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخوله المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه اول الاسلام ثم نسخ بالآية خزي ذل بمنعهم من المساجد او بالجزية في حق اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد من ذكر اضافتها الى الله

في لماء وذلك دليل على رفعها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض
البلاد الى الله اسواقها ولعل ذلك لان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان تخريب
المساجد لما كان في غاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان الثانية في فضل المشي
الى المساجد عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله
كانت خطوتاه احديهما تحط خطيئته والاخرى ترفع درجة وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا
الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ما امرت
بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة
التزيين والتمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس
الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان
يجلس وتتأدى التحية بالفرض او النفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق
وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري واصحاب الرأي
الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله عن ابيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الملائكة تصلي
على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه تقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشرى فيه عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان تحلق
الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات للخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق
بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه ايضا عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف
المسئلة في المسجد وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض في المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد
طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او تتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد بأسا لان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن
عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى
يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وقد قيل ان ذلك لبيان الجواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها
في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهية البزاق في المسجد

عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا قام احدكم
الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله
فيدفنه العاشرة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اكل من هذه
الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس الحادية عشر في بناء المساجد في الدور
عن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على ان مجرد
تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الآية الاكثرون
على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها نزلت في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه
احدها انه اراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة له
سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكان الآية مقدمة
لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم
وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود
انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد
هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق
لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله
تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاؤوا بهذه الآية فكان للمسلمين ذلك الا ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الآية في حق من شاهد
الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا
اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانزل الله هذه الآية عذرنا في خطائنا وهذا الحديث يدل
على انهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في
المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا
يومي برأسه نحو المدينة فمعنى الآية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي فقد صادفتم رضاه ان الله
واسع الفضل غني عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة
بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكلف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الآية على الوجه
الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا
فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين يريد انهم ان هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بهم كلهم
وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب

لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الآية اى الجهات التي يصلي اليها
اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شئ منها بامري طاعتي وجد ثوابي فكان في هذا عذر النجاشي واصحابه الذين ماتوا على
استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا
اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اى لا يمنعنكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث
كنتم من ارضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اى مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمورة المرضية وهكذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة او في غيرها وان المجتهد اذا ادى برأيه
لا اجتهاد اكرايا فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا اى ادبر
فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثمة اشارة الى المكان
خاصة وقد زعمت المجسمة من الآية ان لله تعالى وجها واضافه اليه واسعا والسعة من نعوت الاجسام
والجواب ان الآية عليهم لا لهم فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا
للمشرقي استحال ان يكون حينئذ محاذيا للغربي فلا بد من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله
وانه خلقها واوجدها فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضاف اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة او المراد
بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض او المراد فثم مرضاة الله مثل انما نطعمكم
لوجه الله فان المتقرب الى رضا احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه او جهة ام كيف
يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق متقدم على المخلوق لقدمه بالذات والعلية
والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق
في توفيه ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفيه عقاب من تكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب
اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر
ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا
عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد
بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من
جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي
شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني
المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اى كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل
الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات ولسيرها جميعا بالاجل وقيل عن مجاهد انهم
مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيام فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره

فعدل

فعدل الى تفسير آخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار القدرة وامارات الحدوث او كون جميعها
في ملكه وتحت قهره لا تمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه صح السلام في قانتون للتغليب او يراد كل
من الملائكة وعزير والمسيح عابدون له معترفون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يحمل الاصل
يحكى ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني
كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد
هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتداء محذوف اى هو بديع السموات والارض ثم
اولا بين انه المالك الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا تعالى بدع الشيء بالضم
فهو بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع
كالاليم بمعنى مؤلم وضعف ثم انه سبحانه وتعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من
قضى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج
وقضى الامر اذا اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وقضى الشيء لانه
كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضى امرا اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه كما قال شعر
وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ثم من قرأه فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال
واما من قرأه بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لابد ان يخالف الامر في الفعل او في الفاعل او فيهما
نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب زيد او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب
تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد
يكون شيئا مغايرا للفعل المامور وذلك اكثري وقد لا يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم
ان الغرض منه ليس شيئا آخر مغايرا له فقول القائل اذهب تذهب او فتذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس
صدور الذهاب عنه لا شيء آخر كما ان المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا
الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون
لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بتاء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحكاية قد ذكر مرتين
بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي يقول له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا
لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد
الله تعالى الشيء على صدور لفظ كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان
النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا
للاستقبال والقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتأخر عن المحدث محدث ولان يكون المخلوق مرتبا على
كونه كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ولزم اما الدور

واما التسلسل واذا ابطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لها مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تأويل واصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المتكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا يأتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن آية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذلك هؤلاء المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذا المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك اهل الكتاب ان تنزل علينا كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيوقنون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجر وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكن علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا تبقى آيات وكل ما ادى وجوده الى عدمه فرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم التأويل

ساجد

مساجد الله التي يذكر فيها اسمها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وموضع السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه ترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه التمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه الحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه الركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه الالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوا هذه المشاهد بقدم السلوك الا خائفين الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي ذل الحجاب ولهم في الآخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق فطارق القلب من هواجس النفس يطرق بظلمات التي عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من دلالات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فتكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا انجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استوى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء اذ ليس عند الله صباح ولا مساء ولا يبقى العبدية في كعبة العندية ونودوا بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف وحيث كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝

بدرستی ما فرستادیم ترا بحکمت صواب مژده دهنده وبیم نماینده ونپرسند ترا از اهل دوزخ

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ط قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ

وهرگز خشنود نشوند از تو جهودان وترسایان تا آنگاه که متابعت کنی دین ایشان را بگوی بدرستی دین خدای اسلام است

هُوَ الْهُدَى ط وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لا مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

آنست راه راست واگر متابعت کنی رایها باطل ایشان را پس از آنکه آمد ترا از دانش بکار دین نبود ترا از عذاب خدای

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ط أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ط

هیچ دوستی وهیچ یاری دهنده آنانکه دادیم مایشان را نامه آسمانی می خوانند آن را چنانچه سزاوار است ایشان ایمان دارند بآن

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

وهرکه کافر شود بآن پس ایشان اند زیان کاران ای پسران یعقوب یاد کنید نیکویی مرا که نیکوئی کردم بر شما

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا

وآنکه من افزونی دادم شما را بر اهل زمانه شما وحذر کنید از عذاب روزی که بگزارد هیچ نفسی از نفسی هیچ چیز را

وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝

القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف
أي نذيرا وغير مسئول إلا لمن قرأ ولا تسأل على النهي الجحيم ۝ ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لأن نفي
الولاية والنصرة متعلق بشرط اتباع أهوائهم فكان في الإطلاق خطر كثير ۝ تلاوته ط لأن ما بعدها
مبتدأ آخر مع خبره وعندي أن الأصوب عدم الوقف لتكون الجملة أعني يتلونه حالا من مفعول آتينا أو من فاعله
مقدرة وقوله أولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لأن الإخبار عن أهل الكتاب مطلقا بأنهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم
إلا أن يحمل الكتاب على القرآن كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ۝ العالمين ۝ ينصرون ۝

التفسير لما بين غاية إصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد بذل ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء
من الآيات البينات أراد أن يسلي ويسري عن رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كيلا يضيق صدره فقال إنا
أرسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما تقتضيه الحكمة ولا يكون لك أن تجبرهم على الإيمان بل لا تتجاوز حالك
عن أن تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنك غير مسئول
عن أصحاب الجحيم وهو من أسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في
الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وأما قراءة النهي فيروى أنه
قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن سؤال أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وفي هذه الرواية بعد لأن سياق
الكلام ينبو عن ذلك ولأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع علمه الإجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والأقرب أن معناه
تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما إذا سألت عمن وقع في بلية فقال لك لا تسأل عنه فكأن المسئول يحرج أن يجري
على لسانه ما هو فيه لفظاعته أو يرى أنك لا تقدر على استماع خبره لأنه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى
فيه إقناط لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسلامهم ولأن القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه إلى حد لا يقنعون بالكفاف
ولا يرضون رأسا برأس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين أن ملتهم التي هي نحلتهم هي الهدى قل إن هدى
الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق ليس وراءه هدى لأنه ناسخ للأديان كلها ولئن اتبعت أهواءهم متبعا لهم
وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بأمر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل ما لك من الله من عقابه
ويحفظ من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك قال أهل البرهان إنما لم تعد في هذه الآية بعد ما جاءك كما قال
في آية القبلة على ما يجيء لأن العلم هنا علم كامل ليس وراءه علم وهو الهدى ولأن الهدى هدى الله فكان الذي أتى
في التعريف أبلغ لوجود صلة ولا منكر قطعا لوجود الألف واللام بخلاف ما فإنها نكرة ولا تدخل الألف واللام وخصت آية
القبلة بما ومن التي لابتداء الغاية لأن المراد هنالك العلم بالقبلة والتقدير من بعد الذي جاءك من العلم بالقبلة فالقبلة الأولى
نسخت بهذه الآيات وليس الأول موقتا بوقت أعني العلم بالله وصفاته فلم يحتج إلى زيادة من التوقيت وقريب من

القبلة

القبلة ما في آل عمران من بعد ما جاءك من العلم فلما جاء بلفظ ما وزاد لفظ من وأما في سورة الرعد فإنه قال ولئن
اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم لأن العلم ههنا هو الحكم العربي أي القرآن فكان بعضا من الأول وهو العلم بالله وصفاته
فعبر بلفظ ما ولم يزد من التوقيت لأنه غير موقت والله أعلم بأسرار كلامه وفي الآية دليل على بطلان التقليد
فينا إلى الحقيقة سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد نصب الأدلة على العلم بالمأمور به لقوله بعد
ما جاءك من العلم ولأن لا يجوز التوعد إلا بعد القدرة على المأمور به كان أولى فيبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها أن الذي
علم الله منه أنه لا يفعل الشيء يجوز منه أن يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وإنما يحسن هذا الوعيد
لاحتمال أن الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد أو هو أحد صوارفه ولأن فيه زجرا شديدا للأمة لأنهم إذا علموا
أن حال النبي لو فرض منه اتباع أهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لا يستقيم طمع في الخلاص
لو وجد منهم ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل إنهم المؤمنون الذين آتاهم القرآن لأن الكتاب الذي يمدح
على تلاوته هو القرآن والأصح أنه لما قدم ذكر المعاندين من أهل الكتاب أراد أن يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه
حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو يتبعون مقتضاه من غير تكاسل
ومنع متمسكين بأحكامه من حلال وحرام وغيرهما أو يخضعون عند تلاوته ويخشعون أو يعملون بمحكمه
ويؤمنون بمتشابهه أولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق
أن يتلى ومن يكفر به من المحرفين أو من الواضعين عن حقه فأولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق
أن يتلى وينتفع به ويغتنم ورودة فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكل حين يا بني إسرائيل الآيتان
رجوع إلى أول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد موجب النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ط قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا

قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ط وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا

بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ

هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ط

قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ط وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

القراءة ابراهام بالالف في البقرة والنساء الا فقد آتينا آل ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع سورة براءة الا وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابرهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها المختلف فيه ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابرهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتبت بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان تقرأ ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافق سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد

الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين ٥ وامنا ط لمن قرأ واتخذوا بالكسر لاعتراض الامرين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء نسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود ٥ واليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغ في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير ٥

التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو قصة ابرهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفي بها فنال منصب الامامة والاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد وبالانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرف ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب والمراء ووضع ما رفعه الله لينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال نبي من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما يجيء فيجب على من يعرف ابرهيم ان يعرف محمدا اما قوله واذ ابتلى العامل في اذ اما مضمر نحو اذكر ويكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين الوجهين المقدرين يكون ظرفا للمكان او قال وموقع قال على الاول الاستئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى التقدير الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى ان الاستئناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الآتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوق وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يامر ليعرف ما يكون من المامور حينئذ والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد

ابتلاه ... وقيل

وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وامثالها المذكور فيها الابتلاء او كلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه يستحيل ان لا يقع وما علم انه لا يقع يستحيل ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة علمه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد ونوقض بمراتب الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلة او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه فما عداه خارج عنه وكل ما خرج عن غيره فهو متناه فكل معلوم متناه فما هو غير متناه يستحيل ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه عن غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان غير المتناهي لا يتناهي ووراء ما لا يتناهي بلا يتناهي واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ونورتيتنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وان الفعل متعد الى مفعول بعد الاصل فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعا بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى ولهذا فان تولب النبي اعظم من تولب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره واما الاشتغال بالدعاء بالبعث نبي آخر الزمان ...

محتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات
لو كان هذه المناسب لان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانما جزاء ابتلاه بكلمات على الاجمال
ثم اجزاء اتمهن ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضايعا
ولانقطع النظم القائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التي تكلم
بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فريضة
في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس
في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من
شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون الآية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين
وسال سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف
بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل
وابرهيم الذي وفى وقيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه
وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجمع القول ان الابتلاء يتناول
الزام كل ما في فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكل واحد منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء
كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه انما يعلم
كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها
قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان
فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته
سبيل سوى الوحي كنام او الهام والضمير في اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم عليه الصلوة والسلام بمعنى فقام بهن
حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اي فاعطاه ما طلبه لم ينقص
منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا
مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به
اي يأتمون بك والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان
تابعا لرسول ويبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لابد ان يكون نبيا
ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لا على من هو ادون منه ممن يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة
ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد اقتدى به من بعده من الانبياء في
اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم اللهم
صل

صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا
بهذه الآية وامثالها من نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ومنع بان الامام يراد به ههنا
النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامامة لكن الآية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة
سوى النص ولا دلالة في الآية على ذلك وفي الآية دليل على انه عليه الصلوة والسلام كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت
عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه ومندوبا اليه وانه محال والذرية
نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر
صغار النمل والضم من تغير النسب كالدهري في النسبة الى الدهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض
ذريتي كما يقال ساكرمك فتقول وزيدا والحق ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته
لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير معصومين لا يخلو عن ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق
وقد حقق الله تعالى امله فجعل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود
وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن حينئذ نصا في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين
كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص في اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين
والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهده الله تعالى الى بني آدم اذ لا رياسة
اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا اخرج الظالم تعين الصالح
للامامة بطريق برهاني وذلك لان دعاءه مستجاب البتة فكل نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج
الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل ان تعالى انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا
تصلح فاجيب بما اجيب اسعافا الطلبة بالمعنى والمتمة كما اذا قيل لمن اشرف احد لا يبكى شيء فيقول لا يرث
مني اجنبي اي كل ما بقي مني فهو لابني فكيف اوصى لابني ولا يرد ان يونس نال عهده مع انه ظالم سبحانك
اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق آدم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسق
وقد يستدل الامامية بالآية على ابطال امامة غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام
بالاتفاق وكل مشرك ظالم لان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا نعلم انهم كانوا
ظالمين حال كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى
صادق عليهم دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا
المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس
شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه
كان كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر

ولئن قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة او المانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة
في الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له
باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى
السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا او باطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في
كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم آمركم لكن المراد في الآية
لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله
وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما
ولا تنفذ احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا فتياه اذا افتى
ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به لم تفسد صلوته قال ابو بكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب
ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطاء نعم انه قال القاضي اذا كان
عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر
اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا يرى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا
بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن
له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني
امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه
قال له الفقهاء اقبل له شيئا من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب فتولى له عد احمال التبن الذي
يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك
انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وقصته في امر
زيد بن علي مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره
مع محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الآية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح
موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين
وثالثا عن مزية السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من
احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ونعم القائل
لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ۔ فالظلم آخره يأتيك بالندم ۔ نامت عيونك والمظلوم منتبه ۔ يدعو عليك وعين الله لم تنم
ولآخر ۔ من نعم ظلم الورى في جحيم ۔ يا صاحب اللب والحجى زنه ۔ لا تظلم الناس واخش نارا ۔ وقودها الناس والحجارة
اتحسب الظالم في ظلمه ۔ اهمله القادر ام امهلا ۔ ما اهملوا بل لهم موعد ۔ لن يجدوا من دونه موئلا ۔ اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما تدريك ما صنع الدعاء ۔ سهام الليل لا تخطي ولكن ۔ لها امد وللامد انقضاء ۔ واعلم ان عهد الله

الذي

الذي اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده
هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد
نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده
فيا ايها المغرور ما هذا التقصير فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف آخر
والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعمالها في واحد من ذلك
الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية
مع لام العهد لتفيد الاختصاص ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض
حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان
الحرمة نشأت بسبب الكعبة نفسها وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد
الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل
ان يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون بمعنى انا جعلنا موضع امن
كقوله حرما آمنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه
وذلك لدعاء ابرهيم عليه السلام فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه
وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله تعالى القى تعظيمه في القلوب
ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله
فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا
الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد
واشكل ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان من كان حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيها اصلا فان الوجود بخلافه فقد يقع فيه
القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم
وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع آمنا من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب
الشافعي الى ان المعنى انها لم تحل لاحد ان ينصب الحرب عليها ولذلك احل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاما من دخل
البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي ان الامام يأمر بالتضييق عليه بما يؤدي الى خروجه
فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة

لا يستوفى قصاص النفس في الحرم لان يبنى القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى
يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى من الملتجي واحد من القصاصين ولو التجأ
الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل يبسط
الانطاع ويقتل في المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان
ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة واما من
قرا بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا وانه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي مقام
ابراهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء زائرا من الشام الى مكة قالت له امراة اسمعيل انزل حتى
نغسل راسك فلم ينزل لان سارة شرطت عليه ان لا ينزل غيرة عليها فجائته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه
عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس
ان ابرهيم عليه السلام كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة
قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم
صلوات الرحمن عليه قام على هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى
من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول
بان مقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع يعرفه المكي وغيره
ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز
ابرهيم فكان لشدة اختصاصه به فاطلاق مقام ابرهيم عليه اولى ولما روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه اخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر
بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى
خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي
منك وليا مشفقا فيفيد بيان المتخذ والمرئي والموهوب وتميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا
على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم صلوات الرحمن عليه وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في
المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي رضي الله عنه في اصح قوليه بعد الفراغ
عن الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين قال هل علي غيرها لا الا ان تطوع وفي قول انها فرض لظاهر
قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة ايضا مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا الامر اي الزمناهما
ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه
اي طهرا والمراد التطهير من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى
واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه الامور لا يكون موجودة هناك اصلا فالمراد اقرارا

على طهارته

على طهارته مثل ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما ان يكون موجودة فامرا
بازالتها وقيل عرفا الناس ان البيت بنى طهرهما حتى يحجوه للطائفين الى آخره الوصف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد
البيت حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد
اي من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا
فهو من الركع السجود ويحتمل ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع
السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول اولى ليكون الركع
السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا قرنا الطائفين بالغرباء دلت الآية على ان الطواف
للغرباء افضل من الصلوة لانه تعالى قدمهم بذلك وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف لاهل الامصار
افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الآية دليل على جواز الصلوة في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد
ومالك في الفريضة فلا فوق جهتك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من اجزائه
واجيب بان التوجه الى جزء كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض
والنفل لا يخرج قوله تعالى واذ قال ابرهيم قيل في الآية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا
بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد
منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم الاهم فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل
ابرهيم اماما اولى بالتقديم لعموم نفع الخلائق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا
لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه كان
مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا ووقع مجملا ثم فسر
بانه كيف بني ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب
لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب اكثر مما احصينا هذا بلدا آمنا ذا امن مثل عيشة
راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفي سورة ابرهيم هذا البلد آمنا لان
هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا آمنا وذاك الدعاء صدر وقد جعل
البلد بلدا فكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا
البلد بلدا آمنا فيفيد مبالغة زائدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة في الامن
بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن لنفسه قيل سال الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد
غير ذي ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب
بان التوسعة في الرزق مغاير لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله آمنا من الآفات فلم يصل اليه

جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب ان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا آخر من الثمرات من للابتداء او للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وانما سأل ابرهيم عليه السلام الامن ولان يجبى اليه الثمرات ولان كان تعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا اذا اخصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف في انه لم يكن اهل كانت آمنة محرمة قبل دعوة ابرهيم وصار ذلك بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما اوقع في النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على السنة الرسل ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك من المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من آمن كما مر في ومن ذريتي او هو مبتدأ تضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للرعية فيؤدي عن الله امره ونهيه ولا تأخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب ظلم اما الرزق فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة عليه متاعا قليلا وامدا يسيرا فيما بين الازل والابد وقليلا اي امتاعا او متيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين في العاجل موصولة بنعيمهم في الآجل ونعمة الكافرين منقطعة عنهم بعد الموت والزائل لا يجدي بطائل افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او لان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي اضطر اليه او ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصير من قولك صرت الى فلان مصيرا او اما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ط رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۝ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ص وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۝ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ط إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ط وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۝ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ط يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ط قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ج وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ج لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ج وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

القراءة ارنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير وابو شعيب ويعقوب وبالاختلاس ابو عمرو ... طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ... وكذلك كل فعل مستقبل مجزوم حيث وقع وروي عن ابن عباس يكلمنا ونعذبنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون شهدا يذ وكذلك ما اشبهه كل القرآن الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول اي يقولان العليم ۝ مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط ... الرحيم ۝ ويزكيهم ط الحكيم ۝ نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين ۝ اسلم لان قوله قال عامل اذ ... العلمين ۝ ويعقوب ط لاراده القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ۝ ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها من الاول فوقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم نقف على بعدي فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب

ندمات من بعدي ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا سكون قد خلت ج
لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استينافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف
الجملتين المختلفتين يعملون ٥ **التفسير** عن وهب بن منبه قال ان آدم عليه السلام لما اهبط الى
الارض استوحش منها لما رأى من سعتها وانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب اما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس
لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري
وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه
بعظمتي واحوطه بحرمتي واضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك
البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن
احله فقد اباح حرمتي ومن آمن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في
عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله اول بيت
وضع للناس واعمره باهل السماء والارض يأتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير
عجا ويضجون بالتلبية ضجيجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق
علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره
يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد
نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته
وولاته يكون اميني عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني وقد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة
عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناءه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي
وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة
قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر
وآمره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك
البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابراهيم امام ذلك البيت
واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة
من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال يا آدم اهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه اليه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان
الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وعن علي رضي الله عنه البيت
المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه
كل يوم

كل يوم سبعون الف من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الركن
والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة
ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة
اسمعيل وامه فعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام قط الا ثلث كذبات
ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحد في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة
وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك
اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فاتاه فقال
لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابراهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك
ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد
فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضتين الاوليين فقال
ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني بشيطان
ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم
فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك انهم اهل
ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب واما تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم
[illegible] لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل
وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها
ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت
يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان
عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت

صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم
فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو
يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا
قال فشربت وارضعت ولدها فقالت لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه
وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء
لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل
عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم لكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم
وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب الغلام فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له
يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك
فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرا عليك
السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى
فلبث عنهم ابرهيم ما شاء ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه قالت خرج يبتغي لنا قال كيف
انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام
ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه
فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك ان
تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك
واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه وصنعا ما يصنع الوالد بالولد ثم قال يا اسمعيل
ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا
ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم
يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة
ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا
فيه فقالوا ليحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا

الحجر

الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان
ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبيل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من
النذور والهدايا والاموال الطيبة ما تفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم
صلوات الرحمن عليه وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي
يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم
فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما
استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع
الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء
لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فرفع كل منهما بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب
اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت
ليكون الكلام مبنيا على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة
الاول قولهما تقبل منا وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى او يثيب عليه والا
ان عند العارفين من الثاني شبهة الفعل من العبد بالبدعة واثابة الله تعالى عليه ورضاه به بالقبول وقيل
ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل
فاختير تقبل هضما وتواضعا واستقصارا او قد يستدل على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب
الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص فكنى بطلب
القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين
لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك وان كان تحصيلا للحاصل
بالنسبة اليهما وقتئذ وان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه
الامور انفسها غير مقيد لانها امر خارج عن الضبط لا يتيسر الا لمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي
وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى حسب الاسباب
وقوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم دعاء اعتراض للتاكيد واما معطوف على
محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس
وقيل المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا وقيل اسلم مطلقا يفيد الايمان
والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا

للشفقة فالمشفق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بيانا لما اجمل هناك فكونوا حذرا وتخصيص الذرية بالدعاء
من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة واقدم قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم ائمة بصلاحهم صلاح غيرهم وفي فسادهم
فساد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل
الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم على دين الحق قائلين بالمبدا والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان
وارنا ان كان منقولا من رؤية العلم كما فعنا علمنا ان شرائع حجنا كيف هي اذا امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو
الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبداتنا
في الحج قال الحسن ان جبريل عليه السلام ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من
المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فامره جبريل عليه السلام
ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبريل عليهما السلام
برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية
فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة
والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء من النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس
من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما
يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني
مناسككم لا القاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك
وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بها كما يخدم العبد مولاه وتب علينا التوبة عنهما محمولة على ما عسى ان يكون قد
فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء او على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا
لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق بهما كما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وايضا لعلهما استتابا للذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال
عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم فليتذكر النوع الثالث وابعث
فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم ويهديهم الصراط المستقيم
والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان ذلك انبه واجل
ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاءه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم كان احرص
عليهم واشفق من الاجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم باجماع المفسرين وهي حجة
ولقوله تعالى في موضع آخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما

البشارة

البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الرؤيا فما رات آمنة
وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة هي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم
رسولا فلا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيامة بقولهم في صلواتهم اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي
لسان صدق في الآخرين اي ابق لنا ثناء حسنا في امة محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم
ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد ابو الرحمة بالمؤمنين رؤوف رحيم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني
في الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكريهما في التحية ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة واذن في الناس بالحج
ومحمد منادي الدين ربنا سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول آخر الزمان
ومنها ان الخليل تبرأ عن سائر الاديان انني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم
عليه الصلوة والسلام ذكر ان لذلك الرسول صفات اولها يتلو عليهم آياتك فهو القرآن المتلو عليهم او جميع ما يلوح من دلائل
التوحيد وعزم اوثبت الفكر ومنامه وثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة
لبقاء اللفظ على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف وان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا
ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثها قوله والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة
في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا من اجتمع فيه الامران فيضع كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر
الطاقة البشرية ومناسبة قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين
والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة وهو مذهب الشافعي هي سنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم عطف
عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة
وما يتلوهما مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على ما لا استقلال الا من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم
وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هي ما في احكام الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها
ويزكيهم لان الارشاد انما يتم بامرين التخلية والتحلية كما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليحفظ المتعلم بها يجب عليه التحذير عن سمات
النقصان ليتحرز عنها وذلك نحو ما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبث بامور الدنيا ليتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي
مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل
يشهد لهم بانهم عدول يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز
القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعث الرسل وانزال الكتب
ومن يرغب عن ملة ابرهيم استفهام فيه معنى النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من
الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها

فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل
قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه
فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه واما لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد
ظني مقيم اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز
عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم
مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص
فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول او الفروع او فيهما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة
واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفتان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع
محمد ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن ملة ابرهيم ولان الاعتراف بالاصول
لا يستدعي الاعتراف بنبوة محمد قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد من جملة الاصول
التي مهدها ابرهيم عليه السلام والمراد بملة ابرهيم في الاية اصولها التي لا تختلف بمر الاعصار وكر الدهور فلا
يلزم ان يكون محمد راغبا عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا روي ان عبد الله
بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما … من رغب عن ملة ابرهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه
في الدنيا اي اخترناه بالرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية
الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب
فليحقق كل ذي لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين
سبب الاصطفاء فقال اذ قال اي اصطفيناه في ذلك الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله
واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان حق ان يقال اذ قلنا له والاكثر على انه تعالى انما قال له ذلك
قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما
عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد
منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال وقال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد الاستقامة على الاسلام والثبات عليه
كقوله فاستقم كما امرت او المقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعتراض

بالقلب

بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح ولان ابرهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى فلهذا
فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل بالذكر قصة ابرهيم اشارة الى ان طريق
عرفانه النظر في المربوبات فلاجرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلاجرم بدا من الله فاعلم
انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق
الثاني احسن اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ومن هنا يعرف اكملية محمد صلى الله عليه وسلم شعر واني وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم يستطعه الاوائل فالف ابرهيم دال على استقامة سيرته وميم محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه
ابتداء الامر من حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمية وكان الف ابرهيم دليل وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر
فحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشر
مع دال الدوام على الكفر وكان من الكافرين اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل
بين الشيئين ومنه الخلال فلاجرم كان ابرهيم صلوات الله عليه وسطه في الطريق ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة
ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلاجرم كان محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم النبيين
وحبيب رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر آخر العمل اول ما
خلق الله تعالى نوري انا اول من تنشق عنه القبر آدم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر فمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ابو الحقيقة ولئن كان ابرهيم عليه الصلوة والسلام ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة لاجرم وقع
الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم ولان الصلوة لا تصح
بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة
التي حكاها الله تعالى عن ابرهيم اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه
وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويجعل
الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة من اسلمت لرب العالمين وكقوله
رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية
بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية دقائق مرغبة في قبول الدين منها
انه لم يقل وامر بها لان الوصية عند امارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام بالمامور به اشد ومنها انه
خص بنيه بذلك في آخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من ذلك ومنها
التعميم لجميع الابناء وانه لم تقيد الوصية بزمان او مكان ولم يخلطها بشيء آخر ثم نهاهم ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه
دلائل شدة الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك ووصى بها

يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب فمعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا كل منهما يا بني اصله
يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء لاجل النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين
استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا
يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا تنهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك الخشوع
في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد
فانه في قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكان موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه انه ليس بموت السعداء ثم
ومن حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عند وفاة
والخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او اهل الكتاب الحاضرين
كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وصايا الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم
لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة على ان تقدر قبلها محذوف معناه
اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل اي لم والمكلم من بني اسرائيل كانوا يشاهدون
لما اداه اولاده بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة احد الامرين
كائن فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا لم يكن الدعوى ثابتة لكنهما ثابتة ولهذا توجه الانكار عليهما والوجه ان يقال المراد
ان الحضور ثابت لتطاول الزمان فاذن دعواهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل ولا تسمع على انه تعالى نص على بطلانها
بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على هذا التقدير ان يكون ام منقطعة كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون
ثم استانف لسنفها ما ثانيا بالتقرير للنفي اي ما كنتم شهداء للحضور او للاعتراض بالاثبات على ان اولئك قد شهدوا والغيبون
مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لذوي العلم وغيرهم ومن مختص بذوي العلم ولهذا قال العلماء
من لما يعقل ومن خصص ما بغير ذوي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روى
ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر رأى اهلها يعبدون الاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم
على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر
الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل
وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم الرجل
صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعن
الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس وعائشة
والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله
الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع

دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا ذكر صفات الله وبيان ذلك
وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب وكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من التفرد بالعبادة والاخلاص له في
عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل على وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
الها واحدا بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون من عنوان مخلصين
التوحيد ومحله نصب حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او تكون جملة معترضة
مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون قد خلت مضت وانقرضت والوضع انه
لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد اني اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة
الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم
ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون
اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله
لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا اثر لقدرة العبد
في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذا
بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض
عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيستحيل من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيستحيل
ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله ولا اثر للعبد
فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا تكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي
ان ذات الفعل واقع بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف
بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه
الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع
بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى
هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المتادية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر
في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان
القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب
فهذه اقوال المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر
القريب لا ينافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر آخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدأ المبادي
واليك الاختيار بعقلك دون هواك

التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء

لشدتهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات
المكروهات وفقدان المالوفات وموجبات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لي
الا رب العالمين ورفع الوسائط حتى قال لجبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين
والرضا بالمامور به عند ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف
بكرامة الامامة والاقتداء واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال
وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب للانسان مثابة ترجعون اليه بالطاعات وزوالها كما ترجعون الى الكعبة في الصورة
وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكائده حرزا لمومن منزل القلب لان القلب حرم الحق محروسة من دخول الشيطان
وانما جولان الشيطان في باطن الانسان الصدور كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام
ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم لتكون قصدكم الى الحق لا الى غيره كما قال ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل في الميثاق اي طهرا القلب عن ادناس تعلقات الكونين واوصاف ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال
والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود هي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع
والخوف والرجاء والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم لانه لما اهبط آدم الروح
الى ارض الجسد وفقد ما كان يجد من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة
القلب من جنة القدس لها بابان شرقي الى حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربي الى عالم الجسد
وفيه قناديل العقل وانزل حجر الذرة التي طرحت بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى فالقم كتاب العهد يوم الميثاق
وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفارت تنور الشهوات رفعت بيت معمور
القلب الى السماء الرابع يعني حجب باستار خواص العناصر الاربع واخفي حجر الذرة في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم
الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من خمس اجبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام ويناولها
ابرهيم الروح وهو يبني الى ان بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار
صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض الزلات الدنيوية وشركيات الشهوات النفسانية في
جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سالا ربهما الاستسلام لاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة
التي جف القلم بها في الازل وكذا لذريتهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم اي من الخارج
فمن لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابرهيم الروح يوصي بملة الله بنيه القلب
وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها بملته وفي الآية
اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه بجماله ليظهر آثار انوار تجليه على قلبه وسره ونفسه وفؤاده وحواسه
وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا لا اشتغال فاسد الهوى والدنيا والآخرة والله ولي التوفيق

وقالوا

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا اَوْ نَصَارٰى تَهْتَدُوا ط قُلْ بَلْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا ط وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
وگويند باشيد جهودان يا ترسايان تا راه راست يافته باشيد بگو بلكه آيين ابرهيم حق گراى و نبود از مشركان
قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنْزِلَ اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
گويند ايمان آورديم بخداى وآنچه فرو فرستاده شد بما وآنچه فرو فرستاده شد سوى ابرهيم
وَالْاَسْبَاطِ وَمَا اُوتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَمَا اُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ج لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ ج
و فرزندان و نوادگان يعقوب وآنچه داده شد موسى را و عيسى را وآنچه داده شد ديگر پيغمبران را از پروردگار ايشان جدايى نمى افگنيم ميان هيچ يكى از ايشان
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ فَاِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ج وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ج
وما مر خداى را فرمان برداريم پس اگر ايمان آرند بانچه ايمان آورديد شما بآن پس راه راست يافتند و اگر اعراض كنند هر آينه ايشان در مخالفت و عداوت اند با شما
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ ج وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ط صِبْغَةَ اللّٰهِ ج وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً ز وَنَحْنُ لَهُ
پس زود بود كه كفايت كند ترا شر ايشان خداى و او شنونده و دانا رسانيد خداى ما را بدين خود و كيست نيكوتر از خداى از جهت دين و شريعت و ما مر او را
عَابِدُونَ ۝ قُلْ اَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّٰهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ج وَلَنَا اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ ج
پرستندگانيم بگوى اى محمد مى گوييد با ما در كار خداى و او پروردگار ما و پروردگار شماست و ما راست جزاى كردارهاى ما و شما راست جزاى كردارهاى شما
وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ ط اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
و ما مر او را خالص پرستندگانيم يا نه كه مى گوييد شما بدرستى ابرهيم
وَالْاَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا اَوْ نَصَارٰى ط قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ ط وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ
بودند جهودان يا ترسايان بگوى شما داناتريد يا خداى و كيست ظالم تر از آن كس
كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ ط وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ اُمَّةٌ
كه پنهان داشت گواهى را كه نزد او بود از قبل خداى و خداى آگاه است از آنچه مى كنيد شما آن جماعت گروهى بودند
قَدْ خَلَتْ ج لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ج وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
كه منقرض شدند مر ايشان راست آنچه اندوختند و شما راست آنچه اندوختيد و نپرسند شما را از آنچه بودند كه مى كردند

القراءة ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل
الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط حنيفا ط المشركين ۝ من ربهم ج لطول الكلام
والاستيناف والاصح انه حال اي آمنا غير مفرقين منهم ج لاحتمال الابتداء والحال والوجه مسلمون ۝ اهتدوا ج
لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج لاحتمال الواو
الابتداء والحال العليم ۝ ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قولهم آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط
معترض صبغة الله ج لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال او للعطف على آمنا
عابدون ۝ وربكم ج لان الواو يصلح ان يكون عطفا على الحال الاول ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون ۝ ط لمن قرا

ام يقولون بالتاء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم تقف لان ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط
تعملون ٥ قد خلت ج ما كسبتم ج تعملون ٥ الجزء الاول من الثلثين التفسير انه تعالى لما بين
بالدلائل المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين فيه منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى
قالوا كذلك لما علم من التعادي بين الفريقين كان كل منهما من المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى فاجابهم الله بقوله قل بل ملة ابرهيم اي نكون اهل ملة مثل واسأل القرية اي اهلها او بل نتبع ملة ابرهيم
ونرى بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقوله رأيت وجه هند قائمة وذلك
لان المضاف اليه متضمن للحرف مقتضي تعلقا بالفعل ان شيم وحينئذ تشمل على فاعل او مفعول فالحال عن المضاف اليه ترجع
في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع
النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل
الجواب ان المعول في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف
وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى وهذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان يزعم اليهود والنصارى
انا على دين ابرهيم فازاحت علتهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا بالتثليث واليهود بالتشبيه واضا
قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في شيء قولوا خطاب للمؤمنين
ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب لغير برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ابرهيم ولما
ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجب الاعتراف بنبوته والايمان بما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى
وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله قل بل ملة ابرهيم
خطاب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان معرفة النبي والكتاب
متوقفة على معرفته وفيه ابطال لما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي عليهم السلام فهم حفدة يعقوب ذراري
ابنائه الاثني عشر عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر
ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانه او القول انهم متفرقون في اصول الديانات بل شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم
لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان له السلام تقليدا وهوى ولما بين الطريق الواضح في
الدين وهو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة ذكر عقيبه في مثل هذا الايمان وههنا
سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما آمنتم به والجواب ان قوله فان آمنوا بكلمة الشك
دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا

لكن

لكن لا دين صحيحا سوى هذا السالم عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي
الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما
رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم
وقيل المثل مقحم صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف
فان آمنوا بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوصلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي الآية دليل على ان هداية
قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى
وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه
او من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاها او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع في المحن فلاجرم آمنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم
وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها
في مقابلة لن قال سيبويه لن افعل نفي سأفعل ولقد انجز وعده بما رتب بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب
الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب ولكم من مثله في القرآن وكل ذلك مما اكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح
وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اي يسمع دعاك ويعلم نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك
لا محالة ووعيد لاعدائه اي هو منهم بمرأى ومسمع يعلم ما يضمرون من الحسد والغل فيعاقبهم على ذلك صبغة الله
مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء اي عليكم
صبغة الله وفيها فك النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه بالمعمودية
ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا وصبغنا الله بالايمان
صبغة لا مثل صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام
ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه
ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمي الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر السجود
من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل في وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره
ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرة اول وذلك ان آثار النقص الامكاني
لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يستدرج منها الى وجود الصانع والايمان به وقيل صبغة الله الختان وقيل
حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى استفهام الانكار وصبغة تمييز اي صبغة احسن من الايمان
بالله والدين الذي شرع لكم لتطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا
قل اتحاجوننا اما المحاجة فهي اما قولهم نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم

نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث
قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم
والرب لا يفعل الا بربوبيه ما يعلم فيه مصلحة ويعرف اهلا له عبيده كلهم فرضي في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فكالا لكم اعمالا نرجو بها الكرامة فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا
نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يؤهل اهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من قرا بتاء الخطاب احتمل
ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام آخر اي بل اتقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان تكون متصلة بمعنى
اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم وتجهيلا لهم بما كان منهم
وعن الزجاج اي بالحجتين تتعلقون في امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرا بالياء
الغيبة فلا تكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل انتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق
وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر بنقض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان
لهم خطاؤه ولئن قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فاذن فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله
كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من العدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن
عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان وسله واهل الله
ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا
لابرهيم بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفاتهم
وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولولا ان احدا كان على رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم
الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم السر ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته
او ناره تلك امة اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الآية هنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف
ما عليه الامم السالفة من الدين فان اديانهم انقطع الابتلاء بها لاندراس آثارها وانطماس انوارها واما المكان فالدين هو
الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان النير فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون والغاؤه ولا يسال المتاخر
عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزي الله حسبي

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما
كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا
قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك
وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة

الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم

مگر آنانکه ستم کردند و جور کردند بر شما پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام کردانم نعمت خودرا بر شما

ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم

و تا مگر شما راه راست یابید چنانچه فرستادیم در میان شما فرستاده از جنس شما که می خواند بر شما

آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

آیتهای ما را و پاک می کرداند شما را از خبث و می آموزاند شما را معانی قران و بیان شرایع و می آموزد شما را آنچه نبود که بدانید

فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

پس یاد کنید مرا بطاعت تا یاد کنم شما را برحمت و سپاس داری نمایید مرا و حق ناشناسی مکنید مرا

القراءة لئلا الى بهمز بين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون ليثا ولي بقلب الثانية
واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة ليثا والى بقلب الاولى واوا لروف بهمز مشبعا ابن كثير وابو جعفر
ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمي وقرا يزيد بتليين الهمزة والاشباع الباقون لروف على وزن لرعف
يعملون ولئن بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء مولها بالالف ابن عامر
الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء المغايبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا مذهبه عنه بهمزة عن ورش وعن ابن كثير
وحمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب وهشام الاظهار فاذكروني
بفتح الياء ابن كثير **الوقوف** عليها ط والمغرب ط مستقيم ٥ شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط
رحيم ٥ في السماء ج لان الجملتين ولئن اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا توكيد يختصان بالقسم والقسم صدر ترتيبهما ص
لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط يعملون ٥ قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما
لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان ان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان وصف
الظلم مطلقا وفي الاطلاق خطر الظالمين ٥ م لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدا في مدح عبد الله بن سلام واضرابه
ابناءهم ط يعلمون ٥ الممترين ٥ الخيرات ط جميعا ط قدير ٥ الحرام ط من ربك ط تعملون ٥ الحرام ط لان حيث
متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة وقيل يجوز ان اثبات الحجة بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولاناقة
لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا يبقى الخصومة تهتدون ٥ لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون
ولئن علق بما بعده وقف على تهتدون دون تعلمون تعلمون ٥ ولا تكفرون ٥ **التفسير** هذه شبهة ثانية
من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله
مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا له وان كان مقيدا باللادوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام
فان كان الامر يعتقد دوامه ثم دفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما باللادوام كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح
ثم انهم خصصوا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فهاهنا لا مصلحة فان الجهات

متساوية

متساوية وهذا دليل على ان المخبر ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد
يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون فيَّ كانه يريد اذا ذكر
مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد في الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الآية والمشهور انه تعالى اخبر
عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة
المكروه اشد ما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقيل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف
الاحلام واذا كان من لا يميز بين ما له وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم
عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يانسون بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا
لاسيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركو العرب قالوا اي لما الرجوع الى موافقتنا
ولو ثبت عليها لكان اولى وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تمييز بعض الجهات عن بعض
ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء
جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء
عن قبلتهم التي كانوا عليها بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا مما اجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل
ان يعود الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون
الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غير هاتين الجهتين
المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان
توجه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب
بعد ما مر في آية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد
وان افعاله تعالى لا تعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها ما لا يهتدي عقول البشر الى
تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة
فالحكمة فيه ان للانسان قوة عقلية مدركة للمجردات والمعقولات بها وقوة خيالية متصرفة بها في عالم الاجسام
وقلما تنفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا
معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي
فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك
والقراءة والثناء تجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة
لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين
واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة

من المومنين وقد من عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدآء فالّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
و توجّه كل مصل الى اىّ جهة تتفق مظنة الاختلاف ولم يكن بدّ من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا
كانه تعالى يقول يا مومن انت عبدى والكعبة بيتى والصلوة خدمتى وقلبك عرشى والجنة دار كرامتى فاستقبل بوجهك
الى بيتى وبقلبك الىّ اتوّبك دار كرامتى وايضا اليهود لستقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربى
اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى يستقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمومنون استقبلوا
مظهر الانوار وهو مكة فيها مولد محمد ومنه خلق الانوار ولاجله دلير الفلك الدوّار وايضا المغرب قبلة موسى
والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابرهيم ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخير الامور اوساطها وايضا الكعبة سرة
الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا
العرش قبلة الحملة والكرسى قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المومنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا
فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسى من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا
وزيتا وجودى ولبنان وحرآء كانه قال لئن كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاتيت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت
نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرت لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب ظهور دولة العرب كانت رغبتهم
فى توجيهها اشدّ وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل
تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها يقتضى تعظيمه وتعظيمه حاملين على قبول اوامره ونواهيه
فبمقدار حسنه المراتكن قبول قوله فهذه هى الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله وما جعلنا
القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفى اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدى اى كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما
هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه اى كما اصطفينا ابرهيم فى
الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اى كما خصصنا بعض الجهات المتساوية لمزيد
التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة برّا منا وامتنانا مع تساوى
الخلق فى العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشى وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل
انا انزلناه فى ليلة القدر من المشهور المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشآء واذلال
من يشآء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذى لا يقدر عليه احد غيرى جعلناكم امة وسطا الجوهرى تقال جلست
وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط
وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شىء اعدله وشىء وسط اى بين الجيد والردى وامة
وسطا اى عدلا قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالى بمعظم وذلك لان العدل
متوسط فى الاخلاق بين طرفى الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى فى معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار

وكذلك جعلناكم اى كما ان ... وسطا لا ... كذلك جعلناكم
وسطا

م ر
معظم

لانه يستعمل فى الجمادات وفى الكشاف الكريت تكلم رجل اعرابى فقال اعطنى من سطا تنكن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون فى الدين بين المفرط والمفرط
والغالى والمقصر فى شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبى ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء
وبدلوا الكتب ولان الوسط فى الاصل اسم وصف به يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لتكونوا شهدآء على الناس
الاكثرون على ان هذه الشهادة فى الآخرة اما بان يكونوا شهدآء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روى ان الامم يجحدون
تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيوتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد فيسال عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة فى
ذلك تمييز امة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الفضل عن سائر الامم حيث بادروا الى تصديق الله وتصديق جميع الانبياء
والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم
عليهم وانما سمى هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشى الذى اخبر الله تعالى عنه معلوم
مثل الشمس فيصح الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التى خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد
اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة
لتكونوا شهدآء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه
الشهادة فى الدنيا وذلك لان الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة
فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الآخرة لان
عدالتهم فى الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضى فلا اقل من حصولها فى الحال ثم رتب كونهم شهدآء
على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهدآء فى الدنيا فان قيل لعل التحمل فى الدنيا ولكن الادآء فى الآخرة قلنا المراد فى
الآية الادآء لان العدالة انما تعتبر فى الادآء لا فى التحمل ومن ههنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق
فى نفسه بل المعنى ان هيئتهم الاجتماعية تقتضى كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم
الشهادة فى الآخرة فيجرى الواقع منهم فى الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بيّنوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد
ثم يشهدون بذلك يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذى تم وما الذى لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم
او يكون المعنى لتكونوا شهدآء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم
ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة فى الثانى لان الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقى صلة
الشهادة فى مركزها والغرض فى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها المفيد للاختصاص
وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمّن معنى الرقيب مثل والله على كل شىء شهيد مع رعاية الطباق للاول

وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم مقتضى التكليف اما بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال
قيل الآية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها
على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمنا لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب من
لم يوجد محال فالآية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا تثبت صحة
الاجماع وقد سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطاء لكنه من
الصغائر فلا تقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز
ان يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام
الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا
لو اعتبرنا اول الامة وآخرها باسرها لم يكن فائدة الآية اذ لم يبق بعد انقضائهم من يكون الآية حجة عليه فعلمنا ان المراد به
اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا او عدولا عند الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطاء
لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا اي ربما الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة موصوف
محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك كان فلان
على كذا وفي الجهة وجهان احدهما ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى
الكعبة اختبارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان
للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لفائدة هي ان نمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي لتقرير
الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه ليعلم حزبنا
من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذي تعلق به الجزاء
ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني في الوقت الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث
الحادث كهو حال حدوثه وبعد حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان
مكتنفا بزمانين سابق ولاحق فاذا انسبت العلم الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا انسبت الى زمانه
قلت يعلم واذا انسبت الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه العبارات انما هي من اعتبارك وعلم الله واحد
فافهم او لنميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمى التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمرته او لنري
كاستعمال الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الآية راجع الى المخاطبين ومثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا
فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار تحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه
لتعلم ايها الجاهل وهذا من الكلام المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه

لستعارة

استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها
من الناس من قال بالاول لانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق
ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة
في امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا
لو كان على يقين من امره لما تغير رأيه وعن السدي لما توجه الى الكعبة اختلفوا قال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة
ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا الى بيت المقدس وقال آخرون اشتاق الى
بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية
وتسميتها بالمخففة للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان او علمت
وبطل عملها في الظاهر وكذا في المقدر فلا تقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كان
واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولاهم او الجعلة او الردة
او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك لان الانتقال
لو وقع نفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الآباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني
على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاد حقيقته الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي
هداهم الله الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة
للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين الحاضرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان منتصب المضارع
بعدها بمقدر ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب
الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك
مفسدة لكم واضاعة لصلواتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم آثار الايمان واشرف نتائجه او ان المراد
لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله
كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا
واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السوال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو لاجل الاطمئنان
وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السوال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذكر حيث تقع صلوتهم الى الكعبة
بقية عمرهم بكثرة ما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عن جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته
كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في وقتيهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم
ان يكون السوال صادرا عن منافق فبينه المسلمين في الجواب وقيل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم
فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا وحكي عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان الله بالناس لرؤف رحيم الجوهري

الرافة اشد الرحمة رؤفت به اروف بالضم فيهما رافة ورآفة ورافت به ارأف بالفتح فيهما ورئفت به بالكسر
رأفا والصفة رءوف ورؤف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر
ولا يأخذكم بهما رأفة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف تتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم
من شرع الى شرع هو اصلح لكم او انما هدى من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اقل للنقض كان الاثر عليه اظهر
قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية ههنا وان كان في الاصل للتقليل قال قد اترك القرن مصفرا انامله
كان اثوابه مجت بفرصاد كان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى التكثير لقوله فان تمس مهجور الفناء فربما
اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من الممدوح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الى الممدوح
ومثله قد يعلم الله فان المتمدح بكثرة العلم يقول لا انكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة
السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفني
عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال له جبريل عليه السلام انا عبد مثلك فسل ربك ذلك فجعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبريل بما سال فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم يتبع
قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم لا يتمنى
في بلده الا باذن الله وقيل انه استاذن جبريل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله تعالى قد اذن له في الدعاء فكان يقلب
وجهه في السماء منتظرا مجيء جبريل للاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس
من غير تعيين للتحويل اليها ولم تكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الكعبة فكان ينتظر الوحي بذلك وعلى هذا فقيل
شرع من استقباله الى بيت المقدس ولم يعين له القبلة فكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب وجهه
عن الاصم وقيل بل وعد بذلك وقبلته بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه
وهذا اولى والا لم تكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز
ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر
بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال
وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلفوا ايضا في ان توجهه الى بيت
المقدس بعد الاتفاق على انه منسوخ هل كان فرضا لا يجوز غيره او كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مخيرا في توجهه اليه والى غيره
فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الآية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة
قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها
وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له

لستقبالهم

اي فلنجعلنك

اي فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها
ووافقت مشية الله تعالى وحكمته وعن الاصم كل جهة وجهك الله بجب ان تكون رضي لا تسخطها كما فعل من انقلب على عقبيه
وقيل ترضى عاقبتها لانك تميز بها الموافق عن المنافق فول وجهك اي كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل
القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء وبه تميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته
قال جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشيء والكعبة واقعة من المسجد في
النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وذيك بالغرض بين النصف ومن
المنتصف والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينا الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفي الموطا صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة
قبل بدر بشهرين واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام ففي شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة
لاهل الحرم والحرم قبلة اهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك وقال آخرون القبلة الكعبة لما اخرج في الصحيحين عن ابن جريج
عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل
حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة
كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال آخرون القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعي
في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا الظاهر قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه القبلة مشيرا به الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلغ مبلغ التواتر وتوقف
صحة الصلوة وهي من اعظم شعائر الدين على الاستقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف للكعبة فوجب ان يكون مشروعا
ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابي حنيفة وهو قول آخر للشافعي
فجهة الكعبة كافية لان في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان في ذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب واكتفي به في الآية ولان اهل قبا استداروا
الى الكعبة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها تحتاج الى النظر الدقيق
لم تتات لهم حينئذ ثم لم ينكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليهم وسمي مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا
ولا سبيل اليه الا بالدلائل الهندسية فانها هي المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا تفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجزيه الاكتفاء
بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول
اقرب الى التحقيق واصابة العين للبعيد غير بعيد فان من يقطن في الارض ولا في السماء الا ويمكن ان يوصل بينه خطا والغرض ان يكون المصلي
ساجدا على قوس من عظيمة لو ضيم مارة بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وعند
عسر معرفة هذا القدر بالدائرة الهندسية وغيرها من الطرق المشهورة فيما بين اهل الصنعة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية

وذكرها هنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون مقدماتها وللمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها
المتحير وهي اما ارضية وهي الجبال والقرى والانهار او هوائية وهي الرياح او سماوية وهي النجوم اما الارضية
والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح
قد تهب في بعض النواحي من صوب معين واما السماوية ففي النهار لا بد ان يراعي قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال
هي بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع
وكذلك يراعي وقت العصر ويعرف وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف
وقت العشاء الآخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويختلف مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب
الذي يقال له الجدي فيعرف انه على قفا المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها
بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل في بلده فليعول عليها في الطريق كلها الا اذا طال السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد سال اهل
البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو مستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل به في سائر طريقه ومعرفة دلائل القبلة فرض العين
ام فرض الكفاية اصحها الوجهين في مذهب الشافعي الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
ليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم وهذا خطاب للامة او لان الامة قد دخلت في الاول ايضا واحتمل
ان يظن كون الخطاب مختصا باهل المدينة وفي الثاني عم المكلفين جميعا في جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال نوع توقف
على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولا بد من حالة تقع فيها الاستقبال فلنتكلم في هذه الاركان الثلثة على الاجمال والتفصيل ذكر في
كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهي الصلوة للاجماع على ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة
لقوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها الا في حالة الخوف واما نافلة
ويجب فيها الاستقبال الا في حالة الخوف وفي السفر راكبا كان او ماشيا متوجها الى طريقه لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف في الماشي وكذا عن ابي حنيفة وهل يجب على
المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحريم الاصح نعم ان سهل بان لم تكن مقطورة او لا حران بها والا فلا لما روي ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث وجهه ركابه واما عدم الاشتراط عند الصعوبة
فلدفع المشقة واختلال امر السير عليه واما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان الا الماشي فعليه الاستقبال
في كل ركوع وسجود كما عليه الاحرام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيها ولا وضع الجبهة في السجود على السرج او الاكاف
بل يقتصر فيها على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب التعاسيف الذي لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال في التنفل
الركن الثاني القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد
ومالك في الفرض لنا انه صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم يتخير في استقبال
اي جدرانها شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا ولو كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل صحت صلوته
والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده يسامت معظم بدنه الشاخص ولو انهدمت

الكعبة

الكعبة حاشاها وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت والحالة هذه متوجه
نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كالوقوف الان على سطح
الكعبة فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزئه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي
خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام
مستحبا والقوم يقفون مستديرين بالبيت والافضلية الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة
كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صح صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته يتبين ذلك اذا احيط بالبيت
دائرة تساوي السارية والصفوف خطوطا موازنة لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان بمكة يعاين القبلة سوى محرابه
بناء على العيان وصلى اليه ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطاء فهو صواب قطعا
فتسوى سائر المحاريب عليه وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا انضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة
في بلاد المسلمين وفي الطرق التي هي جادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرون من المسلمين ولا يجوز الاجتهاد
في التيامن والتياسر اما في محراب الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطاء منهم
في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر ويقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو الركن
الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد ولو لم يقدر فان وجد من يخبره عن علم
وكان المخبر ممن يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر ياخذ بقوله ولا يجتهد وكذلك
في الحوادث اذا روى العدل خبرا يوخذ به وكان ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون
عدلا يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن
القبلة قد يكون صريحا او ذكرا ظاهرا وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق بين لزوم الرجوع الى الخبر
بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر المعرفة ادلة
القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب
عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على المجتهد لغيم
او حبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي ولو عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة
فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما
عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب
ان يقلد الاوثق الاعلم عنده ولو امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى ولو ضاق
الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطاء يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع
بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطاء قضى على الاصح وان ظن لم ينقض وان تغير
الاجتهاد في اثناء الصلوة انحرف وبنى فهذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين

وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا
الذين عندهم اهل التواتر ليصح عليهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق اما للرسول اي
انه مع شرعه ونبوته حق فيشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك لان علماءهم عرفوا في كتب
انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابرهيم واسمعيل عليهما السلام وايضا انهم كانوا
يعلمون نبوة محمد بالمعجزات وبالبشارات وكل ما اتى النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما يعملون وعد للمؤمنين ووعيد
للناكثين والمعاندين ثم بين اصرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب فقيل هم جميع اليهود والنصارى
لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد
اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بعلومهم ثم يتركون الحق في الظاهر فهم المتبعون الهوى ونوقش فيه بان كل صاحب شبهة
صاحب هوى قالوا الايتان المكتنفتان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم لا يجوز منهم الكتمان فكذا
هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج
لا دأب العامي المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب
الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية بكل برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف
ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لتوطئة القسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك لان فيهم
من قد ترك اتباعك لا لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عنادا او مكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء
فان صح عنده انه لم يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع
قبلتهم دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم
طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه
استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة اخرى اذ لا يجمعهما بحكم
الاتحاد في البطلان واحدة وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى
يمكن ارضاؤهم باتباعها او انهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين او انه اذا جاز
ان يختلف قبلتاهما للمصلحة فلم لا يجوز ان تكون المصلحة في ثالث وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى
المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث تتعطل احدى القبلتين لان اليهودي لا يصير نصرانيا او بالعكس ولعل ذلك قد وقع
اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت كلام على سبيل الفرض والتقدير لقوله وما
انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب الديانة انك اذا اي اذا
اتبعتهم لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان صغائر الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح
وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم فان مزيد المحبة تقتضي التخصيص بمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك

المحاسنة

المحاسنة في القول وليستميل قلوبهم طمعا في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي عن ذلك القدر ايضا وايسه منهم بالكلية كقوله
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفيه ان ذلك للامة
كالرجل الحازم يقبل على ابر اولاده واصلحهم يزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانهم لا محالة
يؤاخذون بالطريق الاولى لو خالفوه الذين اتيناهم الكتاب هم علماؤهم يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزونه
عنه وبين غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبيلة حسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم
وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد
بالعلم ببنوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم بالمظنون عن عمر انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر راسه
وجاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يده لانها لا تفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك وانما ينكرون كونه النبي
المنعوت في كتبهم فرد الله تعالى عليهم قائلهم وانما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر ولصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق
ولو تساويا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم
وبيانه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم من امن به
واظهر الحق ومنهم من يجب القول به وتحث اهل الفتنة كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم وهم من
سوى المؤمنين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد او امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان
الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون
مبتدا خبره من ربك ثم في اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم او الى
الحق الذي في قوله ليكتمون الحق او الجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي عليه اهل
الكتاب باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان نهي الشخص
عما يعلم انه منته عنه لمثل ما تقرر في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم الجهة
ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جمع الوليد الصبي وانما لا يجتمع مع الهاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل
واما الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير
فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها
لصلوته التي يتقرب بها الى ربه وكل حزب بما هو عليه ولا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة وانتم
تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة
ابرهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين واينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد القيامة
يفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان لكل واحد

من بيت المقدس و الكعبة قبلة فالجهتان من الله تعالى وهو الذى ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره فى الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم القيامة فيحكم بينكم وقيل لكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلى اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة لمحاذاة الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر هو مولاها معنيان احدهما انه ما وليته فقد وليناك والآخر انه تلك الجهة وحببت اليه وقيل لكل مخلوق قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسى وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة بل قبلة جسدك هى وقبلة روحك انا وقبلتى انت انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى ثم ان الشافعى رضى الله عنه استدل بقوله تعالى فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة فى اول الوقت افضل وعند ابى حنيفة رضى الله عنه التاخير افضل لان الفضيلة الانتظار ولتكثير الجماعة ولما روى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رأيت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حافظوا على شىء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجىء الوقت لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا على ثلث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفوا ولان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول الوقت ثم تكاسل المكلف وتثاقل او تعلل باسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اى بلد خرجت بالجهد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور للحق الذى يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للممتثلين ووعيد للمتغافلين. واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء فى سبب التكرير اقوال اولهما ان الآية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام والثانية على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون فى البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد فى اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيته لما فى التورية والانجيل واكد الثانى باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كان قوله فباى آلاء ربكما تكذبان وامثال ذلك تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الآية الاولى توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبى وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرير الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اى نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهواك كقبلة اليهود المنسوخة التى انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهى ولكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفى الثالث لبيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم الاحوال والثانى لتعميم الامكنة والثالث لتعميم الازمنة لشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التى كنت تهواها الزم هذه القبلة فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فيها منقطع عنك حجج العدى

وهذا

٨٧

وهذا اقرب من الثالث وسادسها ان هذه الواقعة اول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها ان الآية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والآية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ومما يؤكد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الابتهاج نفسه حيث لم يبق الا هو وهو مقام الفناء فى الله بخلاف الآية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبى دون الامة لان هذه المرتبة وهى مسجد الحرام حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وايضا قدم على الآية قوله ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين وهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص ناسخ للتكليف الخاص به والعام له ولامته كرر الآية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور قوله لئلا يكون اى ولوا لاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اى عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود كانوا يطعنون بانه يخالفنا فى ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد ان يتوجه فى صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم والآن لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد بها المحاجة او سماها حجة تهكما او طباقا وبناء على معتقدهم لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد يكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلين بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء او بعض العرب القائلين بان محمدا عاد الى ديننا فى الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعنى والفرقدان واذا طعنوا فى دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشونى واحذروا عقابى ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه فى كل افعاله وتروكه خشية الله وينقطع الرجاء او الخوف عن سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اى فولكم الى هذه القبلة لحكمتين احدهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم وقيل متعلق بمحذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشونى لاوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وهذا الاتمام لا ينافى ما انزل فى آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فان لله تعالى فى كل وقت نعمة على المكلفين وللاتمام بحسبها فهذا اتمام النعمة فى امر القبلة وذاك تمام النعمة فى امر الدين على الاطلاق وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة

كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم لن الجار والمجرور متعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي عليكم
في الدنيا بحصول الشرف وفي الآخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرائع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة
لدعوته حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني
معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا تنقطع فكل نعمة سابقة فسيضم اليها
اخرى لاحقة حتى تكون له الفضل اولا واخرا وبداية ونهاية وفي ارساله فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم
فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى منهم واسطتهم ليكونوا الى القبول
اقرب وكون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع
العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة
قد مر في دعاء ابرهيم وفي قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم
وتحير الناس في امر الديانة فعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون
عطف بالواو ليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله اقول له ارحل لا تقيمن عندنا
لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المنحي ويحتمل من حيث العربية ان تكون لا نافية والنون ليست
للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه
ويمجده ويقرأ كتابه او بالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل
على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ويتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا
من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشغال المنهي عنها
وبهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله واما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب واظهار الرضى
واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني
في الدنيا اذكركم في الآخرة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني
بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني
بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ط ان الله مع الصبرين ۝ ولا تقولوا
اى آن كسان كه ايمان آورديد يارى خواهيد از خداى بر داشتن رنج تكاليف بمشقت و بگزاردن نماز كه خداى باصبر كنندگانست و مگوييد

لمن يقتل في سبيل الله اموات ط بل احياء ولكن لا تشعرون ۝ ولنبلونكم
مر آنكسى را كه كشته شد در راه خداى كه جهاد است ايشان مردگانند بلكه ايشان زندگانند وليكن نمى دانيد شما و هر آينه مى آزماييم شما را

بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ط وبشر الصبرين ۝ لا
بچيزى از ترس و گرسنگى و كم كردن از مالها و تنها و ميوها و مژده ده صبر كنندگان را

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ۝ ط
آنكه چون رسد بديشان رسيده كويند بدرستى ما بنده خداى ايم و بدرستى ما سوى جزاء او باز گرديم

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ۝
آن صابران بر ايشان است ثناها از پروردگار ايشان و بخشايش و ايشان ايشانند راه يافتگان بطريق صواب

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال
كلمة الاسترجاع **الوقوف** والصلوة ط الصبرين ۝ اموات ط لا تشعرون ۝ والثمرات ط الصبرين ۝ لا
لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ۝ ط لان اولئك مبتدأ على الاصح ومن ابتدأ بالذين
فخبره اولئك مع ما تلوه ووقف على الصبرين ولم يقف على راجعون المهتدون ۝ **التفسير** انه تعالى لما اوجب
بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد
جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظائف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال
المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر لآيات الوعد والوعيد والترغيب
والترهيب انجر ذلك الى اداء حقوق الناس وسائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين
بالنصر والتائيد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة
في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فقتلتم فانكم احياء عندي
من قتله محبته فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال في الحال ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة
فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يخرج بحيوته واليه الاشارة
بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب وقال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل
ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء
او المراد قولوا انهم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الدين في شيء او لا تقولوا
مثل ما يقول منكر البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة
وعلى هذه الوجوه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المومنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب
وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتألم ويلتذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن
في القيامة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر

ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل
طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تأكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون
على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بايديكم
فيد المستعير امر اولا بالشكر على كمال النعم ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق النوائب
وبروق المصائب ومعنى بشيء بقليل من هذه الاشياء وايضا لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره
ضروبا وليس بمراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وفيه ان رحمة معهم في كل حال
لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك وهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في
الحال سمي ذوقا ووجدانا لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا
وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك ارتياحا ورجاء واما
الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن انس ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد
الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يأمنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليه
وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في
اول مهاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه صلى الله عليه وآله
خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال اخرجني ما اخرجك وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد
للجهاد انهم يقتلون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم
ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوال والاخوان واما
نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله
والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف نعم وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل من يتأتى منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله عليه الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في
البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة
فليس لكمالهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبير المتعال وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال
واما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكن اذا بلغ
انفتح لوح الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية
فيقع بين داعي العقل والشهوة تضاد وتضاد فصار العقل اباها هو المعنى بالصبر وانه ضربان بدني فعلا

كتعاطي

كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الآلام والنفسانية ومنع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان
حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان في مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة
هي الجزع وهي اطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط
النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم
الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده البرم وان كان في نائبة من النوائب سمي سعة الصدر ويضاده الضجر وضيق
الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان
على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن
وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا بأس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكى على ابراهيم
ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا
ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا ولا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس ادامة الجزع لم يقدروا عليه
وقد وصف الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في الحديث
القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة
بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا
لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان
الايمان لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما يتأتى بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد
منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله
الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض
فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب
فيقول تعالى انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة
الصبر انه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما قال شارب
الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف
لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء
امامهم ايوب عليه السلام ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم
مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة
كالنازلة والواقعة والملمة وانما نكرت لتشمل كل مضرة نالت من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى

مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرارا بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما قال ان
الملك والدولة رجع الى فلان لا يراد الاستقلال بل القدرة وترك المنازعة انا لله اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على
انفسنا بالملك انا لله اشارة الى المبدا وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه راجعون اشعار
بالبقاء به انا لله رضى بقضائه وانا اليه راجعون ايمان بقدره واعلم ان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين
الصرف او الجذب اما الصرف فمتى مال قلبه الى شئ والتفت خاطره اليه جعله الله تعالى مسلطا للآفات لينصرف
وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقى آدم
مع ذكر الله ولما استانس يعقوب بيوسف عليهما السلام اوقع الفراق بينهما فبقى يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد من اهل مكة
في النصرة والاعانة صاروا اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل ذكر الشئ بلاء ولكن يرفع من البين حتى لا يبقى
لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد
فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق
غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل في السلطان المهيب منصرف بكليته
اليه مشتغل بالكلية عن سواه ونصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضا بالقضاء الحق ساكنا من غيران
يبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي
قال نعم كل شئ يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم
يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فاجرني
فيها وعوضني خيرا منها الا آجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفى ابو سلمة ذكرت هذا الحديث
وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع
واسترجع عند مصيبة كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر رضي الله عنه
قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون
قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو
والتعطف وضعت موضع الرافة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة
واولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفائزون بالكرامة والثواب او هم المتمسكون بآداب المستثبتون
بالعزم والامر في الآية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضا بالقضاء والصبر على اداء الفرائض
لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قول انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه
ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء
فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكونوا ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن

لشدة حزنهم فيكون ذلك الحزن تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا
الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه يظهر المنافق ويتميز عن الموافق كان الحكمة
في نفس الابتلاء ايضا ذلك شعر دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ❊ بل في الشدائد تعرف الاخوان ❊
اذا ابتلت اهدى الهجر لي حلل البلى ❊ يقولون لولا الهجر لم يطب الحب ❊ وان قلت كربي دائم قال انما
يعد محبا من يدوم له الكرب ❊ وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ❊ حياتك ذنب لا يقاس به ذنب ❊

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ
هر آینه صفا و مروه از نشانهای دین خدایست پس هر که قصد کند خانه کعبه را یا زیارت کند پس هیچ بزه نیست
عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ
أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝

القراءة من يطوع بتشديد الطاء وبالجزم حمزة وعلي وخلف وزيد
ورويس الباقون بالتخفيف وفتح الآخر على الماضي المضي **الوقوف** شعائر الله ج
للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استينافا حكم
عليم ۝ في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون ۝ للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف
والحال الرحيم ۝ اجمعين ۝ لا لان خالدين حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى وان الحسن والملائكة
وما بعده بالرفع فيها ج لان ما بعده حال بعد حال او استيناف اخبار ينظرون ۝ **التفسير**
لما في تعلق الآية بما قبلها وجوها منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابرهيم كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب
تحويل القبلة الذي هو اخبار شرع ابرهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن
عاقبتهما فناسب ان يردف آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام

المكالف بالشاء اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره وليشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي
ولا تكفرون وثانيهما ما ركز في العقول قبحه والتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به ولا الحمد بالالم
منه الا لان الشرع لما ورد به وبين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان فحينئذ يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصوابا
وذلك قوله ولنبلونكم الاية وثالثها ما ليس يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة
والمضرة فياتي بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوهما فذكر طرفا من هذا القسم عقيب
القسمين الاولين تتميما للاحكام وليستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا بالالف علمان للجبلين المعروفين
بمكة زادها الله شرفها والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء
وصُفِيّ على فعول واذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان
عليه تراب وعن الاصمعي المرو حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة
وذلك لان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله او مما شرعه الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم او لابراهيم
عليه الصلوة والسلام قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه وانما يصير عبادة اذا كان بعضا
من ابعاض الحج فلهذا قرن بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كرم الاخلاق
والتزدج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك والحاج ياتي البيت اولا ليعرفه
ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم يعود اليه لطواف الصدر ومحجة الطريق لكثرة
تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزائر ثم صارت
العمرة اسما من الاعتمار غلبت على النسك المعروف والجناح الحرج والاثم من قولهم جنح لكذا اي مال اليه كان صاحبه
مال الى الباطل او لان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يحتمل الواجب والمندوب والمباح وظاهر
الآية لا يدل على اجراء التكلفة بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا فتمسكين به لانه الحر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم
الدم مقامه لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد كما في ذلك
المشي بحث لا يفوت كقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه
ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم وعن ابن
الزبير وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا
اجاب الشافعي بما يروى انه كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة
فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية ولئلا يكون عليهم جناح في ذلك
فرفع عنهم الجناح فالاباحة تنصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة
عندنا او دم البراغيث عنده فقال لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة

ولهذا

ولهذا قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن اختي
ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم ومن قرأ يطوع
بالتشديد فاصله يتطوع والتطوع ما تبرعت به من ذات نفسك من غير ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب
فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ وعن الحسن
~~منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ~~ فان الله شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكرا تشبيها
بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني ولئن كنت غنيا عن طاعتك الا اني اجعل له
من الموقع ما لو صح علي الانتفاع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعيد لتارك
ترك الشكر ولئن كان ايضا يحمل التحذير من الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف متناول
كل من كتم شيئا من الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا
نفرا من اليهود عما في التورية من صفته عليه الصلوة والسلام ومن الاحكام فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص
السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية ولا ريب ان كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن
من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف ولا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا
كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية ولان جماعة من الصحابة
حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا عليه الصلوة والسلام كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله تعالى
لقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الآية على العموم وعن ابي هريرة قال لولا آيتان من كتاب الله تعالى ما حدثت
حديثا بعد ان قال الناس اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه
وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج
اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كان مما تقوى الداعي الى اظهارها
وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الآية دليل على ان ما يتصل بالدين
ويحتاج اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزل على الانبياء كتابا
ووحيا دون ادلة العقل والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وعبارة اخرى
الاول هو التنزيل والثاني ما اقتضيه التنزيل من الفوائد لقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون خبر
الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض
صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه ولم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى
قيل لم لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر واجيب بان هذا غلط
لانهم ما نهوا عن الكتمان الا وهم ممن يجوز عليهم الكتمان ومن جاز منهم التواطؤ على الكتمان جاز منهم التواطؤ على الوضع والافتراء
فلا يكون خبرهم موجبا للعلم ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار دل على وجوب العمل

بالذي اظهر لاسما وتعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم ولستدل بالآية ايضا على عدم
جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجرة على اداء الواجب وقيل في الكتاب اي في التورية والانجيل
من نعت الرسول ومن الاحكام والمعنى انا لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فلبسوه ولبسوا
على الناس وقيل اراد بالمنزل الاول كتب المتقدمين وبالهدى القرآن اولئك يبعدهم عن درجة الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم
عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل
يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر بشوم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات
تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط والتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل الشمس والقمر رايتهم لي ساجدين يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا لجلودهم لم شهدتم وقيل كل شيء سوى الثقلين تقديره انها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم او انها في الآخرة
اذا احييت وجعلت من العقلاء فانها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم لانهم كتموهم الدين
كلما دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحق
رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن ابن عباس انهم لعنتين لعنة الله ولعنة الخلائق قال ذلك اذا وضع الرجل
في قبره فيسال ما دينك ومن ربك فيقول لا ادري فيضرب ضربة يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع شيء صوته الا لعنه ويقول
لا دريت ولا تليت الا الذين يستثنى آيتهم وفيه من الرحمة ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه
لا لغرض سواه فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او ان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا واصلحوا ما افسدوا
من احوالهم وتداركوا ما فرطوا منهم وبينوا ما كتموا او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون
به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين فاولئك اتوب عليهم اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تجملا واضع مكانه
الثواب تفضلا بدلالة قوله وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بمن تقدم آنفا الكاتمين
ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكبائر مجازا تغليظا
او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه وهم المؤمنون اجمعون قيل يوم القيامة يلعن بعض الكفار
بعضا فيعم المومن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم متقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه اذا تامل في حاله وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن من مات كافرا او ان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر اذا جن لم يكن زوال
التكليف عنه بالجنون مسقطا اللعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات
او جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي الآية دليل على ان الامر مختوم بهما انه اذا كفر ومات لا على الكفر لم
ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها اي في اللعنة وقيل في النار واضمرت ولم يجر لها ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لمكانها
والاول اولى لتقدم ذكرها لفظا ولان اللعن يشمل النار وزيادة ولانها تصح في الحال والمال جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال
ومن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب
بل يتساوى في الاوقات باقيا على المبلغ الذي انتهى اليه بحسب الاستحقاق ولاهم ينظرون اذا استنظروا من الانظار الامهال او الانتظار

ليعتذروا

ليعتذروا ولا ينتظرون نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله **التأويل** الصفا
السر والمروة الروح والسالك بينهما يسعى في صفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين وهو المعظم لامر الله وفي مروة
الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه لمراقبة احوال الباطن ومزاولة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات
ان يصل بركات سعيه الى سبعة آرابه في الظاهر والى سبعة اطواره في الباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن كمال رأفته باهل محبته ان جعل آثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم
اعز الازمنة فالى تلك المعاهد والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد والآثار تعظم وتزار ثم اهوى هوى المنزل قد كان ساكنها
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ج لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
وخدای شما خدایست یگانه هیچ خدای نیست مگر او بخشاینده مهربان بدرستی که در آفرینش آسمانها و زمینها و آمد شد
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
شب وروز وکشتی که می رود در دریا بانچه سود می رساند مردمان را ودر انچه فرو فرستاد خدای از آسمان
مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ص وَتَصْرِيفِ
از آب پس زنده گردانید بسبب آن زمین را پس از مردن آن وپراکنده کرد اندر آن زمین از هر جنبنده وگردانیدن
الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝
بادها بجهات وابری که رام کرده است میان آسمان وزمین هرآینه دلالتهاست بر وحدانیت مرگروهی را که اهل خرد اند
القراءات لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روى الهاشمي عن ابن كثير لورود الاثر في هذه الكلمة
وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن قنبل الا هو بالامالة
حيث كان الريح مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا **الوقوف** واحد ج نظرا الى ان ما بعده وصف
آخر والى الاختلاف بالنفي والاثبات الرحيم ۝ من كل دابة ص ضرورة طول الآية والاقسام ان لايات والجار وما يتصل
معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون ۝ **التفسير** الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة
وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث
هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بلى قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم
قوم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك الوصف كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا وايضا فانه
يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر
جوهر ولان مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا
للكثرة فان كانت الكثرة سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى
للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور العدمية امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة
ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه

قبل ان وجد ذهنا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب ان كون
الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في
الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون
للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى العدد فان العشرة الواحدة تعرض
لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء
من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به
الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من امرين ايضا واليه
الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول المذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما
يشاركه في كونه واجب الوجود في كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي التركيب
الا ان الاولى منهما تدل على اثبات وحدة في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي التركيب كقولك هو سيد واحد تريد الواحدية
في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة الثانية تدل على نفي التركيب ثم على اثبات المعبود الحق بالمطابقة فهنا
لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصود الاقصى
والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت ويبقى الحي الذي لا يموت
ويطالع عالم الشهود فيلزم حينئذ نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه
حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين لا جرم وقع
التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على انه تعالى واحد من جميع
الوجوه لا يجمعه اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية
كما في البسائط الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود
لذاته وايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن
مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده ولا نعني بكون الوجود
زائدا على الماهية او غير زائد الا هذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب
لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات
الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى وان ان واجب
الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى عن حمل الوحدة عليه
وعن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك
الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق
في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار وشروق انوار الواحد القهار وكل ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد

في صفاته

في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك
وما به الامتياز وكل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات
غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له في
كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيازه ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى
كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته تستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل
المبدأ بما عن المبدأ بل ذاته مستكملة بذاته ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يفضي التقرير
ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف
من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا نعلم من ذاته انه مبدأ جميع الممكنات من طبع
على قلبه مني بالخذلان ومن كشف له الغطاء صار حيران فلا احاطة للقطرة ببحر الماء ولا ظهور لضوء الشمس
عند حلول الشمس كبد السماء شعر لشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله ۞ لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله
فالموت في ادباره والعيش في اقباله ۞ واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله ۞ واما انه واحد في افعاله
فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبقدر البون من الواجب الذات والممكن الذات يوجد التفاوت بين فعليهما
لئن فرض الممكن فعل من نفسه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والوحدانية يفيد
القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه ما خلق
الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الآية ذكر علماء المعاني ان الايجاز في هذه الآية ان يقال
ان في ترجح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لآيات للعقلاء الا ان الكلام لما كان مع الانس والجن بحسب كل
من العقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا وفيهم من هو مرتبكي القصير في باب النظر
والعلم بالصانع من لا يحصى من طوائف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال
انزل بالمدينة على النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حينئذ حول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات والارض الآية الى آخرها وعن سعيد بن
مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا بآية فنزلت وزعم بعض الناس
ان الخلق هو المخلوق لان المخلوق هو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير والتقدير
المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية صفة الله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين
ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى ولا يصح تعليل حدوثه بنفس ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال
خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من
النحاة على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق

بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله اياه وهذه الجهة هي التي صيّرته آية وقد عدّد الله تعالى
في هذه الآية ثماني آيات **الأولى** خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسوّيهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبعة حركات مختلفة كالبطوء والسرعة
بعد التوسط في الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان
احديهما ان السمويات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي والثانية ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في
الماء ولكنه يتحرك بادارة الفلك اياه ثم ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر تتضمنها فلكه الكلي
الذي مركزه مركز العالم ومراكزها تخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص
باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان نعليان متبادلا وضع الغلظ والرقة يسميان
المتممين وان لم يكن محيطا بالارض سمي بالتدوير ويكون الكوكب مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم من مجموع
الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف
نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير ولعطارد اربعة احدها
يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير وللشمس اثنان موافق وخارج
ولكل من الثلثة العلوية كما للزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك بسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة
فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين
يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين والمشتري باثني عشرة سنة جميع ذلك
بالتقريب واذ قد تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد
من الافلاك بقدر معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خبير قدير قهار وكذا تخصيص كل
منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من سطح الفلك القطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك
وكذا حصول الكوكب او التدوير في جانب معين من الفلك وكذا انفصال الافلاك الكلية الى الخوارج المراكز والى
المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا آنفا والثوابت
بحيث تتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتأخرين والفلك
الاعظم في يوم بليلته وكذا تعيين جهات الحركات شرقا او غربا او شمالا او جنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات
وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا انها حادثة او قال الفلاسفة انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها
اول فان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة بعد ان لم يكن يقتضي
الافتقار الى فاعل مختار لكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم آخر وبلون آخر كصفرة عطارد
وبياض الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظرين وبين الشمس

وذلك

وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق
في تركيب الافلاك وائتلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اترى
انها مبنية على حكمة وتقدير قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في دار رفيع وقصر مشيد ان التراب
والماء انضم احدهما الى الآخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم تزين بنفسه
بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون ويحكم عليه بسخافة الراي بل يعد من زمرة الانعام لا من جملة الاناسي
الآية الثالثة خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى
انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة الشمس حتى وقع القمر في الخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء
لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت رؤوس
قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الآفاق ومن سائر
اعراضها ومنافعها التي تقرر طرف منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير
وعليم خبير واحد في ملكه ويحكم ويفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند **الثالثة** اختلاف الليل والنهار اما
النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع
جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق او نقصان الزيادة المذكورة وذلك ان الشمس
اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق موقع الابصار داخلا الى ان يظهر الضوء المستنير من جانب الافق
الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط
النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس في مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان
اي يتعاقبان مجيئا وذهابا كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا وقصرا
لان زيادة احدهما تستلزم نقصان الآخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل
بقعة ليل بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلد كلما ازداد عرضا عن خط
الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء
قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه
الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الآخر ليلا وذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم محاذيا
لسمت الراس ولا عمارة هناك والى حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون
الليل والنهار في انفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم
وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرائب
تعاون المتنافيين على امر واحد وهو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه
موت الخلائق اولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر تشابه عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية والشفاف

ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فمن اعجب الاشياء كان جدول ماء صاف يسيل فما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل
هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان منزه عن سمات الحدوث والامكان
الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس
والفلك بالضم والسكون السفينة واحد وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون
لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون بمعنى الجمع اي المراكب التي تجري والتركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك
لجسم كري محيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدار والبحر خلاف البر
قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في
فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير
قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط
وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي وينقطع في الغربي الى وسط العمارة اربعة خليجات
اولها اذا ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه في حدود بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون
فرسخا وعرضه خمسة وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة
وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه لقرب منتهاه ستون فرسخا وبين
طرفه وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد دجه من البربر وبعض بلاد
الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه وعلى آله ثم القوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن
ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب
مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة جزيرة العرب واحيائهم من الحجاز
واليمن والطائف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر ولهذا تسمى العمارة الواقعة
بينهما جزيرة العرب وفيها مكة زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل
السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز
ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الصنا والصين
ولهذا يسمى بحر الصين ومن زاويته الشرقية من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا
قد دخل الى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي ارض السودان
وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة والصقالبة الى بلاد الروم والشام وتنشعب منه
شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمي بلغار تسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة وثلثون واذا
جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق عما وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة وتنشعب منه ايضا شعبة تسمى بحر طرازون
فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر وآبسكون

لكون

فسطاط

لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب باكثر من مائتين خمسين فرسخا ومن الجنوب
الى الشمال تقرب من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف ومنها
الجزائر الواقعة فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون منها جزيرة عظيمة
في اقصى البحر مقابل ارض الهند في ناحية المشرق وعند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الاف ميل فيها
جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن وقرى
كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور وغرائب
البحر كثيرة فلهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رأيت من عجائب البحر قال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله
تعالى بتركيبها ثم اجراها بقدر ثقلها على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة لم يتيسر جريها ولولا الرياح المعينة
على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد
ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم تنبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار
في البراري والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعوزه وفي الآية دليل
على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيي به الارض بعد
موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء ولعل المراد من السماء السحاب او التقدير
من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية او الصنفية يعني ماء هو سبب حيوة الارض لا المطر
الذي قد لا انبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بالتي لا تمطر وانما السنة التي تمطر ولا تنبت ولا ريب ان في انزال
ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله
بعد قنوط الناس منه وشدة احتياجهم اليه واودع في نزوله حيوة الارض اي حسنها ونضارتها وزواهرها وبهجتها
وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول منها
والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقت الربيع في الازمان كسن الصبي في الانسان وموت الارض من ترشيح
الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضارتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودتها وبقائها على الهيئة
الاصلية بالموت كانها جسد لا روح فيه فلا ردآء عليه السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على
انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويصح عود الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيي عطف على انزل فاتصلا وصارا
جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيى اي فاحيي
بالمطر الارض وبث فيها به من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي
واعلم ان الحيوان اما تولدي او توالدي وكلا الصنفين يحتاج الى صانع واحد حكيم يحكى ان شيخا قال
بحضرة عمر اني اتعجب من امر الشطرنج رقعته صغيرة ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر رضي الله عنه
ههنا ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم

لا تعز البتة ومع ذلك لا ترى شخصين ابدا تشبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه
الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف لاشتبه الناس بعضهم ببعض وانقطع نظم
معايشهم وحوائجهم ومن تأمل كتب التشريح وقرأ كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وتفرس تراكيبها وخواصها
على ما تقتضي منه العجب ويفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الله تعالى الرياح مع رقتها ولطافتها
وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الريح ومن قبيل تلقيح الاشجار وسوق
السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها
تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا دبورا وقبولا اي صبا ودبورا وعلى كيفيات مختلفة حارة وباردة
وعاصفة ورخاء ومن قرأ الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلى الله
عليه وعلى آله وسلم كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى
كما قال تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال في عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تخصص اللفظة في
القرآن بشيء فلو اراد له غير ذلك لزعامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك بهم عن عين قال وما يدريك لعل الساعة
قريب وما كان من لفظ ادراك فانه مفسر وما ادراك ما القارعة وما ادراك ماهيه الثامنة السحاب
المسخر بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان
بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه بقاسر ومسخر وايضا لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء
والامطار وتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره لاستلزامه الجدب والامحال فكان تقديره بالمقدار
المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بتدبير مسخر لا محالة وفي نفس السحاب من عظمه وتراكمه
وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وسده الافق في لحظة وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق
والصحة والتطبيق الى غير ذلك من العجائب دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لآيات
فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد
منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحد منها من حيث انها موجودة يدل على وجود موجدها وكونه
قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادة واختيار ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا واما قوله تعالى لقوم يعقلون فلانه خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيها والاستدلال
وفي الآية من الفوائد ان التقليد مذموم فيما الى تحققه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر
في شيء منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام والاعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع لان كل نوع
من الدلائل لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلف ومتى كانت الدلائل كذلك كانت انجع في القلوب
واشد تأثيرا في الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها الله حسبي

ومن الناس

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
و از مردمان کسی که می‌گیرد بجز خدای امثالی را که دوست میدارند ایشان را چون دوستی خدای و آنانکه ایمان آوردند
أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
فزون ترند بدوستی مر خدای را و اگر ببینند آنانکه ستم کردند خود چون ببینند عذاب را که قدرت و علم مر خدای راست همه
وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
و هر آینه خدای سخت عذابست چون بیزار شوند آنانکه متبوع اند از آنانکه تابع اند و حال آنکه دیده باشند عذاب را
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا
و بریده شود از ایشان اسباب مواصلت که در دنیا بود و گویند آنانکه تابع اند کاشکی ما را بودی بازگشتنی بدنیا تا بیزار شدیمی از ایشان چنانکه
تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
بیزار شدند از ما همچنان نماید ایشان را خدای کارهای ایشان را پشیمانیها بر ایشان و نه ایشان بیرون آیندگان از آتش

القراآت ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالياء اذ يرون بضم الياء
من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا
ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف
ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة عباس وقتيبة لجوله من النار الوقوف
كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا لمن قرأ ولو ترى وان بالكسر فيهما شديد العذاب ه الاسباب ه تبرؤا منا ط
عليهم ط من النار ه التفسير انه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بقبيح ما يضاده
فضدها تبين الاشياء والند المثل المناوي كما سلف والمراد بالانداد ههنا هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها
تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل بعض السادة الذين كانوا يطيعونهم
وينزلون على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل الله عن السدي ويستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم
فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكون يحبونهم لله تعالى مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا وذكر لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله تعالى يلتزمون من تعظيمهم والانقياد
لهم ما يلتزم المؤمنون لله تعالى ويمكن تزييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة
حيث نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانها
لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا ذلك ما اشركوا وايضا الا ترى لا تمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيامة يكفرون
بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى افرأيت من اتخذ الهه
هواه يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد لهم او يعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من اضافة المصدر
الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملبس

وقيل كالحب اللازم عليهم لله وقيل كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله
فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره فى السراء والضراء
ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس وهو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة وفيهم قال الشاعر شعر
أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة ۞ لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة ۞ واعلم ان اطلاق محبة العبد
لله تعالى قد ورد فى القرآن والحديث كما فى هذه الآية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه قال لملك الموت
وقد جاء لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الآن
فاقبض وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها فقال ما اعددت كثرة صلوة
ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا فى معناها فقال جمهور
المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلق المحبة بذات الله وصفاته
نعنى قولنا نحب الله نحب طاعة الله وخدمته او نحب ثوابه واحسانه واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض
ولو كان كل شئ محبوبا لاجل شئ آخر دار او تسلسل واذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته
والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال مطلوب
لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه اتم وبحسب الترقى
فى درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولى سلطان الحب على قلب المؤمن فيشتغل عن الالتفات لغيره ويفنى عن
حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشى ويتكلم بلسان الحال ليس فى جبتى سوى الله
فلا يعصى الله طرفة عين ولا يشتغل بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل شعر تعصى الاله وانت تظهر حبه ۞
هذا لعمرى فى الفعال بديع ۞ لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع ۞ ولحب الله يحب اولياءه
ومقربيه ويعادى اعداءه ومخالفيه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين شعر لعين تفدى الف عين وتتقى ۞
ويكرم الف للحبيب المكرم ۞ ولو يرى قرئ بالياء والتاء وان وان بالفتح والكسر فههنا اربعة تقديرات الاول
لو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذا عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها لله على كل شئ من العقاب والثواب
دون اندادهم وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم
بظلمهم وضلالهم وحذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب ويقدر من
الفظاعة ما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه بخلاف ما وقع التعبير عن المقطعين الثانى ولو
ترى يا محمد او يا من شانه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب معاينتهم
ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرأيت امرا عظيما فعلى هذا ان وان مع معموليهما بدل من العذاب قال الفراء
الوجه فيه تكرير الرؤية اى يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان ومعناه كالاول والجملتان

معرضتان

معرضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا القياس ودخول لو وكذا اذ فى المستقبل مع ان
حقهما الدخول على الماضى نظم للمستقبل فى سلك الماضى المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف فى اخباره ونظر الى ان الساعة
قريب فكانها قد وقعت وكذا الكلام فى اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون وقيل هو معمول شديد والمراد بالذين
اتبعوا القادة والرؤساء من مشركى الانس عن قتادة والربيع وعطاء او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة
عن السدى وقيل الاوثان والتبرى اما بالقول وهو الاقرب او بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم
من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب الواو للحال اى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف
على تبرأ بهم اى عنهم فان تقطع فى معنى زال او وقع تقطعت الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او للباء
للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد والسبب فى اللغة الحبل ثم
استعير لكل ما يتواصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد والمراد ههنا الوصل التى كانت بينهم
من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن
ولذلك اجيب بالفاء كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف والمتبوعون مفتقرون الى اتباعنا
ونصرتنا حتى نتبرأ منهم بعدم النصرة والاغاثة كما فعلوا هم اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات هو ثالث مفعول ارى او مثل ذلك التبرؤ يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبرؤ نوع اراءة والمراد بالاعمال
قيل الطاعات لانهم فلم يقوموا بها وضيعوها عن السدى وقيل المعاصى واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها
عن الربيع وابن زيد وقيل ثواب طاعاتهم التى اتوا بها فاحبطوه بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التى تقربوا بها الى
رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على ما فات حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة
فيها والتركيب يدور على الكشف ومنه الحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والى ضلالهم لا يرون مكان
اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا
يوم يربح المسرور ركبنا الدنيا للتجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة
بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم
لتقوى الحكم وافادة التأكيد كقوله تعالى وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله تعالى اعلم

يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان

انه لكم عدو مبين ۝ انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله

ما لا تعلمون ۝ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا

أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ

آيا پیروی کنند مر ایشان را و اگر باشند پدران ایشان که نه دانستند هیچ چیز از دین و نه راه یافتند طریق صواب را و داستان راه نمایندهٔ آنانکه کافر شدند چون داستان

الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ط صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝

آنکس است که بانگ بر زند آنرا که نشنود مگر خواندنی و آواز دادنی ایشان کرانند گنگانند کورانند [illegible] پس ایشان نمی‌یابند

القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وعن عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابو ربيعة عن البزي والقواس والحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نبئكم وبل نقذف مدغما حيث كان علي وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ۝ ما لا تعلمون ۝ آباؤنا ط لابتداء الاستفهام ولا يهتدون ۝ ونداء ط لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون ۝ التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والآية مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا مفعول كلوا او حال من ما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عقدة الرحال وحل الدين وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تنحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما تقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ او يراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا وبالطيب ما تعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم والسكون اذا كانت اسما يجمع في الصحيح بسكون العين وضمها تقول اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء متناول جميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء وهي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد يخص الاول بما لا يجب فيه الحد والثاني بما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لان وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الآية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشياطين فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من مامورات الشيطان بل لا مامور للشيطان الا هذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر آخرا اما لان يجره من الافضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل الاسهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا للنفرة عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال

وهذا

وهذا حرام بغير علم بل يتناول مقلد الحق ايضا لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه واذا كان الآمر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي هذا اعتبار للبصراء ومزدجر للعقلاء اعاذنا الله بحوله وايده من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على ضلالتهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالآية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفى يتعدى الى مفعولين البتة فكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول على الاصل واقتصر في المائدة ولقمان على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما ورد في الاول مع تغيير العبارة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم وانصفهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله اولو كان الواو للعطف او للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجيب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى اتتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب اتتبعونهم ايضا ولتقرير الجواب ان يقال للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما بتقليد آخر ويلزم التسلسل او بالعقل فذلك كاف في معرفة الحق والتقليد ضائع وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم بذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له وظهر ان قبول قول الغير من غير دليل وبال وضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعو الذين كفروا الى الحق كمثل الذي ينعق يقال نعق الراعي بالضأن اذا صاح بها واما نغق الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم والفاظه وما كانوا ينتفعون بها وكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والطريق الثاني التصحيح بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد سمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع فكذا تقليدهم واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلائل فهم لا يعقلون

العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فوائد الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شابور بن اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والآخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا بتعاونهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله عز وجل حكاية عن الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى

التأويل الذين كفروا لم يستمعوا اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمؤمنين والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فبقوا على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

ای کسانی که ایمان آوردید بخورید از حلالها آنچه روزی دادیم شمارا و سپاس داری نمایید اگر هستید شما مرخدای را

تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ

می پرستید بدرستی حرام کرد برشما [illegible]

لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

[illegible]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ

بدرستی آنانکه پنهان می کنند [illegible] توریت و انجیل [illegible]

مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

[illegible]

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ

ومر ایشانراست عذابی دردناک ایشان آنانند که بدل کردند گمراهی را بجای راه راست و عذاب [illegible]

بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

[illegible]

وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝

و بدرستی آنانکه خلاف کردند در ایمان بتمامی کتابها هر آینه در مخالفتی اند دور از صواب

القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد الباقون بالسكون فمن اضطر بكسر النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم فمن اضطر بضم النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمهما الوقوف تعبدون ۝ لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم ۝ قليلا لا لان ما بعده خبر ان يزكيهم ج والوصل اولى

لاتصال

لاتصال بعض جزائهم بالبعض اليم ۝ بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغ في الانكار على النار ۝ بالحق ط للابتداء بان بعيد ۝ ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة ولستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمؤمنين بعد ما عمم للناس كلهم وهذا بالنظر الى الاصل وقد يصير واجبا لعارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كالموافقة للضيف ويستدل بقوله من طيبات ما رزقناكم على ان الرزق قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق حلالا لا اللبس لم يبق في ذكر الطيب فائدة اذ يصير المعنى كلوا من حلالات ما احللنا لكم واجيب بالمنع من ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعلهم انما ظنوا ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من اللاذ ممنوع فرفع الحرج واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي النعم فان الشكر راس العبادة والتركيب يدور على الكشف والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها بالالسن من الشكر وباطن الشكران يستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم اوليتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها فلاشكرنك ما حييت فان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ولما اجمل في الآية ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة وتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الآية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وانما المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالآية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم يكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق الضا بين ما يؤكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد مخرج بنفسه لان الميتة لا تتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث ولن اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه وكالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو المروي عن علي رضي الله عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه وقال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه

وان سع

ورُدّ بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا اخرج لا يسمّى جنينا وبانه لا يبقى للجزء حينئذ فائدة لان ذلك معلوم
ولما روى عن ابى سعيد انه صلى الله عليه وسلم سُئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه
وكشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابى حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها
اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود
الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام
دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين
من حىّ فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم
واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبع فاوسع الناس قولا الزهرى جوّز استعمال الجلود بامرها قبل الدباغ
ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان
عليه حال الحيوة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد
الخنزير لنجاسته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد
ما يوكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شئ منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن عكيم
اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر ان لا تنتفعوا بشئ من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل
يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازى والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازى من عند نفسه
على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوّز الشافعي رضى الله عنه استعمال نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة
قتال مع فقدان غيره وكدفع الحرّ والبرد المهلكين ولاجل تحليل الكلب ولزاله نحو ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة
قبل الدباغ لتحليل الدابة والكلب كذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح
وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقل الاباحة عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسئل على الله الطوى الله
عن الفارة تقع في السمن قال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان ولئن كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابى حنيفة
اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اى دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قل اوكثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهى حية وميتة على هيئة واحدة وعند
الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة وقالوا لا ينجس الطعام الذى تولد
منه لموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مائع آخر فقولان ثم الذباب والبعوض ونحوهما فان حكم بطهارة
ميتتها فهى محرمة لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء
وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يسامح به وسأل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر
وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يوكل بعد ما يغسل
ويهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شريطة ان كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية ولئن وقع

فيها

ابو يوسف لا يؤكل اللحم والمرق
ان اللحم ... ذكر ...
الا اذا ... غليانها

فيها حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم
فاستحسنه ابن المبارك وعند ابى حنيفة ذبح ما لا يوكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها
كما لا يستعقب حل الاكل وكما لو ذبح المجوسى ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابى حنيفة
دون الشافعي ومالك لان الاية تتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل تنجسها لمجاورة الميتة وبيض الماكول
اللحم اذا مات ووجد ذلك في جوفه فان كان متصلبا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه
محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول يتناول الاية اياهما وعند
من لا يقول بذلك لا تخصيص وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع
اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر ولئن اجمعوا على
تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز احتج ابو حنيفة بانا
نرى المسلمين يقررون الاساكفة على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه
رُفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته بالتلبية قدم به في هذه
السورة واخّر في المائدة والانعام والنحل لان تقديم الباء هو الاصل لانه يجرى في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف
فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع قدم ما هو المستند وهو الذبح لغير الله ولهذا لم يذكر
في سائر الايات قوله فلا اثم عليه اكتفاء بما ذكر في الموضع الاول قال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها
التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمى عليها باسم
المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصرانى اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح
وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبى وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا
على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضى الحل ولا عبرة بما لو
اراد المسيح وعن على كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا
فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ظاهر الاية يقتضى ان لا يكون سوى هذه الاشياء
محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر
افتعل من الضر وهو الضيق اى الجئ ليستثنى من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد
ولئن لا يجد ماكولا حلالا يتسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثانى اذا اكرهه على تناوله
مكره فيحل له تناول ما اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى تعالى انه لا اثم عليه فلا بد من اضمار
وهو الاكل اى فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا
ولا عاديا والبغى في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغى الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار
المقدر الذى هو حد الشئ فهو بغى والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللائمة في الاية قولان احدهما

فيه دم

واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكرهه النفس فعدل
الى اكل الحرام للذته ولا عاد اى متجاوز قدر الرخصة او غير باغ اى طالب اللذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة
عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد او غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه
ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي
بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه
موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان
من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لان حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار
وايضا الانسان ينفر طبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى نهيه عن التعدي في الاكل وايضا انه نفى ماهية
البغي والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق حينئذ نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما
تخصيص البغي بالاكل كما ذهبتم اليه فترجيح من غير دليل وحجة ابي حنيفة في الاية الاخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل
او حية وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول يحرم لولا الاضطرار
فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول الى الاستباحة بهذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه
ثم ان الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور
فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير ويهلك
فيتناول الشبع وقال عبد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع
ويتزود فان غني عنها طرحها والاولى الاقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة
كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة وكما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه
الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع من شرب الخمر
لشدة العطش دون اساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف
على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول وحدوث مرض مخوف في جنسه
كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه لطوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون التيقن
ومعنى قوله فلا اثم عليه رفع الحرج والضيق كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك
بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي
للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة
ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك او لعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر

دينه

دينه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة او انه لما بين هذه الاحكام والمكلفون بالنسبة اليها
اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس
نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث فيهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلهم وزوال
رياستهم فعمدوا الى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت النبي آخر الزمان
لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فلا
يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة الفعل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم
حال اي ملء بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال شعر اكلت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وذلك انهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول
العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الآخرة النار لا كلهم في الدنيا الحرام ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلام الله في
الدنيا بل اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو ديدن الملوك من الاعراض عند السخط
والاقبال عند الرضا ولا يزكيهم بالثناء عليهم او بقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتمام دينهم في
الخسارة فان احسن الاشياء في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال الجهل وفي الآخرة انفع الاشياء المغفرة
واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح الامور باحسنها وفي الآخرة اضر الاشياء
بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجب النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن تعرض لما يوجب غضب السلطان ما
اصبرك على القيد والسجن وهذا التعجب منهم في حال التكليف ولشرائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا
قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص وضعف بانه خلاف الظاهر
وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ معناه اي شيء
صبرهم عليها حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء
سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء
السبب كما في حقه تعالى ذلك الوعيد الشديد او ذلك الكتمان وسوء معاملتهم انما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب السماوية او القرآن بالحق بالصدق او ببيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل
الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار على الكفر كأنه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب جنسه فقالوا
في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق او الذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم
شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في الآخر او ذكر كل منهما للآيات

الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تاويلا آخر فاسدا او حرفوا كلا منهما على وجه آخر لاجل عداوتكم هم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موالفة وموافقة. وعن ابي مسلم اختلفوا الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الآية وان نزلت في اهل الكتاب فشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل والبانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الآية تعريضا لصنيعهم وتصريحا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم **التأويل** الميتة جيفة الدنيا والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقال ايضا صلى الله عليه وآله وسلم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير مادة الشره والحرص وما اهل به لغير الله كل ما تقرب به الى الله رياء وسمعة والله تعالى اعلم

لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ

نيست نكوئى تمام آنكه مقابل كردانيد روهاى خود را درجانب آفتاب [illegible] ولكن نيكى نيكى آنكس است كه كرويد بخداى

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ ج وَآتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى

وبروز قيامت وبفريشتكان وجنس كتاب آسمانى وبپيغامبران وداد مال را با وجود خواستن او [illegible] خداوندان خويشى را

وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ لا وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ج وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ

وبى پدران نابالغ را ودرويشان را ومسافران بى زاد را وخواهندكان را ودر رهانيدن بندكان باستحقاق وادا كرد نماز را

وَآتَى الزَّكٰوةَ ج وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوا ج وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ

وداد حق مال را وآنها كه وفا كنندكان اند بعهد خود [illegible] وخاصه صبر كنندكان در سختى

وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ط اُولٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ط وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝

ودر بيمارى وهنكام جهاد ايشان آنانند كه صادق اند وايشان ايشانند پرهيزكاران

القراءات ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخزاز عن هبيرة الباقون بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون بالتشديد والنصب **الوقوف** والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون ۝ **التفسير** هذا حكم آخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فانزل الله تعالى هذه الآية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من آمن

وقام

وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط بعض اعمال البر لان من جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وقولهم برضا وبما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى لكون الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها تشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى بان يكون اسما ولكن البر من آمن على تقدير حذف المضاف اي بر من آمن وقيل التقدير هكذا ولكن ذا البر من آمن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء **قال** في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا **الاول** الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فدخل فيها العلم بحدوث العالم والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوده وقدرته وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل **وثانيها** الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات **وثالثها** الايمان بالملئكة **ورابعها** الايمان بالكتب السماوية **وخامسها** الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به داخل في الآية **الثاني** ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الصدقة خير قال ان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم **قال** مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما يشبع والسبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء وايضا الاعطاء حال الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت وايضا الهبة عند الموت تشبه الهبة عند الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة **اولهم** اولوا القربى وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد تقدم ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق وقال صلى الله عليه وسلم

صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة ولتأكيد استحقاقه نال رتبة الوراثة
ويجبر بسببه على المالك في الوصية حتى لا يمكن من الوصية الا في الثلث واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم
لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه
ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء
وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به وخامسهم السائلون وهم
المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم
المكاتبون والمشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن
مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال عنق الثالث والرابع
قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وقد سلف ما حيثما ان الاية حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه
بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنون ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد
قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يومن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة
الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم تكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز
الاخذ منهم قهرا وما روى عن علي كرم الله وجهه ان الزكوة نسخت كل حق كان اراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم
التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد بالعهد ما اخذ الله من العهود على عباده بقولهم
وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث آمنوا بالانبياء والكتب ويندرج
فيه ما يلتزم المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان يقولوا الحق اينما كانوا
لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون
ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس
والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال
على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح او الذم فالاحسن ان يخالف
باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القول
فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام
وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف
الحركة المدح او الذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى

السامع على زيد وقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل او هو والله الظريف هو العاقل فاراد
المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي اريد الظريف او العاقل والبأساء
الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر ولا افعل لهما لانهما اسمان وحين البأس
القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم
المتقون نظيرها تين الجملتين في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما
بال المستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين لهم قدم صدق
في الاسلام وهم المتسمون بسمة التقوى وكل منهما منطو على جميع الخيرات ومتضمن لكل المأمولات والمتمنيات فلهذا
اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواوات في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار
ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده
من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص
الانبياء والحق انه ليس يستبعد ان يوجد في الامة موصوف بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في النبي ولا سيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ان اهل الكتاب اخلوا بجميع اوصاف البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبريل عدونا وكفروا
بالكتب السماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واشتد بهم
الشح حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ونقضوا العهود اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في الاولى لن
نصبر على طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والعجب كل العجب منهم حيث ادعوا
البر ولا شيء ولا واحد من اجزاء البر فيهم وهذه غاية الجهل ونهاية العناد والله بصير بالعباد التأويل
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر الحقيقي هو ان تولوا وجوه ارواحكم بجذبات المحبة
قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتومنوا بالله نور يرى في ويرجى لكم تحبوني والملائكة يحبونكم ويرجى لكم
ليس بحادث بين كم متى بل هو قديم في الكتاب القديم وهو رهن هذه المحبة يحبون اهل محبتي وهم النبيون فالجنسية علة الضم
واتى المال على حبه اي ما حصل للعبد من بر الحب وما مال اليه من سره من عواطف الحق ينفق على حب حبيبه باداء حقوق
الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي القربى وهم الروح والقلب والسر ذوو قرابة الحق
واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بطولت تجلي صفات الحق
والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم
المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة
السر عن اسر تعلقات الكونين حينئذ اقام صلوة الحاضرة مع الله بالله وآتى زكوة مواهب الحق الى اهل استحقاقها من الخلق

وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد والعبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة الحقوق
وضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين بأس سطوات تجلي صفات الجلال
اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله تعالى اعلم

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ط الحر بالحر والعبد بالعبد

اى آنكسان كه ايمان آورده‌ايد واجب كرده شد بر شما مكافات در حق كشتگان ... آزاد بدل آزاد وبنده عوض بنده

والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه

... [illegible]

باحسان ط ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله

... [illegible]

عذاب اليم ۵ ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون ۵

عذابى دردناك ... [illegible]

الوقوف في القتلى ط بالانثى ط لان العفو اعطاء الدية صلحا فكان خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا
باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم ۵ تتقون ۵ التفسير
هذا حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط واما العرب فتارة يوجبون القتل
واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كلا الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كانت تقول الشريف الخسيس
لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات
خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف فاجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول
فقالوا ماذا تريد قال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملأون داري من نجوم السماء او تدفعون
الي جملة قومكم حتى اقتلهم ثم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله
محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله
كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل
ما فعل من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص لتساوي
تعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الآية يدل
على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما
القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما
خطاء الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس
عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك والعافين عن الناس

ولا على

واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساواة
على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام
لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة
كتب عليكم استيفاء ... ويحتمل ان يكون خطابا مع القاتل لانه كتب عليه تسليم النفس عند مطالبة الولي بالقصاص وذلك
ان القاتل ليس له ان يمتنع ههنا وليس له ان يتنكر بل الزاني والسارق الهرب من الحدود ولهما ايضا ان يستترا بستر الله
فلا يعترفا فكان امر القتل اشنع وفيه حق آدمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية
في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالآية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في كيفية المماثلة التي يجب رعايتها
فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق
الاول بالنار احرق الثاني فان مات في تلك المدة والا حزت رقبته روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه
ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله ولانه يجب
ان يفعل كسب التسوية في القتلى الا في كيفية القتل وحيث لم يستثن دخل ايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في
بعض الصور كما لو قتله بالسحر لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم
لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الا انه لا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيء من الامور الا وبهما منها وبانيت
في بعض الامور فلا يستفاد من الآية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة ما زال النفس بحز الرقبة بالسيف لقوله صلى الله عليه وسلم
لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله تعالى
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة لان الدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة
في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا
وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل فلا فائدة منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد وان يقتل
صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث
الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل والمعنى هذا
بذاك اي الحر مقتول بدل الحر ثم فيه قولان الاول ويروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة
ان القصاص مشروع الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام تفيد العموم اي كل حر يقتل بحر
فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو مناقض الآية ولان هذا القول خرج مخرج البيان
لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي
ومالك وقالا لا يقتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر وهو فوقه اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر
بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق
بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى وروي عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر

نقل بالحنفي القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنهم ان الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام
لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك لتناقض
وايضا فقوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع
من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم
وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما
ذكرنا في سبب النزول انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك وايضا نقل عن علي كرم الله وجهه
والحسن البصري ان هذه الصورة هي التي يكتفى فيها بالقصاص لما في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد
وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فايما حر قتل عبدا فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا
قتلوه بشرط ان يسقطوا فيه العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد حرا فهو به قود فان
شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤوا
اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك
نصف ديته الى اوليائه وان شاؤوا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا قتلت امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل
قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤوا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الآية الاكتفاء بالقصاص
مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع
قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير
ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى المفعول به الا بواسطة فان قيل عفا يتعدى بعن لا باللام
فما وجه قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى
عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له
عنه ومعنى الآية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف من العفو
وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي
المقتول وانما قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان
بينهما ادنى تعلق او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على الآخر صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام
وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة
بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل
والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب بان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا
التأويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الآية

نازلة

نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب
وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخاه وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخاه في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا
فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فقيل على العافي اتباع بالمعروف
بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال
فان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال الواجب فالامهال الى ان يستبدل وان لا يمنعه
بسبب الاتباع عن تقديم الاهم من الواجبات وعلى المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان
ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وان يؤدي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وبخس
هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو الجاني بمعروف ويؤدي ذلك المعروف
اليه باحسان ذلك اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية
والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم يكن لليهود الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخيرة
فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد تكون الدية آثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى المال وقد يكون القود
آثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا
وهو الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل مع قتل القاتل او دونه
او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله
عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم
ولما كانت الآية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حياة
قال المفسرون القصاص ازالة الحياة وازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد ولكم في شرع القصاص حياة
واي حياة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل
وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحياة وهي الحاصلة
بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل ولم يقتل فكان القصاص
سبب حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل
القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حياة
بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع
واكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للآية من وجوه
الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص فقيل
القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والآية تفيد هذا المعنى من غير تقدير وتكلف الثاني ان القتل قصاصا

لا نفي القتل مطلقا من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الآية لا في كلامهم الثالث
ان الحيوة هو الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار
من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الآية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة
لا المكتوبة هي في الآية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل
بسلاسة التركيب والآية مع غاية وجازتها فيها السبب والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء
سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الآية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه
لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الآية لمكان التضاد بين لفظي القصاص وحيوة بخلاف كلامهم
التاسع لاشتمال الآية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي الكلمتين قتلا
وانه لا يليق بهم العاشر لاشتمال الآية على اسمين واداة ولاشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت
اداة التعريف ففي الآية واحدة وفي كلامهم ثنتان ولان اعتبر التنوين في الآية تقاصت الادوات وبقي زيادة
الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل
من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو اجمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى
صاحب واولات للاناث واحدها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال وفي الاعراب اولوا كالاعراب جمع
المذكر السالم وزادوا في اولي واوا فرقا بينها وبين الى واجرى اولوا علم والالباب العقول واللب الخالص قلبهما والخالص
كل شيء لبه فخاطب العقلاء والذين يفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم
لا بتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون متعلق بمحذوف اي اريكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة
او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد يتقى على الآية بحث وهو انه يسئل اذا اصبح ان المقتول
ان لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل آخر فارتدع خوفا عن القصاص
فان ذلك الآخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص
حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا يدور مسببه معه وجودا وعدما وشرعية
القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان تذكر القصاص
فارتدع عما هم به وفائدة شرع القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدته منكر فائدتها
وكلا الانكارين مذموم وصاحبهما عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم **التاويل** لا كتب القصاص
في قتلكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من احبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى اي من كان متوجها الى الله تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات
لم يتصل فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا للكمال محبته فمن على امر الاحباء والاصفياء

شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف من معارفه فالواجب
على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملامسة الجفاء والتجلبب بجلباب الحياء
فله عذاب اليم فان الكفر لمن يرتعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب
الذين بذلوا قشر الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ
نبشته شد بر شما چون حاضر آيد يكى از شما را وفات اگر بگذارد مالى بسيار را اندرز

لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا
مر پدر و مادر را و خويشان نزديكتر را [illegible]

سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ
[illegible]

جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
[illegible] بدرستى خداى آمرزگارست مهربان

القراءة خاف بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير حفص وجبلة الباقون بالتخفيف من الايصاء **الوقوف** خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب
وانما لم يؤنث الفعل لتقدمه ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتدأ وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف
اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا
او كتب الوصية حقا المتقين ه ط ولان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم آخر يبدلونه ط عليم ط لذلك عليه ط
رحيم ه **التفسير** هذا حكم آخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس
معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء فالاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف
كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت
فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير
لشديد من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير هنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال مطلقا قليلا
كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما بقي من المال قل او كثر
قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به
فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الآية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه ان ماله قد جاوز
حد اهل الحاجة ولان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة
من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة ولان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور يقولون الاسم عن الشيء لنقصه

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما يترك لم يكن لقوله ان ترك
خيرا فائدة لئلا تخلو من موت فاذا اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الآية مقدر بمقدار معين ام لا
فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء بمقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى
لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا كما في اصل الايجاب
ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى له في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي
قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال
ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس
اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء
جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها
وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور
وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا
الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة
فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد
الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن ما يأتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا
التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم
فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في
اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم ولا منافاة
بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت
فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الآية توجب الوصية للوالدين والاقربين
ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الآية وذلك ان من الوالدين من لا يرث
بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا
ذوي رحم فآية الميراث مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الآية منسوخة
قالوا نسخت بآية المواريث او بالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان
خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى التحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن الائمة من قال انه منسوخ
في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد
حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد
الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل بها في حق القريب الوارث اما بآية المواريث او بقوله

لا وصية

لا وصية لوارث او باجماع الامة فبقيت الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته
مكتوبة عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهو آخر. القائلون بان الآية قد
صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية
للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن
يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا يرثونه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس
ان الاقارب ان كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله فمن غير الايصاء
عن الميت واوصى عن وجهه ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به والمبدل
اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع
من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله تعالى
الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والرياء ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية
للاقربين واوعدهم على تركها فانما اثمه ما اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ
بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير
ذلك الوارث وان الميت لا يعذب ببكاء غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه
خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل واي وعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه
قوله فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو مستحسن عقلا والخوف هنا
تفسير لان احدهما الخشية فسئل انه انما يصح في امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد
ان هذا المصلح اذا شاهد الموصي يوصي وظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة
او مع التأويل او شاهد فيه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور
امارات ذلك وقبل تحقيق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على انه [illegible]
فكان الموصي يقول وقد حضر الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان ازيد فلانا
مع انه غير مستحق للزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق للزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا
وايضا من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته فمن ان يحصل الثقة بما فعل وقد يعدل عن الحق
في آخر الامر وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك لم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الموصي
وقد يؤدي حينئذ الى الجنف او الاثم فيحتاج الى الاصلاح بينهم باجرائهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان خاف
بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف مشابه للظن مخصوص من بين العلم والظن مشابهة من وجوه
كثيرة فصح اطلاق احدهما على الآخر لتشابههما وذلك قولهم اخاف ان يرسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب

الجاری مجری العلم فمعنی الآیة ان المیت اذا اخطاء فی وصیته او جار فیها متعمدا فلا حرج علی من علم ذلک ان یرده الی الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربیع وفی الآیة دلیل علی جواز الاصلاح بین المتنازعین اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الی امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم علیه رفع الحرج حتی لا ینافی الوجوب ومع ذلک نکتة هی ان الاصلاح بین القوم یحتاج الی الاکثار من القول وذلک قد یفضی الی الاسهاب والتکلم بعض ما لا ینبغی فبین انه تعالی لا یاخذ علی المصلح من هذا الجنس اذا کان غرضه الاصلاح ایضا ولهذا اتبع قوله ان الله غفور رحیم کانه قیل انا الذی اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتی الی ایها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولی او المراد ان الموصی الذی اقدم علی الجنف والاثم متی اصلح خلل وصیته فان الله یغفر له ویرحمه بفضله وبهذا التاویل یجوز ان یرجع فی قوله فلا اثم علیه الی الموصی واعلم ان اکثر الائمة ذهبوا الی ان وجوب الوصیة منسوخ بآیة المواریث لانهم اتفقوا علی انها الان جائزة فی الثلث لما روی انه صلی الله علیه وسلم عاد سعد بن ابی وقاص فقال للنبی صلی الله علیه وسلم انی ذو مال ولا یرثنی الا ابنة لی افاوصی بثلثی مالی قال لا قال فبشطره قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث کثیر انک ان تدع ورثتک اغنیاء خیر من ان تدعهم عالة یتکففون الناس فافاد الحدیث المنع من الزیادة واستحباب النقصان عن الثلث ان کانت الورثة فقراء والوصیة اوسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصیة فالاصل ان یقدم من لا یرث من اقاربه لان الله اعطی الاقربین المیراث ویقدم منهم المحارم ثم یقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار کما فی الصدقات المنجزة فان اوصی للورثة بعضهم جاز لکن بالاجازة من سائر الورثة کالزاید علی الثلث للاجنبی فان الزاید یحتاج الی اجازة الورثة التصحیحی التاویل کتب علی الاغنیاء الوصیة بالمال وعلی الاولیاء الوصیة بالحال والاغنیاء یوصون فی اعمارهم بالثلث والاولیاء یخرجون فی بادی احوالهم عن الکل والمعنی اذا حضر قلب احدکم مع الله ومات نفسه عن الصفات الحیوانیة فعلیهما ان یوصی للوالدین وهما الروح العلوی والبدن السفلی فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربین وهم القلب والسر بترک کل مشرب یظهر لهم من المشارب الروحانیة والجسمانیة بالمعروف من غیر اسراف یفضی الی الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات کما قال صلی الله علیه وسلم بعثت لرفع العادات وترک الشهوات بعثت لاتمم مکارم الاخلاق ومن مکارم الاخلاق ان یجعل المشارب مشربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا شعر

وکل له سول ودین ومذهب ... وصلکم سولی ودینی هواکم

وانتم من الدنیا مرادی وهمتی ... منای مناکم واختیاری رضاکم

حقا علی المتقین من الشرک الخفی وهذا لم یقل علی المسلمین اذ المومن انهم اهل الظواهر والمتقون هم اهل البواطن کما قال صلی الله علیه وسلم التقوی ههنا واشار الی صدره واحکام الظواهر یحتمل النسخ واحکام البواطن وهی الحکم والحقائق لا یحتمل النسخ فحکم الوصیة فی حق المتقین غیر منسوخ ابدا فمن بدله من غیر من الروح والقلب والسر الوصیة الصادرة من نفسه المیتة فانما اثمه علیه وسبب هذا التاکید

لان السر

لان السر والقلب والروح کلهم من العالم الروحانی وصفاتهم حمیدة باقیة فترک مشاربها والخروج عنها صعب جدا فمن خاف تفرس من موص جنفا فی ترک المشارب بان بالغ فی المجاهدات لنیل المشاهدات او اثما تجاوزا وتعدیا عن حد الشرع فی دفع الطبع فاصلح بینهم من الروح والبدن والقلب والسر ولکن بنظر شیخ کامل ومربی عارف فلا حرج علی المصلح

یا ایها الذین امنوا کتب علیکم الصیام کما کتب علی الذین من قبلکم لعلکم تتقون ایاما معدودات فمن کان منکم مریضا او علی سفر فعدة من ایام اخر وعلی الذین یطیقونه فدیة طعام مسکین فمن تطوع خیرا فهو خیر له وان تصوموا خیر لکم ان کنتم تعلمون شهر رمضان الذی انزل فیه القران هدی للناس وبینات من الهدی والفرقان فمن شهد منکم الشهر فلیصمه ومن کان مریضا او علی سفر فعدة من ایام اخر یرید الله بکم الیسر ولا یرید بکم العسر ولتکملوا العدة ولتکبروا الله علی ما هدیکم ولعلکم تشکرون واذا سالک عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوة الداع اذا دعان فلیستجیبوا لی ولیؤمنوا بی لعلهم یرشدون احل لکم لیلة الصیام الرفث الی نسائکم هن لباس لکم وانتم لباس لهن علم الله انکم کنتم تختانون انفسکم فتاب علیکم وعفا عنکم فالان باشروهن وابتغوا ما کتب الله لکم وکلوا واشربوا حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود من الفجر ثم اتموا الصیام الی اللیل ولا تباشروهن وانتم عاکفون فی المساجد

تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ٥

[illegible]

القراءة فدية طعام مضافا مساكين بالجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلوانى والرازى عن هشام والبخارى فدية بالتنوين طعام بالرفع مضافا الى مساكين بالجمع الباقون مثل هذا الا لزمسكين مفرد مجرور فمن يطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الماضى من باب التفعل القرآن غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة فى الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر ولا تعجل بالقرآن ان علينا جمعه وقرآنه فاتبع قرآنه الباقون بالهمز اليسر والعسر حيث كانا بضمتين يزيد الاوله فالجاريات يسرا ولتكملوا من التكميل ابو بكر وحماد وعباس وورش الباقون من الاكمال الداعى اذا دعانى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل ووافق ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء فى الوصل الباقون بغير ياء فيهما فى الحالين بى لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف يتقون ٥ لا لان اياما ظرف الصيام او الاتقاء معدودات ط لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين عن اصل الوضع اخر ط لان خبر الجار مستظر وهو فدية فلا تعلق له مثله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان المقدر والصوم خير لكم تعلمون ٥ والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه ط للابتداء بشرط آخر اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون ٥ قريب ط لان قوله اجيب مستانف دعان ص للفاء يرشدون ٥ نسائكم ط لهن ط عنكم ج لعطف الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقتين من الفجر ص لذلك الى الليل ج ولذا اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان فى المساجد ط لان تلك مبتدا فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اى يبين الله بيانا كبيان ما تقدم يتقون ٥ التفسير هذا حكم آخر والصيام مصدر صام كالقيام والعياذ وهو فى اللغة الامساك عن الشى قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اى قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وانه فى الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع فى زمان مخصوص وهو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولابد فى صحته من النية فى غير يومى العيد بالاتفاق وفى غير ايام التشريق عند الاكثرين ويوافق الجديد من قولى الشافعى وفى غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولابد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء فى جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اى على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال على كرم الله وجهه اولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها لعظمها او المعاصى لان فى الصوم ظلفا للنفس عن المناهى وموافقة السوء او لعلكم تنتظمون فى سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم

وقيل

وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع فى البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل ابام معدودة واصله ان المال القليل يقدر عدا والكثير يحثى حثيا اى انه قال انى رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا الحمل لا يكون وجه التشبيه بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة ولذا اختلفت المدتان ثم ان الائمة اختلفوا فى هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان فعن عطاء ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هى مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا وايضا ذكر حكم المريض والمسافر فى هذه الآية وفى التى تتلوها فلو اتحد الصومان لكان تكرارا محضا وايضا ذكر فى هذه الآية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان الثانى وهو اختيار ابن مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلال الاول بانه ليس فى الخبر انه نسخ وعن انه كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب فى الشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت فى شرعه ولكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا للصيام وجب بغير هذه الآية وعن الثانى ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفى الآية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما ثانيا فى رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم لكن فى التخيير والتعيين اما فى نفس الصوم فلا وههنا سؤال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال فى التلاوة لا يوجب الاتصال فى النزول بل المتقدم فى التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كآية الاعتداد بالحول وهكذا يجدى فى القرآن آية مكية متاخرة فى التلاوة عن الآية المدنية وذكر كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته فى هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة فى هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة فى ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل لا كلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذى انزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة فى الزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهى هيئة يكون بها بدن الانسان من اجود تركيبه بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة فى المرض والسفر المبيح للافطار على اقوال احدها ان اى مرض كان واى سفر كان فلان يترخص بزيلا اللفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه فى رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وعن داود الرخصة حاصلة فى كل سفر ولو كان فرسخا

احوال

وثانيهما انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل
وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما
يخاف منه وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام لاشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع
عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد اذن منه ما يؤثر
الصوم في تقويته تاثيرا يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه
او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال
واخلاقهم وعن الازهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح
مسافة يوم وعند الشافعي مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب
مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين فحينئذ يناسب الرخصة
ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة
الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربع فراسخ وروى الشافعي ايضا عن عطاء قال قال ابن عباس اقصر الى عرفة فقال
فقال الى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان
اربعة برد وقال ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا تحصل الا في ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح
والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب
بان قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة
في موضع الاقامة ساعة نصير مقيما وكذا قوله والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا
الترجيح للافطار لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر
دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر علق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق
على قصد السفر فلا يصح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت حصلت والا فلا
وعدة فعلة من العد بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون وعدة المرأة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم
يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودة للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها ولانه لا اشكال في ذكر العدد ظاهرا
فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى
[illegible] آخر عن صرف للصفة والعدل عن آخر من كذا واعلم ان قوما من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على
المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى ان من صام في السفر قضى في الحضر
واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله

ويد

يريد الله بكم اليسر ينبئ عن ارادته الافطار ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل
لام التعريف ميم التعريف ولقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى ان هذا الافطار رخصة فان شاء
افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الاية اضمار
التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء
فعن الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب
والشعبي والاوزاعي واحمد واسحاق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن
ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه
وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وتعالى
وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين
صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وانه نصف صاع عند اهل
العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي مد من غالب قوت البلد لكل يوم
ويصرف الى الفقير المسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار
والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها من قرأ باضافة الفدية الى الطعام فلانه اضافة فيه كقولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين
على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو
مائة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا
والى الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين
يطيقونه قالوا هذا اولى لئلا يلزم النسخ اقل فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن
الصحيح المقيم الثالث انه نزل في الشيخ الهم عن السدي وعلى هذا لا تكون الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه
تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على الشيء مع ضرب من المشقة
والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر
فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية لحق الوقت وقال ابو حنيفة لا يجب الا
القضاء كيلا يلزم الجمع بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب او صام
مع الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم من
الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق
عليكم وان اجركم على قدر نصبكم او تعلمون بالله فتخشونه وتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد

البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان
حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر
من ان تحصى ولو لم يكن فيه الا التشبيه بالملائكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات
المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح
واحل وصوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار لمشاهدة الرحمن شعر صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الافطار
وتشوقت مدة ثم لما زارني جل عن مدى الانظار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة
وعن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان
فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف
للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف ويطهر
وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع
الشمس والارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من
حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم لشدته عليهم او لان الذنوب ترمض فيه اي تحترق وروي
عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال انما سمي رمضان لانه يرمض الا ذنوب عباده وكان هذا من قولهم رمضت النصل
جعلته بين حجرين املسين ثم دققته ليرق وعن الازهري انهم كانوا يرمضون اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال
قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا
الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص
ولو لم يتلفظ بالشهر جاز كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا الحديث لان التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه
على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اي
الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا
في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما
او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله وفائدة وصف الشهر بانزال
القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فهو ذلك انه خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص باشق سمات
العبودية فبقدر هضم النفس يترقى العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس وتنخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على

الحكم

الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ من العجائب ما كان وفي انزال القرآن
في رمضان اقوال فعن سفيان بن عيينة انزل في فضله القرآن كما تقول انزل في علي كذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب
صومه على الخلق القرآن كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان
او هما واحد فانه لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات واختار الجمهور ان الله تعالى انزل القرآن في
رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن
لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقائع فاولت الآية بان المراد انه ابتدئ فيه
انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول محمد بن اسحق او انه انزل جملة
الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس يبعد ان يكون للملئكة الذين هم سكان السماء الدنيا مصلحة في انزال
ذلك اليهم وفيه مصلحة للرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبريل المامور بالانزال والتادية
ولا سيما على راي الفلاسفة الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان
وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم
منجما الى آخر عمره ويحتمل ان يقال انه كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاج اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى
ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعا لا تخصيصا بحاله هدى للناس وبينات منصوبان
على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل
من الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي مشتبه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين
الواضح ويحتمل ان يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك ففيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى
والفرقان التورية والانجيل او يقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش
والمازني ان الفاء في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علم
اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل ان مفعوله
محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد او المقام فليصم في الشهر وصاحب هذا
القول ارتكب الاضمار حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر لانه يلزمه ما فر منه ايضا لان الصبي والمجنون والمريض
كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان والمركب زمانه فلا يلزم
منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار
والتخصيص اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب
هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي معترضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت الانصاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف
لان لزوم الاضمار في الآية ممنوع وذلك ان شهد ههنا متروك المفعول كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان

على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل نوى الاقامة واما التخصيص فمشترك على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف
اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما اعيد ليترتب عليه
حكم القضاء كالمريض وايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فالمفهوم لا يعارض المنطوق ثانيا
فاين التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعلاء لمكانه وتمكينا في القلوب
وتعظيما في النفوس كقوله لن تنالوا الحق نعط الحق سائله وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية
وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة من اوله الى آخره فظاهر الآية يقتضي ان الصوم انما يجب عليه بعد شهود
الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور
والمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان فهذا هو الموافق
لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا
عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه وان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة
ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لزمه قضاء ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ
الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور اذ المراد من شهد الشهر اجمع وليكن بحيث قد وجد منه الصوم في جميع ايامه
او المراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه ويعلم منه انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض فقط
بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا للحاضر
في بعضه والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه والصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن
علي كرم الله وجهه امرا انما هي رعاية لحرمة الشهر كما لو ادرك الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة
وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومهما شهد عند القاضي عدل او عدلان
انه رأى الهلال ثبت لما روي ان اعرابيا رأى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فامر الناس بالصوم ولما روي
ان عليا رضي الله عنه شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام وقال صوم يوم من شعبان احب الي من ان افطر
يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت
هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رئي في موضع شمل الحكم لمن هو على ما دون مسافة القصر
منه ولا يجب الصوم بذلك على من هو ابعد قوله يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور
وتسمى المياسرة واليد اليسرى لبقائها على اليسر او لان الامور تسهل لمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح
قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه اوجب الصوم
على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر وههنا يتحقق صدق
قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته قال انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه
صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف

بالا يطاق

بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالآية بانه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهده
فقد فعل ما لم يرد الله منه اذ كان لا يريد العسر واجيب بانا نحمل اللفظ على انه تعالى لا يامره بالعسر وان كان قد يريد به العسر
فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة فكما انه يجوز ان يامر ولا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله ولتكملوا العدة الجمهور على
ان الفعل المعلل محذوف فعن الفراء المقدر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكر وهو
الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله لتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة
الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف اللام
في الاول النصب وفي هذا الجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مربوط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا
وفيه ما بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا
وانما قيل ولتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى
لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله تعالى والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة
وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان تقر بصفاته العلى وباسمائه الحسنى وتنزهه عما لا يليق به من ند
وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد بالاوامر والتبعد عن النواهي
وهذا لا يختص بوقت لاستكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى يأتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس
ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانه يكبر في يومه لنا قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قال الشافعي
سمعت من ارضى من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس
آخر يوم رمضان واما آخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يتحرم الامام لصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية
والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لان
الرواية عن جابر وابن عباس واضافة التكبير موضوع شعار العيد فكان دون تكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله
فحسن ويستحسن في الامام ان يكون زيادته ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا بأس به ايضا وهو
الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد
والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي الوقت في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء صلى المكبر مع الامام
او صلى ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى ولا خلاف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع
السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سالك عبادي عني [illegible]

لان امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب
رجاءهم او انه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها على حسن الطلب وسبب نزولها ما روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه
اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وآله وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة
ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض
عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا في
ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب
دعائهم وتضرعهم وبهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله
اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسأل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته
بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه
بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعوه كيف شئنا او ما اذن الا بان ندعوه على وجه معين
كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه يحتمل ان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله
اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع واطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن
في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب
ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس ومنقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد
وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب
وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه
عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل
بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل
بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرقي كان بعيدا عن المغربي قالوا فثبت ان
المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة وقال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه
حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد
الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود ذلك الماهية اليها بل ماهية كل
شيء انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فبه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا او العقل عقلا والنفس نفسا
فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت لا يستصحب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان
ولئن سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة زيفناها في مواضعها

فلا ذرة

فلا ذرة من ذرات العالم الا وبنور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط
ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب تشنيع الجهال
رموز الى حذار الرقيب * وكتمان سر الحبيب حبيب * اذا ما تلاشيت في نوره * يقول لي ادع فاني قريب * ولئن سألوه
ان ربنا صح الجواب باني قريب ولئن سألوه هل يسمع ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب ولئن سألوه كيف ندعوه
ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب ولئن سألوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب
وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب اني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم
ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما لقول بعث دعاء كالقول بعث صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه
جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب ان كان معلوم
الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها
شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يهمله وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات
الصديقين الرضا بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج
عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء
ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين
والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه
وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا
الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر ان جاء
سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله مثبت على ما قلنا فانه صلى الله عليه وآله وسلم ضمن الامرين رهنهم بسابق
القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق
به القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول
في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في
قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد
ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد
الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان
الامكاني والامتلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض المسكنة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل
الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله تعالى وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق قضاؤه وقدره

ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا
من الاقدام على موقف المسائل والمناجاة ولئن يكون لسيتجابة صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة
وحديرا بالقبول ولئن يعود بركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل
له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل
قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم
فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه بلقمة الحلال
وذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب
السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ينزل
ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات
المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية
قال فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال اقرب
ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال من سره ان يستجيب
الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ثلثة لا ترد
دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء
ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع رجلا في صلوته فلم يصل على النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او
لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلي علي فلا تجعلوني
كغمر الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول
فقل اني قريب كما قال في سائر الاسولة والاجوبة وذلك من مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل
الروح من امر ربي ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الثلث
اصولية يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله

يفتيكم

يفتيكم في الكلالة يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبؤنك احق هو قل اي وربي ويسألونك
عن ذي القرنين قل ساتلو فكانه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء
فلا واسطة بيني وبينك واضا في مقام السوال قال عبادي وهذا يدل على ان العبد له وفي مقام الاجابة قال فاني قريب
وهذا يدل على انه للعبد وايضا لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب
وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب
بمعنى يقال استجابه واستجاب له اي فليمتثلوا امري اذا دعوتهم للايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا او ليعزموا
على الاستجابة وليؤمنوا كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم
ودنياهم فان طاعة الله تعالى هي المستتبعة للخير عاجلا وآجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيامة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي
مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وفيه نكتة وهي انه تعالى لم يقل اجب دعائي حتى اجيب دعاءك كيلا يصير
المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال انا اجب دعاءك على جميع احوالك فكن انت ايضا مجيبا لدعائي وهذا
يدل على ان نعمه تعالى شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين والكاملين والناقصين وقيل الدعاء في الآية هو العبادة
لما روي عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الدعاء العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب
كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب
يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز من قائل احل لكم
جمهور المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزل كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امراته وقد صلى
العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري
او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك
طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امراته فلما راته قالت خيبة لك
فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور
بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم علينا في هذه الآية
بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كان

الحرمة ثابتة فهذه الآية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول التشابه في كل الامور
فلعلهم انما كانوا يمتنعون من الاكل والشرب والوقاع اعتقادا منهم ان سقا[ط] الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا
مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالحرمة فلا جزم بالنسخ ومنها قوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد
صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر
الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا
بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب
واكتسب وتكسب والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظوظها من اللذات لا من الثواب والاجر ومنها قوله فتاب عليكم
وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد المعصية ولارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله
بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وآله وسلم
عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى آخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع
عليكم باباحة هذه الاشياء المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار آحاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على
النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن
ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع والرفث ايضا الفحش من القول
وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا
اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما ووجه به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امراة اي ان يصدق
الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل او ناك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث
الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان او المس ونحوها
كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء
في قوله دخلتم بهن فأتوا حرثكم فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة
او البيان كما سماه اختيانا لانفسهم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء في قوله وقد
افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فيضم جسد احدهما الى جسد صاحبه
ويشتمل عليه كالثوب قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار
عند الجماع قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او سميا لباسا لستر كل منهما
صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت

لو لم يكن المرأة حاضرة كما يستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس
الساتر للآخر في ذلك المحظور الذي كانوا يفعلونه وزيف بان هذه القرينة وان ذكرت في معرض الانعام لا في مقام الذم
ووحد اللباس اما لانه جنس واما لانه مصدر لابس وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس لكم الاستيناف لانه كالبيان لسبب
الاحلال فان من حق المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه اذ هو عالم ولم يذكر في الآية ان الخيانة
فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تاخر هو مثله بدليل فالآن باشروهن فتعين ان يكون المراد به الخيانة في الجماع
ومن المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب
ونقص حظها من الثواب وقيل ان الآية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف لخانتكم
لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من القاء الفضيحة اي فتيم فقبل توبتكم وعلى قول الاصم
لا اضمار فالآن باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب من البيان لان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها
حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم
نهى ان يباشر الرجل الرجل والمراة المراة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع تتضمن اباحة ما دونه فصح ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره
ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ
لان المنع عن الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم جعل او قضى او كتب في اللوح من الولد
اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال صلى الله عليه وآله وسلم تناكحوا تكثروا
وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهية ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان
يعزل عن الامة وعن علي كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله الله لكم كقوله فأتوهن من حيث امركم الله
وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم وابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم
وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون
اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي كتب في القرآن من قوله
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم و[illegible] ن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من
الثواب لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص
في العبودية ولا تفرغ المكلف حينئذ لطلب ليلة القدر التي هي حاصل صوم رمضان وقال سبحانه فالآن باشروهن
لتفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل
ولا يستبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك
وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلاهة عدي وقلة فطنته

وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط في رجليه
الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني
الليل والنهار واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق لا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره
عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفه
ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما التبسه الامر على
بعض من لا ذوق له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا ان الخيط الابيض وليستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما
يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كما في قولك رايت اسدا مجازا فاذا زدت من فلان
رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كما بين في موضعها
الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير البيان عن وقت
الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارف
بقوانين العرب ليستعملها ثم لا بالاضافة الى الاغبياء نعم التفهيم يعم البليد والذكي والله المستعان ولا اشتباه الى الوهم
ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه يناقض ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا
حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو ايضا يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا
في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما انفجر من الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين
اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتداء منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى
واختلاف الليل والنهار فليتذكر فتدبر ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا اشكال حينئذ لانه انما
الغايتين فدلت الاية على ان حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا
وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن
من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد
غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام
الجنة او اني على ثقة باني لو احتجت لاطعمني من الجنة او اني اعطيت قوة من طعم وشرب والتحقيق ان الاستغراق في
مطالعة جلال الله يشغل عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك كان بالخيار في
الاستغفار الا ان يخاف المقصر في الصوم المتنافي سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول المعدل الحاجة وقد
تشبث الحنفي بالاية في جواز النية نهار رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا
الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول الاقل يلحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححنا بنية قبله

ج

حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم يبيت وانما جوز في النفل
ان ينوي قبل الزوال لانه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا
لصائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب والشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به
واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر
تستنبط من الاية او تستفيد من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال اذا بطل فالانزال بنوع
شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة دون الفكر او النظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر
وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاءة لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه
ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء
او دواء او لا فالحلق جوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء
مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف وانه صلى الله عليه واله
اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط
وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس بالفصد والحجامة لكن يكره خيفة الضعف احتجم صلى الله عليه وعلى اله وسلم
وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب المسام
لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار
الطريق او غربلة الدقيق الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا ففي الحفظ من العسر ولو ضبطت المراة ووطئت او وجئ
بالسكين او اوجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه قصد الصوم
ولا اثر لدفع الضرر كما لو اكل او شرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف الطاهر من الفم لا يفطر ونخامة
ان لم تحصل في حد الظاهر من الفم لم تضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم
فان قدر على مجه ولم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل
الماء الى دماغه لم يفطر على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلى الله عليه وسلم
للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا افطر خلافا
لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا او ربما قدره بالحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا
في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فان قل لم يفطر لقوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من نسي وهو صائم فاكل او شرب
فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك وان كثر افطر ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يبطل كما في الاكل
ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجزئه صومه على الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه
واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد

تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل
وقد افطر الناس في زمان عمر رضي الله عنه ثم انكشف السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد
الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف المترصد الطلوع كان الطلوع
الحقيقي متقدما عليه اجيب اما بان المسئلة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في امثالها واما بانا نتعبد بما نطلع عليه
ولا معنى للصبح الا ظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل
القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين مطلع الفجر وترصد فمتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وحينئذ يحرم المفطرات وعن الاعمش
انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وجعل الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط
الاسود ما اتصل به من آخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما لا يجوز الاكل الا الى طلوع الفجر وهذه
المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال له الاعمش انك لتثقل
على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام ولا صلى في دهره
عنى انه كان ياكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان للآية
ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من جنس الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان
حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته اولا ثم بين السبب في اباحته ثم ذكر الخيانة
في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليرتب عليه الغرض الاصلي من الرفث وهو طلب النسل
وليعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى آخر جزء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها بين مدة الصوم
الذي هو المقصود الاصلي وتلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة من مجموع اليوم بليلته اعني
من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الآية ان الامساك عن الرفث كان
مختصا بنهار رمضان لا بليله ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حالة
الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على شيء برا كان او
اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى
وطهر بيتي للطائفين والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفة
ان المراد بها الجماع ومقدماته المفضية الى الانزال لان الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة
ما دام في المعتكف وحين يخرج لحاجة ولم تتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والعناق وكل ما فيه تلاصق البشرتين
خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم
كان يدني راسه من عائشة لترجل راسه وهو معتكف فبقي ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها
لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا تفسد الاعتكاف لانه ليس اعلى درجة منهما واجيب

بان النص

بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز عن سائر البقاع من حيث انه
بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين
اي لجميع العاكفين وعن عطاء انه في مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه
من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام راتب
ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة
الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي يجوز لانه بغير صوم عاكف وانه تعالى منع العاكف من
المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان
لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة
الاعتكاف في رمضان وايضا لو تلازما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه لا يخرج وايضا
روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز
الصوم في الليل ابو حنيفة لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال
ومعلوم ان الصلوة لما لم يجب فيه بالنذر لم يجب بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف يتقاربان في كل منهما كف وامساك
والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف
صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا لزمه كلاهما دون الجمع بينهما
ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف
تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم من اول آية الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه
حد واحد اللهم الا ان يقال يراد امثال تلك الخلة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل
فيها والحد الكلام الجامع المانع لحدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة
وانما قال ههنا فلا تقربوها وفي موضع آخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله اوامر او نواهي متصرف في حيز الحق
فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز
بين حيزي الحق والباطل كيلا يداني الوقوع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال
بين وان الحرام بين وبينهما متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع
في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل
لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب
جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي اثبتوا عليها ولا تتخطوها

كذلك اي كما بيّن ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام يبيّن سائر ادلته على دينه وشرعه ارادة لان تتصفوا بالتقوى جعلنا الله تعالى من المتقين بفضله ورحمته **التأويل** صوموا لرويته وافطروا لرويته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم فصوم اللسان عن الكذب والنميمة وصوم العين عن النظر الى الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وهذا نقل الباقي وصوم النفس عن التمني والشهوات وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على بواطنكم واجزائكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانات والروحانيات اياما معدودات ... تستدعاء الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقاة الروحانية الباقية كما قال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس وكسل الطبع او على سفر حصل له وقفة العجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى تدرك العناية وتعالج سقمه بتعاجيل الالطاف واشربة الاعطاف وتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين فالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق والمسكين من يكون شربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب مشاهده وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فهو خير له اي زاد في الفداء اي كلما قطع من مشرب وشق من مشرب لغير ذلك المشرب ايضا اي تركه الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله وان تصوموا خير لكم فيزال فيه حفاوة القرآن وهذا معنى قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فيكون على ما اده به الله لا يعني انه ياكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة ياكل حتى تفنيه عن وجوده وتبقيه بشموله فيكون خلقه القرآن وحينئذ يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فقال له اصبت فالزم ومعنى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد ناداني ربي وقال انا بدك اللازم فالزم بدك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غيره يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا اذاقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لولم يردنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر **شعر** لولم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا ولتكملوا العدة انواع الفاقات بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله لتعظموه على ما هداكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال **قوله** سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال تارة يكون بحكم غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار انوار دلت الربانية وحينئذ يصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله تعالى بنهار

كشف

كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال استار الرحمة ليسكنوا فيها ويتروحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وعني بالرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي تتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم تحميكم عن حرارة شموس الجلال كيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معائب الدنيا بالاموال الصالحة وتستعمل الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات العلية وكلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كافلق كأن شيئا لم يزل اذا اتى كأن شيئا لم يكن اذا مضى في المساجد اي في مقامات القرب والانس فيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف وبالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف الله حسبي

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا

ومخوريد مالهاء شمارا درميان شما ... وميندازيد كارآن باحاكمان تا بخوريد بعضي را

من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ٥ يسئلونك عن الاهلة ط قل هي مواقيت

از مالهاء مردم ... وحال آنكه شما ميدانيد مي پرسند ترا از حال ماهها بگو آن ماهها وقتها است

للناس والحج ط وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر

مردمان را وحج را ونيست نيكويي آنكه بياييد بخانها از پس آنها ولكن نيكويي

من اتقى ج واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ٥

نيكويي كسي است كه بپرهيزد وبياييد بخانها از درهاء آن وبترسيد از خداي وطلب نماييد تا بر شما رستگاري باشد

القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء **الوقوف** تعلمون ٥ عن الاهلة ط للفصل بين السؤال والجواب والحج ط لابتداء حكم آخر مع النفي من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين ابوابها ص لعطف المتفقتين تفلحون ٥ **التفسير** لما كان الصوم منتهيا الى الافطار والافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه والاول المال لا يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث

وكل ذلك مذكور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول فيه اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يوخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة **الاول** ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منه الخمس فقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد **الثالث** الماخوذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق **الرابع** ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط لفظي الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة **الخامس** ما يوخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره **السادس** ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد كسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والرزق المحرم وكل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه ومعنى بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة منكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غيره لا كل من التصرف كالاكل في هذا الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال قال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما والادلاء اصله من ادليت دلوي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه قال المحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان منتسبا اليه فطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي اي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها الى الحكام اليهم او لا تلقوا امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريبا واذا اخذها حاكم السوء مضى في الحكم من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن تشتبه عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا

فانما

فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه من القسمة واقترعا وليأخذ كل منكما ما تخرجه القسمة بالقرعة ثم يحالله وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وسئل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بانه لما يرى كذلك لانه انما يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته وتفصيل ذلك ان القمر ومنه دائرة لا تستدير المنير والمستنير وتفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضا دائرة والدائرتان تتطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطع المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن القطعة المضيئة هي التي تلي البصر والقمر في تلك الحالة يسمى بدرا وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيعين على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر الى اربع قطع اثنتان منها نصفان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان وتقع في مخروط البصر احدى الاولين واحدى الاخريين لكنه يحس بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريبا وفي غيرهما تختلف المتجاورتان وتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين ان واقعتين في مخروط البصر في الربعين الاول والاخر من الشهر اصغرهما لان زاوية تلك القطعة اصغر اللتين تليان الابصار اعني انها حادة وتسمى القطع المرئي الصغير اول ما يبدو والى ليلتين هلالا او بجمع على اهلة لا تعدد اعتبارا وفي الربعين الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم الذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والمقام من الوقت كالميزان من الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور مستقل ولا يتشتت الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حتى يسمى عوده من كل تشكل الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا وبذلك فترة السنون وضبطت الاوقات والفصول فلن يمكنه جحود فائدته على تقدير وجوده ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض الخير والجود او امتناع الخرق والالتيام كما ذهب اليه كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به نبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي **افراد** الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى اشهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال علم الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة تعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعود الشمس من نقطة كاول

الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا تتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم **قوله** عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البراء قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا لامر الاحرام ولكن البر بر من اتقى او لكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل ان الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يستظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل ياتيه من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما **وجه** اتصال هذا الكلام بما قبله فبناء على الاسباب المروية في نزوله وعلى اكثر المفسرين فهو انهم لما سالوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السوال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما يسنح لكم هو على نهج الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله تعالى فيه استطرادا او اتفق وقوع القضيتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سوالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البري عن العبث والسفه فاذا راينا اختلاف حال القمر وجب ان يعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول الم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق او فارقتم الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تاتوا الامور من وجوهها التي يجب ان توتى منها وهذا باب مشهور في الكناية **قال** الاعشى وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها لكي يعلم الناس اني امرو اتيت المعيشة من بابها وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من النسيء فكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمكروهات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق **التاويل** بالباطل اي بهوى النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة للزاهدين مواقيت اورادهم

والصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قايما بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فاهل التحقيق وقت الاوقات محبوبهم كالليل لهم وصف الاوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝

القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون من باب المفاعلة وقيل انه يمين حمل ما كتب في المصحف بغير الف كالرحمن **الوقوف** ولا تعتدوا ط المعتدين ۝ من القتل ج للعارض من الجملتين المتفقتين فيه الابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ۝ رحيم ۝ الدين لله ط لتبدل الحكم الظالمين ۝ قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب ووزعه ما اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ۝ التهلكة ج لاختلاف الجزاي وانفتحوا الى الحرب فوق ما يطاق واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء او اللام المحسنين ۝ **التفسير** لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية باشق اقسامها على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم سئل عمن تقاتل في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا تقاتل رياء ولا سمعة الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اعني الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روي عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة

ن

من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اي المستعدين للقتال سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم فانهم جميعا مضادون
للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستعدين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم
خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا
لا يقدر على ذلك فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي
ويفعل ما يشاء فرضي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك وصالحهم عليه وعاد الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه ان قريش
لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه
الآيات وبين له كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر
لقلة المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات
وتكررها عليهم حصل الياس من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين
كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني السلبية
بازاء المقاتلين في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المجاوزين عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اي صادفته
وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود امر في الآية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية زاد في التكليف فامر
بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حراما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله
واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لم يسلم منهم يوم
الفتح او اخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان
في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او تخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة
عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب
الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل روي ان صحابيا قتل رجلا من الكفار
في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار
على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار اسما لكل محنة والمعنى
ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم
في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي اوجبته عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم
الدنيا وآفاتها شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي
يلزمهم بسبب كفرهم فكانه قيل اقتلوهم حيث ثقفتموهم واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من
قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع من الطاعة التي ما خلق الجن
والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ان ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث

اخرجوكم

اخرجوكم ولو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تكاسلوا عن طاعة
معبودكم يروى ان الاعمش قال للحسن تمارات قراتك اذا صار الرجل مقتولا فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب
اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا وذلك ان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم
فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس وقيل اي عن الشرك بدليل قوله
فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن قلت
ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه يؤثر في
حقن الدم وعصمة المال وباطنه التشبث باركان الاسلام جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله
والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن القتل العمد بل عن كل ذنب مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل
الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير الكافر
اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المساهلة فظهر الفرق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مواخذة
الكافر بقتله اذا اسلم ان لا يواخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على
الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وليس كذلك لان البداية بالمقاتلة عند المسجد
الحرام تفوت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الآية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القرآن ليس على ترتيب النزول
ولو كان على الترتيب ايضا فلا يضرنا لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام
دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اي شرك وكفر وعلى هذا
فالآية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب ازالته لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل
كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد من قوله ويكون الدين لله اي ليس
للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا اعتبار بالمخالف لقلة شوكته
وسقوطه عن درجة الاعتداد به او محمولة على قصد ازالة الكفر فيترتب هذا العزم على القتال كان لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم
انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى تظهروا
عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدأوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون
عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر
الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على
المنتهين فيكون مجموع قوله الا على الظالمين قائما مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره
في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين وعلى الوجهين سمي جزاء الظلم ظلما للمشاكلة كما يجيء في قوله
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او لو اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم
المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة سنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم

لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر
وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة تكف منعا عن القتال معكم دفعا لشروركم واصلاحا لفسادكم
والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص
منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد
وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا
ولا تبالوا ثم اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم
حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتاييد والتقوية والتسديد فان المعية
بالعلم او بالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر
بالقتال وانه يفتقر الى العدد والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم المال فلهذا
امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال ويروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام
قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامر صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان ينفقوا في سبيل الله
وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحمل في سبيل الله فيهلكوا فنزلت
هذه الآية على وفق قول رسول الله والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال مبذر
وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات
او على العيال او في الزكوات والكفارات او في عمارة بقاع الخير وغير ذلك والاقرب في هذه الآية وقد تقدم ذكر القتال
ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه عبر عنه بقوله في سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله
فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتزت نفسه ونشط وهان عليه ما يدعى عليه والباء في بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل
الايدي الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت ايديكم يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اي
لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك
والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها
في الاعيان التنضبة لشجر والتتفلة لولد الثعلب ويحتمل ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر
من هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكلف على ما ظن تصحيح
لفظ القرآن كيلا يخرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر وكيف وهو
حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فتنبه وللمفسرين في هذا الالقاء خلاف
فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الآية في النفقة وذلك ان لا ينفقوا في
الجهاد اموالهم فيستولي العدو عليهم ويهلكهم او ينفقوا كل مالهم فيحتاجوا ويحتاجوا فنهوا عن التقتير والاسراف

او عنهما

او عنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا ان
انفقنا نهلك ولا نفتقر ولا تنفقوا ان تبخلوا على انفسكم بالامساك للانفاق او انفقوا ولا تفسدوا ذلك الانفاق في التهلكة
والاحباط منا او اذى او رياء وسمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا بالجهاد
فتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا في الحرب حيث لا ترجون النفع ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان
ذلك لا يحل كما روي عن البراء بن عازب انه قال في هذه الآية هو الرجل يستقتل بين الصفين وانما يجب ان يقتحم اذا طمع
في النكاية وان خاف القتل روى الشافعي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارايت يا رسول الله
ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول وروي ان رجلين من الانصار تخلفا من اصحاب بئر معونة
فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سانقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابي
ففعل ذلك فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا حسنا وروي ان اسلم ابا عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا
صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد
فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام
ابو ايوب الانصاري فقال ايها الناس انكم تاولون هذه الآية هذا التاويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر
الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان
الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا
ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن
بارض الروم وقيل ان الآية تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم
حرمة الشهر على ان تستسلموا لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي
فانزل الله تعالى هذه الآية وذلك انه يرى انه لا ينفع معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهي عن القنوط
من رحمة الله تعالى واحسنوا في الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه او على قضية العدالة بين التقتير والاسراف او في
فرائض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهو
مقام القرب والقرب مقتضى الارادة الذاتية وهذا رمز والله ولي كل خير التاويل وقاتلوا من يصدكم
عن السير في سبيل الله او اراد ان يقطع عليكم طريقه من شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا
لا تجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا الطبع ولكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط
واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم وجاهدوا بمخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس كما اخرجوكم
من حريم القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس
بمخالفة هواها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذا كنتم آمنين مطمئنين في مقام القلب والروح

حتى يزاحموكم فى الحضور وداعية الهوى فان نازعوكم فى الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة
تلك الدواعى عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تغلوا فى مجاهدتها
الشهر الحرام اى ما تقولكم من الاوقات والاوراد بتوالى النفس بزاعها وغلبات صفاتها فتدركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم
ثم اعتدى فكل صفة غلبت وتسولت فادفعوا لجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة
بالعفة واتقوا الله فى طرفى الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط فى الحقوق والافراط فى الحظوظ
او بموافقة النفوس ومخالفة النصوص او بالركون الى الغرور بالحسبان والعزم والله المستعان

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ
أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ
ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

القراءات من راسه وكذلك البأس والكاس كلها بغير همزة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وحمزة فى الوقف
الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدى ج لعطف المختلفين محله ط لابتداء
حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اى فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض
فامضوا امنتم وقفة لحق الحذف ولابتداء الشرط فى حكم آخر وهو التمتع من الهدى ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط
العقاب ٥ التفسير الحج فى اللغة القصد كما مر فى قوله فمن حج البيت او اعتمر وفى الشرع عبارة
عن افعال مخصوصة وهى على ثلاثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو
الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر وهو الهيئة والاركان عند الشافعى خمسة الاحرام والوقوف
بعرفة والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير وخالف ابو حنيفة فى السعى ولا مدخل للجبر الا فى
فى الابعاض الاركان واما الابعاض اعنى الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمى وفاقا وفى الرمى بعرفة
الى ان تغرب الشمس وفى المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفى طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم
والرمل والاضطباع فى الطواف وفى السعى واستلام الركن وتقبيله والسعى فى موضع السعى والمشى فى موضع المشى والخطب

والاذكار

والاذكار والادعية الى غير ذلك والحج ماسوى الاركان والابعاض ولا دم فى تركها واما فى العمرة فما سوى الوقوف
من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام وهل هذا الامر مطلق او مشروط
فالشافعى على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع
فيهما فليتمه كما اذا كبر بالصلوة لزمه الاتمام فرضا او تطوعا وفائدة الخلاف تظهر فى العمرة فانها تصير واجبة على المعنى
الاول دون الثانى حجة الشافعى ان الاتمام قد يراد به فعل الشئ تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن اى اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اى افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى
من تقدير انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول آية نزلت فى الحج
فحملها على الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولا يقال وقيموا
الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط
الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتاويلنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل
الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذى هو واجب وقال تعالى يوم الحج الاكبر فدل على وجود
حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق بعد الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر
حجة ابى حنيفة قصة الاعرابى الذى سأل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة
والحج والصوم فقال الاعرابى لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم افلح الاعرابى ان صدق وقال صلى الله عليه وسلم
بنى الاسلام على خمس الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل فى مطلق الحج قالوا وروى عن جابر ان
النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سئل عن العمرة اواجبة هى ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم
الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ذكر
النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك فى السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة
باخبار تدل على وجوبها روى النعمن بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابى رزين انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ابى شيخ كبير
ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم حج عن ابيك واعتمر امر بهما والامر للوجوب
وروى عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما تقترنان فى الذكر تكلف وعن عمر ان رجلا قال له انى وجدت
الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما
لا يخلو عن تعسف قالوا قرأ على وابن مسعود والشعبى والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج
فى الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية
على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافى وجوبها واعلم ان اداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران
فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج فى تلك السنة والقران ان يحرم بالحج
والعمرة معا فى اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة فى اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا

والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده فى اشهر الحج ويأتى باعمالها ثم يحج فى هذه السنة من مكة سمى تمتعا لاستمتاعه
بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج ولانه ايضا ربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات
بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه
يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة فى جواز هذه الوجوه وانما الخلاف فى الافضلية فقال
الشافعى افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال فى اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك واحمد وائمة
بل قالوا لا يجوز لحاضرى المسجد الحرام العدول عن التمتع الا ضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع
وهو قول المزنى وابى اسحق المروزى وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعى
فى افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضى المغايرة وانما يحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود
شئ واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل وما روى عن انس
انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان لعابها يسيل على كتفى فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا
معارض بما روى مسلم فى صحيحه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعى
رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واقدم صحبة ولان انسا
كان صغيرا فى ذلك الوقت قليل العلم حجة القائلين بافضلية القران ان القران مسارعة الى النسكين وفى الافراد
ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة
لكنا نقول من اتى بالحج فى وقته ثم بالعمرة فى وقتها فمجموع هذين الامرين افضل من الحجة المقرونة واختلف فى
تفسير الاتمام فى قوله تعالى واتموا فعن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ان اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك
وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الآية نزلت بعد ان
منع الكفار النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى هذه
الآية بان لا يرجع حتى يتم الغرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما فى وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الآداب
المشروعة فيهما وهى عشرة على ما ذكر فى الاحياء الاول فى المال فينبغى ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء
الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب
الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشئ
قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل او يكتريها الثانى الخروج والرفقاء المقيمون يودعهم
ويلتمس دعاءهم فان الله تعالى جاعل فى دعائهم خيرا والسنة فى الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية
الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله
لا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر

توكلت

توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون السادس النزول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل وان لا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين
ودعا الله كثيرا السابع ان قصده عدو او سبع بالليل او بالنهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والاخلاص والمعوذتين
ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لا يموت الثامن مهما علا نشزا من الارض فى الطريق يستحب
ان يكبر ثلثا التاسع ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشئ من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه
عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات يأتى بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب
والسنة ويكون غرضه فى كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون موافقا لقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اقتداء بابرهيم
صلوات الرحمن عليه حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقال المراد من قوله واتموا افردوا كل واحد منهما بسفرة ويؤيد هذا
تاويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى ان ائتوا بالحج والعمرة تامتين كاملين بمناسكهما وشرائطهما
وآدابهما لوجه الله لدلالة قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس
فى الحجاب والحصير معروف سمى به لانضمام بعض اجزائه الى بعض فكأن كلا منها محبوس مع غيره والحصير المحبس ايضا والاكثرون على
ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه وعن ابى عبيدة وابن السكيت والزجاج
وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين احصروا فى سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو
ومنه ما روى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف فى الآية تظهر فى مسئلة فقهية وهى انهم اتفقوا على ان حكم
الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال ابو حنيفة يثبت وقال الشافعى ومالك واحمد لا يثبت
بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين
الحج فقالت انى شاكية فقال حجى واشترطى ان محلى حيث حبستنى وفى حكم المرض كل غرض صحيح كضلال الطريق ونفاد
الزاد حجة ابى حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل
حجة الشافعى قول ابن عمر وابن عباس وهما من اهل اللغة وايضا المحرم قد احرم لسبب التعبد لمساواته حرمة احصار الملوك
فكون الوجود دار الصبر قرينة ذلك فلا يفوت المعنى الى الحكم ان وجد ثم اجر بهم محصورين فلا سبق النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند وجود
المقتضى والمرض اقتضى له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه ثبت ان لفظ الاحصار حقيقة فى العدو دون المرض وايضا لفظ الاية
غير معقول لانه عرض باق وايضا لو كان المرض داخلا فى المحصر لكان فى قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشئ
على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار التقدير ان منعتم لمرض تحللتم
بدم وان تأذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو اذ يقال فى المرض شفى وعوفى
لا امن ولو قيل ان خصوص آخر الآية لا يقدح فى عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل الامن من المرض
خاص وهو باطل لانه لا يكرره ورايه وهى ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الآية ان الكفار احصروا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالحديبية
والامة ولئن اختلفوا فى ان الآية هل يتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم فى الآية اضمار لان

والمقدر فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فأهدوا واما استيسر اي ما تيسر مثل استصعب وتعظم واستكبر وتكبر اما الاحصار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا واما الموجب هو التحلل او نية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جزية السرج جزى وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جزى وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذا الهدي يعني المهدى ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح وجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حدّ الاحصار قالت العلماء لو شعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يتمكنوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو المواجه ولو صدوا عن طريق وهناك طريق آخر ووجدوا شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لحزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدودين مطلقا ولو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض وفي قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير المدى لان كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع آخر اعجاز نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان وقال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة يحلل وان فيه انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بان محصره طرف الحرم الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الآية صريحة في انهم نحروا الهدي في غير الحرم وايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا ناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان المحل الحرم هو المحصر لكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف ولئن كان غيره فقد لا يجد ذكر الغير فاذا ابو حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل

وقوله

وقوله حتى يبلغ الهدي محله دل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا ذهب ابن لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدي فلا يجزئ الا في الحرم لمساكين اهله الا دما عطب فذبح في طريقه ويخلى بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدي لا يكون هديا الا اذا انتهى الى دار المهدى اليه فالمهدي كذلك وذلك بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدي فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويبقى الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا فاذا يتحلل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كما لو صام بدله كيلا يعظم المشقة والآخر وبه قال ابو حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص له بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم التمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلاثة ايام ولا يجب في الآية دلالة على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلقوا ولا يتحللوا الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انه امرهم ان لا يتناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم او حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون اطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه في عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يأمر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلاة ولم يتمها بقي في ذمته ومهما احصر لمرض ونحوه وقد صححناه لا يجوز فحكم الهدي ما مر في الاحصار بالعدو ولئن صححناه بان كان قد شرط التحلل به اذا عرض فهل يلزمه الهدي للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا الآية مختص بالمحرم وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله ربما لحقه مرض او اذى في رأسه لا يصبر فاذن الله تعالى اذن له في ان يزيل ذلك الاذى بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستأنف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في رأسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة وقال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبح نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله وانفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الآية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد

الى م

وتفارق تفريق الصلوات فان ذلك التفريق متعلق بالوقت وهذا متعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما قيل ما يقع به التفريق اصح الاقوال التفريق باربعة ايام ومدة امكان سيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فان المعلوم بالضرورة ان الثلاثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل قد يكون للاباحة نحو او كما في قوله مثنى وثلاث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فبذلك نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم السياقة وكفى بها فائدة وايضا المعنى ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم مع الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل ومساويا في الفضيلة سواء وذكر العشرة لصحة التوصل بها الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك جاز ان تعود الى الثلاثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصير الكلام الى التنصيص وايضا قوله تلك عشرة ان مراتب الاعداد ثلث الآحاد والعشرات والمئات وهذه من وسطاها فكأنه قال انما وجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط الكامل وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف به كون المذكور مما يعتد به الحكيم فيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاونوا بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيديه ثلاث مرات وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلاثين وبالثانية على التسع والعشرين وايضا فازالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفريق غير مجزئة كما لا يجزئ في كفارات الظهار والقتل وواقع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى الامر اي فلتكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المأمور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الآية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد عن اكثر اللذات والاستمتاعات وكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين شقين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من شق الى شق والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتكرير في الالفاظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما يترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي انه عائد الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والآفاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية من تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة

عزل

تام

ويتفرع

ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعي ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الآفاقي بسبب انه احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلا خلل في حجه تمتع او قرن او افرد فلا يلزمه الهدي ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من صوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من صوب المشرق والعراق وخراسان وكل هذه اكثر من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب واوفقها للآية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم كله قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون واتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان ولسنا فيهما العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السيء كقول القائل لتذوقن فعلك

التأويل حج الخواص حج رب البيت وشهوده وهذه سيرة ابرهيم صلوات الرحمن عليه كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابع فلا جرم اهدى اسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان ذاهبا بالله ما احصر بشيء فقيل له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى وكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا في اتمام صورة الحج لله باستطاعتكم وفي الحقيقة بان تحرجوا من وجود كم فان احصرتم باعداء النفس والهوى او لملال القلب او لكلال الروح او باستيلاء الاحوال اي بمعنى الآمال فما استيسر من الهدي اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس يهدي بان لا احصار ولا تحلقوا ان تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا القصد فان عرض مرض في الارادة او بعلو اذى من المزاحمات من غير فتر من نفسه فلم يجد بدا من الاناخ بفناء الرخص فليجتهد ان يتدارك بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس في مقاساة الشدائد فاذا امنتم الاحصار واقبل الجد المساعد والزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب فما استيسر من الهدي من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد ولم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة للمعاني والمتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع

بلغ بر هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك فنزلت
فيّ خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في القدر
قال العلماء المرض قد يحوج الى اللباس او الى الطيب او الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا ذلك بحو هذه المحظورات
لعدم الحلق باشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع نفسه لانه لا يقوم شيئا من طعام
تفسيه البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجي في قوله تعالى فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجي تفصيله في المائدة وفي هذه الاية
ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف وزوال المرض فظاهر والا فانه مضمن معنى الظرف
ولئن كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول اي فكونوا على المتمتع
ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول يقال حبل ماتع طويل وكل من طالت صحبته الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج
وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه
صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر رضي الله عنه خطب وقال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما
واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم نفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج
وروي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب
الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم
فلهذا المعنى كان نسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى المتمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى الحج
وقيل الاستمتاع بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج ولوجوب الدم على المتمتع شروط
منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجي تمام الكلام فيه عن قريب
ومنها ان يحرم بالعمرة من الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر فليس عليه دم
التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة ولئن كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم ووقع
اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي
الشافعي انه لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال
قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال
العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان تقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء
اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجه في وقتها وترك الاحرام بحجه من الميقات مع حصوله في وقت الامكان
ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في
عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى ميقاته الذي انشا العمرة منه واحرم
بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا الدم

سوط ذبح احد المفسرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع من الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كالامر
وقت الحج فهي وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه او دم نسك حتى يجوز
له ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان رضي الله عنه كان ينهى عن التمتع وقال علي رضي الله عنه
اعمدت الى رخصة اشتهار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للوجوب للحاج فابطلتها فسمى المتعة رخصة وهذا دليل النقص وايضا
التمتع تلذذ ولانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي على المتمتع بلا توقيت ولو كان نسكا كان موقتا
وايضا الصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذا الهدي كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن
في السنة السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة وتجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثنية
المعز وهو الذي دخل في السنة الثالثة او جذع الضان وهو الطاعن في السنة الثانية تستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب
ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعدما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدي جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل
من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة
والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية مختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقيس عليه
ما اذا لم يجد ما يشتري به او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج قال الشافعي اي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا
للصوم والاصح سائر اعمال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي الذي هو
اصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة اي في وقت الحج وهو اشهره فجاز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة ومثله قال احمد في رواية
وفي اخرى قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب الصوم
في الايام الثلاثة قبل يوم عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة ان يكون مفطرا كيلا يضعف عن الدعاء واعمال الحج ولم يصمه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بعرفة بل روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة وحكي عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم
جبارة للفضيلتين وبعلم ما ذكرنا انه يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلاثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب
له ان يحرم بالحج يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا
بالحج واذا فاته صوم الايام الثلاثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته كصوم رمضان
واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم
للشافعي في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد
ومن لم يجد فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبه قال ابو حنيفة
واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام بها وان لم يتوطنها
لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلاثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة
عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلاثة والسبعة الاصح عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء
تعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء

مشاعر بها وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدرك الصورة والثانية معينة على الحفظ وبعدهما الحواس الخمس الظاهرة
تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب ولا ينبغي
ان يخاطب بالعتاب وانما يلزم التعب والطلب السالك والسائر فاذا وصل فقد استراح واتقوا ان تسكنوا في فترة او وقفة
او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب القانعين بزل الحجاب

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا
من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر
فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

القراءات فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد وزاد يزيد ولا جدال
بالرفع الباقون بفتح الكل وكذلك روى المفضل من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ
عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسماعيل في الوصل بالياء ومن تأخر وما بعده الى جعفر والاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة

في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج في الحج ج يعلمه الله ج التقوى ز للعارض بين الجملتين المتفقتين
الالباب ○ من ربكم ط لان اذا اجيبت بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم آخر الحرام ص لعطف المتفقتين هديكم ج
لان الواو يصلح حالا ولاستيناف الضالين ○ واستغفروا الله ج رحيم ○ ذكرا ط من خلاق ○ النار ○ مما كسبوا ط
الحساب ○ صفة الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم آخر عليه للاولى ج لابتداء شرط آخر مع العطف عليه
الثانية لا لتعلق اللام اتقى ط لاختلاف النظم تحشرون ○ التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالمقدر
اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك البرد شهران او الحج حج اشهر معلومات اي الحج الحج فيها خلافا لما كان عليه
اهل الجاهلية من النسيء قيل ويمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان
شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل الجمع ثلاثة وقد يفعل
الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام
بعد الشهر ومن هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس
وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل
بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر
من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت
لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسع الاولى من
ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر والفوت العبادة مع بقاء وقتها محال ثم انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت
للحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب بان تلك الاية عامة
وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر
على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات للحج
حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اول الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون
في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا والعالم في معرفة تلك الاشهر
على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا لهم
او المراد انها معلومات ببيان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم او المراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها
كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد
واسحق وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا تجوز قبل الوقت
لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا
لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء
وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب عنه قالوا

الاحرام التزام الحج فجاز تقدمه على الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدا واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا الشمس بن اكابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بما في حق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالتزام المسمى بالاحرام لانه يحرم حينئذ عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض فرض الحج جعل النية ادل على التلبية او سوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في آخرها ولا في اثنائها نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط انعقاد الاحرام اطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد او اشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد الحج فقد احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الآخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان يحرم ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعائشة حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرا بفتح الكل او برفعها فلا اشكال ومن قرا برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب تقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد

ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وربما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق فلذلك نرى كذلك اما الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما القراءة المشهورة فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افرادها الا بجهة فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وهو في العمرة وفي الحج سابق منهما فساد النسك روي ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح عن مالك واحمد انه يفسد ما بقي من احرامه وتفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ من الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من رمي النحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف او الحلق والطواف حصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من الطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الى الاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيها ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن العمرة والحج والعمرة ان فسدا يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها لان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا فسبع من الغنم والا قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن النتائج القضاء باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المفسد فرضا او تطوعا فان القضاء واجب والاصح الوجوب في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعد ولو على الاشبه لان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد ولكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فالمسلم الفتوى عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع وليس المحرم التقبيل بالشهوة

ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة
وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل
وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة
وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث الافحاش
وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى
ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان وقال صلى الله عليه وآله وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والايحاش ولا يضار كاتب ولا شهيد
وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع
ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل
الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذي
يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال لا انه مع الرفقاء وفي الحج ابشع كلبس الحرير
في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال آخرون بل حجنا
اتم فنهاهم الله عن ذلك وقال مالك في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة
بقزح وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القسم بن محمد كانوا يجعلون
الشهور على العدد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول الآخرون بل غدا وكانه قيل لهم
قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا
فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا
فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال
حينئذ وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم في ان ايهم المصيب مقام ابرهيم وقيل ان النهي نهوا
عن ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابرهيم صلوات الرحمن عليه وقال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل
النفي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنى والجدال على الشك في الحج ليصح
خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر ولكن حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع
ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا تكون في الآية بعث على الاخلاق الجميلة
والآداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث نهي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الشهوات والفجور ولا فسوق اشارة
الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستكبار ولا جدال رمز الى تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان
على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه منشا الآراء المتخالفة والاهواء المتضادة والعقائد الفاسدة
والمذاهب الباطلة ٥

واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشاؤه صرف العصبية ومحض المراء
لتنفيذ الآراء الزائغة وتحصيل الاغراض الزائلة والقاء الاغراض الفارغة واما الذب عن الدين القويم والدعاء
الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وآراء محمودة حتى يستقر الحق
في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احدى
شعب البيان وقد يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لمقابل الخير وان كان عالما
به ايضا لنكتة هي اني اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كان
رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين واذن بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد في اداء ما امره
به واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى
وبدل الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على
شرف النفس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم في الآخرة اتقاء القبائح
فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد
فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الآخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا
يوصلك الى متاع الغرور وزاد الآخرة يبلغك دار السرور زاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الآخرة
سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس شعر اذا انت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا * ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا *
وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسالون الناس وربما
ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال
وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك
ففيه ابطال حكمة الله تعالى ورفع الوسائط والروابط التي عليها مدار المناجح وبها منتظم المصالح روي ان بعض
العارفين زهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني رزقي
فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم ياته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي
قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم
بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس
في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت ان رزق العباد بايدي العباد احب الي
من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الآية حذف اي تزودوا لعاجل سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى
واتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية

العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع الناس عن الجدال اختلج في قلب المكلف
شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا
انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهرا لان المشتغل بخدمة الله يجب ان لا يلوث بالاطماع
الدنيوية وايضا كان من الممكن ان تقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها
محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء
منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
عن ابي مسلم انه حمل الآية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح
ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الآية على موضع
الشبهة اولى من حملها لا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم
وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها الاشتغال بغيرها واعمال الحج متفرقة
يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء
الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج
وقال ابن عباس في سبب نزول الآية كانوا يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن
البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ويعني
الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الدجيج الا اذا كانوا جماعة
ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر
ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عما سالت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج
وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج
وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته
كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان
منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والجاه والغذاء والنابع هو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو التفضل والثواب والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القرب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في الاباحة كما مر في
قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة
التقدير

التقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة
ولا يبعد ان يكون علما للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في ثوب
الصنم ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق
على اصله بعد ما جمع ثم جعل علما لمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة
في مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجود له كجار الله وكثير من المتاخرين قال ان هذا التنوين تنوين الصرف
قالوا انما لم يسقط لان التانيث في مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة
لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث وان قلنا ان لا علامة تانيث فيها لانه لا تمحضه للتانيث ولا اشتراك لانه لا يعود
الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه البتة ويكون تانيثه بعيدا كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها
فانها لا تقصر عن بنت مصر الذي هو تانيث بالبقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما
لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبع الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما علم في الجمع السالم اذ الكسر
فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يجد فالمانع هذا وانه جوز المبرد والزجاج ههنا
مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرئ القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها
بيثرب ادنى دارها نظر عالي * وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين
الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة
واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة وعرفات
هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكير وسببه ان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب
ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك باول شوط من طوافك قال يا رب
زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني قال اغفر لكل من يستغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال
حسبي يا رب حسبي وقيل ان ابرهيم صلوات الرحمن عليه راى في منامه ليلة التروية كانه يذبح ابنه فاصبح
يتفكر اهل هذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت يا رب انه من عندك
وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل
التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الآفاق فيسقونهم الماء بعد ما
تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش وردوا بحار
الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان آدم وحواء عليهما السلام التقيا بعرفة
فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان جبريل علم آدم عليهما السلام مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له
اعرفت قال نعم او لان ابرهيم عليه الصلوة والسلام عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة عن علي وابن عباس وعطاء
والسدي او لان جبريل عرف بها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع

ابنه اسمعيل عليهما السلام وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يتلاقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات وقد سبقت
القصة في شان البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد او لما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان الحاج يتعارفون فيه
اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك
للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر واختلال الحال وقيل لان ادم وحوا عليهما السلام لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا
انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح
طيبة عند الله مقام ضدها قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وقد يسمى يوم
عرفة يوم اياس الكفار عن الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
عن عمرو ابن عباس نزلت هذه الاية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم واقف بعرفة في موقف ابرهيم
عليه السلام في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما لهم في هذه الاية
لقرت اعينهم فقال يهودي لعمر لو ان هذه الاية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن فجعلناه
عيدين وكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين
ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين
في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة
كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى
ابن مريم يوم اقسم الله تعالى به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص
بكثرة الرحمة وسعة المغفرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة
وانه ليدنو ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لهم واعلم
ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم ان من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا
طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته
واقام الى وقت خروجه الى عرفات وحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة
للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلوا الصبح
الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة
ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام بنمرة لان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة
من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم

على

على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون
ياخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي
بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون
عند الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس
والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن فاته عرفة فقد فاته الحج
وقد يستدل بالاية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة
من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر
عنده لا بالوقوف ... الاصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث قال فاذا افضتم من عرفات ووقت الوقوف
يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هناك
في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر
واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم
يقربون فيها من منى والازدلاف القرب وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون
الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها بين صلوتي المغرب والعشاء عن قتادة وقيل
لان ادم عليه السلام اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء
باقامتين ثم يبيتون بها فان لم يبت فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس ههنا اشد
استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا منها الحصى للرمي ياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم
يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله ويهلله
ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر
فاذا بلغوا بطن محسر فان كان راكبا حرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا
شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى
ثم بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لانه ربما لا يكون معه
هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق الحاج راسه او يقصر ثم بعد الحلق اتى مكة ويطوف بالبيت طواف
الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم البيتوتة ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين
ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها الى كل واحد منهما فرسخ ولا يبيتون بها في مسيرهم من منى الى عرفات
والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعود الى منى اربع رمي جمرة العقبة والذبح والحلق او التقصير والطواف
طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال

والترتيب في الاعمال الاربع على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بمنى للناس يسالونه
فجاءه رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي فقال ارم ولا
حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل
ولا حرج وعند مالك واحمد وابي حنيفة ان الترتيب فيها واجب ولو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم
ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابرهيم صلوات الرحمن عليه وذلك ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات
ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر
وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وعلى اله وسلم
بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس
فان السنة ايضا من قبيل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام
والمبيت به والدعاء عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه
الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة
الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم
لانه معلم لعبادته ووصف بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب
والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر وهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك
الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيده ثانيا والمعنى
اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية اما كل انواع الهدايات او الهداية الى سنة
ابرهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الراي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية
او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب او المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته او المراد
بتشبيه الامر تكريره وتكثيره كقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا
او الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة
للوظيفة الشرعية والثاني ان يترقى الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام

او المراد

او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول
او من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انها الافاضة من عرفات وعلى
هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره
فالوقوف به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا روي ان النبي
صلى الله عليه وعلى اله وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين
وهذا مقام ابائك وقومك فلا تذهب فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر الناس بالوقوف بها والحاصل
ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة
المامور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان
الى كريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه وصيرورة المعنى فاذا افضتم من عرفات
فافيضوا من عرفات ولا الى تقرير تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بان المراد الافاضة من عرفات
من قال انه امر للناس جميعا وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فان من سنتهما ذلك وروي
ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا
مقتدى به ان ابرهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان ووجه ثالث وهو ان يكون
قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وانها ليست عادة مبتدعة كما يقال هذا مما فعله الناس قديما
القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث
افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت
الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب
بان القران اولى ما يحتج به وعن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم عليه السلام واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض
الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع
قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة
بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما بعد ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار
بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان والقصور من خصائص الانسان وكيف لا
وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس
ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت

ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله
الذى لا اله الا هو الحى القيوم ذا الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذى اعلم ومن
الذى لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم الآن للمبالغ كما مر مرارا واختلف اهل العلم فى المغفرة الموعود فى هذه الآية فقائل
انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول فى الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الآخر
قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اى فرغتم من عباداتكم التى امرتم بها فى الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك
جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا او ان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو الافاضة والرمى عن ابن عباس
ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل آبائه
فى السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله تعالى عليهم
بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لآبائهم ثم الفاء فى قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا
الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات فى ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء
والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم
آثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية واعطتم الاذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية
ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بمواجب السعادات الباقيات فالاول نفى والثانى اثبات ويعنى كذكركم
آباءكم تذكروا على ذكر الله كما كنتم تذكرون على ذكر الآباء واقيموا الثناء على الله مقام تعداد مفاخر الآباء فانه ان كان كذبا
اوجب الدناءة فى الدنيا والعقوبة فى العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهى وان كانوا يذكرون الآباء ليتوسلوا
بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات آبائهم محبطة بسبب اشراكهم وعن الضحاك
والربيع اذكروا الله كذكركم آباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبى اول ما ينطق ابه ابه امه امه اى كونوا مواظبين
على ذكر الله كما يكون الصبى فى صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالآباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر
وقال ابو مسلم جرى ذكر الآباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله
وقال ابن الانبارى العرب اكثر اقسامها فى الجاهلية بالآباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم آباءكم وقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الحلف بالآباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية
كذكركم آباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه ويستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى
ابيه فى طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم فى ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الآية ان تغضب لله اذا عصى
اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما فى موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر فى قوله
كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما فى موضع نصب عطفا على آباءكم يعنى او اشد ذكرا من آبائكم على
ان ذكرا من فعل المذكور وهو الآباء لا فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران وقوعه على المفعول
واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الآخر وانا لو اعتبرنا الفعل هنا من جهة

وقوعه

ووقوعه على المفعول لان الآباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم
آباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما اضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه
اى احسن الوجوه فاذا انتصب ما بعده كان غير الذى قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد
ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال ان اشد ذكرا انما قياسه ان يقال او كاشد ذكر جرا اضافة ووجه نصبه على ما قال ابو على
ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يشبع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه
وعلى جميع الوجوه فمعنى او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشئ الى ما هو اقرب واولى كقول الرجل
لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكره اشد لان مفاخر آبائهم متناهية وصفات الكمال غير متناهية
وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثانى نور وبرهان ثم انه تعالى بعدما امر بالعبادة تصفية
للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر والضلال وامر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة الاشتغال بذكر الكبير
المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فرقتان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات
العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك طلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة
تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يوجد فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى
به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه
المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال النبى صلى الله عليه
سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فشفى والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد فى البدن او على منبت شعرة
واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضى ذلك الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمل على اهمال وظائف
الطاعات ومن ذا الذى يستغنى عن امداد الله اياه فى دنياه وعقباه ثم المقتصرون فى الدعاء على طلب الدنيا من هم
عن ابن عباس انهم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث
والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابى على الدقاق رحمه الله قال
اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فى الدنيا طلبوا الماكول والمشروب وفى النار
طلبوا الماكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا فى الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين ولكنهم عوتبوا
لانهم سألوا الله فى اعظم المواقف واشرف المشاهد اخس البضائع وادون المطالب الحسية تارة بكنيف واخرى باحقر
من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقى والنعيم المقيم وفى قوله ربنا آتنا فى الدنيا حذف المفعول الثانى لانه كالمعلوم
ويحتمل ان يكون من قولهم فلان يعطى اى يوجد الاعطاء معناه اجعل عطاءنا فى الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفس
فى الدنيا احدى ثلاث خصال روحانية هى تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة
وبدنية هى الصحة والجمال وخارجية هى الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا بدنية

الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال
عز من قائل وما له فى الآخرة من خلاق اى طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من ليس له فى الآخرة طلب
والهمة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسعيه وبال وضلال اى ربى وفقنى
علما وعملا روحانيا وجسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر فى اى شئ نظر الا اليك ولا رغب فى كل ما رغب
الا لاجل ما لديك ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر فى هذه الآية ان هذا الفريق
مجابة دعوتهم او لا فقالت طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق
الا باولياء الله والمرتضين من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا كرامة واجابة بل مكرا واستدراجا
ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من
نصيب وعلى هذا يصح ان يقال فى الآية اضمار اى يقول ربنا آتنا فى الدنيا فيؤتيه الله فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق
لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان فى دعاء الصالحين اما فى الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح
والزوج الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة فى الرزق وما اشبه ذلك حسنة
ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما فى الآخرة
فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك فى قوله وقنا عذاب النار
وهذه الجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا
فقال اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا فقال ما
تريدون سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن على كرم الله وجهه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء
وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة فى الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة وفى الآخرة النعيم
بذكر الله والانس به وبرؤيته قلت لا تلذذ فى الدنيا والآخرة الا بهذا شعر الجسم منى للجليس مجالس
وحبيب قلبى فى الفؤاد انيسى وعن قتادة الحسنتان طلب العافية فى الدارين وعن الحسن هى فى
الدنيا فهم كتاب الله وفى الآخرة الجنة ومنشأ البحث ان الحسنة منكرة فى حيز الاثبات فكان من المفسرين
حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اى حسنة واى
حسنة او نريد حسنة توافق حال الداعى وحكمة المدعو وفيه حسن الطلب ورعاية الادب بما ليس فى
التصريح به فانه لا يكون الا ايثارا او نريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام شعر
قليل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب اى نصيب مما
كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل
اى من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح انها كسب فلان
او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم بحسب مصالحهم فى الدنيا واستحقاقهم فى الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال

والاعمال

والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق
نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو الوزن قال
الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اى كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان
ومعنى كون الله محاسبا للخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضرورى فى قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها
وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه
فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون
بين يدى الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم
ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل المحاسبة المجازاة وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد فى احوال اعمالهم وكيفية
ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق فى اذن المكلف سمعا
يسمع به كلامه القديم كما يخلق فى عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما
يسمعه كل مكلف اما بان يخلق ذلك الكلام فى اذن كل واحد منهم او فى جسم يقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة
ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا للخلق ومعنى كونه سريع الحساب
ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر فى احداث شئ الى فكر وروية ومدة وعدة ولذلك ورد
فى الخبر انه يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة وروى فى لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم
لانه قادر على ان يعطى مطالب جميع الخلائق فى لحظة واحدة كما ورد فى الدعاء يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان
وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان تقوم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى
واذكروا الله اى التكبير فى ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمى لان الامر بالتكبير
امر بالذى توقف التكبير على حضوره وانما اختير هذا النسق لانهم ما كانوا منكرين للرمى وانما كانوا ينكرون ذكر الله تعالى
عنده فى ايام معدودات هى ايام التشريق ثلاثة ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثانى
يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون فى هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثانى عن عبد الرحمن بن يعمر
الديلى ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم امر مناديا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك
الحج وايام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع فى غير الصلوة وخطبة العيدين
نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذى لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به فى المنازل والمساجد والطرق ليلا
ونهارا كما مر فى تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق فى التكبير المرسل بين
عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب فى عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن فعل
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة وانما يستحب فى الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به فى ادبار الصلوات خاصة

واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبيرات
على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر اقواله وحجتهم ان الناس
فيه تبع للحجاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى مضي خمس عشرة صلوة ويكون آخرها صلوة الصبح من آخر
ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي ان ابتداءه من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من آخر ايام
التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة والقول الثالث انه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة
العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابي حنيفة واعترض عليهم بان هذه
التكبيرات تنسب الى ايام التشريق فوجب ان تؤتى بها فيها وان انضم معها زمان آخر فلا اقل من ان يكون هو الاغلب والقول الرابع
يبتدأ بها من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من آخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو
قول اكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا فقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من آخر ايام التشريق
ولان هذا هو الاحوط لتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما يكون التكبيرات مضافة الى ايام التشريق لانها
اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في
الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس واما
رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بين الزوال والغروب لكل جمرة من الجمرات الثلث بالترتيب مبتدئا
من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ومختتما بجمرة العقبة وهي التي تلي مكة ويرمي بسبعا في سبع دفعات كان النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة
واحدى وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث الى كل واحدة سبع تواترا النقل قولا وفعلا
ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاوليين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد
منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال
احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التأخر الى تمام الايام الثلثة وذلك
قوله ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف فتعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب
واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا اوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال
عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام وقد سئل هنا ان المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في
حقه فلا اثم عليه وهذا انما قال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه آثام فيما اقدم عليه والجواب ان الوجه
قد يكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر
دلالة على ان الحاج مخير بين الامرين او بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل آثما ومنهم من يجعل
المتأخر

المتأخر آثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل ان المعنى في ازالة الاثم عن المتأخر انما
هو لمن زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها لمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد
على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الآية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والآثام لا لبيان ان
التعجيل وتركه سيان كان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الآن اذا تناولت السم فلا باس وان لم تتناول
فلا باس يريد ان الترياق دواء كامل في دفع المضار لا ان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحد وقيل ان التواجد في
جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك قد يفضي الى نقص حشمة البيت ووقعه في قلبه فعسى ان يختلج في
قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج
على واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها لان هذا الذي
المندوب يصدق عليه انه لا اثم على صاحبه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي
الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل
معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا عن جميع
المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره
وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق كان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشدد
فيه لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء
عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا مستعان الا
هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله **التأويل** الحج اشهر معلومات هذه هي مدة الحيوة الفانية
وقيل الى الاربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين وما امكنه الوصول فعسى ان
يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فجرى عليه الحيف اذ ضيع اللبن في
الصيف لكن يصلح للعبادة التي آخرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ولا يهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة
يتزر بازار التواضع والانكسار ويتردى برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا
يخرج من حكم الوقت ولا يدخل فيما يورث المقت ولا جدال في الحج لان السالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع
ولا بالاصول فلا ينازع احدا ولا يخاصم ولا في جاهها احدا يزاحم فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم
عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزاد اولي القشور كعك وسويق وهم الذين
مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت والتقوى
اهل القشور مجانبة الزلات ومواظبة الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما
كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بترك الموجود
وبذل المجهود هو في سيره الى عرفات ومقام ابتغائه يعني مواهب القربة ببذل الوجود عند الوقوف بعرفات

لان الحج عرفة وعرفة المعرفة ومقام ابتغائه يعني الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين انه بعد
استكمال الحج الحقيقي لانه لعزة عرفانه بالله لا تضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله لله عند المشعر الحرام
يعني القلب الذي حرام عليه الاطمئنان بغير ذكر الله واذكروه كما هداكم اي كما هدى قلوبكم يهدي نفوسكم كيلا تقع في خطر
حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين في طلب الدنيا وحظوظ النفس من حيث افاض
الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي لتكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ان الانسان غير المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره
اي اذا وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما فاستغفره فاذا قضيتم مناسك الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تنسوا
ذكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم آباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء
من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب
في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين ووقف على الوسط ليكون من اهل الجنة
فلا اثم عليه ومن تأخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذاك لمن اتقى الرجوع والوقوف والسوى في الموقف

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَاِذَا تَوَلّٰى سَعٰى فِي الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ط
وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ
فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ط وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ ط
وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ۝ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطٰنِ ط اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ فَاِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ
فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا اَنْ يَاْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ
مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰئِكَةُ وَقُضِيَ الْاَمْرُ ط وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ ۝

القراءة

القراءة مرضات بالامالة والوقف بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهاه وعلى ذات بهجة ذاه
وعلى افرأيتم اللات اللاه وعلى ولات حين ولاه وعلى مريم ابنت ابنه وافق ابو عمرو في ولات حين
بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل
او على الغمام او للجوار وان كان فاعلا يأتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف
وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم **الوقوف** قلبه لا لان الواو للحال الخصام ۝ والنسل ط
الفساد ۝ جهنم ط المهاد ۝ مرضات الله ط بالعباد ۝ كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع اتصال الجواب
مبين ۝ حكيم ۝ وقضي الامر ط الامور ۝ **التفسير** لما آل الامر ببيان الحج الى تعديد فرق الناس بحسب اغراضهم
في الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم آخر يعرف منه مطامح انظار الناس في الاطلاق ليعرف ارباب النفاق من
اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه وقال والله يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مر بزرع لقوم من
المسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر وقيل انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا
ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة
رجل من زهرة عن قتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فسمي بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انا قد اسلمنا فابعث الينا
نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم
وصلبوهم ففيهم نزلت وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء واختيار المفسرين انه
لا يمتنع ان يكون الآية نازلة في الرجل ثم يكون عامة في امثاله فهذه الآية عامة في المنافقين فان السنتهم تحلو لي
وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود الى من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى
يعجبك يروقك ويعظم في قلبك وفي الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اي يعجبك ما يقوله في باب الدنيا
طلبا للصلاح العاجل فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق بيعجبك لان قوله وحلو كلامه
انما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحيرة او لانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب
اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد الحلف وان يكون بقوله الله شاهد
على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة والالد ان جانبا الوادي كان
كل من المتخاصمين في جانب ومنه اللدود وهو ما اصيب من الادوية في احد شقي الفم واضاف الالد بمعنى في كقولهم
ثبت الغدر وقيل التطف او جعل الخصام الالد على المبالغة نحو جد جده او الخصام جمع خصم كصعاب في صعب
والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسوق في معصية الله عالم اللسان
جاهل القلب والعمل واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل

لاولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار لايقاع الفتنة والتضريب بين الناس
وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلاً لما اجمل قوله ليفسد وقيل افساده هو القاء الشبهة في عقائد المسلمين
وعلى هذا فيكون اهلاك الحرث والنسل معنى آخر وهذا تفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضديهما
فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك عبارة عن فعل المنكرات وفيه نقصان قوته العملية وقيل
واذا تولى اي اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم
حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة بولد كثير والتركيب
يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد
قالت المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يكون
الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مخرج
لاحد اي كل ممكن على الآخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على ان الكل بارادته ومشيئته وقد مر تحقيق
ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها احسن كلام في طلب الدنيا
وثانيها الاستشهاد بالله كذبا وبهتانا وثالثها اللجاج في ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه
في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل وقوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر
خصلة سادسة اشنع من الكل دالة على جهله المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق
الله في ارتكاب شيء من هذه المنهيات والقائل اما الرسول صلى الله عليه وسلم قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق
فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم من قولهم اخذت فلانا بان يفعل كذا اي الزمته ذكره وحمله عليه
اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية لان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات الى هذا الواعظ
وعدم الاصغاء اليه او من قولهم اخذته الحمى اي لزمته واخذه الكبر اي اعتراه ذلك والمعنى لزمته وغرته
العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم
كافيه هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمونث لانه مصدر ووقع على الخبرية او على الابتداء
اذا كان ما بعده معرفة او على الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة
وعلى التقدير كونه خبرا لوقوع المعرفة بعده لا يكون الاضافة لفظية اي محسب وكاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم
اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة وهي اعجمية وفيها العلمية والتانيث وقال آخرون انه اسم عربي سميت نار الآخرة
بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها
من الجهومة وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظه سميت بذلك لغلظ امرها في العذاب ولبئس المهاد
هي اي المهد لاجله فان المعذب في النار يلقى على النار كالوضع الشيء في الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطئة

قوله تعالى ومن الناس من يشري الآية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم
فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي بكل
سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا الآية وقيل اخذ المشركون صهيبا
فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني
وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر
ربح بيعك ابا يحيى قال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت فيك كذا وقرا الآية وعن الحسن نزلت في ان
المسلم لقي الكافر فقاتل حتى قتل وقيل نزلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا
يقرا هذه الآية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت في علي رضي الله عنه
بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند راسه وميكائيل عند
رجله وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية ثم ان الآية تدل على ان هنا
بايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البائع ومعنى يشري يبيع وشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف وهو بذل النفس في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج والجهاد هو الثمن والجنة
هي الثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه
وصارت حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المومن كالمكاتب يبذل الدراهم
معدودة ويشتري بها نفسه والمومن يبذل انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا
المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا قول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة
ما دمت حيا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اي طلب رضوانه نصب على العلة
الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله
ضلالا وكدا وبلاء والله رؤف بالعباد فمن رافته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر
ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رافته انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رافته
ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رافته ان النفس له والمال له
ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا
ادخلوا في السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة
وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويونث واختلف في المخاطبين فقيل امر المسلمين بما يضاد حال المنافقين اي الذين
آمنوا بالالسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما تستانفونه من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان لا يخرج منها

لا يمتنع ان يومر بدخولها في المستقبل حالا بعد حال ومعلوم ان المومنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو
وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يامرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستانف من الزمان او امرهم بان يكونوا
مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا آثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين
مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد بالدخول في السلم ترك الذنوب والمعاصي فان من مذهبنا ان الايمان باق مع
الفسق والعصيان او يكون المراد الرضا بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضا
بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريقة العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم
على انها مونث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق
والشذوذ ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد
لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام
ولا تتبعوا آثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية ولبسها وذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان
التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع آثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها
الذين آمنوا بالكتاب المتقدم اكملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات
التي تتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره
ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لآدم ولنسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته
عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا فيجي الخلاف
ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد
ما جاءتكم البينات الدلائل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب
لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما لو قال الوالد لولده ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي
كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله عزيز تضمن الوعيد البليغ فقوله حكيم تضمن
الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب روي ان قارئا قرا
غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزلل لانه اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الآية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان
الله فقد اجمع المعتبرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شان المحدثات والمركبات وانه تعالى
ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الآية وجهين الاول هو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ

من التاويل وتفويضه الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه
لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الآيات مجيئا
له كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وباسه بحذف المضاف بدليل قوله
في موضع آخر او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا وانضمام اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي
اضمرنا ولا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات فتكون اعراضا فالاتيان عليها
ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد وحينئذ فالمراد ما يليق بتلك المواقف
من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فلا يبعد ان مناديا ينادي يوم القيامة الا ان الله
يامركم بكذا ومعنى كونه في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في آن واحد او يكون المراد
حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة
او انه تعالى يخلق نقوشا منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال اهل الموقف
في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل
الماتي به محذوف والمعنى الا ان ياتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد
لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء اي ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب
الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل
بناء على ان الخطاب في ادخلوا وزللتم لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه ويجوزون المجيء والذهاب على الله تعالى ويقولون انه تعالى تجلى
لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعلى هذا يكون
الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الآية لا تدل الا على انهم كانوا منتظرين اتيان الله وليس فيها
دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون كذلك
الا اذا كان مجتمعا متراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة
والعظم وكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله
في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة فاذا انزل منه العذاب كان اشنع لان
الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء
الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا او لتسخير لتتالي العذاب تتابع القطر واتيان

الملئكة ليقوموا بما أمروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التأويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والمقدر الآن يأتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او الساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزله من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله والملئكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امور خلقه اما اذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان هو مختصا بالنظر فيه فعلى المكلف ان يدخل في السلم كما امر ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما نهي لان الامور ترجع الى رجل جلاله وهو تعالى يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيامة فهذا معنى القراءتين في ترجع والصاد قرأتهم الباقون بفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان يعجب بنفسه ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به او المراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المومنون بالمقال واما الكافرون فبشهادة الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال

التأويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى الاولياء ولكنها اعدى الاعداء وتسعى في تخريب ارض القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري هذا شأن الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله وهذا مقام يضيق عن اعلان نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف الحروف شعر ولو فيضا خيط من نسيج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصره

سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد
بپرس از بنى اسرائيل چند داديم ايشانرا از معجزه روشن و هر كه تغير كند نعمت خداى را از پس
ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون
آنكه آمد او را پس بدرستيكه خداى سخت عقوبت است آراسته شد براى آنانكه كافر شدند زندگانى اين جهان و فسوس ميدارند
من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب
از آنانكه ايمان آوردند و آنانكه پرهيزكارى نمودند بالاى ايشانند در قيامت و خداى روزى دهد هر كرا خواهد بى شمار
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم
بودند مردمان امت يكى بر حق پس فرستاد خداى پيغامبرانرا بشارت دهندگان و بيم كنندگان و فرو فرستاد با ايشان

الكتب

الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين
كتاب آسمانى را براستى تا حكم كند آن كتاب در ميان مردم در آنچه خلاف كردند در آن و خلاف نكردند در آن حق مگر آنانكه
اوتوه من بعد ما جاءتهم البينت بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
داده شدند آنرا از پس آنكه آمد بديشان دلائل روشن از حسد ميان ايشان پس راه نمود خداى آنانرا كه ايمان آوردند مر آنچه خلاف كرده بودند در آن
من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا
از حق بفرمان او و خداى راه نمايد آنكس را كه خواهد سوى راه راست يا پنداشتيد كه در رويد
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
در بهشت و هنوز نيامد بشما داستان آنانكه گذشتند پيش از شما رسيد ايشانرا سختى و گزند
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب
و مضطرب الحال كرده شدند تا غايتى كه گويد پيغامبر و آنانكه ايمان آورده بودند باوى كى باشد يارى خداى آگاه باشيد كه يارى خداى نزديكست

القراءات ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور وموضعي النور الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب **الوقوف** بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدل العقاب ٥ من الذين آمنوا م لان والذين مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار فوقهم ظرفا ليسخرون او حالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ٥ ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين باذنه ط مستقيم ٥ من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما ياتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولما ياتكم متى نصر الله ط قريب ٥ **التفسير** انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد وهذا السوال سوال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة ولا فكرة الآيات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين انهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت استفهامية فالمقصود سلهم عن عدد الآيات ايها حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن انا كثيرا من الآيات آتيناهم والآيات الواضحات اما معجزات موسى عليه السلام كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن واقر ومنهم من جحد وبدل ومن يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلال ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها لتكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الآيات البينة

هي ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فبدلها بان لم يجعلوها وسيلة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غير ما اوتيت هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فمعناه ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها التمكن من معرفتها او عرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة فان الله شديد العقاب قال الواحدي الرابطة محذوفة اي له والمحققون لم يرتكبوا هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك الوصف وصفا ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كان التبديل سريعا فقال زين للذين كفروا الآية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد او للفصل مع ان التأنيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الآية نزلت في ابي جهل واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين والمهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس فحسنوا امر الآخرة في اعين الكفار وقالوا ان الآخرة لا صحة لها ولا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال شعر
أتترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوك من لبن وخمر
قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل لان المزين للشيء مخبر عن حسنه واذا كان المزين هو الله تعالى فلابد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المستحسن له مصيبا وان كان كافرا واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر جميع الكفار لابد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء مخبر عن حسنه مردود وانما المزين من يجعل الشيء موصوفا بالزينة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقول اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به ومنه قوله تعالى اني يؤفكون اني تصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يجعل الانسان على الفعل قهرا فالانسان في الحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب والحلاوة وركب في الطبائع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ومنه غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو موصوف لان الله تعالى خص بهذا التزيين الكفار وتزيين المباحات لا يختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور به وان قلت ذلك يرجع لكونه

معقود

معقود الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المومن فان تمتعه من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الآخرة فلما تزين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الآخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور ويبقى الاشكال بحاله ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا وتحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في ايام معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة اما بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج العز وهم في هاوية الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان ومجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيامة تستند الى العيان وتمد الرحمن ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المومنين بالكافرين يوم القيامة لكونها حقة باقية فوق سخرية الكافرين بالمومنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول آمنوا كما قال من الذين آمنوا بعث على التقوى وان كرامة المومن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان فقراء المسلمين عنها على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية النعمة في حق الكافر والابتلاء في حق المومن او يرزق من يشاء من مومن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سوال سائل فالامر امره والحكم حكمه لا يسأل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن في تقديره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء المومنين فلعل الله تعالى يرزق المومنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود وبتيسير الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما رزق العبد في الدنيا من الدنيا فحرامها عذاب وحلالها حساب وما رزق العبد في الآخرة من النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الآية بالمومنين وفي الآخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء له ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او لان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب والحساب انما يحتاج اليه اذا كان بحيث اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الآباد والاعصار يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او المراد ان الذي يعطي لا نهاية له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي او يعني بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة اضعاف من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية

ادانه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة الآية
فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك امر قديم
في الانسان ثم الامة الواحدة كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره
المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان الانبياء عليهم السلام بعثوا حين الاختلاف
وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم حينئذ اولى ومنها النقل
المتواتر ان آدم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان
بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق ومنها ان بعد الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على
الدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالآخرة
الى مقدمات نعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج كالهوى
له والذلة والخطاء بالوضع وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان
الناس على الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان
بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقدير الآية فاختلفوا فبعث الله كما
قرأ به ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر فالوا من وفاة آدم
الى زمان نوح عليهما السلام كانوا كفارا والحكم للاغلب ولئن كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس عليهم السلام فلا يقال ذكر
الكفر ولئن كان فيهما مسلمون القول الثالث عن ابي مسلم والقاضي ابو بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية
[illegible]

على الثاني لانه مقصود بالعرض الصفة الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة
النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر ودوّن ذلك الكتاب
ام لم يدوّن معجزا كان او غير معجز قيل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي الى المكلفين ووصول الامر والنهي اليهم قبل
التبشير والانذار فلم قدّم التبشير والانذار على انزال الكتاب واجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع
ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق
وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لو لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب والخوف انما يقوى عند التبشير
والانذار فلهذا اقدّم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالثة
وبين الاولين او بين الثالثة وبين ما رُتّب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب ولا محذور فيه نسبة الحكم اليه
تجوزا كما لا محذور في كونه هدى وشفاء واللام للجنس او لربط مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة
لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق
او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا
الحق واروه لمباشرة لاسباب القربة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل كيلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل
ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول وقال كثير من المفسرين المراد
بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا واما تحريفهم وتبديلهم من بعد ما جاءتهم
[illegible]

فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم افتسلكون سبيلهم ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان اتيان ذلك متوقع منتظر عن ابن عباس لما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين
واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في
غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل
نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان
محمد نبيا ما سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان والتصديق
لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبّدكم به وابتلاكم بالصبر عليه ولما يأتكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر
والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال ذلك من قبلكم من المؤمنين
ومثل الذين خلوا احوالهم التي هي مثل في الشدة ومسّتهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف
كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليهم والضراء وهي اشارة
الى انفتاح ابواب الشر والآفة اليه وزلزلوا حرّكوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة
وهي من زل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوّفوا وليس ببعيد لان الخائف
لا يستقر بل يضطرب لقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو
[illegible]

وههنا سوال [illegible]
[illegible]
ونعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويبدل نعمة الله بمرافقتها ورضاها فان الله شديد العقاب بان
يغير احواله ويسلب عن كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وانزل معهم الكتاب
الذي جف به القلم للسعادة او الشقاوة كقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار
وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة او الشقاوة في حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة
الا فيهم الا من بعد البينات وهي معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم
يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
والیتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه

أَكْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ط وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ
گناه بزرگترست نزد خداى و شرک گناه بزرگترست از کشتن و هميشه باشند که کارزار کنند با شما تا باز گردانند شما را
عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ط وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ
از دين شما اگر توانند و هر که رجوع باشد از شما از دين خود پس بميرد و او در حالت کفر باشد پس آنان
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ج وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
باطل است کارهاء ايشان در دو جهان و ايشان ياران آتش اند ايشان در آتش جاودانه باشند بدرستى آنانکه ايمان آوردند و آنانکه
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ ط وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥
از خانه مفارقت کردند و کوشش نمودند در راه خداى ايشان اميدوارند بخشايش خداى را و خداى آمرزگارست مهربان

الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ٥ كره لكم ج خير لكم ج لتفصيل الاحوال شر لكم ط لا تعلمون ٥ قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اى القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف ههنا ويجعل واخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اى القتال فيه وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التى كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين وان اتفقتا فكررت اولئك تنبيها على الابتداء مبالغة فى تعظيم الامر النار ج خالدون ٥ فى سبيل الله لا لان ما بعده خبر ان رحمت الله ط رحيم ٥ **التفسير** انه سبحانه لما بالغ فى وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال على الآجل بكل ما يمكن من الدخول فى السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد ذلك فى بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منهما مؤكدا للآخر **الحكم الاول** بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية فى رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى دينارا قال انفقه على نفسك فقال ان لى دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لى ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لى اربعة قال انفقها على والديك قال ان لى خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لى ستة قال انفقها فى سبيل الله وهو اخسها اى اقلها ثوابا وعنه فى رواية ابى صالح انها نزلت فى عمرو بن الجموح وهو الذى قتل يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم فى قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم

لمو

سألوا عما ينفقون لا عمن تصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله فى الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه انه حصل فى الآية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير يتضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية لانه من المعلوم لهم ان الذى امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى وحينئذ يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله انها بقرة لا ذلول سؤالهم عن البقرة ما هى حيث كان من المعلوم ان البقرة بهيمة شأنها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا هذا السؤال اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اى شئ كان ولكن بشرط كونه حلالا ومصروفا الى مصرفه كما لو سأل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اى طعام آكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اى طعام كان فيقول له كل فى اليوم مرتين اى كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق كل شئ اراد لكن بشرط ان يراعى الترتيب فى الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغنى ما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك فى ذل الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلادهم ومالهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شئ من مال او غيره من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا لجزيل الثواب وهربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدى ان الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع او الاصول واجبا ويحمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى فى باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير مأذون فى القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن فى قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن فى قتال المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد وقال بعض العلماء ان هذه الآية تقتضى وجوب القتال على الكل وعن الاكثر انه فرض كفاية اما الوجوب فيستفاد من لفظ كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما فى قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله

كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت والعموم فى عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو كره لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافى الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس وهكذا شأن سائر التكاليف وكيف لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة ولا سيما القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما تميل اليه الطباع وبذلها اليسير شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذى تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التى نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشئ شاقا عليكم فى الحال وهو سبب للنافع الجليلة فى الاستقبال وبالضد ولهذا احسن شرب الدواء المر فى الحال لتوقع حصول الصحة فى الاستقبال وحسن تحمل الاخطار فى الاسفار لتحصيل الربح فى المآل وكذا تحمل المتاعب فى طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى فى الدنيا والعقبى شعر العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل وههنا كذلك لان ترك الجهاد وان كان يفيد فى الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار واستيلاؤهم على ديار المسلمين ودورهم وربما ادى الى ان يستبيحوا بيضة الاسلام ويستنأصلوا بجرثومهم ويستأصلوهم عن آخرهم واما ما فى الجهاد فمنها الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثناء عليه والثواب فى الآخرة وترغيب الناس فى الاسلام واعلاء كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن ذل البلاد والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب فى القرآن قال فعسى الله ان يأتى بالفتح وقد وجد وعسى الله ان يأتينى بهم جميعا وقد حصل والمحققون ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو حالا معلوما لله تعالى كما بينا فى لعل والله يعلم وانتم لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلى يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما ينشأ منها يحيط علمه بالمبادى والغايات ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات وعلمكم انفعالى فلعلكم تعكسون التصورات

فتظنون المبادى غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم فى اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والتمرد فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يأمر العبد الا بما فيه خيره وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول ايها العبد اعلم ان علمى اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتى ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهواك فهذه الآية فى هذا المقام تجرى مجرى قوله تعالى فى جواب الملائكة انى اعلم ما لا تعلمون **الحكم الثانى** قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حسبما كلفوا وضربهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال فى هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابى وقاص الزهرى وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخير فلما نظر عبد الله فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهانى ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا ان يتخلفا فى طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينا هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا رأس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهى رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم

فاستأذنا له

فليمتحن بكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المومنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعاشهم فسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول الخمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان هذا السوال كان من الكفار ساءلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام لستحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه خفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدا لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله قل قتال ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا فاشار به الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي سالوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام واعلاء كلمته فاختير التنكير لكونه تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سالوا عنه ثم الجمهور سالوا اتفقوا على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل نفي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم

ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة الى تقدير النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا منها في الشهر الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد ذكر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر باجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد في المعنى فكانه لا فصل وبان المقدم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر الحرام اي يسالونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم والصد عن سبيل الله هو المنع عن الايمان بالله وبمحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له اذ كانوا هم القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وايضا انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور صدرت عنهم في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك او القاء الشبهات في قلوب المومنين او التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضي الى القتل في الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم في الاخرة فصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السوال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى انه لما نزلت الاية كتب عبد الله بن جحش الى مومني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم من مكة ومنع المومنين عن البيت الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم كي يردوكم عنه كقولك اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كي ادخل ويجوز ان يكون حتى الى كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت بي فلا تبق علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر

بان على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المومنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الاخرة فكفى في تقريره قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر حكما وانها تارة تحصل بالقول الذي هو كفر كجحد مجمع عليه وكسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب وشرط صحة الردة التكليف فلا تصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث اصولي وهو ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المومن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مومنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال واما ان يقال ان الطارئ يزيل السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتاثير من الاخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع وايضا شرط طريان الطارئ زوال السابق فلو عللنا زوال السابق بطريان الطارئ لزم الدور وبحث فروعي وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم في الوقت فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فيمت وهو كافر وعند ابي حنيفة لزم قضاء ما ادى وكذلك الحج لما جاء في موضع مطلقا ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة ان ياكل الابل شيئا يضرها فتعظم بطونها فيهلك وفي الحديث وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم سمي بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس العمل لان العمل شيء كما وجد فني وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتاخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله تعالى هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكن ان ياتي بدلها بعمل يستحق ثوابا فمن حبط عمله انه عمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او المراد انه تبين ان اعماله السابقة لم يكن معتدا بها شرعا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم اجر فنزلت ان الذين امنوا الاية لان عبد الله كان مومنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك ذكر من يقوم به فقال ان الذين امنوا الاية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد ومعنى هاجروا فارقوا اوطانهم وعشائرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك يجوز ان يكون معناها ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله

كالمساعدة ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة اولئك يرجون رحمة الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع والنفس لكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كميته وكيفيته وفي وقته ويحتمل ان يراد المنافع التي توقعوها فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما ذلك بتفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب ايضا فهو متعلق بان لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم في نصرة دين الله فيقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم يحقق لهم رجاءهم ان شاء نعيمهم فضله جسيم طوبى عن فاكرة هو الاخيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب وقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب روي عن لقمن انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المومن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان ومثلهما للمومن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه ومن ههنا قيل لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ط قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ز وَإِثْمُهُمَا

مى پرسند ترا [illegible] ... بگوى در مسكر ... [illegible]

أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ط وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ط قُلِ الْعَفْوَ ط كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ

[illegible] ... مى پرسند ترا ... [illegible]

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ط وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ط قُلْ إِصْلَاحٌ

تا مگر شما انديشه كنيد ... درين جهان وآن جهان ... [illegible]

لَهُمْ خَيْرٌ ط وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ط وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ط

[illegible]

وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ ط إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ه وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى

[illegible]

يُؤْمِنَّ ط وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ج وَلَا تُنْكِحُوا

[illegible]

الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ط وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ط أُولَئِكَ

[illegible]

يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ج وَاللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ج

می خوانند تابع عاقبتش آن بود درآنی می خواند بابهشت وآمرزش بتوفیق او

وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥

وبیان میکند آیتهای خود را مانی مردم تامگر ایشان یاد آرند حقیقت دین را

القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلى الباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو الباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن اصحابه وعن حمزة وجهان فى الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمز ليدل على اصل الكلمة الوقوف والميسر ط للناس ز قد يجوز مع اتفاق الجملتين بينها على ان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط تتفكرون ٥ لا لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم المصلح ط لاعنتكم ط حكيم ٥ يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض ولان العقبات لجملتين يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو تقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس فى الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلوطف المستقبل على المستقبل يتذكرون ٥

التفسير

الحكم الثالث

بيان حرمة الخمر والميسر قالوا انزلت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحابه قالوا يا رسول الله افتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابى وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه اعرابى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمور وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء فى مفهوم الخمر فقال الشافعى كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعى بما روى ابو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل على ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اى خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا

ولن

وان من الشعير خمرا قال الخطابى انما جرى ذكر هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة فى ذلك الزمان وكل ما فى معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كان تخصيص الاشياء الستة فى خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا فى غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة ولئن سلم ذلك فلا اقل من ان يكون معناه انه كالخمر فى الحرمة وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابى والمفتر كل شراب يورث الفتور والخدر فى الاعضاء وايضا الآيات الواردة فى الخمر منها ما ثبت بلفظ الخمر وعبر عنها بلفظ المسكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر وكذا فى قول عمر الخمر ما خامر العقل ذا الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر فى هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر فى علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة فى كل مسكر حجة ابى حنيفة قوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روى فى الصحيح عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام جنسه قل او كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابى الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاءه رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال انى طبخته وفى نفسى منه شىء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيأ قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا يحد شاربه الا اذا سكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشربه الحد يروى ان عمر ابن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا يحد ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا القدر الذى يسكر فان ذلك حرام ويحد به ولا يعتبر فى النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا فى حد السكران عبارات فعن الشافعى انه الذى اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذى لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذى يتمايل فى مشيه ويهذى فى كلامه والاقرب ان الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى

يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اى شىء سألوا فيحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اى يسئلونك عما فى تعاطيهما واما كيفية دلالة الآية على الحرمة فهى انها تشتمل على ان فى الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزمها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك من وجوه الانتفاع والاستعمال ورجح ايضا بان الاثم الحاصل بهما اكبر من النفع المتوهم فيهما عاجلا وانما لم تقنع كبار الصحابة بهذه الآية طلبا للماهر الكبير فى التحريم ثقة واطمئنانا كما التمس ابرهيم صلوات الله عليه مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وركونا الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هى فلم لم تكن محرمة فى سائر الشرائع قلت كم من نقص فى الاديان السالفة تممه شرع خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعى ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما تقول يسرته اى قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يسار عن ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر على اهله وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب وقال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام يقال يسروا الشىء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للمقامر ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدى يسر الشىء اى وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما فى الكشاف فهى انه كانت لهم عشرة اقدح وهى الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مالا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفى حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شىء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى ان عليا رضى الله عنه مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون الا ان الشافعى رخص فى الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ

الصلوة

الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب عن ابن الزبير وابى هريرة وكثير من السلف واما السبق فى النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا سبق الا فى نصل او خف او حافر وذلك لما فيهما من التاهب للجهاد والكلام فى تفاصيلها وشروطها مذكور فى كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اى انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما فى الخمر فلانها عدو العقل الذى هو عقال الطبع واشرف خواص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد فى جرأتك فقال ما انا باخذ جهلى بيدى فادخله فى جوفى ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسى سفيههم ومن خواصهما ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصى كالزنى وغيره وكفى بقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا لاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام فى الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهى انهم كانوا يغالون بها اذا جلبوها من النواحى وكان المشترى اذا ترك المماكسة فى الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة وكان تكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن شعر

افومها زقا بحق بذاكم ؛ يساق الينا تجرها ونسوقها

قال البقراط فى الخمر عشر منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد فى الباءة والنفسانية انها تسر النفس وتقرب الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوى الحاجات لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحساب دائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل لعقاب ابدى لا نهاية له

الحكم الرابع

ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويبينان على عظم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية وشبهه ان يكون العفو عن الذنب راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو كذلك القالب ان ذلك انما يكون فيما يفضل عن حاج الانسان فى نفسه وعياله

وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير الصدقة ما انفقت عن غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوة ذكرها ههنا مجملا وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول آية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الآيات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او يتفكرون في الدارين فتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق يبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسألونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه وجعل يحبس له ما فضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا تاكل النفقة عليه والزكوة منه واما للولي فلان احرازه التوليه خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير منضبطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعل المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمواخاة وقيل المراد المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموال انفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط اليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح

وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الآية ولا تنكحوا المشركات حتى يومن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام لتاكد الالف بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لاموره من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالآية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول ولو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الآية ابتداء شرع وحكم آخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهم دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فاستامره فنزلت هذه الآية ثم العلماء اختلفوا في الآية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء بدليل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء

فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سالت ابا علي عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة لان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الآية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا شرك محض وروى ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالة محمد فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوا الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف انه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف او لعله خص اولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية اي خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا مشركا المتفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالآية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس

والاوزاعي لا يقال لعل المراد من آمن بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المومنات يشمل من آمن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضائعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ولولا ان نكاح نسائهم جائز لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالآية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات روي هذا عن الحسن وزيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين اللهم الا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الآية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يومن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يومنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفي ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق سره العلن كان مومنا حقا والا كان منافقا جدا ولامة مومنة هذا اللام في افادة التوكيد يشبه لام القسم والمراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مومن امة الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامراة مومنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمومنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يرى اضداد ما يتوقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تنكح المراة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد طعن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مومنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اصحابنا الى ان في الآية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة

لان الآية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه لا تفاوت
في الايمان والكفر لا تفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة
المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف هٰهنا في ان المراد به الكل ولن المؤمنة
لا تحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفر اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اى الى ما
يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد تحمل المودة على الاتفاق في الدين
فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى السلام المشرك فحقهم ان لا
يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون
الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل
هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي
يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو
الى الجنة حيث امر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم
المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ
الحسن والمغفرةُ بالرفع على الابتداء اى المغفرة كائنة بتيسيره ويبين آياته للناس لعلهم
يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة لاسترجاع الصورة المحفوظة
فكأن الآيات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون **التأويل**
ان خمر الظاهر كما تتخذ من اجناس مختلفة كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها
فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه
تسكر النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما
ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من ساقي تجلي
الصفات اذا ادارت الكؤوس انمحت شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجد عن المواعيد
والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بمطالعة الجمال عن ملاحظة الكمال وهذا شراب حلال
لانه فوق عالم التكليف وانه لمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب
والاستيناس **شعر** فصحوك من لفظي هو الوصل كله • وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا •

فامل

فتأمل ساقيها وما مل شاربها عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا • فوم اسكرهم وجود الشراب
وقوم اسكرهم شهود الساقي **شعر** فاسكر القوم دور كاس • وكان سكري من المدير •
الكاس والشراب والساقي والمسقي هٰهنا واحد كما قيل **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر •
فتشابها فتشاكل الامر • فكأنه خمر ولا قدح • وكأنما قدح ولا خمر • وانه الاعراض عن كؤوس
الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب الفرسنة في البداية اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار
وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفع عدم الالتفات الى الكونين وبذل نقوش العالمين في فردانية
نقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما لانه اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص
والعبارة الاخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله تعالى اعلم

ويسئلونك عن المحيض ط قل هو اذى لا فاعتزلوا النساء في المحيض لا
و مى پرسند ترا از حائض شدن زن بگو آن حيض بحث پس دورى گزينيد از زنان در زمان حيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن ج فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ط
و نزديکى مکنيد با ايشان تا آنگاه که پاک شوند پس چون غسل کنند پس بيائيد بديشان از آنجا که فرمود شما را خداى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ○ نساؤكم حرث لكم ص
هر آينه خداى دوست مى دارد توبه کاران را و دوست مى دارد پاکان را زنان شما کشت زار اند شما را
فأتوا حرثكم انى شئتم ز وقدموا لانفسكم ط واتقوا الله واعلموا
پس بيائيد بکشت زار خود از هر جا که خواهيد و پيش فرستيد براى نفسها خود کار نيکو را و بترسيد از خداى و بدانيد
انكم ملاقوه ط وبشر المؤمنين ○ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
که شما فرا رسنده ايد بجزاى او و مژده ده مومنان را و مکرداييد خداى را حاجز براى آن چيزهاى که رات سوگند خورده باشيد
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ط والله سميع عليم ○
که نيکى کنيد و پرهيزکارى نماييد و بسازيد آشتى را ميان مردم و خداى شنونده است داناست
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
عقاب نفرمايد شما را خداى به بيهودگى از سوگندهاى شما و لکن عقاب فرمايد شما را بآنچه حاصل کرد
قلوبكم ط والله غفور حليم ○ للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر ج
دلهاى شما و خداى آمرزگار است بردبار مر آنان را که سوگند ميخورند که تجميع نکنند با زنان خود انتظار چهار ماه
فان فاءوا فان الله غفور رحيم ○ وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ○
پس اگر باز گردند از سوگند پس هر آينه خداى آمرزگار است مهربان و اگر دل نهند بر رها کردن زنان پس هر آينه خداى شنونده است داناست بعد از مدت يا از عقد نکاح

القراآت حتى يطّهّرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف
وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة انّى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف
وقرأ ابو العباس بالامالة اللطيفة كل القرآن الباقون بالتخفيف لا يؤاخذكم وبابه وكل همزة تحركت وتحرك
ما قبلها مثل يؤخر ويؤده وللتشابه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف
الوقوف عن المحيض ط اذى لا لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا
للعطف حتى يطهرن ج لان اذا تضمنه للشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط
المتطهرين ○ حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اى اذا كن حرثا فأتوهن والافعال اختلفت الجمل
شئتم ز قد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين ○ بين الناس ط عليم ○
قلوبكم ط حليم ○ اشهر ج رحيم ○ عليم ○ **التفسير** الحكم السابع
ويسئلونك عن المحيض قيل انه تعالى جمع في هذا الموضع بين ستة اسولة فذكر الثلاثة الاول
بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف
العطف لان كل واحد من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقائع الأخر في وقت واحد فجيء بحرف
الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود
والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش
ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيّض فنزلت الآية فقال صلى الله عليه وآله وسلم
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من
قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض
واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة
وفوق الركبة فالشافعي وابو حنيفة وابو يوسف يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار ربما ان المحيض
مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالآية
فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها
وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء

نعم

نعم المحيض الاول مصدر ليصح عود الضمير اليه في قوله قل هو اذى اى الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه
نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو ذو اذى وانما قدم قوله هو اذى ليرتب الحكم
وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة بدن فدفعها طبع المرأة من طريق الرحم
حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا
ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذاك دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم
ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله اني
امرأة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي
الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل
الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اى يسيل
والواو والياء من حيز واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد ويراد به انه يعلوه حمرة
متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته
ومنها انه ذو دفعات اى يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني
وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم
موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكاليف وزوالها
انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال
هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التأمل في تلك الصفات الدماء وفي تلك الصفات
بعض عسر او مشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى
حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل
للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي
رضي الله عنه واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان
دخل بالطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية
التقريبية على الاظهر اتحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا
او طهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلاثة ايام
وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما وليلة لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر
فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة
الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلاثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضة
لعتمد عليه لما الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال

احد بمين شطر دهرها لا تصلي اشعر ذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ست
او سبع وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وآله وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا
كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي ما علمك الله من عادتك او من غالب عادات النساء ويحرم
في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة
القران والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المراة
اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري
والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت
صلوة ولو راته عشرة ايام جاز ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع
فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرا يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة عنده
انقطاع الدم ومن قرا يطّهّرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية
حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك
نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله
فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر
والمراد الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من
ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضا وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون
بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث امركم الله اي من المأتى
الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج
فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد
بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر عنهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض والطاهر قبل الاغتسال واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين
عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كانه
نجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل
ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار **الحكم الثامن** نساؤكم حرث لكم
وانه جار مجرى البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو
طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود
تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيا فاوحى

فاوحى الى رسول الله

فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الاية وتحويل الرجل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل
المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتي الرجل المراة
مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون
المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك يتقي الدبر
والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المراة كالارض
والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث
فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد
ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل
هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه من نتن وتلوث
وتنفر طبع والاذى في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها او
قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى متى اي فاتوا حرثكم اي وقت شئتم من اوقات الحل يعني اذا لم تكن
اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل متى شئتم من ليل
او نهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر
مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المراة لا الموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك
هذا اي من اين وكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعددا وبقوله الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا
يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم مساواتها دلائل الحرمة في القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل
الذي به بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى به منقصة وايضا اذا كان الزنى لكونه مزيلا
للنسب محرما وكذا الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا
لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء ولهذا عقبه بقوله وقدموا لانفسكم اي افعلوا ما تستوجبون
به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية لما اشتملت على الاذن في احد الموضعين والمنع
عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في قيد الاخلاص وتقديم الطاعة ثم
انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلث المتوالية لا تحسن الا
اذا كانت مسبوقة بالنهي عن شيء لذيذ مشتهى فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد

والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله
واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن
هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما
لانه كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطي **الحكم التاسع** ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم وهو نهي عن الجراءة على الله بكثرة الحلف به فان من اكثر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة اي معرضا له
قال فلا تجعلوني عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من
حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر
تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد
به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان
الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا واذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان
يستشهد باسمه العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده عن الاغراض الفاسدة فعدوه
برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو ان تكون
العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فتكون اسما للشيء الذي يوضع في عرض الطريق فيصير مانعا للناس من
السلوك ومنه عرض العود على الاناء وتقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم او اصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر لارادة البر
في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير
وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في لايمانكم اما ان تتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا
الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان تتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوا شيئا يعترض البر ويجوز
ان يكون اللام للتعليل وتتعلق ان تبروا بالعرضة اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع
ان حلفتم به عليم بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف بذلك
لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل
لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة
لصاحبه صه والامام يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فمذهب الشافعي وهو قول عائشة

والشعبي

والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل
لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو
قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان
يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله
وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد من ذلك حجة
الشافعي ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم
هو الذي يقصده الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما تعوده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما
اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جزما ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك
فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك حال الذين يكثرون
الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان
تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لغو اليمين قول الرجل
في بيته كلا والله وبلى والله وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من
القوم فقال اصبت والله ثم اخطا فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو ما كان
في الهزل والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة
اليمين معنى لا يحتمله الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال
من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث
مطلقا من غير فصل بين المجد والهازل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين
الله انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه
من ترك الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باثم الحلف
اذا كفرتم وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمل واختار القاضي ابو بكر ان الشافعي قال
معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت
من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله
وهي اليمين الغموس وقال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن
انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة وقال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر

لمخلوق او تنقطع به صلة فهذا اعظم ان تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تكفرون او تتوبون عنها **الحكم العاشر** للذين يؤلون من نسائهم تعالى في اللغة آلى يولي ايلاء وائتلى ائتلاء وتألى تأليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث الذي آليت ان افعل خلاف المقتدين والايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع عن وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها ثم المتعارف ان يقال آليت على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه اريد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما يوم اي مسيرة في يوم فان فاؤا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة تتنصف برق المرأة وعند مالك برق الرجل كما قالا في الطلاق لنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير هذه المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء في حالتي الرضا والغضب لعموم الآية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية

والله

والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايذاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة وان آلى ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المرأة رتقاء او قرناء فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن **الثاني** المحلوف به وهو اما الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الادلة الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك شهرا ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة في الآية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب وانه لا ينافي الكفارة وكما ان التائب عن الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين بالوطي يحصلان لو وطي فيكون ما يلزمه بالوطي مانعا له من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فتثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال **اصحها** ان عليه كفارة اليمين والثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين وبين الوفاء الركن **الثالث** المحلوف عليه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وكذا النيك والوطي والاصابة ومن كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن **الرابع** المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول وان حلف يوما وهذان المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطأها اربعة اشهر او فيما زاد وعن مالك واحمد والشافعي انه لا يكون موليا حتى يزيد المدة على اربعة اشهر فعند الشافعي اذا آلى منها اكثر من اربعة اشهر اجل لا اربعة اشهر وهذه المدة تكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت الاربعة اشهر

تقع الطلاق بنفسه **حجة** الشافعي ان الفاء في قوله فان فاؤا تقتضي كون ما بعده من حكمي الفيئة او الطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج وفي ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شئ يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل للحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق والاضرار وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس بذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان ولنستدل على صحة مذهبه في ان الفيئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا يعول عليها والرجوع الى الحق اولى والله حسبي **التأويل** كما ان للنساء محيضا في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن لمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض في الباطن هو سبب نقصان ايمانهم لمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن مشتهيات النفوس وكما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفاء وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفاء ولذلك تؤدي من سوادقات الجلال بابا قلوب الرجال اعتزلوا نساء النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن يفرغن من قضاء الحوائج الضرورية للانسان من المأكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فأتوهن من حيث امركم الله يعني عند ظهور شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين بالاخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذن الله فكما ان الدنيا مزرعة الآخرة لغيرهم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحترثهم يحترثون فيها انى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد فنيت مشيتهم في مشيته وبقيت قلوبهم تصرفه ثم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كآلات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المرتبة للزراعة لا تنبت وان كان في آلة من آلات الحراثة اما ان كان لما يجري على الظواهر

مز الخ

من الجرادي اثر في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه وان كان ما يجري عليه في الظاهر شرا فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا لا يؤاخذه وان كان له اثر في القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع من اهل القصة ووقفة او فترة في اثناء السلوك من ملامة النفس او نفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يبادروه في الحقيقة ويعاونوه بالهمم العلية ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الى العزم فان فاؤا لفيئته الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى احظوه بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون وربع لا يسكنه الا المعزولون بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق منكوحة المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالتهم

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن

ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن

احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي

عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم

ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم

الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله

فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها

فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون ۞ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا
نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتب والحكمة
يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ۞ واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا
بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون

القراءات ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء تبينها بالنون المفضل الباقون بياء الغيبة تفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم غير الاعشى **الوقوف** قروء ط الآخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقتين ولا تمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم ه مرتان ص لعطف المتفقتين باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ه ربع الجزء

غير

غيره ط لان طلاق الزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط تعلمون ه او سرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعده يعظكم به ط بالمعروف ط الآخر ط واطهر ط لا تعلمون ه **التفسير** **الحكم الحادي عشر** الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي اوقع الطلاق عليها اما ان تكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان تكون منكوحة وحينئذ اما ان لا تكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان تكون مدخولا بها وحينئذ ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط او للكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت حرة فعدتها ثلاثة اقراء بهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها الحائل من ذوات الحيض لا يقال العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث انه جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم واحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه لانا نقول اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها واما الرقيقة فتزويجها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناول الاغلب وانما لم يقل ولتتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا وبناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تاكيد وتقو ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلاثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال نوازع البهيمة فامرن ان يقمعن انفسهن والقروء جمع قرء او قرء بفتح القاف او ضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف في ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيدة واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلاثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان اللفظ يجب

ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او تمضي عليها وقت صلاة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين من الشهر اي مستقبلا لثلاث وقيل هذا يقوي استدلال الشافعي لان قول القائل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلاث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي والنساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لولا امتلاء تلك المغاض لما سالت الى الخارج فمن اول الطهر ياخذ في الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال كمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى الاصل واوفق له وايضا الآية تدل على انها اذا اعتدت بثلاثة لما يسمى اقراء خرجت عن العهدة وتكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وعلى آله دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان اطلاق طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلاثة قروء على انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلاثة قروء او على الظرفية اي مدة ثلاثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء اكثر استعمالا فنزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق

ذوات

هدام

ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي اثنان وثلاثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلاثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانهما اما كتمان الحبل فاذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج آخر واحبت ان تلحق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل المعنى على ما هو شريف اعلى ولقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الآية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل امينا في شيء فخان فيه فامره عند الله شديد **الحكم الثاني** للطلاق الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتاكيد التانيث في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع وانما هو مقصور على السماع ويقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما قال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع ولئن رددت الى ربي وفي موضع آخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما تكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن لا الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة لاستوجب من الله العقاب

ولئن صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او نقول انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن آخر فاذا فعلن ذلك كان الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامراتي كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الآية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج دروجا اي مشى ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي الكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء في امور في العقل وفي الدية وفي المواريث وفي نصيبه من الغنيمة وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المراة ام ابت ولا قدرة للمراة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المراة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر آخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمراة وذلك ان من كانت نعمة الله عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل العوض من المراة ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المراة فيها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فلكون وجوب الخدمة على المراة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت المراة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مما ... واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امراته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة له فجاءت امراة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة

ذلك

الطلاق

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الرجعي نوبتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل او العام المفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتدا والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وكقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم وانما عدل عن لفظ الامر وهو طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هولاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال معناها وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه تقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد الرجعة او بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو اقرب لان الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها تقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية اما ان يراجعها ... فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل

بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رافته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون روي ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المراة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت يعني فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده ولان ذلك اجحاف بجانب المروة وضرار بالمراة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا ياخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمراة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته ويتاكد هذا بما روي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها اي حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي

مادية

مادية وذلك انه كانت فيها درتان قيمتها اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فافتدت ليطلقها او ضربها الزوج تاديبا فافتدت او منعها حقها من النفقة وغيرها فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان نافذا والزوج ماثوم بما فعل فالخلع المباح هو ان تكون المراة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرا الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه بانها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذن لثابت في مخالعة امراته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم تقتصر لها على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تتجاوزوا عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد وكيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المراة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المراة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه

قال

بعد ما مرّ من مناسبتها للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح فى بنى فلان اى لها زوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعى واما عند من يفسره بان التطليق الشرعى هو الذى يقع على التفريق فالمعنى عنده ان طلقها الطلاق الموصوف بالتكرار فى قوله الطلاق مرتان ولم يتوقى اصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطى لان قوله زوجا دليل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابى على فيما سلف فى تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روى عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان العرب من يؤنث العسل وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسّنى فقال لها كذبت فى قولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجى الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتنى بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيت حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان يستفرش زوجته رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبى ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعى اذا طلق زوجته واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهى التى بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة من حيث انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج الغير بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول فقولان احدهما لا يصح والثانى يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثورى هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطى لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضى الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اى الزوج الثانى الذى تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول فى ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوى

وظاهر

وظاهر الآية يقتضى ان يحل للزوج الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثانى من غير عدة بدلالة فاء التعقيب فى قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطى لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الآية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان فى ظنهما وفى عزيمتهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لانه لا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين فى الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها او اضرار منه فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التى تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التى تقدمت هى حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق استأنف الحكم فى الامساك والتسريح بيانا بين آخرين فى اثنين متعاقبين لان جملة الامر فى الطلاق يؤول الى احد هذين الامرين قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذى طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذى يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضى الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف راجعوهن من غير تقصد ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضى عدتها وتبين ولما امر بعد الطلاق باحد الامرين استأنف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهى لا الامر لان المأمور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف فى الحال لكن فى قلبه ان يضارها فى الاستقبال والمنهى لا يمتثل الا اذا انتهى فى كل الاوقات فكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وتشمل موجبات النفرة والعداوة كلها وروى ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها فى العدة تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة هكذا

وكانوا يفعلون فى الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اى لا تضاروهن لتكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونوا متعمدين لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله او بتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب فى التزوج منه ولا فى معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا فمن اقر بانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة فى ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تهملوا تكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن ابى الدرداء كان الرجل يطلق فى الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروى الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى ان المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بآيات الله ثم انه تعالى لما رغبهم فى اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا فى ادائها بان ذكرهم



اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد فى الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به فى محل النصب حالا مما انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل اصله والموصول مبتدأ وقوله يعظكم به خبره



واتقوا الله فى اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شىء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثانى وهو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة فى عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين

وعن

رغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اى الخطاب والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن فى الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول وقيل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة علمية فقهية توافق مذهب ابى حنيفة وهى انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولى ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء ولان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب فى قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخارى فى صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لى اخت تخطب الى وامنعها من الناس فاتانى ابن عم لى فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتانى يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الى فمنعتها الناس وآثرتك بها وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتيتنى تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففى نزلت هذه الآية فكفرت عن يمينى وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدى ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد ولا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء نسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يقدر على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعى انه كان راجعها فى العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد او ينسبها الى امور تنفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمى الشىء بما يؤول اليه فالمراد من يريدن ان يتزوجنهم فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين ثم ان الشافعى تمسك بالآية فى ان النكاح لا يجوز الا بولى لانه لو جاز للمرأة ان تزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولى قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبنى على ان الخطاب فى لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعى حاصلا لهن ولكن يمنعها الولى من بعض الجهات التى قلنا فى الزوج وايضا فثبوت العضل فى حق الولى ممتنع لانه مهما عضل انعزل واذا انعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولى جائز

وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدًا لما نهى الولي عن منعها منه ومما يؤكد هذا النص قوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى المتسبب مثل بنى الامير دارًا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول او لكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن يستدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص الوعظ بالمومنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اى انمى ويحتمل الاشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اى من ادناس الآثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او نشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق **التأويل** انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا اصدر من العبد امارات النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن ليلين ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة ولئن ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجوع والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان له تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لانه جل بدرجات غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال حقوقه حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم الا بيسير وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني ان اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة وجريمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله وسام ذلك الصديق وامثاله ورجع الى الصحبة لشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعطل من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى يتجاوز عن

زيارات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة ولئن اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حقوق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة ط

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة

وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ط لا تكلف نفس الا وسعها ج

لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ج فان ارادا

فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ط وان اردتم ان تسترضعوا

اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ط واتقوا الله واعلموا

ان الله بما تعملون بصير ۝ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن

بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ج فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن

في انفسهن بالمعروف ط والله بما تعملون خبير ۝ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به

من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم ط علم الله انكم ستذكرونهن

ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ط ولا تعزموا عقدة النكاح

حتى يبلغ الكتاب اجله ط واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه ط

واعلموا ان الله غفور حليم ۝ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ج ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ج متاعا بالمعروف ج حقا على المحسنين ۝ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ط وان تعفوا اقرب للتقوى ط ولا تنسوا الفضل بينكم ط ان الله بما تعملون بصير ۝

القراءات لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف فى قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما اتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء النساء او بهمزتين عاصم وعلى وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء يو وروى الخزاعى وابن شنبوذ عن اهل مكة النساى او تماسوهن حيث وقعت على وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون بالاسكان

الوقوف الرضاعه ط بالمعروف ط وسعها ج لا ستئناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليها ط لابتداء الحكم فى استرضاع الاجنبيه بالمعروف ط بصير ۝ وعشرا ج بالمعروف ط خبير ۝ فى انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبى الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا لتقدير غفور حليم فارجوه والوقف الحق حليم ۝ فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور فى الاولى قدره الثانى ج لان متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه غير متصل بما بين الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اى متاعا حقا ويصلح مصدرا لمحذوف اى حق ذلك حقا المحسنين ۝ النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير ۝

التفسير الحكم الثانى عشر الرضاع والوالدات يشمل المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة تستتبعت التباغض وربما لتعاند المنضر لا يراد الولد لتشاذى الزوج وربما رغبت فى التزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم وايضا انه تعالى قال فى الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجة باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدى وقال الواحدى فى البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات

فى حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان فى مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مونتهما قد سقطت بالخلل الواقع فى الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن فى انه خبر فى معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابى حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعى يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يفضى الامر الى الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اى عامين والتركيب يدور على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثانى وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد بالحولين تحديد ايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلق بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا فى مدة الرضاع فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص فى الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد ان الارضاع ما لم يقع فى هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعى وبه قال على وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبى والزهرى وعن ابى حنيفة ان مدة الارضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتاخيهما فى التاويل اى فى المصدر لان كلمة ما نائية تقع مصدرية فلا تنصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الآباء فيجب عليهم رعاية مصالحهم كما قيل كلها لك وعليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم تكن هذه المعانى مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما تلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يضارا وايضا المعروف فى هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها فى طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر من الجوع والعرى وتعدى ذلك الضرر الى الولد وفى الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة ومن الاب وبينه واسطة فانه يستاجر

من التوالى وايضا هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى ليالى استعارة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعى والاصم الى ظاهر الآية وانها اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابى العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح فى العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الامور التى لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الآية وقياسا على وضع الحمل والا اذا كانت المرأة حاملة فانها اذا وضعت الحمل حلت فلو كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم قائل ان ذلك فى الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حللت فانكحى من شئت وعن على رضى الله عنه انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق فى عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ورد بعموم الآية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة فى المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه لا تنقضى عدتها حتى ترى عادتها من الحيض فى تلك الايام مثل التى كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض فى كل شهر مرة فعليها فى عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض فى كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض فى كل اربعة اشهر مرة تكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض فى كل خمسة اشهر مرة فهنا تكفيها الشهور ثم مذهب الشافعى انها ان ارتابت تستبرئ نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج فى خلال شهر هلالى والباقى اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقى وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقى بثلثين وتضم اليها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذى مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقى دون عشرة ايام فتعتده وتحسب اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقى عشرة من الشهر السادس وان كان الباقى عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا فى ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم وهو موافق حديث قولى الشافعى انها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام فى العدة لما روى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال امرأة المفقود امرأته حتى ياتيها يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم متيقن فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التى لا علم لها تكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعنى به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلى والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم عليها ان تخضب بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من البدن والرجلين والوجه ولا تمنع منه فيما تحت الثياب ولا تمنع من التزين

فى الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظف بغسل الراس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضى ان تركت الاحداد ولكنها تعصى لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن والشعبى انه غير واجب لان الحديث يقتضى حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا المخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب فى منكم بالمؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل لكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن فى مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال رحمها على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما مما تتفرد المرأة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد بالمعروف بالوجه الذى يحسن عقلا وشرعا وقد يحتج اصحاب ابى حنيفة بالفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولى والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم فى قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الآية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون خبير **الحكم الرابع عشر** خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان تضمن الكلام ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما تقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر شعر وحسبك بالتسليم منى تقاضيا ۝ واصله من عرض الشئ وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اى سالها امرا وشانا فى نفسها وكذا فى الخطيب والخطاب فان فى كل منهما شانا ثم النساء على اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهى الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد خطبها آخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء اولم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها لا تعريضا ولا تصريحا وهى منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج وجرت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها فى حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل فى حقها بين التعريض والتصريح وهى المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ بسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما كذبت فى

المراة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو الاثر على الوجه فمعنى تكلف
الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع
فوق الطاقة من قرا لا تضار بالرفع فعلى الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر
بكسر الراء او تضارر بفتحها ومن قرا بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البناءين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب
منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب
له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة
او ياخذه منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها
الضرر من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء
من صلته اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها
ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يفرط في شانها فيقصر في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لان المراة
لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك
الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة
واحتمل في الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هولاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب
عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور
من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه يجب عليه عند موت الاب كل ما كان
واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات
دون الام والاخوة من الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبي
من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم
من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الاولاد اي الاب والابن وقيل المراد من الوارث
هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت
الام على ارضاعه وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو
قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما وليس من باب المفاعلة وانما هو ثلاثي على فعال كالعثار
والاباق وذلك لان الولد ينفصل عن الام غذاء ويتدرج الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان
يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى
الولد وليكن الفصال صادرا عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الراي فلا جناح عليهما في ذلك

زادا على

زادا على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا وهذه ايضا توسعة بعد التحديد وذلك لان الام قد تمل
من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحينئذ يبعد موافقة الكل على ما فيه اضرار
الولد ولئن اتفقوا على الفطام قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم
يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ولما بين حكم الام وانها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى
غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم فلا جناح عليكم يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها
الصبي تزيده السين مفعولا ثانيا كما تقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم
وعن الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم
او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت بزوج آخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع
ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها زوج آخر ومنها ان تابى المراة قبول
الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى
وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها
فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما آتيتموه المراة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة
ومن قرا ما أتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن
عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى
وفيه بعث على ان الذي يعطي المرضع يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنا واطيب لنفسها لتحتاط في شان الصبي
ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا حينئذ مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس
المراضع بما امكن قطعا لمعاذيرهن ثم اكد الجميع بان ختم الآية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

الحكم الثالث عشر عدة الوفاة

والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال توفى
النفس من موتها واصل التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا وبني للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه يستوفي اجله
ورزقه وعليه قراءة علي كرم الله وجهه يتوفون بفتح الياء والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال
له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي على ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل
السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف
الاوساط ويذرون يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج هنا
النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا اي تعتد تلك
هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم
قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبداء الشهر من الليل والاوائل اقوى

انقضاء العدة بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن الوفاة فظاهر الآية يدل على انها في حقها
لانها ذكرت عقيب آية عدة المتوفى عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه
ثم المعنى يوكد ذلك وهو ان التصريح احتمل عن النكاح فالغالب ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء
العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله
رب راغب فيك او من يجد مثلك او لست بايم واذا حللت فآذنيني وعد آخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها
انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام
الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او
اخطبك وعن ابي جعفر محمد بن علي انها دخلت على امراة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ عنك فقال انما اخبرتك
بقرابتي من نبي الله وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل
يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم
واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال اولا ثم اباح ان يعقد
قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن
لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله تعالى عنكم الحرج
ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
ثم عبر عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا
تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية لا مواعدة الا احسان البهاد الاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر
هذه الاشياء موكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها ما ان تكون المواعدة في السر بالنكاح فيكون من
التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك اتيتك الاربعة والخمسة عن ابن عباس او كقوله
دعيني اجامعك فاذا تممت عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المراة
الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يعاهدها الا تتزوج باحد سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به
اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس هو ان تواثقها
ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال
معناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح او لا تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهي عن العزم فعن نفس
الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا
واصل العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد

المكتوب

المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة آخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف
نهايته وباقي الآية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم

الحكم الخامس عشر

حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او
تفرضوا لهن فريضة واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور
فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور
بالطلاق كما يجي في الآية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فحكمها في هذه الآية وهو ان لا مهر لها ويجب لها
المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكورة في هذه الآيات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل قياسا على الوطء
بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن
ويحتمل ان يقال هذه الآية تدل على انه لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة
غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم الممسوسة المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام
فان قيل ظاهر الآية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس وليس كذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد
المسيس قلنا لعل الآية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا الاطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده
يحتاج الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه او لعل ما بمعنى الذي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء
اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد من الجناح في الآية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة
في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها وما يوكد ذلك انه نفى الجناح محدودا الى غاية
هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في
اول الآية هو لزوم المهر وانما ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني اوجب
نصف المفروض كما يجي فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة
في الآية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تادب للعباد في اختيار احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم
والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا ان وقيل بمعنى حتى
والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انه لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي
وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وهو قول شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن
الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في آخر الآية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان
ورد بان لفظ على ينبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتع والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان ذا سعة من ماله واقتر صار
من القترة وهي الغبار كانه التصق بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره

مقدره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به والقدر والقدر لغتان فى جميع معانيهما وفى الآية دليل على ان قدر المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التى اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعى المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلاثون درهما وعلى المقتر مقنعة وعن ابن عباس انه قال اكثر المتعة خادم واقلها مقنعة واى قدر ادى جاز فى جانبى الكثرة والقلة والنظر فى اليسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا تزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التى سمى لها المهر احسن من حال التى لم يسم لها ثم لم يجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تأكيد لمتعوهن اى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج فى الغنى والفقر وعلى ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حقا ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شأنه وطريقته او على المحسنين الى انفسهم فى المسارعة الى طاعة الله تعالى

الحكم السادس عشر

حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الآية واعلم ان مذهب الشافعى ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهى ان لا يكون هناك مانع حسى او شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعى كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم فى موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط او ثابت الا ان يعفون اى المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما رآنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف آخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون والرجال يعفون هو ان الواو فى الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شىء وانما وزنه يفعلن والفعل مبنى لا اثر فى لفظه للعامل والواو فى الثانى ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يفعون والنون علامة الرفع وقوله او يعفو عطف على محل ان يعفون والذى بيده عقدة النكاح الولى وهو قول الشافعى ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابى حنيفة ويروى عن على وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولى ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذى بيد الولى هو عقد النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اى المعقود كالاكل واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولى وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو حجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة حجة اخرى لو كان المراد به الزوج وقد قال اولا وان طلقتموهن لناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفوا على سبيل الخطاب

واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه على المعنى الذى لاجله يرغب فى العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذى حبسها بان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها سبب فى الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعى اذا ثبت ان الذى بيده عقدة النكاح هو الولى فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولى وذلك الحصر المستفاد من قوله بيده عقدة النكاح فتبين انه ليس فى يد المرأة من ذلك شىء وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه تقربا الى ربه فهو من ان يأخذ حق غيره ابعد ولا تنسوا الفضل بينكم لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس نهيا عن النسيان فان ذلك غير مقدور بل المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر ببذل كل المهر او تركه والا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الآية بما يجرى مجرى الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ۝ فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ۝ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم ۝ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ۝ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ۝

القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب عن رويس الباقون بالرفع

الوقوف قانتين ۝ او ركبانا ج لان اذا فى معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ۝ ازواجا ط لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية والوصل اجوز لايصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام

سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املى عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر

القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط فى الطول والقصر

القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان بن عفان عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من صلى العشاء الآخرة فى جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذى فى وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على صورة الصلوات بشرائطها وحافظوا على معانى الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب للرب فى الصلوة وبعدها ثم ان الشافعى احتج بالآية على ان الوتر ليس بواجب ولو كانت الصلوات ستا فلم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى فى العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى فى الفضيلة من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى فى الزمان وهو الظهر او الوسطى فى المقدار كالمغرب فانه ثلاث ركعات متوسطة بين الاثنين والاربعة او الوسطى فى الصفة كصلوة الصبح متوسطة بين صفتى الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما فى الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما فى الصلوة من الذكر وعن الحسن والشعبى وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اى مطيعين لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت فى القرآن فهو الطاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن اكمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل فى اركانها وسننها وآدابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما يجزئ وذهب الى انه لا حاجة بالله تعالى الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا وجب ان لا يصلى اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم فى الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشىء من جسده ولا يحدث نفسه بشىء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله مديمين لذلك القيام فى اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول للعلم به او فان حصل لكم خوف او كنتم على حالة الخوف على انه مترو ك المفعول فرجالا او ركبانا اى فصلوا راجلين او راكبين وقيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالآية تدل على تأكيد فرض الوقت حتى ترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر او جمع رجل يقال رجل رجل اى راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان

على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد فى الآية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون فى غير حال القتال وسوف يجىء بيانها فى سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الآية ومذهب الشافعى انهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر لانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الآية ناسخة لذلك الفعل ويدخل فى الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف فى القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغى وفى القتال المباح كالدفع عن النفس او عن حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصى والخوف الحاصل لا فى القتال كالهارب من الحرق والغرق والسبع وكذا المطالب اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص ايضا فى هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه بشروطه واركانه والصلوة قد تسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اى فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الامن وما فى كما علمكم اما مصدرية او كافة

الحكم الثامن عشر

عدة الوفاة بوجه آخر والذين يتوفون الآية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتدأ وخبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتدأ لتخصصه بما تخصص به سلام عليكم او المقدر فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او فالامر او المفترض او الحكم وصية فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية او ليكن منهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او الذين يتوفون اهل وصية الى الحول وكل هذه الوجوه جائز حسن ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد اى انت تسير سير البريد او الزم الذين يتوفون وصية ومتاعا نصب على المصدر اى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او المقدر جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبل الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية وغير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واكثر المفسرين على ان ذلك كان فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذى هو الربع والثمن لقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث وعن على وابن عمر ان لها النفقة ان كانت حاملا واما السكنى فعند ابى حنيفة واصحابه لا سكنى لهن وهو قول على وابن عباس وعائشة واختاره المزنى قياسا على النفقة وفرق بان النفقة فى مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فلتحصين الماء وهو موجود وعند الشافعى لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر

خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم ه بالمعروف ط المتقين ه تعقلون ه التفسير

الحكم السابع عشر الصلوة

وذكر انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر المتقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه تحصيلا لسعادة الطرفين وتكميلا لمصالح الدارين وقد اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الآية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى يدل على شيء زائد ولا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيآتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما انها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما انها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظ الصلوة عن المناهي لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن ولستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع في الخبر يجي البقرة وآل عمران كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدميه وتقول للنار لا سبيل لك عليه وفي الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوات وما يروى من اخبار الآحاد لا معول عليها فيجب ان نؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون شعبة درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا ان هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل وآخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذلك المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال ويحقق هذا ما رجع الى مايقول الناس فلان متوسط اذا لم ينضم الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الآية

بالذكر

بالذكر للتاكيد وخص الصلوة الوسطى في هذه الآية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في الفريضة المفروضة صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لاشك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الا المراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة صلوة الصبح ولهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولا بما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم البتة وخص اذانها بالتثويب وهو ان تقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم ولان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل وظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الآية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل او النهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشي وان اول ولان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح ولان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد وسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس انها صلوة العصر ويروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولا يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر في حال الظل فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار وفي وقتها مظنة اشتغال الناس بحوائجهم وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انها الصلوة التي شغل عنها

وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة ووافقه مالك والثوري واحمد وتمام الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما تركني في منزل يملكه فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ وآخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها ان لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الايتان على هذين المقدرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فلذلكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الآية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الآية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت زينب بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينيها افنكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كان احديكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان يأتينه واما في الآية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك الآية متأخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فنكرا اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه فارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول

الحكم التاسع عشر

وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت هذه الآية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك

ولم يذكر

ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الآية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قولي الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها استحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر رضي الله عنهم لعموم الآية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في نساء دخل بهن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليست كالمطلقة المذكورة لانها تستحق الصداق لا في مقابلة عوض وهذه تستحق الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الآية وقيل المراد بهذه الآية المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت ص فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ط ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ه وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم ه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ط والله يقبض ويبسط ص واليه ترجعون ه

القراءة فيضاعفه بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد ويبصط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابي عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين

الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ط ويبسط ص ترجعون ه

التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص اعتبارا للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وهذا تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب او يكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك ولهذا عدي بالى وعلى هذا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يعرف هذه القصة الا بهذه الآية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الآية ثم انه تعالى انزل الآية على وفق ذلك يروى ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه ويروى ان حزقيل النبي الذي يقال انه ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما رأى فاوحي اليه اتريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام

لن الله يامرك ان تحيى فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد بها ان الله يامرك ان تكتسى لحما فصارت لحما ودما ثم نادى ان الله يامرك ان تقومى فقامت فلما احياهم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر امارات الموت فى وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فهربوا وقالوا لملكهم ان الارض التى نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بنى اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية وبقى فيهم شىء من ذلك النتن وبقى ذلك فى اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبى عليه السلام ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رآى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية فى انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما رآه عليه السلام ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة آلاف وقيل ثلثون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع آلف كقعود جمع قاعد اى خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب ولذلك يفيد ان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة تفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة فكورود على قوم بينهم اختلاف فى ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد انهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت وحذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجىء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد وانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما مر فى قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا رأوا عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصير به معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما فى الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافى وتفضل على منكرى المعاد باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا وذلك ان تركب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا فى نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفى القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون فى سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا فى سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا خطابا للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب والهاب كيلا ينكص على عقبيه محبة للحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغنى عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم

يسمع

يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال فى سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا اى فى باب الجهاد كانه ندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه فى طريق الجهاد وذا فى من ذا اما زائدة ومن لاستفهام فى موضع الرفع والذى مع صلته خبره او موصولة والذى بدلها او اسم اشارة خبر من والذى نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل فى الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا كلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مستانفا فى الانفاق اما على الاطلاق وهو الذى يعم الفرض واما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب واما غير الواجب لان القرض بالتبرع اشبه وهذا قول الاصم وقد يروى عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبى صلى الله عليه وسلم على الاهل من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة وشبه ان يكون الفقير الذى لا يملك شيا اذا كان فى قلبه انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق عن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة فى كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض والانقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمل قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض فى الآية مجاز فان القرض انما يأخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك فى حق الله محال ولان البدل فى القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا الضعف ولان المال الذى يأخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال المأخوذ ملك الله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال به فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام والشبهة ولا من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى واضعافا نصب على الحال او على المفعول الثانى لان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف اسم وان كان مصدرا الا انه قد يقع موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامى اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء واختلاف الاقراض فى المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشىء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدى ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم فى باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر فليس له الا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال فى سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقى اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق فى مرضاة الله

وتحمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والله ولى التوفيق واليه انتهاء الطرق

الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظلمين ۝ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملئكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

باذن الله

باذن الله والله مع الصبرين ۝ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين ۝ فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العلمين ۝

القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد ابو نشيط والشمونى غير النقار وكذلك باصط ويبصط الرزق ولا يبصطها كل البصط فما اصطاعوا وما اشبه ذلك بنى الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالضم هو والذين بالادغام روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابى شعيب وشجاع وكذلك ما اشبههما فيه وبينة وربهما غير مهموزتين يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف دفاع الله وكذلك فى سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى م لانه لو وصل صار اذ ظرفا لقوله الم تر وهو محال فى سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط لعطفها لابتداء امر معظم منهم ط بالظلمين ۝ ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم ۝ الملئكة ط مؤمنين ۝ بالجنود لا لان قال جواب لما بنهر ج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس منى ج للابتداء بشرط آخر مع اتحاد المقصود بيده ج لعطف المختلفين منهم ط لعطفها لابتداء امر معظم معه لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصبرين ۝ الكفرين ۝ ط لان ما قبله دعاء وما بعده خبر ماض يتصل بكلام طويل بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت قبل قتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين ۝ التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة وجمعه املاء قال وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤوا بما يحتاج اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو مليء اذا كان مطيقا لذلك او لانهم تمالأوا اى تظاهروا وتساندوا والغرض من ايراد هذه القصة عقيب آية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبى لهم لم يحصل العلم بذلك النبى وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود

وهو الحث على الجهاد حاصل ومنهم من قال ان النبي هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابنا فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين تصير شينا بالعبرانية وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا امره نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتظر به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب والرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وما لنا الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير واي شيء لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسياتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يكون تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم وقد يوافق العربي العجمي وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الآية تقرير لتوليهم وتاكيد لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالتماسهم وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف فانتظمت الجملتان في سلك الحالية لاستبعاد تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون

والملك

والملك كان في سبط يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فعن وهب انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الآخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اختاره دونكم واستخلصه من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله روي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس والعلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما ولان العالم بامر الحروب ذا القوة والبطش يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حذقه فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس براسه ومنكبه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك اذا تصرف في ملكه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب الرزق ووسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى عليهما السلام ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال ذلك النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي عليهم في ذلك الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء

حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت مجاز لانه اتي به ولم يات هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التورية فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى عليه السلام لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان ياتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزة له لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة هي فعيلة من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم وعلى هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمانت نفوسهم واقروا له بالملك واستظهروا ما بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول اقوال فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد وياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان تان فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي كرم الله وجهه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع قال تعالى ادخلوا آل فرعون واذ نجيناكم من آل فرعون ويجوز ان يراد مما ترك موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا

من مزامير

من مزامير آل داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وقيل كل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وآله وسلم الارواح جنود مجندة روي ان طالوت قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال اي نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي ان كان نبيا ان الله مبتليكم بنهر مختبركم بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو تتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتاثيره حال لقاء العدو وعن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين ونهر ونهر بتحريك الهاء وتسكينها لغتان ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون بظهور الشيء وثبت ان الله لا يثيب ولا يعاقب على علمه انما فعل ذلك بظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمى التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربك متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا على الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه منه الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف مل الكف عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من ارواء الخلق العظيم من الماء القليل

كرمزامير

بعث الیهم نبیا وعلیهم ملکا فکان ذلک الملک ینفذ امور ذلک النبی وکان نبی ذلک الزمان اشمویل ویملکه طالوت فلما توفی اشمویل اعطی الله داود النبوة ولما توفی طالوت اعطی الله الملک ایاه وایضا لم یجتمع الملک والنبوة علی احد من بنی اسرائیل قبله ویروی انه بعد قتله جالوت وبین ما اعطاه الله الملک والحکمة سبع سنین قال بعضهم هذا الایتاء جزاء له علی ما فعل من الطاعة وبذل النفس فی سبیل الله ولا یمتنع جعل النبوة جزاء علی بعض الطاعات کما قال تعالی ولقد اخترناهم علی علم علی العالمین وقال الله اعلم حیث یجعل رسالته ولهذا ذکر بعد حدیث المزید والفند ترتیب الحکم علی الوصف المناسب مشعرا بالعلیة لا سیما وقد نطقت الاحجار معه وقد قهر العدو العظیم المهیب بالة الحقیرة وقال الاخرون ان النبوة لا یجوز جعلها جزاء علی الاعمال ولکنها محض عنایة الله تعالی بعض عبیده کما قال الله یصطفی من الملائکة رسلا ومن الناس فان قیل لم قدم الملک علی الحکمة مع انه ادون منها فالجواب انه تعالی اراد ان یذکر کیفیة ترقی داود علیه السلام فی مدارج السعادات والتدرج فی مثل هذا المقام من الادون الی الاشرف هو الترتیب الطبیعی وعلمه مما یشاء قیل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس وقیل منطق الطیر علمنا منطق الطیر وقیل ما یتعلق بصالح الملک فانه ما تعلم ذلک من آبائه فانهم کانوا رعاة وقیل علم الدین والقضاء وآتیناه الحکمة وفصل الخطاب ولا یبعد حمل اللفظ علی الکل والغرض منه التنبیه علی ان العبد لا ینتهی قط الی حالة یستغنی عن التعلم سواء کان نبیا او لم یکن ولهذا قیل لمحمد صلی الله علیه وعلی آله وسلم وقل رب زدنی علما ولولا دفع الله دفع نافع وابو عمرو وابن کثیر بالالف فاما ان یکون مصدرا لدفع نحو جمح جماحا وکتب کتابا وعنی [illegible] ان یکون بمعنی انه سبحانه یکف الظلمة والعصاة عن المؤمنین علی ایدی انبیائه وائمة دینه فکان یقع من اولئک المحقین واولئک المبطلین مدافعات کقوله انما جزاء الذین یحاربون الله ورسوله واعلم ان الله تعالی ذکر فی الآیة دفع بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغیر مذکور للعلم به وهو الشرور فی الدین کالکفر والفسق والمعاصی فعلی هذا الدافعون هم الانبیاء علیهم السلام وائمة الهدی ومن یجری مجراهم من الآمرین بالمعروف والناهین عن المنکر او الشرور فی الدنیا کالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبیاء او الملوک الذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلی الله علیه وعلی آله وسلم الملک والدین توأمان الاسلام اس والسلطان حارس فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلی هذا معنی قوله لفسدت الارض ای بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغیر ذلک من سائر اسباب العمران وقیل المراد بالدفع نصر المسلمین علی الکفار ومعنی فساد الارض غلبة الکفار فیها وقتلهم المسلمین وقیل المعنی لو لم یدفع الکفار بالمسلمین لعم الکفر ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض ویصدق ذلک ما روی ان النبی صلی الله علیه وعلی آله وسلم قال یدفع عمن یصلی من امتی عمن لا یصلی

ومن یزکی عمن لا یزکی ومن یصوم عمن لا یصوم ومن یحج عمن لا یحج ومن یجاهد عمن لا یجاهد ولو اجتمعوا علی ترک هذه الاشیاء لما انظرهم الله طرفة عین ثم تلا هذه الآیة ولکن الله ذو فضل علی العالمین بسبب ذلک الدفاع وفیه ان الکل بقضاء الله وقدره وبتقدیره ولطفه وعدله وفضله **التأویل** قوله الم تر الی الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وادعوا غیر ما کتموا عرض لقد دعواهم علی محک محنتهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان یکرم الرجل او یهان وهذا حال اکثر مدعی الاسلام والایمان یزعمون انهم یصلی ویصوم ویحج ویزکی لله وفی الله باللسان دون صدق الجنان وسیظهر ما کان لله وما کان للهوی فی کفتی المیزان فلما کتب علیهم القتال تبین الابطال من البطال تولوا الا قلیلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الکیمیاء تعیرنا انا قلیل عدیدنا ۰ فقلت لها ان الکرام قلیل ۰ تعیرنا انا قلیل وجارنا ۰ عزیز وجار الاکثرین ذلیل ولما قیل المدعون مقصودهم انه لم یخلص لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل فی سبیل الله وقد امرنا ربنا واوجب القتال علینا وانه سیدنا ومولانا فلعل الله صدق دعواهم واعطی مناهم واکرم مثوبهم کما قال قوم من السعداء فی اثناء البکاء والصعداء وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان یدخلنا ربنا مع القوم الصالحین فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها وذلک جزاء المحسنین ان الله قد بعث لکم طالوت ملکا فیه اشارة الی ان الحکمة الالهیة جلت وتجلت فی جلباب تعالیها عن ادراک العقول البشریة کنه معنی من معانیها ولهذا قالوا انی یکون له الملک علینا ولیس هذا باعجب من قول المقربین المؤیدین بالانوار القدسیة اتجعل فیها من یفسد فیها لاستحقار الشأن آدم واحتجابا بحجب الانانیة والنحیبیة فلما تکبر بنو اسرائیل وقالوا نحن احق بالملک وضعهم الله وحرموا الملک ولما تواضع طالوت لله وقال کیف استحق الملک وسبطی ادنی اسباط بنی اسرائیل وبیتی ادنی بیوت بنی اسرائیل رفعه الله واعطاه الملک ولما تفوقت الملائکة وترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدک امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة علی آدم فتواضع لله وقال ما للتراب ورب الارباب اکرمه الله تعالی بسجود الملائکة وحمل اعباء الامانة ان آیة ملکه ان یأتیکم التابوت فیه اشارة الی ان آیة خلافة العبد ان یظفر بتابوت قلب فیه سکینة من ربه وهی الطمأنینة بالایمان والانس مع الله الا بذکر الله تطمئن القلوب وبقیة مما ترک آل موسی وهو عصا الذکر کلمة لا اله الا الله وهی الثعبان الذی اذا فغرفاه تلقف عظیم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذی فیه سکینتهم کان یتداوله ایدی الحدثان وتابوت قلب المؤمن بین اصبعین من اصابع الرحمن ولئن کان فی تابوتهم بعض التوریة ففی تابوت المؤمن جمیع القرآن ولئن کان فی تابوتهم صور الانبیاء ففی تابوت المؤمن رب الارض والسماء کما قال لا یسعنی ارضی ولا سمائی ولکن یسعنی قلب عبدی المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانسانی تابوت القلب الربانی سلم له ملک الخلافة وانقاد له جمیع اسباط صفات الانسان فلا رکن الی الدنیا وتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتلیکم بنهر وهو نهر الدنیا وما زین للخلق فیها

زین للناس حب الشهوات لیظهر المحسن من المسیء ویمیز الخبیث من الطیب الا من اغترف غرفة بیده قنع من متاع الدنیا بما لا بد منه من المأکول والمشروب والملبوس والمسکن وصحبة الخلق علی حد الاضطرار وکان نبینا محمد صلی الله علیه وآله وسلم یقول اللهم اجعل قوت آل محمد کفافا ای ما یمسک رمقهم لا طاقة لنا الیوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنیا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فیها لا یطیق قتال جالوت النفس وجنود صفاتها وعسکر هواها لانه صار معلول مریض القلب فبقی علی شط نهر الدنیا رضوا بالحیوة الدنیا واطمأنوا بها ولما برزوا لجالوت وجنوده فیه اشارة الی ان المجاهد فی الجهاد الاکبر لا یقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الی ربه مستعینا به مستغنیا عن غیره قالوا ربنا افرغ علینا صبرا علی الائتمار بطاعاتک والانزجار عن معاصیک ومخالفة الهوی والاعراض عن زینة الدنیا وثبت اقدامنا عند التسلیم فی الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احکام القضاء فی السراء والضراء وانصرنا علی القوم الکافرین وهم اعداؤنا فی الدین عموما والنفس الامارة وصفاتها التی هی اعدی عدونا من جنبینا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اذا اخذ حجر الحرص علی الدنیا وحجر الرکون الی العقبی وحجر تعلقه الی نفسه بالهوی حتی صار الکل حجرا واحدا وهو لا التفات الی غیر المولی فوضع فی مقلاع التسلیم والرضا رمی به جالوت النفس فسخر الله له ریح العنایة حتی اصاب انف بیضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه القفا وخرج من قفاها وقتل من ورائها الکثیر من صفاتها واخلاقها ودواعیها وهزم الله باقی جیشها وهی الشیاطین واحزابها وآتاه الله ملک الخلافة وحکمه الالهامات الربانیة وعلمه مما یشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض یعنی ارباب الطلب بالمشایخ البالغین الواصلین الهادین المهدیین کما قال ولکل قوم هاد لفسدت الارض لاستعدادهم المخلوقة فی احسن التقویم عن استیلاء جالوت النفس بتبدیل اخلاقها وتکدیر صفاتها ولکن الله ذو فضل علی العالمین فمن کمال فضله ورحمته حرک سلسلة طلب الطالبین والهم اسرارهم ارادة المشایخ الکاملین ووفقهم للتمسک بذیول تربیتهم ووفقهم علی التثبت بالهداة سیرهم وثبتهم علی الریاضات فی حال تزکیتهم کما قال ولولا فضل الله علیکم ورحمته ما زکی منکم من احد ابدا ولکن الله یزکی من یشاء

تلک آیات الله نتلوها علیک بالحق ط وانک لمن المرسلین ۝ تلک الرسل

آن آیتها که یاد کردیم دلایل قدرت خداست میخوانیم آن را بر تو براستی و درستی و هر آینه تو از جملهٔ پیغمبرانی آن رسولان

فضلنا بعضهم علی بعض م منهم من کلم الله ورفع بعضهم درجات ط

فزونی دادیم بعضی از ایشان را بر بعضی از ایشان کسی است که سخن گفت با او خدای و برافراشت بعضی ایشان را مراتب بسیار

وآتینا عیسی ابن مریم البینات وایدناه بروح القدس ط ولو شاء الله

و دادیم عیسی پسر مریم را معجزات روشن و قوت فرمودیم او را بروح پاک جبرئیل یا باسم اعظم و اگر خواستی خدای

ما اقتتل الذین من بعدهم من بعد ما جاءتهم البینات ولکن اختلفوا

با یکدیگر کارزار نکردندی آنانکه پس از ایشان بودند از زمان رسولان پس از آنکه آمد بدیشان معجزات روشن آمدند ولیکن با یکدیگر خلاف کردند

فمنهم من آمن ومنهم من کفر ط ولو شاء الله ما اقتتلوا ولکن الله یفعل ما یرید ۝

پس از ایشان بود کسی که ایمان آورد و از ایشان بود کسی که کافر شد و اگر خواستی خدای کارزار نکردندی ولیکن خدای میکند آنچه میخواهد

یا ایها الذین آمنوا انفقوا مما رزقناکم من قبل ان یأتی یوم لا بیع فیه

ای آنانکه ایمان آوردند نفقه کنید از آنچه روزی دادیم شما را از آن پیش که آید روزی که خرید و فروخت نبود در آن

ولا خلة ولا شفاعة ط والکافرون هم الظالمون ۝

و دوستی و نه خواهش و کافران ایشانند ستمکاران

القراءات لا بیع فیه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غیر منون ابو عمرو وسهل ویعقوب وابن کثیر الباقون بالرفع والتنوین وکذلک فی سورة ابراهیم لا بیع فیه ولا خلال وکذلک فی سورة الطور لا لغو فیها ولا تأثیم **الوقوف** بالحق ط للابتداء بان المرسلین ۝ الجزء الثالث علی بعض م لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فینصرف بیان تفضیل الرسل الی بعض ویکون موسی علیه السلام من هذا البعض المفضل علیه غیره لا من البعض المفضل علی غیره بالتکلیم درجات ط للعدول القدس ط من کفر ط ما یرید ۝ ولا شفاعة ط الظالمون ۝ **التفسیر** تلک القصص المذکورة من حدیث الالوف واماتتهم ثم احیائهم ومن تملیک طالوت وظهور الآیة التی هی اتیان التابوت وغلبة الجبابرة علی ید داود وهو صبی فقیر آیات الله الباهرة الدالة علی کمال قدرته وحکمته ورحمته نتلوها علیک بتلاوة جبرئیل وفیه تشریف عظیم لجبرئیل کقوله ان الذین یبایعونک انما یبایعون الله بالحق بالیقین الذی لا یشک فیه اهل الکتاب لانه فی کتبهم کذلک من غیر تفاوت ولان فی تلاوتها حکمة شریفة وهی اعتبار المکلفین من امتک لیحملوا شدائد الجهاد کما احتملها الامم السالفة ولانها تدل علی نبوتک من قبل انها اخبار بالغیب ولما فیها من الفصاحة والبلاغة ثم اکد ذلک بقوله وانک لمن المرسلین حیث تخبر بها من غیر ان تعرف بقراءة او دراسة وفیه ایضا تسلیة للنبی صلی الله علیه وعلی آله وسلم فیما یراه من الکفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق کما رآه الرسل قبله فالمصیبة اذا عمت طابت ولمثل هذا کرر فقال تلک الرسل ای الذین تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم علی بعض منهم من فضله الله بان کلمه الله من غیر سفیر وهو موسی علیه الصلوة والسلام ورفع بعضهم درجات قیل ای الی درجات فنصب بنزع الخافض وقیل رفع لبعضهم کقوله ورفعناه مکانا علیا ای له وقیل حال من بعضهم ای ذا درجات وقیل مصدر فی موضع الحال وقیل انتصابه علی المصدر لان الدرجة بمعنی الرفعة فکانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وآیدنا عیسی بروح القدس ومع ذلک قد نالهم من قومهم ما ذکرنا لک بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن علی ما تری من قومک ولو شاء الله لم یختلف امم اولئک ولکن ما قضاه الله فهو کائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت علی ان بعض الانبیاء افضل من بعض وعلی ان محمدا صلی الله علیه وعلی آله وسلم افضل الکل لوجوه منها قوله تعالی وما ارسلناک الا رحمة للعالمین ومنها قوله ورفعنا لک ذکرک قرن ذکره بذکر محمد فی الشهادة وفی الاذان وفی التشهد ولم یکن ذلک لسائر الانبیاء ومنها

انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين
آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته
اكثر وقد ترتقي الى الف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على الف معجز وازيد لان التحدي وقع باقصر سورة هي
الكوثر وانها ثلث آيات فكل ثلث آيات من القرآن يصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته
وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس لا يبقى زمانين وهي
الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من الخصال الحميدة والخلال
المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم
وسيرهم فاخترت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه
تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة
فكان تحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل ولا لم ينسخ به سائر
الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل
فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا
في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابرهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فانه
نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في
هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتذاكرون وهم ينتظرون
خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى
اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا
باعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا باعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه
بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على اصحابه وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله
وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول شفيع يوم القيمة ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة

وطهورا

وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة
شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب
ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان ذخائر كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة
يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اعم من نبوة سائر الانبياء
فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع
الكلم وبدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى احد بعده هذا
وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت اعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابرهيم
القي في النار الجحيم فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد في يده وسليمان
اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفضلهم
حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا
وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه افضل من محمد
بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين
ونقل ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى
يصلي بنفسه على محمد الى يوم القيمة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود ايضا انما كان
لاجل نور محمد الذي كان في جبهته ولان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تامل كتب
دلائل النبوة وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واما قوله لا تفضلوني
ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا التمييز بين الشخصين انما يكون بعد الاحاطة
بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل ان التوفيق بين
قوله لا تفضلوني وبين ما تواتر من الاحاديث ان كلا منهما ورد في مقام آخر ولعله حيث رآهم يزدرون
بشانه ويتعجبون من الانبياء السالفين نهاهم عن ذلك وقال انا اكرم الاولين والآخرين وانا سيد العالمين وحيث
رآهم يزدرون بشان بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم
مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف
فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا حقية جميع الانبياء وتومنوا بهم
ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله المقصود من كلمه فحذف الهاء العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي
فان كل مومن فانه يكلم الله قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع
هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا في جهة

وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على أن موسى قد كلمه الله واختلف في أن محمدا
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله أم لا فمنهم من قال نعم بدليل قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى وأورد هاهنا
أن التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله إبليس حيث قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين الآيات
وأجيب بأن قصة إبليس ليس فيها ما يدل على أنه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف
الظاهر والحق أن المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن
كما في حق إبليس وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين وكما في حق أهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون أما قوله ورفع بعضهم
درجات فقيل إن المراد بأن الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ إبراهيم خليلا وأعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان
الجن والإنس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة إلى الفسول وخص محمدا صلى الله عليه وعليهم وسلم
بالبعثة إلى الثقلين وبكونه خاتم النبيين إلى سائر خصائصه هذا إذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب أما
إذا حملناها على المعجزات ففيه أيضا وجه وذلك أن كل واحد من الأنبياء أوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه
فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه أهل زمانه من السحر ومعجزات
عيسى من إبراء الأكمه والأبرص تناسب الطب لأن ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن تضاهي
ما عليه الناس وقته من الفصاحة والبلاغة وإنشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات متفاوتة بالقلة
والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات
ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الأمة والصحابة وقوة الدولة وإذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
كان مستجمعا للكل فمنصبه أعلى ومعجزته أقوى وأبقى وقومه أكثر ودولته أعظم وأوفر وقيل المراد بهذه الآية
محمد عليه الصلاة والسلام لأنه هو المفضل على الكل وإنما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز
كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك أفخم من التصريح به
وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه
ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله
فضلنا بعضهم على بعض لأن المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم
درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق تفسيره
وإنما عدل عن الغيبة إلى الحكاية لأن الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الإيتاء وإنما
قوله كلم الله فأغنيت من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو أن أمتيهما موجودون
حاضرون فنبه على أن هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من أمتيهما لهما بل نازعوا
وخالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما أعرضوا ثم إن الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف أقوامهم فمنهم
من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله أي أن لا يقتتلوا

ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء
ومنهم من كفر بإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولكن الله
يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الأعمال ومسئلة إرادة الكائنات وأن الكل بقضاء الله وقدره لأن
الدواعي تستند لا محالة إلى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآية فيقولون المراد
ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر كما يقال لو شاء الإمام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم تشرب النصارى الخمر ويقولون
المراد يفعل ما يريد من أفعال نفسه ثم إنه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله وأعقبه بقوله من ذا الذي يقرض
الله والغرض منه الإنفاق في القتال الجهاد ثم أكد الأمر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت أعقبه تارة أخرى الأمر بالإنفاق
في الجهاد بقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وعن الحسن أنه مختص بالزكاة لأن قوله من قبل أن يأتي يوم كالوعيد
وأنه لا يتوجه إلا على الواجب والأكثرون على أنه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وإنما الغرض أن يعلم
أن منافع الآخرة لا تكتسب إلا في الدنيا وأن الإنسان يجيء وحده وما معه إلا ما قدم من أعماله ومعنى قوله لا بيع فيه ولا
تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب أو يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لأن كل أحد يكون مشغولا
بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو لأن الخوف الشديد غالب على كل أحد تذهل كل مرضعة عما أرضعت
ثم إنه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافر
وعلى هذا تصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار أنه كان يقول الحمد لله
الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون
لأنهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين أي ومن لم
يحج وقيل المراد أن الكافرين إذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر والفسق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الأمور في غير مواضعها
لتوقعهم الشفاعة من الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الإنفاق في سبيل الله
من قوله وكلا آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وأما المسلم فإنه ينفق في سبيل الله قل أم كثر وفائدة الفصل أنهم
الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم **التأويل** تلك آيات الله أسرار ربه وأنوار قدسه ورموزه وإشارات
تتلوها عليك بالحق تجلوها عليك بالحقيقة لا بالخيال وإنك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الأحوال
والكرامات وصح لهم صفاء الأوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن ألبان تلك الحالات في مهد القربات
وأرسلوا إلى أهل البعد والغفلات وعبدة طواغيت الهوى وأصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور إلى دار
السرور ويخرجوهم من الظلمات إلى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فإنهم بقوا في السموات وأنت عبرت المكونات
وكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى فوصلت من العبدية إلى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله وقت
وابتليت بسفارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك أن تقول ما أوذي نبي مثل ما أوذيت لأن غيرك

ما يُسقى من مشرب سُقيت فما اوذى بغطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين الانبياء ليس بسعيهم ومناقبهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعداد اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال عليه الصلوة والسلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يشترك فيه المردودين لان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص يمتاز به عن المقبولين كما بين سيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم صلوات الرحمن عليه وعليهم في السماء السابعة ولكن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما اخبر عن فضيلة الخواص انها كانت بسبب تفضيله اياهم اخبر عن اختلاف العوام واقتتالهم انه كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن احوال الفضلاء في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان اي ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا لله وما لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاولين من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق ووعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب فقد اعذر من انذر والله المستعان

الله لا اله الا هو الحي القيوم ج لا تأخذه سنة ولا نوم ط له ما في السموات وما في الارض ط

من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ط يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ج

ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ج وسع كرسيه السموات والارض ج

ولا يؤوده حفظهما ج وهو العلي العظيم ٥ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد

من الغي ج فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى

لا انفصام لها ط والله سميع عليم ٥ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات

الى النور ط والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ط اولئك اصحاب النار ج هم فيها خالدون ٥

القراءة نؤوف مما تر الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبر مبتدأ آخر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر بمشيئته مبتدأ بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم ٥ الغي ج لان من للشرط مع فاء التعقيب الوثقى قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ٥ آمنوا لا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ٥ التفسير

قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلاثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص بعضها ببعض والغرض من ذكر القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق ايضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وصار اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي كرم الله وجهه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة

وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو
يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله واعلم ان الذكر والعلم
يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره
لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله
واوصاف كبريائه على الاصول المهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية التصورات
ولنشتغل بالتفسير اما الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم
اله واحد لا اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف ايضا معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول
عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقيل
في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال واورد عليه
ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد
فيه هذه الصحة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن هنا يصح ان يقال
احيى الموات واحيى الله الارض فان كمال حال الارض ان يكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضيرة
ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو
الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود
لذاته واما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر
في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة
فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض مركبا بوجه من الوجوه افتقر في تحقق
الى وجود ذينك الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له لان الشريكين في الوجوب وتباينا بالتعين
يكون كل منهما مركبا من جزئين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون
متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها
انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها
انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة
عند ذاته وذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل
المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة
ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله الحيي كخشي وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا
اليائين اصل وقال ابن الانباري اصله الحيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء كان السابق ساكنا

جعلنا

جعلنا ياء مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم واصله
قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل
قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا
نوم ولهذا فقد العاطف منهما وكذا فيما يعقبهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تأخذه
نعاس فضلا ان يأخذه نوم او نقول نفي الاخص اولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا
ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل
لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان نائم وما يدل على ان السهو والغفلة
والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان تكون عبارة عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين
فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته
لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان موسى عليه السلام
سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوتين في كل
يد واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام في آخر الامر فضرب احدهما على الاخرى فانكسرتا
فكان ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب
ان ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي
القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد رتب عليه حكمين وهو قوله
له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه
ان يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شيء من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل
وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض
لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد والسدي
اي يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امر الآخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الآخرة
لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء
الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض
انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات
لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله

ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم في تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم
كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون الغيب الا بما علام كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملئكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم
اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين اعظم واجل
وان ذلك مما ينقطع دون الاوهام الى ادنى ترجمن ترجمانها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض
تعالى وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به وقال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا
اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله التركب التلبد ومنه الكرس بالكسر للابوال والابعار
يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته
وللمفسرين في معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير
قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة
وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي
موضع القدمين وينبغي ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه لكونه موضع قدم الروح الاعظم
او ملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عباده
فهو اعلم بمحارم اسراره وقيل المراد من الكرسي ان السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا
بهذه الصفات والعرب تسمي اصل كل شيء الكرسي اولانه تسمية للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي
وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي واضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي الارض
كما يقال لهم اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا
قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره انه يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته
بما اعتادوه في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته
كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك
وكذلك ما ذكر في القيمة من حضور الملئكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال
الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملئكة حافين من حول العرش
ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة
للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي ولا
يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وغيرهما لان نفاذ حكمه وامره في الكل على نعت واحد
وصورة واحدة علوية كانت الاجسام او سفلية كبيرة او صغيرة ثم بين انه مع كونه مقوما للممكنات مقيما
للارضين والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن المرئيات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة

يومئذ

وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم المكان ومديم الزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين
لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر في اقامته على الكفر
الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار ومنافيه الاكراه والا جبار
ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي تعالى بان الشيء واستبان وتبين ايضا اذا وضح وظهر ومنه
المثل قد تبين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه اي تميز الحق من الباطل الايمان من الكفر والهدى
من الضلال بكثرة الحجج والبينات وورود الدلائل والايات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت
واصله طغيوت لانه من طغى لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي انه مصدر
كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم
الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به فاما قوله تعالى
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتانيث لارادة الالهة واما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد
وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس
وكل ما يطغي وانما جعلت هذه الاشياء اسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن اضللن
كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك
فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما
مما يتعلق به والوثقى تانيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوى ما يتشبث به
للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى تصوره السامع كانه ينظر
اليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير ان يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله
لا انفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى قيل ان الموصول ههنا محذوف
اي التي لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين
على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله
جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم
وحكم المجوس حكمهم واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام
وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل
ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما
وقيل معنى قوله لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه
فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم

يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما في قلب الكافر
من الاعتقاد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب اسلام اهل الكتاب من
اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع الدعاء يا محمد عليم بحرصك واجتهادك
قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا اي يتولى امورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب
فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان الطاف الله تعالى
في حق المؤمن وفيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر
الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن اذا اصلي ولا يبعد
ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة
لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه
ومثله قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار ويروى انه صلى الله عليه وآله وسلم
سمع انسانا قال اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال خرج من النار
ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه اراد بهما الكفر والايمان الا
قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من
الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية انوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه
طريق واحد وهو اضافي في نفسه واحد واما الباطل فلا حصر له ولطرقه كالخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد
والمنحنية غير محدودة ولاسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من تسبب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث
باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وتنتهي الى قضائه وقدره كما سبق مرارا اولئك الكفار اوهم مع من تطغيهم
من الوسائط والوسائل اصحاب النار ويكون زجرا للكل وعيدا لهم اعاذنا الله من ذلك **التأويل** الحي القيوم
يشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسم الحي مشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا
بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسم القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله
للعبد بهاتين الصفتين الكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي صفة القيوم فناء
جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم
اذ سلب الحي جميع اسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فنفي التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية
بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل اعطى لانه
حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاء لا يكون الاسم الاعظم

بالنسبة

بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم
الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره بأي اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم
لان النوم اخو الموت والموت ضد الحياة وهو الحي الحقيقي فلا يلحقه ضد الحياة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد فانه
مأذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما بين ايديهم من اوليات الامور
قبل خلق الخلائق كقوله اول ما خلق الله نوري اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام وما خلفهم
من احوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا
يحيطون بشيء من علمه وانما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور
آخرتهم واحوال اهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا ما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض اشار الله
في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى ولان الله
مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن ولا يؤوده حفظهما لا يثقل الروح الانساني
حفظ اسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما اظهر المخلوقات من العرش والكرسي ولقلب المؤمن وسره
علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء وهو اولى
بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فعلا في الآخرة والاولى فاعلاه ومن عظم فبعظمته ثم اخبر عن عزة الدين
لارباب النفس بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع ان التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل
وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق
ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص
هوى النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص
عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن على طاعة
الله وانابة الخلق الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته
عن سكر سطوات سرادقات التجلي تبت اليك اي عن هذه الافاقة فكان مخصوصا على زمانه بالايمان العياني وسكرانا
مع القوم بالايمان البياني كما قيل شعر لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي ثم العروة
الوثقى التي يستمسك بها المؤمن لا يمكن ان تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شيء هالك الا وجهه والكون الهالك بطشك
والا كانت منفصمة بل تكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة تناسبه لمقامه في الايمان فهي للعوام
توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تغنيه عن ظلمات الغربة
وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين لان الثقلين واعمالهما
فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها ابدا الآبدين

ثم اخرج عن تصرفات جذباته فقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاية والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت كقوله اندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهي بمعزل عن الولاية ولو فسر بالشيطان او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض لبركات بعضها تحت بعض اولئك اي ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم ۝

الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك م اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت لا قال انا احيي واميت ط قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ط والله لا يهدي القوم الظلمين ۝ او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ط قال كم لبثت ط قال لبثت يوما او بعض يوم ط قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ج وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ط فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ۝ واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ط قال اولم تؤمن ط قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ط قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ط واعلم ان الله عزيز حكيم ۝

القراءة ربي الذي بإرسال الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهما من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان انا الا نذير وليشبه ذلك مئة وبابه مثل فئة وقد مر لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف وسهل ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك مثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزءا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرا ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس ظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ واميت ط كفر ط الظلمين ۝ لا للعطف باو للتعجب عروشها ج لان ما بعده من تمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم لم يتسنه ج ولنجعلك لان الجملتان لوقوع الحال الحتراض منها ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قدير ۝ الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ۝ التفسير انه سبحانه ذكر هاهنا ثلث قصص اولاها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم صلوات الرحمن عليه ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان آتاه قيل لابرهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان آتاه اي لان الله آتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو او جعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان آتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد لهما من مستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان وليكن الاكثر باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين وروي ان الكافر دعا حينئذ بشخصين فاستبقى احدهما وقتل الآخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عليه السلام

على السقوف المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها ذكر في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اغرب فيكون ادخل في كونه آية ثم بعثه اي احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم تغيره فكانها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم آجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حمإ مسنون اي متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة يجوز ان يكون سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضي البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي الفارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم ينصب ثم على هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافق قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تحيره حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انا جعلناه دليلا على صحة البعث وقال عزير كان آية لان الله تعالى بعثه

بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التورية عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انها دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحيوة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة ومن قرأ بالزاي فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيى راسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا بمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وايضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا او التقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتأويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك او الله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عنه انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا اوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر حينئذ يعود الى شيء آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان اي ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد وذلك كقولك للمتحرك تحرك اي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراآت السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام العليم القدوس وتعالى الحكيم ۝

لان الذي من نمرود انه التي تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل آخر او مثال آخر اوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق
فأت بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد على ان الشبهة اذا وقعت
في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر
في الدليل الاول او في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك
ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون
المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان
جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة
الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان
نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن منه عند استدلال ابرهيم
بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك
التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن
المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي
حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال والتمسك
بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول
عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابرهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر اتدعي الاحياء والاماتة
من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب
اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم بان الاحياء والاماتة
بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات للافلاك
لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة له على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات
قلت وفيه ايضا طريق آخر نذكره في التأويل ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا
دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما وافصح منها القراءة المشهورة فبهت للمفعول لانه
يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفع الدليل
وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته
القصة الثانية قوله سبحانه او كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين
الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى
كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة

والتقدير

والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي
حاج او الم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار
كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له
وفيه دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى
انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء
من قال ان ارميا هو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه
ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بخت نصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير وعلى ما يجي
حجة هو ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ليس يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة
والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكليم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر
ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بخت نصر غزا بني اسرائيل فسبى
منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط
حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يتوقع
عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام
وهو شاب ثم اعمى عن موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال
لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير
فنظر فاذا التين والعنب كما شاهده ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله
فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما
يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم
عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير فقال اعلم ان
الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا ان عزير بن برخيا مات ببابل
وقد كان بخت نصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه يقرا التورية
فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التورية
قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب
وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهي بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف
حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف
من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت

القصة الثالثة قوله عز من قائل واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم وقيل معطوف على قوله
الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة وهي انه لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا
سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابرهيم اثنى على الله اولا بقوله رب
وايضا ان عزيرا استبعد الاحياء فاراه ذلك في نفسه وابرهيم التمس ودعا بقوله ارني فاراه ذلك
في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء
وابن جريج انه راى جيفة مطروحة على شط البحر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع
فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان
من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي
ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر
انا احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف
تحيي الموتى لتنكشف هذه المسألة عند نمرود واتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له
قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي اي بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي بقوة حجتي
وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي
ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم عليه الصلوة والسلام وقال الهي ما علامة ذلك
فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم صلوات الرحمن عليه في درجات العبودية واداء الرسالة
خطر بباله اني لعلي اكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى فقال الله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على انني
خليل لك الرابع يحتمل ان يقال انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة
ليطمئن قلبه على ان الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيي
الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة من عيسى وانه من اراده السادس امر بذبح
الولد فسارع الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفني بان تجعل بدعائي فاقد
الروح ذا روح السابع اراد ان يخصصه الله بهذا التشريف في الدنيا فان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة
الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما ان ابرهيم عليه السلام كان شاكا
في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد به ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن ذلك بابرهيم صلوات الرحمن عليه
وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين وان كان شك في قدرة الله او في
نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض
من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابرهيم على نفسه نحن احق بالشك
والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا

وايضا

وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به ليعلم السامعون انه صلوات الرحمن عليه كان مؤمنا بذلك
عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شيء آخر واللام في قوله ليطمئن تتعلق بمحذوف اي ولكن سألت ليزيد قلبي سكونا
وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب
حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء آخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير عن ابن عباس
هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من
صاره يصوره ويصيره اي املهن واضممهن اليك وقال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى
نفسه بعد اخذها ان يتأملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها كيلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك
وفي الآية حذف كانه قيل املهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار
روي انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك
رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي ارضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين
باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وانكر
ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه
والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي عود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة
والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن اي الطيور لا الاجزاء
يأتينك سعيا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا
ان ظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ما سأل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة وان قوله على كل جبل منهن جزءا يدل ظاهره
على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك
الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة
جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده
ابرهيم وكانت سبعة اما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فمعناه عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ
في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطائر اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة
مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى
جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو وقال القاضي دلت الآية على انه
لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة لا يدل على وجوب
المقارنة اما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على ان المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت
الآية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة
واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التأويل

لان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدًا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك لان الانسان
خلق مستعدا للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جُبل ظلوما
جهولا فمتى وُكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا لسيرة الطبيعي لانه خلق من تراب وطبع التراب الميل الى
السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فاذا املك السفليات
بأسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول انا احيي واميت وليس للعالم رب
الا انا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا اصلح جوهره بحسن تربية النبي صلى الله عليه
او من ينوب منابه وهو الشيخ فانه ليس في الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
معنى كون فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لان حسبان وجود غيره وجوده فافهم جدا ولذلك لم تكن مجدا
فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت وجوده ووجود
كل ما سوى الله قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعراض على قول الكافر انا
احيي واميت والمراد ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا
في دعواك ان هذا تأتى منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها واذا آية القيامة من مات
فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه لا يمكنه ان يدعى الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق
فلا يمكنه ان يدعى الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة
عزرا لا يرد عليها شئ من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى
بعد انقطاع المدعى في حجة عيسى الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد
بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا اخرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم الكلية التي استفادت
من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم
لم يحتج ان يرجع الى المكتب وحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورأفته دفع هذه التسويلات النفسية
ورفع هذه الشبهات الفلسفية بان امات عزرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى
لما احيى عزير الروح احيى معه حمار الجسد وكما ان عزير الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات
تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجمال والجلال وسقيهم ربهم شرابا طهورا
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين قد علم كل اناس مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض فضلها * وللارض من كاس الكرام نصيب
ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلوات الرحمن عليه وذلك قوله رب ارني كيف تحيي الموتى قول موسى رب ارني
انظر اليك لان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير النصب والتعب وادب بتأديب الخاطر الجاني
وغرّك بتعريك لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ريّ وصاحب الشرب سكران

وصاحب

وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت * فلسكر موسى كان ينبسط
تارة مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك وينبسط اخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زل قدمه في ادب
من آداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة لانه اول من شاب شيبة ابرهيم ويكرم غدا بالكسوة
لانه اول من يكسى ابرهيم ولما ابتلى في ماله فبذل للضيفان وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى في نفسه فاستسلم
للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبريل فقال اما اليك فلا فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان
اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة
وقال اني لا احب الآفلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر
العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب ارني ولا نطق
لاشتياقه الى الرب انا كان وقت سؤاله شعر ولست حديث العهد شوقا ولوعة * حديث هواكم في حشاي قديم *
ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقه المقدر الى
حسن التدبير وساله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل
رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة للمأمول فادرج في السؤال المسؤول ما خفي سره وهو ارني في علنه وهو كيف تحيي
الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده انه اسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال اولم تؤمن
فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلثة معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما آمنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان
ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا في كل منها الاثبات
في لفظة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى سرا وجهرا اي بلى آمنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي
الايمان او الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سألت ليطمئن قلبي بما تريد او بلى
آمنت بميعاد رؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطرب قلبي من غاية
يعني او بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي
كالذي له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال
قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفي مذهب الملاح الطلب رد والسبيل سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب
فكل صانع ماهر في صنعته يريد ان يري جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب ويقول انظر الى
كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل اعتذر عن الخليل
من اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرعه بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه وحقق رجاءه
وقال فخذ اربعة من الطير لانه والمراد انك محجوب بك عني فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب وحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع
فبما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتي واذا افنيت عن ذاتك تبقى ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات
الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفات

فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان توجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة
ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب
زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة من الصفات فيتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة
للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار
من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل
ما بخل به وغراب الحرص لبكوره من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة المغضب فلما ذبح
الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه بردا
وسلاما والمبالغ في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدى
ابرهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل من الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح
الثلثة الحيواني والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار والزروع واجزاء الطيور كالرماد المخلوط بالزبل يجعل
على الزروع فتتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من هؤلاء ولكل ويترشح بتربيتها وتتصرف فيها الروح الانساني
فيحييها بنور هو من خصائص ارواح الانسان فتكون تلك الصفات ميتة عن اوصافها حية باخلاق الروحانيات
هذا لخواص الخلق الذين الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص ولمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد
خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك
الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا
وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كالذي يقول للكاتب ارني كيف تكتب فيجعل
الكاتب قلمه في يد الامي ويأخذ يده بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي
انه صار كاتبا ويقول انا الكاتب كقول شعر عجبت منك ومني افنيتني بك عني * ادنيتني منك حتى ظننت انك اني
فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب
واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبانك انك كاتب وانت نبي امي عربي ما وصلت الى ما وصلت
لفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان يتجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي ليريه آية من آياته
وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية
لنفسه رب ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وذلك لعلو همته ورفعة مرتبته وكمال معرفته
فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا
تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء
ولكمال معرفته طلب رؤية الماهية فقال كما هي وهذا هو المكر الحقيقي الذي لا يمكنه كنهه ثم قال للخليل واعلم ان الله عزيز عزيز
ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من خلقه

مثل

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ اموالهم فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ
داستان آنانکه صرف میکنند مالهای ایشانرا در راه خدای چون داستان دانه ای که برویانید هفت خوشه را در هر خوشه
مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنفِقُونَ اموالهم
صد دانه و خدای افزونی دهد آنرا که خواهد و خدای بسیار عطاست داناست آنانکه صرف میکنند مالهای ایشانرا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
در راه خدای پس از پی در نمی آرند آنچه را داده اند منتی ونه رنجی مر ایشانراست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان ونه بیمی
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ
بر ایشان ونه ایشان اندوهگین شوند گفتاری نیکو و عفو [illegible] بهتر است از صدقه که از پی آرد رنجی و خدای
غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ
بی نیاز است بردبار است ای آنانکه ایمان آوردید باطل مکنید صدقات خود را [illegible] چون آنکه صرف میکند مال خود را
رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ
برای نمودن مردم و نگرود بخدای و روز بازپسین پس داستان او چون داستان سنگی صاف است که بروی بود خاک
فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
پس رسید بدان باران قوی قطره پس بگذارد آنرا [illegible] قادر نباشند بر چیزی از آنچه حاصل کرده و خدای راه ننماید گروه کافران را
وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ اموالهم ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ
و داستان آنانکه صرف میکنند مالهای ایشانرا برای جستن خشنودی خدای و برای ثابت کردن [illegible] چون داستان بستانی
بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ
[illegible]
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
بآنچه میکنید بیناست ای دوست دارد یکی از شما که باشد مر او را بستانی از درختان خرما و انگورها [illegible]
الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا
جویها مر او راست در آن از همه میوه ها [illegible]
إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
[illegible] آتشی پس بسوخت آن بستان همچنان بیان میکند خدای برای شما آیتها تا مگر شما اندیشه کنید

القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وسهل يضعّف بابه ابن كثير
وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخزاعي عن ابن
فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمز الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث و [illegible]

وكذلك ما كان بمحلة النصب من الاعراب كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ووافق ابو عمرو فيما اتصلت بالهاء او الالف بما يعملون بصير بالياء السجاوندي ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب **الوقوف** مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون ه اذى ط حليم ه والاذى لا لتعلق كاف التشبيه اى ابطالا مثل ابطال الذى الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكفرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء ص والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا فى حالة كذا تتفكرون ه نصف السبع

التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضى فى كيفية النظم انه تعالى لما اجمل فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر بين الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كأنه قال قد عرفت انى خلقتك واكملت نعمتى عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتى على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما اوجب تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ليرغبوا فى المجاهدة بالنفس والمال فى نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولى المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن فى سبيل الله وما ينفق الكافر فى سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التى يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه اى مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه قيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد فى الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلثة قروء فى اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اى تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين فى الاخلاص او يضاعف سبعمائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك فى مشيته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لان فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات ومواقعها ومصارفها واخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التى يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن

وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوى الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده ولان المعطى هو الله واذا كان العبد فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالع الاسباب الربانية الحقيقية فكان فى درجة البهائم التى لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما ازل اليه ويقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل ويا عدا الله ما منى ومنك ويعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى ولان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما انما كان فى سياق النفى لهم اجرهم وقال فيما يجئ فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمه وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب لاستحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكرهنالك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار وكان التأكيد بما اوجب الربط بينهما هنالك انسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا يخافون فوت ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر وعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها **احتجت** المعتزلة بالآية على وجهين **الاول** ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم **واجيب** بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق **واجيب** بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن او عدة حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رد بغير مقصوده فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل بان يعذر المسئول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر واما القول المعروف ففيه انفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان اولى ومن الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق فاوجب المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذى وغير المؤذى مثلا فقال **يا ايها** الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير وعن ابن عباس بالمن على الله والاذى للفقير كالذى ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائى بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذى ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان بالمرائى المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر

والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقى ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذى ولعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الثواب الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذى او المنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان شبه بما اذا طرح بذرا فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقى مستودع بذره خاليا لا شئ فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى فى ذلك التراب الذى فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين فى قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى اما لان من والذى يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه اشير بالذى الى الجنس والجنس فى حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والله لا يهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من الايمان وقيل ان النفس لا ثبات لها فى موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره فى الكشاف وقال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا فى طلب المستحق وصرف المال فى وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل للنفس منازعة قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البغتة والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس

بخط المصنف لا بطريق البحث باتا ... والعلم

صفاؤها ونورتيها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله كمثل جنة وهى البستان وقرى كمثل حبة بربوة مكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا فى المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كالرهاد لكونها مصب المياه وقلما يحسن ريعها فاذن البستان لا يصلح الا فى الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل فى مقابلة المثل الاول فكان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغى ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اى ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كانت تعهد منها وقيل مثلى ما يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يصيبها ولا ينقص شئ من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وقوام نزر ويحتمل ان يشبه حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفياتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازى بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق الجامع للشرائط وحذر عن ضده بان ضرب مثلا آخر **فقال** ايود احدكم والهمزة للانكار الباعث اى لن يود وقرى له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة اوصاف **الاول** كونها من نخيل واعناب كان الجنة انما تكونت منها لكثرتهما فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد فى رونقها وبهائها **الثالث** فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب اولا بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع **وقال** فى الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرى ضعاف اى صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل فى المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون فى قلبه من الحسرة وفى عينه من الحيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذى يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة **التأويل** الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم فى سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير ياخذها الله بيمينه ويربيها كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى تكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعى جلاله حتى يصير اعظم من العرش بما فيه ولان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق القيام بامورهم فى تشفى ما فى صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة

فبذلوا ليحصلوا وحصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ويجب لي عليك لعوض ولا اذى بان يطلب من الله غير الله رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم يعني لهم في رتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له ولمن لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذي طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار في الطلب غيره ولا حليمه فالترتيب ورب الارباب يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد ابطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه الآخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لانفق للآخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمه طلب شهود جماله محرومين عن دولة وصاله وتثبيتا من انفسهم وتخليصا لنياتهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى لا يعطي اهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الآخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطي اهل الآخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضاة او لاستنقاذ الذات ولاستبقاء الحيوة ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها انهار الهداية واصاب صاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البرية فيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في آحاد هذه الآيات

الاستعداد

الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب آمالكم وتستعدوا للموت قبل حلول آجالكم

يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطن يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظلمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار

سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء وصلا البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤته الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وخلف ابن شاذان عن خلاد مخير وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على هذا الوزن يفعلي

الوقوف من الارض ز لعطف المتفقتين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج ولان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين وعد الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط انصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا تظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم ولئن صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح مستأنفا والحال اوجه اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر ومع انهم لا يسألون الناس على الحال وقد يجعل لا يسألون مستأنفا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه

التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي ومن طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضع في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض

الا ان العلماء

الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الصدقة في اربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي رضي الله عنه بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يستعدونها وايضا لا تجب الزكوة في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير لعموم الآية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوتية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع فلا كل وكل انما المراد بالطيب في الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما روي في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم بآخذيه وانتم تعلمون انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم ان المال الزكوتي ان كان كله شريفا وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان المأخوذ في هذه الحالة لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد وردي فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من ردي مالك ولا يكلف ايضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الآية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تممته وتيممته وتأممته كلها بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وتقدم منه عليه ليعلم ان النهي عن هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض اي لا تستقص كأنك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى ذلك ثم كثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البائع اي كلفتموه الحط من الثمن

عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى تهضم لكم من ثمنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم
حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي او حامد شاكر على انفاقكم كقوله
فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان
فقال الشيطان يعدكم الفقر اما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة
بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن ان يكون استعماله في الشر
محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وترى الفقر نعمت والفقر بتحبير
ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق
ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس
ان لا ينفق شيئا لا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد
نقله من الافضل الى الاخس لم يمكنه الا بان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو
امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكن ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة
هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج
الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع
الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها
بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة
الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا
خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعد الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن
بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد
لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء
المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع
منه ويعقد به التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول
وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة
فانه لا نقص فيها ولا تنغص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم ولا سيما
وقد قرن به لفظة منه فان غاية كرمه ونهاية جوده لا يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا
من المغفرة وهو المشار اليه في آية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او ان يجعل شفيعا في غفران
ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك
ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية

فنعم

فلو لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي
والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس
هيئة الاستغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل ايضا فمهما
عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولما ذكر من التاثير
ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من انفق ثقة بوعده وبحال من لم
ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة
والعقل فان وعد الشيطان انما يرجحه الشهوة والنفس ونقل عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه
احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا
ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار
يوتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فانه
تعالى الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا
قليل وذلك ان الدنيا متناهية المقدار متناهية العدد متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة
بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به
فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابرهيم صلوات الله
رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام اني
انا الله وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى انه قال اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي
ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية
ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في جميع الانبياء ينزل الملئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الآيات وامثالها
ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا
حجى ولب واصابة راي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول عنها يفرق كل امر حكيم اي محكوم وفي الآية دليل على ان
جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي بايتاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة
كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه آية وما يذكر الا اولوا الالباب الذين
حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يترقون الى اسبابها
حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه
الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه وعند ذلك يقدم او يحجم ثم انه تعالى

نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على
تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر
في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير العائد اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير
كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلتزمه الانسان بايجابه على
نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار الابلاغ مع تخويف
واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه
عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او اكلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد
فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلم او دخل او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها
يلزم الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين
والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة
حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفي الله مريضي او رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او
اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه
ونذر التنجيز وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح
ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي
كشرب الخمر والزنى ونذر المراة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه
لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان
يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر
اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر
معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح
واما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف
الخلق بايقاعها عبادة فتلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا
فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر
يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود
او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل
الركوع والسجود او القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق
المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر

وكذا

وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى وقد رغب الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد
فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله
راى رجلا قائما في الشمس فسال عنه فقالوا انه نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ولو قال لله علي نذر من غير
تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين
وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او للرياء او لا يوفون بالنذور او ينذرون في
المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب في صاحب او جمع نصير كاشراف
في شريف وقد تمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في الوجه
لا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا تقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق
وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم
اللفظ المذكور قاطعا في الاستغراق بل ظاهر على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة
فكان التمسك به ساقطا سالوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية فنزل
ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة
وصدق فلان في جريه اذا جرى على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد الصداق به يتم ويكمل والزكوة
صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على كمال صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرا بسكون العين
فمحمول على انه اوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده وفي
الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح بسكون العين
بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرا بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر
قال سيبويه ما في تاويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجبائي في مثله ان يقال ما في تاويل شيء لان ما
ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح والتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات فحذف
المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع
لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل
اما الاول فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يقبل الله
من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء
وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها في طريق
الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعضهم يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى
الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ان العبد ليعمل
عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية

وكتب في الرياء وقال صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف
وربما انكر الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار
اذلالا للآخذ واهانة له واذلال المومن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اهدى
له هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهر
... غيره به لم يبعد والحالة هذه ان يكون الاظهار افضل وروى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال السر افضل من العلانية والعلانية
... لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك
... تلك الشهوة فههنا الشيطان يردد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان
... يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل
... بعين ضعفا ثم ان الله تعالى عباد ا اذا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس
... شهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل
... يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة
يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب
الى الله واشار ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات
... الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اكثر صلواته في البيت
... وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان
... ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا
... في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما
... وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء
مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه
ايتاء الفقراء واما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرا بالنون
مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا
مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدا محذوف فقوله فهو خير في تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه
ويحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر ولن يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة ومن قرا
مجزوما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما
من قرا ويكفر بالياء التحتية مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء
مرفوعا او مجزوما والضمير للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن
خيرا لكم وان يكفر عنكم خير لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث

قوله

وقوله من سيئاتكم يحتمل ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما يكفر بعضها ثم ابهم الكلام في
ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن احوال العبد ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون
للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون
خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمرة القضاء فكانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسالانها وهما مشركتان
فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى
ليس عليك هديهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال
الكلبي ولها وجه آخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا
ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا واستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تصدقوا الا على اهل
دينكم فانزل الله ليس عليك هديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان
شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فتكون الآية مخصوصة
بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره ومعنى الآية ليس عليك هدى من خالفك
حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم
وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا
الى الله وبيان الدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء
اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه آخر ليس عليك ان تلجئهم الى الاهتداء
بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا
واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء
على سبيل الاختيار فكذا الثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا
التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا
عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله
يهدي من يشاء بلطف لمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هديهم
خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وامته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام
وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله فصلة الرحم
اوسد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه
لا تكونون منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل لست نفقتكم الا لطلب

ما عند الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة ذكر الوجه انك اذا قلت فعلته
لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل
فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا
وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الآخرة اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها
تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه يجوز صرف الصدقة
الى اي فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اي ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء
كما لو تقدم ذكر رجل فتقول عاقل لبيب اي ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم
اصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين المسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل
غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوما على اصحاب
الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم
عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين
احصروا في سبيل الله اي حصروا انفسهم ووقفوا على الجهاد في سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد في عرف
القرآن ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد فوضع الصدقة فيهم يكون اوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب
واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء
قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض اي سيرا
فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم
من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم بظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يختبر امرهم اغنياء
من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشيء والكف عنه
الرابعة تعرفهم اي انت يا محمد او كل راء بسيماهم السيماء والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشيء من السمة
العلامة فوزنه عفلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك
صفرة الوانهم من الجوع ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل آثار الفكر روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم
كان كثير الفكر الخامسة لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى والتركيب
يدل على الستر كانه لزم المسئول لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله يحب الحيي الحليم
المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سالوا سالوا بلطف ولم يلحوا
واورد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه

على

على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف واردت ان تمدح
احدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك
ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك من قولك ليس
~~بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم~~ التنبيه على سوء طريق الثاني وقيل معناه انهم ان سالوا سالوا بالحاح
شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله ولي نفس اقول لها اذا ما تنازعني لعلي او عساني وقيل انه
عدم السؤال بطريق الالحاف تضمن نفي السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كما
يقول اذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة
فتكون في حال سكوته انطق ما يكون فيرق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال
من رثاثة الحال وآثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتحملون للخلق بحيث لا يطلع
على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن
يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسال الناس
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان يوكل هذا الانفاق الذي هو اعظم المصارف لا يمكنه كتمه فلذلك وكل
الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا
من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته اني بحسن خدمتك عالم والحقك
عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشد في خاتمة الآيات الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا
على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال
دال الآية يعني في اي في الليل والنهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اي في اوقات السر والعلن او على
وقتي المصدر اي انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل انها نزلت في الفقراء الذين احصروا
بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث علي بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفي تقديم ذكر الليل
تقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة علي كرم الله وجهه كان اكمل وعن ابن عباس ما كان لعلي يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا
فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف
الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين قرا هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال

التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها لو فسر الطيب
بالحلال فليتقبل الله منه ولو فسر بالجودة فلينجح به لفقد جودته وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله وتاثيما

لثاب على الشفقة على خلق الله ورابعها ليثاب على الايثار ويوثرون على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان فان المتصدق في صدقته كالزارع في زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد في جودة صدقته ليحقق ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسب يده وفي الاية معنى آخر لطيف انفقوا من طيبات ما كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولكن المنفق طيبة من جانب الشبهات طيبا انفاقها من جانب الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من جانب الانفاق والنظر في الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فلله قبول طيب عن الوسائط فياخذها بيده فيربيها قبل ان يقع في يد الفقير واذا كانت طيبة في انفاقها فله قبول طيب فانها ابلغ عند الله من عليها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم باخذي هذا الخبيث اي في اصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة فالروح من اطيب الاطايب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم رزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شي خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقرأ كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلم تكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه عارية لديه ان الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله لتطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويتحققوا يوم القيام ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا ان الله غني في كمال غنائه لا يراد ان يغنيكم ثواب الانفاق وحميد على ما انعم بهذا التكليف لتتوسلوا به الى الكمال الابدي الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يامركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فتتضمن البخل والحرص والياس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق افاض عليه بحار غفرانه وبحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا يدرك بالاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما قال يوتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة ما يحصل بمجرد التفكر كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا هذا القشور وارتقوا الى لب عالم النور ثم اخرج عن نورهم الاجور

للمنفقين

للمنفقين في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة وان كانت للهوى كان في ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها بالطمع في ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ مما هي فانها مرتبة الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتوتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وانت سيد الاولين والآخرين وانت اكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية من خصائص شاننا ولوائح برهاننا انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي احصره المحبة في الله عن طلب المعاش لا الذي احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له في المشرق مذهب ولا له في المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فلا يزداد طوله ولا عرضه يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب العزة محجوبون عن معرفة اهل الغربة اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيري ما رايت اذ رايت ولكن الله رائي وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولان سيماهم لا يرى بالبصر الانساني بل يرى بالنور الرباني فمن سيماهم في الظاهر من ظهور آثار احوال الباطن انهم لا يسالون الناس الحافا لا القليل ولا الكثير لان آثار انوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال او الجاه او خدمة بالنفس او اكرام او ارادة حتى السلام على هولاء السادة لاستحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم في الظاهر انهم اذا وجدوا مالا لم يبيعوا عزة الفقر بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون في الدنيا على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا في الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

[illegible]

من المس ط ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع

[illegible]

وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره

وحرام كرد [illegible]

الى الله ج ومن عاد فاولئك اصحب النار هم فيها خالدون ٥ يمحق الله الربوا

[illegible]

ويربي الصدقات ط والله لا يحب كل كفار اثيم ٥ ان الذين آمنوا وعملوا

[illegible]

الصلحت واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ج ولا خوف عليهم

[illegible]

ولا هم يحزنون ٥ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ٥

[illegible]

فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ج وان تبتم فلكم رؤس اموالكم

[illegible]

لا تظلمون ولا تظلمون ٥ وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ط وان تصدقوا

[illegible]

خير لكم ان كنتم تعلمون ٥ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

[illegible]

القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف هذا اذا كان مجرورا ولا يميلون المنصوب في الوصل لاجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب والرجمي حمزة تقف بغير همز اي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة بضم السين نافع ميسرة هي بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا م كيلا يظن ان ما بعده من قولهم ولان احكم جعل واحل حالا باضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط والاستيناف الحتم ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج النار ج خالدون ٥ الصدقات ط اثيم ٥ عند ربهم ج يحزنون ٥ مومنين ٥ ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف او حال عاملها معنى الفعل في لام التمليك ولا تظلمون ٥ ميسرة ط تعلمون ٥ لا يظلمون ٥ التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما امر بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف

بالمكسب

بالمكسب الحرام وهو الربوا والحلال وهو البيع وما يناسبه من الدين والرهن وعن هذا فقال الذين ياكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات لان الاكل عن الشيء معظم مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يوكل ولكن يصرف الى الماكول فهو كل فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امال فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالب المديون راس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوز ربوا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة اما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى واحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله وحرم الربوا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب ان يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربا النسيئة وقد يتاكد هذا الراي بما روي اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربوا في النسيئة وفي رواية لا ربا الا فيما كان يدا بيد وذكر ابو المنهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالنا رسول الله عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصلح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسيئة فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدين والمطعومات الاربع ولا شك ان الربوا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها في ذات الاشياء الاربعة قال الشافعي في علة الربوا فيها قوله الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا اثبت الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة

العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة وعن احمد روايتان كابي حنيفة والاخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب
ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني
المتخذة منهما ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال ابو حنيفة
العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب
في تحريم الربوا فقيل من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيئا يحصل له زيادة درهم من غير عوض واخذ مال المسلم من غير عوض
محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع
امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل
سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزائد نقدا او نسيئا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لانه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس
من القراض ولانه يمكن الغني من ان ياخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون
حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء
ومنه خبط العشواء ويخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس اي مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن
وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها
كانه رءوس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع
كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان
آكل الربوا يبعث يوم القيامة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقول الحسن يتعلق بلا يقومون اي
لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة
اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
وذلك ان الشيطان يدعو الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط
فاذا مات آكل الربوا على ذلك اورثه الخبط في الآخرة واوقعه في ذلك الحجاب عنه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب
قولهم انما البيع مثل الربوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
به البيع وقد كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق
القياس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى
ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسيئة فهذا حلال فكذا اذا اعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين

اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال
ويحصل له اموال كثيرة في المآل فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال
فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله واحل الله البيع وحرم الربوا وحاصله انكار التسوية وان النص
لا يعارض بالقياس فان ذلك من عمل ابليس امره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال انا خير منه ثم ظاهر الاية
يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على الاكل مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه
الاية كون اكل الربوا من الكبائر ويجب تاويل مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما قال ولا
تاكلوا مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من تصرف في مال الربوا
لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم الربوا من تمام كلام الكفار على سبيل
الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق
الانكار ردا على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد
شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه
الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعي رضي الله عنه
وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية
فيكفي في العمل بثبوت صورة واحدة ولو سلم افادته العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات
بلفظ الجمع ومع ذلك فقد تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب
من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وايضا روي ان عمر رضي الله عنه قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سالناه عن الربوا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وايضا قوله واحل الله
البيع يقتضي ان يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربوا يقتضي ان يكون كل بيع حراما لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد
به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة من ربه بلغه وعظ من
فانتهى امتنع عن استحلال الربوا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ وقيل
النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن
السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلاف الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وامره الى الله
لان ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المغفور بمن الله ان عامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن
الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلاله ما هو محرم اجماعا
واما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان قد بالغ

في الايات السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق الربوا واربى الصدقات اما في الدنيا
واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المربي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر وزوال البركة عن ماله عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه وسقوط عدالته وشهرته
بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله ظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في هذا المحق ان الله تعالى
لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث
ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال
نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة
كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب وياخذها
بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه
وذكره الجميل وميل القلوب اليه وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء
فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المآل والصدقة وان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة
في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما تقتضيه الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل
كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كتمار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل
وهو ايضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ويحتمل
ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الاكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا
ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته
غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر ومن المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر
وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقيت الاية ساكتة عمن جمع بين
لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام
لا يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته
من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان
كما مر واجيب بان ما في الاية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاولى
حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل لهم ربهم لان الاول
يجري مجرى ما اذا باع بالنقد وذاك النقد حاضر متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة ولا شك ان
الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل
من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الالف والعادة

فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ
ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا
يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه لان هذه
الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المراة اذا بلغت عارفة بالله وكما بلغت حاضت وعند انقطاع
حيضها ماتت او الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما
عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت
الاية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف كان يجوز
ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا
فبين انه يحرم اخذ ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين
فالجواب ان هذا كما تقول ان كنت اخي فاكرمني معناه ان من كان اخا اكرم اخاه ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم
تريدون استدامة الحكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بالسنتكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي
وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى يجتنب كل الكبائر
واجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان
وانما شدد الله تعالى في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت ووطن نفسه على ان تلك الزيادة
قد حصلت له فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الاية
اصل كبير في احكام الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال
الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح
وقع على مهر حرام فقبضته المراة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب الشافعي
واما سبب نزول الاية فعن ابن عباس ههنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي
بني المغيرة من بني مخزوم وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله
فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا اشقى الناس
بالربوا ووضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية والتي بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب
من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر
فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تاخذا النصف
وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما
ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رءوس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا

شركين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى قوله ان كنتم مومنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اى فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون ما ليم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المومنين المصرين على معاملة الربوا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا اعلموا من جعلوا الاذن اعلموا انى لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة في الابلاغ آكد ممن قرا فاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اى كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد يطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر رضى الله عنه مانعى الزكوة وكذا القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرنا وان تبتم من استحلال الربوا او عن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هى التى تسمى تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفيته بشيء فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرا عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم او المستدين ذا عسرة والقراءة المشهورة اولى كيلا تكون النظرة مقصورة على الغريم المستدين بل تعمه وغيره من ارباب العسرة وهى اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود من المال والنظرة التاخير والامهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا عطاء فناظره على الامر اى فسامحه بالانظار وناظره اى صاحب الحق منتظره او ذو نظرته مثل مكان عاشب اى ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرا بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدى وابرهيم الآية في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبنى المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة فاخرونا

الى ان

الى ان تدرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابى حنيفة والشافعى والاعسار في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا او ثوبا لا يعد من ذوى العسرة اذا امكنه بيعهما واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يومه لنفسه ولعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه ان يوجر نفسه من صاحب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يكن الا ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذى لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك وان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا اى على المعسر بما عليه من الدين بدل على ذلك ذكر المعسر وذكر راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يامركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصى وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول متضمن للاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اى الى ما اعد لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا ولا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى فضاء وهناك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون المتصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله تعالى فكانه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى جزاء ذلك او المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارة والمراد ان كل مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه واهمل هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو لسارة

الى الله تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها
آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها على راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
والله تعالى اعلم بحقيقة الحال **التاويل** اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى مثل
آكل الربوا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما
قام صرع عنه ثقل بطنه ومثله قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل
حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت
ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل ولا يشبع
وفي الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جمع الدنيا ولذا قال بقوله
وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وذلك لان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها
اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك او تقارب الهلاك والمثل الآخر
للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك لان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي الامطار
ولكنها من كلاء الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر
منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه ولئن كان له حرص في الطلب والجمع
ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضر به واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال نور الامر
ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب المنهي فمرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة
المعصية وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع ونوره اثيم عامل بالطبع
مقيم في ظلمة اصله ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق
مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة
تجذبهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى
ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا بالتلبس
اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اي جعلناه قدامنا من شرط
المومن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا
اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مومنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة منعكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله
ببعدكم منهما وبغض وان تبتم تركتم عن غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم
ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان
ذو عسرة لم يصل اليها الا جذبة لا جل عاجلا فنظرة الى ميسرة وموقت وصوله اليه آجلا وان تصدقوا تبذلوا

فينا

فينا ما تمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لا ما نجازيكم على قدر مواهبنا
ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين ثم انه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة آي القرآن
فقال واتقوا يوما الآية وذلك لان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي
سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات
العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته
والبقاء بهويته فقوله واتقوا اشارة الى ما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني ان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك
عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاتقاء بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك
بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى
الخواص تخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصافهم الى درج تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى
عندها جنة الماوى فيتنعمون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص تخرجهم
بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة منتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية انوار القدم
وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجود كل النخبة وآخر حال
الجذبة وبها اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا اولاد آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال
دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال
في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء
ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات
القرب من المولى وبحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت
وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى

يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ط وليكتب بينكم
ای آنانکه ایمان آوردید چون معامله کنید [illegible] تا وقتی نام برده پس بنویسید آن را و باید که بنویسد در میان شما
كاتب بالعدل ص ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب ج وليملل
نویسنده براستی [illegible] و باید که [illegible] پس باید که بنویسد و باید که املا کند
الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ط فان كان الذي عليه الحق
[illegible] و باید که بترسد از خدای [illegible] پس اگر باشد آنکه بر وی است حق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل ط واستشهدوا
جاهل [illegible] پس باید که املا کند ولی او براستی و گواه گیرید

شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء

ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ط ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ط

ولا تسئموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ط ذلكم اقسط عند الله

واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم

فليس عليكم جناح الا تكتبوها ط واشهدوا اذا تبايعتم ص ولا يضار كاتب ولا شهيد ط

وان تفعلوا فانه فسوق بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط والله بكل شيء عليم ٥

وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ط فان امن بعضكم بعضا

فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ط ولا تكتموا الشهادة ط ومن

يكتمها فانه آثم قلبه ط والله بما تعملون عليم ٥

القراءة ان يمل هو بسكون الهاء قنبه والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وجبلة فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان **الوقوف** فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لوقف المنفتين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ٥ مقبوضة ط لابتداء الشرط ولستنان معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ٥ **التفسير** الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكم المتقدمين

وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رافته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذا الدقيقة بالغ في الوصاية واطنب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين تقول داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فبقي ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض فلا مدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة او التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه او ليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدة رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل او نقول العلة هي التداين والتداين العلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المتداينين اوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب بالاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود اميين كثيرين في الدنيا بل من له استعمال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك ايضا على الاطلاق ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي تقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها اديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكون ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون

بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو
معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالمقدم ولا يأب
كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاول اي فليكتب تلك الكتابة التي علمه
الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة
له على المقيد فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو
على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن
كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي
فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم
وقيل متعلق الايجاب هو ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله
ان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف
شروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته
واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء املت
عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة
واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امران لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه
ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
وضعف عقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي
ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل
بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل
والربيع ان الضمير في وليه عائدا الى الدين اي الذي له الدين ليملل قيل وفيه بعد لان قول المدعي
كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد
ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد
والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهده سأله ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق
الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل للمشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم
المسلمون وقيل يعني الاحرار ومن رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان
رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن او فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون
جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد

قبلهم

صالحا

صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به
لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون
بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي كرم الله وجهه لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك
لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا
لم يأذن له السيد فيعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبيد قالوا
لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على
اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها لغلبة البرد والرطوبة على امزجتهن او احدى
النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال
الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم
ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار
ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل
الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما
حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكر احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين ان اقامة
المرأتين مقام الرجل العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين
صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة انه قال فتذكر
معناه فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم
ان الشهادة جزم قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد
فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد
من اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا تعتبر فيه شهادة
النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والخليفتين بعده ان لا تقبل شهادة
النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين
لما مر من حديث الزهري فيستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص
والقذف واما غير العقوبات فاما ليس بمال ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح
والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود
وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا
فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء
في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع

وعيب المرأة من برص وغيره تحت الإزار ولا يثبت شيء من ذلك بأقل من أربع نسوة تنزيلاً لاثنتين منهن
منزلة رجل وما يثبت بمن يثبت برجل وامرأتين و برجلين بالطريق الأولى وإنما ما هو مال أو يقصد به
المال كالأعيان والديون والعقود المالية من البيع والإقالة والرد بالعيب والإجارة والوصية بالمال
والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص
القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم
قضى بالشاهد واليمين وأنكره أبو حنيفة ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ما مزيدة مبهمة أي إذا دعوا فقيل إلى
إلى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق إليها وقيل إلى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال
قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة وقيل أمر بالتحمل إذا لم يوجد غيره
وحمله الزجاج على مجموع الأمرين التحمل أولاً والأداء ثانياً والقول الأول أصح لأنه أطلق عليهم لفظ
الشهداء والأصل في الإطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل إليه إلا لضرورة وأيضاً
التحمل غير واجب على الكل بخلاف الأداء بعد التحمل وأيضاً الأمر بالإشهاد تضمن الأمر بتحمل الشهادة
فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء إلى الأمر بالأداء أولى ليفيد فائدة جديدة وهو أن الشاهد لو كان
متعيناً وجب عليه أداء الشهادة ولو كان فيهم كثرة كان الأداء فرضاً على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا
ولا تملوا أن تكتبوه أي الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أي حال كان الحق صغيراً أو كبيراً إلا ما جرت
العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فإن القليل من المال ربما أفضى إلى نزاع كثير وإنما نهى عن السآمة لأنها
من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضاً من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير
كتاباً فربما مل لكثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه والهابه ويجوز أن يكون الضمير للكتاب ولا تكتبوه مختصراً
أو مشبعاً ولا يخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفقا على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذي أمرتكم
به من الكتب والإشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على إقامة الشهادة وهما إما من أقسط
وأقام فيكون محمولاً على قولهم أفلس من ابن المذلق وإما من قويم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة
النسب وإلا فالقاسط الجائر والصحيح ذلك المعنى ههنا يقال قسط إذا جار وأقسط أي عدل وأدنى ألا ترتابوا
أقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والإشهاد ثلاث فوائد الأولى تعلق بالدين لأنه إذا كان
مكتوباً كان إلى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله والثانية تعلق بالدنيا وهو كونه
أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر والثالثة أنه يدفع الضرر عن نفسه
بأن لا أفضل في أمره ولا تردد وعن غيره بأن لا ينسبه إلى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة
فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في الضبط والترتيب إلا أن تكون تجارة حاضرة قيل هو راجع إلى قوله
إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه فإن البيع بالدين قد يكون إلى أجل قريب وقد يكون إلى أجل بعيد فاستثنى

عن المداينة ما يكون أجله قريباً ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد قال إنه استثناء
منقطع والمقدر لكنه إذا كانت التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فكونه كلاماً مستأنفاً على سبيل الإضراب عن
الأول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة فإن
المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الأبدال ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يداً بيد والمعنى إلا أن تتبايعوا
بيعاً ناجزاً يداً بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب
فالمقدر إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب شعر بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا
أي إذا كان اليوم يوماً واليوم الأشنع هو الذي ارتفع شره وعلا وذو كواكب أي شديد ويقال في التهديد لأرينك
الكواكب ظهراً وقال الزجاج تقديره إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أي يكون ديناً قريب الأجل فليس عليكم جناح ألا
تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الإثم ولا يلزم أن تكون الكتابة المذكورة واجبة وقد ابتنا خلاف
وإنما رخص تعالى في هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة والإشهاد في كل الحظيرة
عليهم مع أن خوف التجاحد في مثله قليل وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع كأنه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة
الحاضرة كرر الأمر بالإشهاد ليعلم أن حكمه باق فيها لأن الإشهاد بلا كتابة تخف مؤونته ويحتمل أن يكون أمراً بالإشهاد
مطلقاً ناجزاً كان التبايع أو كالئاً لأنه أحوط عن الحسن إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة
من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل فيكون أصله لا يضارر بكسر
الراء وبه قرأ عمر وعليه أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب أن يزيد أو ينقص [illegible]
أن يحرف أو يترك الإجابة إلى ما يطلب منهما ولهذا قال وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم فإن التحريف في الكتابة
والشهادة فسق وإثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد أن المقدر لا يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس
والمعنى نهي للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل
أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وإن تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار أو كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية أو ترك طاعة
ليكون عاماً فإنه فإن الضرار أو ارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن أمر الله وطاعته ومعنى بكم أي ملتصق
بكم واتقوا الله في أوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم
أنه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلاثة أقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالأمانة
ولما بين القسم الأول شرع في الثاني وقال وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة واتفق
الفقهاء على أن الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الآية على الغالب فإن الغالب أن لا يوجد الكاتب أو لا يوجد أدوات
الكتابة ولهذا قال ابن عباس أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتاباً
ونظيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد

والضحاك مذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشئ اذا دام وثبت ونعمة راهنة اى دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء ولجمعان رُهُن بضمتين كسُقُف في سَقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان احدهما جمع للآخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة او الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله بينه وبين المرتهن او وكيله وتمكينه منه بتسليم المفتاح بما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدارا فلا بد من التقدير ايضا بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد الذي اؤتمن امانته فليكن المديون عند ظن الدائن به وسمي الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجوب الاداء اللغوية اطلق احدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور في خلده جحود واختيان وفي الآية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال ليس في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطاء وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من يشهد قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والاثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره

مقدم ما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصص بجملة آثم قلبه وحده هو ان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف فاسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا اصلحت صلح بها سائر الجسد واذا افسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف والمامور والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير للكاتم وتهديد له عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة

التأويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا على العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به واشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما امركم ان لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا امر الملائكة ان يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند الخروج من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال قوى الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صحائفه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما يملي يخاطب وبالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق بعلمه فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق للحق فان كان الذي عليه الحق سفيها جاهلا بالحق للحق لاشتغاله بالباطل او ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه او لا يستطيع ان يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في انهاء ما لا يجزيه ويسوءه فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الاشجان الى القصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين واستصحبوا من ارباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فان لم يكونا رجلين من ارباب القلوب فرجل منهم وامرأتان اى رجلان من اهل الصلاح لكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضل احدهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من شياطين الهوى فتذكر احدهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فكونه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما السائر فلا تقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح

وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجله جلجلة الشريعة فالاشارة في قوله ولن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لي صاحب اليمين وقال لي املي علي شيئا من معاملات قلبك لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن لم يود حق صاحب الحق او يكون هاربا منه فاما الذي آناء الليل واطراف النهار يغدو ويروح في طلب غريمه وما يبرح في جريه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الهارب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائرين رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب ليس فيها غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد شعر مستهام ضاق مذهبه في هوى من عز مطلبه كل امرئ في الهوى عجب وخلاصي منه اعجبه وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والآخرة امين يوتمن لتحمل اعباء امانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش نار الشمعه عشقها وطار فيها واتى يحملها فلما حملها واستحسن منه ما تفرد به من اصحابه جاءت له من الحضرة الالقاب في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا امر عجيب ونقش غريب من لم يطع في حمل الامانة واتى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل الامانة واتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر لصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه لكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة يدلك على حقيقة هذا السر خطاب اسجدوا لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليود الذي اوتمن امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها اليّ ملفوفة بلفافة التقوى فالايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك حق غير شواهد ربك وهذا من نتائج خيانة قلبك في امانة ربك بربك فلا يشاهد قلبك الا شواهد ربك ولا يودي سرك حقيقة امانة ربك الا الى ربك بربك لربك

لله

لله ما في السموات وما في الارض ط وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ط
مر خدا راست آنچه در آسمانها است و آنچه در زمین است و اگر پیدا کنید آنرا که در جانهای شماست یا نهان کنید آنرا حساب کند شما را بآن خدا

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ط والله على كل شيء قدير ○ آمن الرسول
پس بیامرزد آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و خدای بر همه چیزی توانا است ایمان آورد پیغامبر

بما انزل اليه من ربه والمومنون ط كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله
بآنچه فرستاده شده بوی از پروردگار او و مومنان امت او هر یک ایمان آورد بخدای و فرشتگان او و کتابهای او و پیغامبران او

لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
می گویند فرق نمی کنیم در میان هیچ یک از پیغامبران او و گفتند شنیدیم و فرمان برداریم بیامرز ما را ای پروردگار

واليك المصير ○ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
و بتست بازگشت تکلیف نکند خدای هیچ تنی را مگر قدر توانائی او مر او راست آنچه اندوخته و بر وی است آنچه

ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ج ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
ای پروردگار ما مگیر ما را اگر فراموش کنیم یا خطا کنیم ای پروردگار ما و منه بر ما تکالیف گران را چنانچه نهادی آن را

على الذين من قبلنا ج ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ج واعف عنا
بر آنانکه پیش از ما بودند ای پروردگار ما و منه بر ما آنچه هیچ توانائی نیست ما را بدان و در گذار از ما

واغفر لنا وارحمنا انت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين ○
و بیامرز ما را و ببخشای بر ما تو متولی امور مائی پس یاری ده ما را بر گروه کافران

القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجلة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب قراءة حمزة غير ابي عمر والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو عون وابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم يعذب من يشاء كل القرآن وكتابه حمزة وعلي وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارءتم الوقوف وما في الارض ط به الله ط لمن قرا فيغفر بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء قدير ○ والمومنون ط لمن لم يقف على من ربه ط المصير ○ وسعها ط ما اكتسبت ط او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السوال على السوال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك للتفصيل بين انواع المقاصد والاعتراف بان اطماعنا غير واحد الكافرين ○ التفسير انه تعالى لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة

والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع
والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض
وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن ابي مسلم انه لما
قال والله بما تعملون عليم ذكر عقيبه دليلا عقليا فان من كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم
المتكاثرة والمنافع الفاخرة لابد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة
والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة
ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس
وابي هريرة واللفظ له لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق من الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت اليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقرأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه
من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما
حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر
بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ان ينتهي النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق
واما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما
يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله
عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الآخرة لم يسأل عنه ولم يعاقب وروت انها سالت
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في
العمل فانه في محل العفو لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ

وكذا لو قيل ان معنى كونه حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر ويغفر لمن يشاء ولمن كان من اصحاب الكبائر
لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن يستوجب المغفرة بالتوبة وهو تخصيص من غير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء
قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا
لاوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فمن في
آخرها ان الذين مدحهم في اول السورة هم امة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال
هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون
ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هناك اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
او نقول انه سبحانه لما ذكر في هذه السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول اعترف المعجزة دلت على صدق
الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي اخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس شيطانا
مضلا ثم ذكر عقيبها ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى استدلت
الامة بها على انه صادق في دعواه وهذه المرتبة المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان
القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين
قالوا انه معجز بحسب اسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل
عائدا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل
هذا الضمير يجوز ان يوحد يراد معنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن ويحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذكر انه عرف بما
ظهر من المعجزات على يد جبرئيل عليه السلام ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من
القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله
من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال اشعار بان الذي حدث هو الايمان
بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق
كامل العقل حتى قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذكر ان الذي انزل
اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مختصا بالايمان به ولا يمكن الغير من الايمان به واعلم ان الآية دلت على ان معرفة هذه المراتب الاربع من

ضروريات الايمان المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملئكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملئكة بالروح على من يشاء
من عباده علمه شديد القوى والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي فمثال الملك
في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ
الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب ما يقتضيه حكم عالم
التكليف والوسائط والا فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم
وهذا سر تطلع منه على اسرار اخر لمن كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله
وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها فعلى هذا القدر
فاليهم لكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذلك الله تعالى واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم
في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات
اما ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى به وما لا يصح وكذا في تفسير آية الكرسي
واما الايمان بافعاله فان تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات
وذلك ان مشية الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة
في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد
وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم
ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر
لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه فهي
الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى
معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملئكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة او جسمانية
محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذاك من مقام
العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والرهانية ويدخل في الايمان بالملئكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله
وحبورهم بمعرفته وطاعته وانهم وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم
وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان بالكتب فان يعلم ان كلها وحي من عند الله وليس لاحد من
المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من ضلالتهم لا سيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه من
فعل عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان يعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي
امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال كما مر في قصة آدم وان يعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية

وان بعض

وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما فضلهم على الملئكة فقد قال
بعضهم ان الانبياء افضل من الملئكة وقال كثير من العلماء ان الملئكة السماوية افضل منهم وانهم افضل من الملئكة
الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان يعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة
وانهم الآن انبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملئكته وكتبه
ورسله واما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل
واما ان يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث فهذا الاحلال شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع اولى لتشاكل ما قبله وما بعده
وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب
ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل لكل فلا حاجة الى الاضمار
ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم
ولذلك صحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم والغرض منه
تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يفرقون نبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي مسلم
لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله من رسله
اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال
القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة او نقول ان للانسان اياما ثلثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدأ
واليوم والبحث عنه مسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله
اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله
في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست
الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر كله فيه كمال القدرة
واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته
قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فهو
وما ربك بغافل عما تعملون اي ليوم غد سيصل اليك فيه نتائج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد
لقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بجذبة من ضيق علم الآثار الى فسحة
عالم الانوار او نقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة
الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى هنا اولى

كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة احتجوا به والجواب ان دلائل
وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء
الاول ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو
سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار
من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ
ربه بالعفو والكرم اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة من العبد والرب والمراد
بالنسيان اما الترك ويكون ان يترك الفعل لتأويل فاسد كما ان الخطاء هو ان يفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم اي تركوا العمل لله فترك ان يثيبهم واما ضد الذكر واورد عليه ان النسيان والخطاء متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه
ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن رأى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عُدّ مقصرا اذ
كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على
القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا اراد ان يذكر حاجة شد خيطا في اصبعه
فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر واذا كان كذلك
صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل ان ذكر النسيان والخطاء المراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط
والاغفال والثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان يصدر
عنهم ما لا ينبغي الا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون
به فكأنه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور
لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته
واما لاعتداد تلك النعمة او لغير ذلك كقوله رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الملئكة فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية
والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق
فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب
ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطاء لا بد ان يفسرا
بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح
من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة
على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع
الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم

سمي

يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره
يقال ما تأصرني على فلان آصرة اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما
شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم
في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم
كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم رفع عن امتي المسخ
والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة
وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا او ميثاقا شبيه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول
قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في التكاليف الشديدة
الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم فكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود
لم خصت بغلظ الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس الينا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله
لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك
به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة بان معنى
قوله لا طاقة لنا اي ما يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في
المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة
يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله سلمنا
انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله
رب احكم بالحق لا يدل على جواز ان يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون
لا يدل على ان خزي الانبياء جائز قيل لم خص الشاق بالحمل والتكليف الذي لا قدرة عليه بالتحميل واجيب
بان الحاصل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل فسأل ان لا يكلفه بالفعل كان من لوازمه ان لا يكلف بالايقاع
وكان المناسب طرح هذا الدعاء لا اقل من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا
عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفهم من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على
تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو
التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من
قبلهم ام لا وقيل الاول طلب ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة
وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وطاعته وشكر نعمه اي لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا
يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغ الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع

لنفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله بقوله بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر وقال غفرانك اللهم اي اغفر لك من قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تفقدوا جزاءه وفي الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسالك غفرانك فيكون مفعولا به والا شهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال والاستغناء عنه بفعله نحو سقيا ورعيا وههنا سوال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما ياتون ويذرون او لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات في جنب واجب حقوق الالهية جنايا وتقصير وقصور ولهذا حكى عن اهل الجنة دعويهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد لله ولن كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه اطلب المغفرة منك وانت الكامل في هذه الصفة والمطبوع من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وما ذاك الا بان تغفر جميع الذنوب وتبدلها حسنات او يكون الاضافة لاشارة الى ما ورد في الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا ليوم القيمة او لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت اثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتاليف الانيق لما ظهرت اثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك ورافتك فانا اطلب الغفران الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اذ اوجدتني مع انك لو لم تربني في ذلك الوقت لم تتضرر به لاني كنت ابقى في العدم والان لو لم تربني اتضرر به فاسالك ان لا تهملني او ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك او ربيتني في الماضي فاجعل تربيتك لي في الماضي شفيعا اليك فلن تربيني في المستقبل او ربيتني فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى فكانهم قالوا ان جاء منهم لما قالوا سمعنا واطعنا

ثم طلبوا

ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الاية لينتنبطوا منها اصلين الاول ان العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كانت بتخليق الله تعالى لم تكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق اما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجة قوية عنده خصص الاية بانها انما وردت في التكاليف المحكمة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال انه حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يواخذ من السيئات الا بما عقد العزيمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليها البتة ولا تنفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طرو احدهما زوال الاخر وقال الجبائي تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب اباءهم والفقهاء تمسكوا بها في اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق منه

هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب

القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولا بفتح الميم التوراة ممالة حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاري عن ورش والخزاعي عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن ذكوان مجاهد كداب حيث كان بغير همزة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم ج كوفي مختلف فان عن الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ج ه والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام ه في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط لاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو تصلح للاستيناف والحال والبيق الا الله م عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلمه الله ومن لم يحترز من هذا وجعل

المتشابه

المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول النصوص المجمع عليها فعطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله امنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان بعده مقولهم الالباب رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل او فاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه فيه ط الميعاد ه شيئا ط النار ه لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه التفسير اما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدا بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هي المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رايهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة تقول عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون بقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وفعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقال رسول الله دعوهم فصلوا الى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون

من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد
فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب والزلفى من الله والفرق بين
العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب
التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب
الجسماني والثاني العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسماني وهو نعيم
الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله انت مولانا ففيه
الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا يتم مصلحته
الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا يستطيع تحمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من
عرف نفسه اي بالامكان والنقصان عرف ربه اي بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو
قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك
عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله انزل آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد
العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فسله
وارغب اليه فعلمه جبرئيل عليه السلام كيف فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا
تؤاخذنا فقال الله لا اواخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم
ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي
بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون آمين

التاويل

الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك
ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح
وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار
الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بانوار ظلمات الاوصاف
النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول
انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فتنور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار
الحق ويعذب من يشاء فتعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور فرقة العلي الكبير والله على كل شيء قدير

من اظهار

من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى سدرة المنتهى
وبلغ المقصد الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول بما انزل اليه
من ربه فقال من كمال رافته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون مني في
جزاء السمع والطاعة فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا ان تسترهم بسربال
فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك فقال الله جوابه لا يكلف الله نفسا
الا وسعها انك في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال لك جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت
ولان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حبستهم رحمتي كيلا يحرقهم
سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف اكلف امتك المذنبة المرحومة بهذا المصير وانا اعرف حالهم بصير
وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام ان اتخذتك حبيبا قيل لولاك لما خلقت الكائنات
وان امتك اكرم الامم ولهم نصيب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت امتك من انوار متابعتك يستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا
وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك يستاهل المصير الى دركات السعير فتارة لم يكره لذة هذا الخطاب
واخرى انجمته سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تعاقب امتي ان نسيت
عهدك الذي عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك او اخطات طريق طلبك ولكن ما اخطات طريق
عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا
ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجب انانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا
برفع البينونة من بيننا انت مولانا ووليا في دفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين
بجذبات عنايتك واعانتي المصير اليك على قمع كفار الاثنينية التي تمنعنا من وحدتك شعر
بيني وبينك انيي ينازعني فارفع بجودك انيي من البين
وحسبي الله ونعم الوكيل

سورة آل عمران مدنية حروفها ١٤٥٢٦ كلماتها ٣٤٨٥ آياتها مائتان اعشارها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم

نام خدای بخشاینده مهربان [illegible]

نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل

[illegible]

لله ولدا او تعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانزل
الله تعالى في ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى
ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلاه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى
شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك
الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة
ووضعته كما تضع المراة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث
قالوا بلى فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم
انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل في ذلك فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة يجي
في آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق انيق وذلك ان اولئك
النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في شان الالهية او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى
حي قيوم كما مر في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى
زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه فهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة
لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى
وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل كتابان
الهيان لانه قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم
في كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل
كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه في دينه
فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن
بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى
قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم او لما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة
الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنع عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال
الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف
في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا لو وجدوا فيه اختلافا
كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لانه

من هو

من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا يستحيل ان يسلم من التحريف والخبط
وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع
التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى
التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما قبله من الكتب مع انه
ناسخ لاحكام اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على ان احكامها تثبت الى حين
ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في
ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان اعجميان احدهما
بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التورية
معناها الضياء والنور من وري الزند يري اذا قدح وظهرت النار قال واصلها تورية بفتح الياء والراء
قلبت الياء الفا او تورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طيء فانهم يقولون في بادية بادات
وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة قلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل فافعيل
من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي انه قال اظهر الحق
بسببه ابو عمرو الشيباني الناجل النازع سمي بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القرآن
هدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما
لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن
فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون
راجعا الى الكتب الثلثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق بين الحق والباطل
وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر كما قال شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقيل اي الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ
ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي التزام الاحكام المعلومة فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له
ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلثة بين انه انزل
معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى
بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عن دلائل الله فان
خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد
والله عزيز لا يغالب اذ لا احد لقدرته ذو انتقام له انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم
وانتقمت اذا كافاته عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة
الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر

انه حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات
حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما
بجميع المعلومات اشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء والثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات
فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى والطريق الى اثبات
كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق
الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصور في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب
من اعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها اوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم
انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن
لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها
ذيل المزاج ولنشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو
الذي انزل عليك الكتاب ويحتمل ان تنزل هذه الايات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الالهية لعيسى
وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه الصلوة والسلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى
شبهة غير هاتين فازال الشبهة الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فان المعلوم بالضرورة من احوال عيسى عليه السلام
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيدل دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض
المغيبات لا يدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال الشبهة الثانية بقوله هو الذي يصوركم
وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف
الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لما مات اولما كان
اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص او احياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة
على يده والعجز عن اماتة البعض او احيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل
على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدة الى مقدمات الزامية وقالوا انكم ايها المسلمون توافقوننا
على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان
منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قالوا للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم
الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ
محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل
او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة الا وقد
اشتملت هذه الايات على دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ

ققا

ملنا الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما في الحس والحس متى اعان
العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل وههنا فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير
جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التاليف بين اجزائه واصله من صاره اذا اماله
وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي
لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده وكيف في موضع الحال اي على
اي حال اراد طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما
اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم
فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء
بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله
الر كتاب احكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث
لا يمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد
انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة عن التناقض والتناقص ثم ان هذه الآية هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعني ههنا بالمحكم
ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والماؤل كما تقرر في المقدمة الثانية
من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام
تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي حكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وسميت الحكمة
حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما المتشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا
يهتدي الانسان اليه متشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل
غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي
يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر في ذلك
وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد
من قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او
عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك
وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون
اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى
معناه المرجوح الا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه
ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد

ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يكن الا
بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في
تعيين التاويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس
ان المحكمات هي الآيات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع
لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي تشابهت على اليهود كاوائل السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا
بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو
الذي يكون دلائله واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته
الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عني الاصم
بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه
المجمل والمأول وان عني بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن
متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب ولعل
الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن
تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة
ومقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذاك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما
وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم
القيامة بحيث يتمسك كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ونافيها يتشبث بلا تدركه الابصار ومثبت الجهة بيخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي بليس كمثله
شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على
البعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه
نقيا كان اقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق
اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط
فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع
صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته ويجتهد في فهم معانيه وبعد التفحص والاستكشاف صارت المحكمات
مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر
فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر ايضا
الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابه
من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب اقوى وهو ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة

الخواص

الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود
ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة
على بعض ما توهموه ويتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في اول الامر من باب
المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب الام في اللغة
الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات
فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم تقل امهات الكتاب لمطابقة المبتدا لان مجموع المحكمات في تقدير
شيء واحد هو اصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة
واخر اي ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون
الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح
قال بلى فقالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور
وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال في آخره وما يعلم تاويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى
اخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء عليهم السلام والمحقق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان
اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول
من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر
على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت
العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا
بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما
ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل
مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فبطل التفويض وثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت
الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين
الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفها فهي المتشابهة والانصاف ان الآيات على اقسام
احدها ما تأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة على امتناع
ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته
وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل
العقلي مختلف فيه ايضا بحسب مراتب كل فريق وتخيله صادقا في ظنه مادة وصورة فكل فرقة يدعي مقتضى فكره
ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه ويتاكد به الظاهر الذي يتعلق به فلا خلاص من البين الا بتاييد سماوي
ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة

وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره وكان المتمسك
بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عن تخيله البتة وقيل الفتنة
في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات
في الدين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني
ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد وجدوا له في كتاب الله
بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد
من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم قال عز من قائل
وما يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف هاهنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو
قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم
يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين ثم وصفهم
بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان الآية فيه
معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى
راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة
وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال في المسائل القطعية
مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله ممتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه
الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة ولا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن
في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به
واجب والسؤال عنه بدعة ومنها انما قبل هذه الآية ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال واما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم
متوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في اول البقرة
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل
لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان من عرف شيئا على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به
انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى
وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى
عرفوا ان مراد الله تعالى منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو
الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد

عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم
ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم
يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد
وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله
الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي
تقدم ذكره وهاهنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا
اولوا الالباب ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي
ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه
التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح
بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول
قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سالوا
ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم
واعضاءهم بزينة الطاعة ونكر رحمة ليشمل جميع انواعها فاولها ان يحصل في القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة
وثانيها ان يحصل في الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة
المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة
الظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العتاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات
وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستتار ورؤية الملك الجبار وفي
من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت
عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول
قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها
الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة
والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية
والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني
الداعيتين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها
على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الآية من
اقوى المحكمات وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل
على ان الازاغة لا يجوز ان تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التأويل فقال الجبائي

ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم امران احدهما
المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون
والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد **التأويل** الم الالف
اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومتفرد بالاولية والانقطاع
عن غيره في وضع الحروف ويشير باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني
ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف
منهما بالآخر اثبات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان
فكان ولا يزول وهذان القسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي ما زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف
واما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه في
المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله
والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان الميم اول حرف
من اسمه المبدي وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى انه كما ابداه المبدي حين لم يكن يبقيه القيوم حين كان لا يزال
وبوجه آخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك
له ما في السموات والارض والنفي في لا النافية اي لا وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفي فالاثبات
ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل التوحيد في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله
اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات الكمال
ونفي جميع سمات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اوسط حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في آخر حرف
من حروفه وهو الميم وانما اودع في آخر حرفه هاهنا ليكون السر مودعا في الآية من اول حرفها الى آخر حرفها مكتوما
فيما بينهما والحروف الملفقة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من
اوسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى الذي اودع في الثالثة وهو الحي
القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن وصفوته كما روي عن ابي بكر الصديق
وعلي رضي الله عنهما ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر
الطاف ربوبيته المكنونة في استار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال نزل عليك الكتاب بالحق اي نزل
حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن بدنك فصرت مشاهدا لسر الله المودع في
الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذ لم تعلم
ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة لا من الطائرين ولا من السائرين وانزل التوراة والانجيل

من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى
صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسراره وحقائق معانيه وحتى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب
على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف والواح يقرأها كل قارئ ويستوي في هداها الانبياء والامم قاطبة
هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا وانزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعلمك القرآن
وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا يتدارسون الكتب فانت تتخلق بالقرآن فشتان من نبي يجيء وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء ومعه نور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان
من نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرفت امته بكتابة الايمان
في قلوبهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى
مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله
عزيز ذو انتقام يعز اهل الغرام بنيل المرام وينتقم من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقض الاحكام الحكيم فيما جرى
من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى انه اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة
في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة
والباطنة على وفق اوامر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة او يجد رائحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة
وفسادها ويتقيد باوامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيدة بتأييد الحق يصوره كل اربعين علما من الذكر
يحوله من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس
فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه مستحق الآن لان ينفخ فيه الروح المخصوص بالانبياء والاولياء
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح تكون آدم وقته
فسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الآيات المحكمات تنزيلها بشرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات
تأويلها بشرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ البست قلوبهم غطاء
الريب وحرموا انوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تأويله
ليضلوا الناس بآرائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق التأويل كل من عند ربنا
بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ظلمات قشور وجودهم
النفساني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق الباب العلوم اللدنية
من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية
للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركز في جبلة الذرات

واختاره القاضي المراد لا تمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيّف بان اللطف اذا صح
في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الحكمة ولصار محتاجا جائرا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى
نزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على اذاك اي لا
تفعل ما اصير عنده مؤذيا لك وزيّف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف
على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر
فلانا اي يقول انه كافر وزيّف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه
وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على آخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في
الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية يوجب
عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره يوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ
قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى ضعفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في
قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ
وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن
الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع
الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه تصديقهم فيما قالوه ولو كان من
تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد
لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع
قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد
في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل
قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب
قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد
فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده
فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد
كرما وانشد شعر واني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد
حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين
الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه
دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين
وشدة عقابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذكرنا انا

روينا

روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكنني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني
ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا
يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة اما الاول
فاليه الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب
الطرق الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير اما الثاني فاشار اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه
لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في من الله للبدل مثلها في قوله ان الظن لا يغني
من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي فليت لنا من ماء زمزم شربة
مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يحتمل ان تكون من للابتداء تقديره من عذاب الله
والجار والمجرور مقدم حال من شيئا او من زائدة لتاكيد النفي المقدر لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغنى
اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال
داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودؤوبا فهو دئب واداته انا والدائبان الليل والنهار والداب
العادة والشان وكل ما عمله الانسان من صنع وحالة وقد يحرك واصله من دابت اطلاقا لاسم الخاص على العام
اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم او شانهم او صنيعهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكفرهم بدينه كداب آل فرعون
مع موسى عليه الصلوة والسلام ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب
سوال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم
اي صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ الماسور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كداب الله في آل فرعون
اي يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال
القفال يحتمل ان تكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء
الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء
كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤوب والداب اللبث والدوام والتقدير دؤوبهم في النار كدؤوب
آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم في ازالة
العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم
مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم

علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى
الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتقلبت بتقدم الاربعينات من حال الى حال
ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل ردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به
الى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والنطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم
بالرموز والقرائن حتى تذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار ونطق بلسان الابوين لا
بلسانه الذي اجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود
ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع
خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه
قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه لا
يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب
انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبائعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا
الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا
بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغيبنا عنا بك انك انت الوهاب
وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طلابا كما كان الله
من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه ولن تعد هذه الدار دار التي هي دار القرار
توفي فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب في الطلب ومقاساة التعب والنصب وان العود
جزاء للعواد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغني
عنهم طاغوت اموالهم واولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا تخلص الى القلوب وان عذاب
حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب في حرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات شعر
ففي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك داب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات
صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة
قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشواقه شعر بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من في قلبه ناره

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة

يرونهم

يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة
لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة
ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين
اوتوا الكتب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل
للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما
عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون

النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ○
[illegible]
أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ○ ألم تر إلى الذين
ایشان آنانند که باطل است کارهای ایشان در جهان و آن جهان و نیست ایشان را هیچ یاری ای نمی نگری بانانکه
أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم
داده اند ایشان را بهره از توریت می خوانند ایشان را بسوی نامه خدای یعنی توریت تا حکم کند میان ایشان پس اعراض میکند گروهی از ایشان
وهم معرضون ○ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم
[illegible]
في دينهم ما كانوا يفترون ○ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ○
[illegible]

القراءة ستغلبون وتحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بتاء
الخطاب ترونهم بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب
وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل بحشيتهم رأي العين بغير همز أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأعشى والأصفهاني عن ورش
وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة أؤنبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وأبو عمرو وسهل
ويعقوب غير عباس وأوقية وابن شعيب ونافع غير قالون آؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس
وأوقية وابن شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الأعشى
والبرجمي وأبو يحيى وحماد إلا في من اتبع رضوانه في المائدة أن الدين بفتح أن علي الباقون بالكسر وجهي
بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر غير البخاري عن هشام وحفص والمفضل والأعشى والبرجمي ومن اتبعني بإثبات
الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو وأبو جعفر ونافع غير قالون في الوصل
ويقاتلون الذين حمزة ونصير في رواية علي بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف أبو جعفر
الباقون بالعكس **الوقوف** جهنم ط المهاد ○ التقتا ط لأن التقدير منهما فئة أو أحدهما العين
من يشاء ط الأبصار ○ والحرث ط الدنيا ج للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب ○ من ذلكم
لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج ○ للآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مدحا
على أعني الذين ويجوز أنه نعت للعباد أو للمتقين النار ج ○ لأن الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف أجوز
نصبا على المدح بالأسحار ○ ط إلا هو لا للعطف ولو وقف جاز لأن عن ثم دخول الملائكة وأولي العلم في الاستثناء
والمشاركة في الألوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط لأن من قرأ أن بالفتح على البدل من أنه الإسلام ○

نصف الحزب

ثم

بينهم ط لأن إطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ○ ومن اتبعن ط لابتداء أمر يشمل أهل الكتاب والعرب والأول
مختص بأهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط أأسلمتم ط لتناهي الاستفهام إلى الشرط اهتدوا ج لابتداء
شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ○ بغير حق لا لمن قرأ ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون أليم ○
والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ○ معرضون ○ معدودات ص لأن الواو للعطف
أو الحال يفترون ○ لا يظلمون ○ **التفسير** عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين
يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه
لا ترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد
ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا
إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة
فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن إسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما أصاب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله
مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم
وعهد الله إليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة
أما والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون
إلى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون
يعني يوم بدر من قرأ بتاء الخطاب فمعناه الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بأي لفظ أراد
ومن قرأ بالياء فالأمر متوجه إلى حكاية هذا اللفظ أي قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية حجاج للقائل بتكليف
ما لا يطاق فإنه تعالى أخبر عنهم أنهم يحشرون إلى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث
والحشر بإخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر إخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ونظيره في حق عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم إنه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة
ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين التقتا يوم بدر فئة أي إحداهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون
لأنهم قاتلوا لنصرة دين الله وإعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه
أحدها أن المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد والعدد كانوا ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا من كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها أنهم خرجوا غير قاصدين
للحرب فلم يتأهبوا ومنها أن ذلك ابتداء غازية في الحرب لأنها أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان
قد حصل في المشركين أضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا فيهم أبو سفيان وأبو جهل ومعهم مائة فرس

وسبعمائة بعير وأهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد تمرنوا على الحروب والغارات
وإذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر عن ذلك
بإخبار الله تعالى في قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين يعني جمع قريش أو عير أبي سفيان وكان أخبر قبل الحرب بأن
هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والإخبار عن الغيب معجز وثالثها إمداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة ورابعها
قوله يرونهم مثليهم وفيه أربع احتمالات لأن الضمير في يرون إما أن يعود إلى الفئة الكافرة أو إلى الفئة المسلمة وعلى كلا
التقديرين يجوز عود الضمير في مثليهم إلى كل منهما فهذه أربعة الأول أن الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين
قريبا من ألفين الثاني أنها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ
ترونهم بتاء الخطاب أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي أنفسهم ودليل الاحتمالين جميعا أن عود الضمير في يرون إلى
الأقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولأنه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار وحث خاطبهم بقوله قد كان لكم
آية فوجب أن يكون الراؤون هم الكفار حتى يكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة
على الكفرة والحكمة في ذلك أن يهابهم المشركون ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الأنفال ويقللكم في
أعينهم لاختلاف الوقتين وكأنهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا
على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة وإظهار الآية الاحتمال الثالث أن الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليهم أمرهم من مقاومة
الواحد الاثنين في قوله تعالى إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة أمثالهم
فلو رأوهم كأنهم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع أن يكون الراؤون هم المسلمين ثم إنهم رأوا المشركين على
الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن أن يقول به أحد لأن هذا يوجب تجسير الكفار وإيقاع الخوف في قلوب
المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو أن أول الآية قد بينا أنه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون
أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو أن الاحتمالين الأول والثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئيا
والاحتمال الثالث يوجب أن يكون الموجود والحاضر غير مرئي أما الأول فهو محال وإلا القول بالسفسطة فلهذا
قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا
على الحال أو يحمل الرؤية على الظن والحسبان فإن من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل أنه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك إذ معناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات
وأما الثاني فهو جائز عند الأشاعرة إذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة يكون الإدراك عندهم جائزا
لا واجبا والزمان كان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة فعندهم الإدراك واجب الحصول عند اجتماع
الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بأن الإنسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ فقد يرى البعض
دون البعض أو لعل الغبار صار مانعا عن إدراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية

ثلث

ثلث العسكر أو يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون له الواحد اثنين
وكل ذلك محال محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء إما بالغلبة كيوم بدر وإما بالحجة والعاقبة كيوم أحد
إن في ذلك الذي ذكر من الآية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل إلى مقام العلم لأولي الأبصار ذوي
العقول التي تبصر القضايا بأمورها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لما يغتر الإنسان وهو أنه
زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وأبقى وإنما مقدمة لمن واظب على العبودية واتصف
بالخصال الحميدة وأما ما تعلق بالقصة فإنا روينا أن أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لأخيه بأنه يعرف صدق
محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا أنه يمنع من اتباعه حب المال والجاه وروينا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود إلى
الإسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه
الآية أن تلك الأشياء متاع الدنيا وزخرفها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى أما عند الأشاعرة فلأنه خالق أفعال
العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور المعتزلة
فللحكمة والابتلاء إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ولأنها وسائل إلى منافع الآخرة
ويمكن أن يتصدق بها أو يتقوى بها على طاعة الله أو يشتغل بشكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء
البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولأن القادر على وجوه اللذات إذا تركها وأقبل
على أداء وظائف الخدمة كان أشق له وأكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي أن كل ما كان واجبا
أو مندوبا أو مباحا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن أنه قال
الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الآية بأنه أطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات
وأن تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير إلى هذه الغاية لا يليق إلا بمن جعل الدنيا
قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحياة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم إنه تعالى جعل الأعيان المشتهاة شهوات
مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللمرجو
رجاء وفيه فائدة أخرى هي أن الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية
فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على أن الحب
غير الشهوة لأن المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف إليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد
وهي أن يجعل الإنسان كل همته مصروفة إلى اللذات والطيبات واعلم أن الإنسان قد يحب شيئا ولكن يحب أن لا
يحبه وقد يحبه ويحب أن يحبه وقد يعتقد مع ذلك أن تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام إني أحببت حب الخير ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محبا للخير
فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لأن الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي أن هذا المعنى

مقصورة

عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب وفي اكثر الاوقات فلا يبعد التعميم وطالما اعطى الاغلب حكم الكل على ان من همته بجوامعها معقودة على طلب اللذات الا الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع الاحيان على تلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي الامهات وهي في سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيد انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم القنطار اثنا عشر الف اوقية انس عنه هو الف دينار ابي بن كعب عنه هو الف ومائتا اوقية ابن عباس الف دينار واثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة فكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فالكهما كالمالك لجميع الاشياء فكان الصيد يوجد في البر لولا التقى لعلت جلت قدرته وصفة المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيتها وسمي الخيال خيالا لجولان هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مروجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم وفرس مطهم اي تام كل شيء على حدته فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها غلب عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه او من غيرهم والاول اصل وهو المرأة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لانهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل او للحمل والحم وهو الانعام واما ان يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب اولا بهم والله عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك

الرجع

المرجع كانه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العباد ان الدنيا اطيب وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة افسح واوسع من الدنيا او انه لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير اؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددناه ثم استانف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل ادلكم على خير خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصفت الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله وتندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه واعلى وكان المولى وما يملكه للعبد كما ان العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون بالذكر لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات ويعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة تعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا من كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم في معرض المدح والثناء عليهم فقبل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله في النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب ومنع عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل له اظهارا لذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا تفيد ما لم تقع في حيز القبول فعلى المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله في مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف عباده جملة دون شرط العاطف بينها دلالة على كمالهم في كل واحد منها اولى اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اي في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه والصادقين اي في الاقوال وفي الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفي النيات بان يمضي العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على من تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبيل

فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله تعالى ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ للامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكنه هو المسك ما كررته يتضوع ثم اكد كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سمي دينا لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو المراد هاهنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا لامره فانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فعند بعض البصريين ان ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله لانه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم وقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التورية الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا اوحينا على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قال في التفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يضعف عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة او المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه اي يجازيه على كفره ثم بين ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه في معنى العمل وقيل اي اسلمت وجه عملي لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس

كأنه

كانه موقوف على عبادة معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام وجهان طريقان احدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد اظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد مر في هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم بين نفي الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في آخر كلامه وثانيهما ان قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القدر متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الآية في هذا الموضع كقول ابرهيم صلوات الرحمن عليه اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فتكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم أأسلمتم ومعناه الامر وفائدة التعبير بالعبارة وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تأل جهدا في سلوك طريق الكشف والبيان هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في آية تحريم الخمر فهل انتم منتهون لشارة القاعد عن الانتهاء فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه او الى الفوز والنجاة في الآخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام لي والاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلال من اراد ثم وصف المتولين بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بآيات الله اي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الآيات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه ونفي من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف ووجهه ان المكذب ببعض آيات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الآية دلالة على ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال اي الجهاد افضل فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتلين عليهم

طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار
فهذا ليلهم وذاك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد آثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض
العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لم يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة ولن يطلع صبح العالم الصغير
عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المومن بانوار المعارف وآثار اللطائف اشار بيان ترتب الاوصاف
فالصبر يشمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة
ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشار الى ذلك بقوله
والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال
وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين جناح الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف حاصله
التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام
فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما
دخلا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا
انا نسألك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلاني
قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا
رسول الله ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا آمنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة
جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون
كذلك اما الاول فيقرر من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد
وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق اولي العلم اما من الله فذلك انه اخبر في القرآن انه اله واحد لا اله الا هو
وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية في هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولي العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل
القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثاني الوجهين ان يجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان
فالله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولوا العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل
والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشيء الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم
الاظهار والبيان فشيء واحد في حق الكل وكانه قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان وحدانية الله تعالى امر قد ثبت [بشهادة] الله
وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى
وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام واما الثاني
فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة من انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة
واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة

فان قيل

فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه
خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية
ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط
وجوه الاول انه حال موكدة والعقد وشهد الله قائما بالقسط او لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا اوجه ليكون
الالهية والمتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا او لا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولي
العلم اي حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما
بالقسط الا هو وقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان
نكرة كقوله شعر ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي ومعنى كونه قائما بالقسط قائما
كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال
ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب
يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانتفاع بجهة من الجهات وعدم
الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص والنقض في شيء من الافعال والاحكام الى ذلك من الاسماء
الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية
السوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يتخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او شبيه بالجور الى غير
وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي
والغايات فانظر في كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال
الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل
وصواب ثم انظر في كيفية خلق العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكل
حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل
ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعدا لادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في
ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد
ولا مانع لقضائه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم ومصالح احاط
بذلك علمه الموجد وخالق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه
والجدال فيه هواء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعرف بجهله
وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من ازل الآزال الى ابد الآباد
ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا اي اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته
وارادته فقد كذب ابن اخت خالته لانه يدعي التوحيد ثم اثبت قادرا آخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو

كما قال السميع قائل اى ذلك من شانه ان وجد القابل او نقول وصفوا بسيرة اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الآية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا تغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى شم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الآلام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم ولاستعارة البشارة هنا للتهكم الثانى زوال الاسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن ولاسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبى والقتل والجزية واما فى الآخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك فى حقهم وهو قوله وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهلموا الى التورية فهى بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبى نزلت فى الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف يجئ القصة فى سورة المائدة مفصلا وقيل دعاهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واياهم والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التورية او منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا نصيبا حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به عن الفرقان من الكتب التى كانوا هو مفترين بحقيتها وقيل اى حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية ومن نصب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التورية كما مر فى اسباب النزول ولانه تعالى عجب رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذى يعتقدون صحته وعن ابن عباس ان القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اى الكتاب بينهم اى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحذف الثانى للعلم به او يراد الحكم فى الاختلاف الواقع منهم كما فى قصة الزانيين ولهذا رجعوا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء او الاحبار او الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم ومجراهم والضمير فى هم اما ان يرجع الى الفريق اى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماع الحجة فى ذلك المقام بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء او الرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لاجل اعراض علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع

ذلك

الى كل اهل الكتاب اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض او ذلك العقاب او الوعيد بسبب انهم كانوا متساهلين فى امر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه احدها الاستحقار مدة العذاب ومن اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان لسنا الا ايام المعدودات فقط فهو دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه او من قولهم لن تمسنا النار الا اياما او من قولهم نحن اولى بالنبوة او من زعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم وفى هذا الحذف فخامة لا تفى بها العبارة التفرع للاستحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد فى يوم الخميس اما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا من المعلوم ان ذلك الجزاء فلا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب او جزاء وهم لا يظلمون رجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى روى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار

التأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فغلبات النفس والهوى ترده الى اسفل سافلين فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان آية فى فئتين التقتا لان لله تعالى فئتين فى الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين واعوان الفريقين فقال زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم اصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم ارباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم الشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمان للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجرى من تحتها انهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها

فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما التفتوا الى زهرة الدنيا يا دنيا غرى على اوليائى ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه الربى على ذاته الاحدى وكونه الصمدى انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا شاركه فيها احد فكان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدمه على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولو العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان عما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده نبيح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد هو القدم تجرى فى مجارى انهار المحدثات الى الابد من عيون الملئكة واولى العلم ثم الملائكة ولن كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم مشربية والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت به من بينهم وحدى تحقيق معنى الآية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى شهد على شهادته الملائكة واولوا العلم ثم فائدة التكرير بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا اعزته من بين بريته الحكيم الذى اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح ما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف او لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف او لتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة وفيه تنبيه ان الانسان خلق مستعدا لقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال الانسان فى قبول فيض اللطف ان يقتدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية ونقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من احكام الله او الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا متمرضا فى الدعوى وهذه حال اكثر من ادعى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار

بگو اى بار خداى خداوند مطلق پادشاهى مى دهى پادشاهى را بهر كه خواهى

دوم

وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكفرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموت وما فى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكفرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العلمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

القراآت الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد على فيعل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير ابى بكر وحماد والباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب والباقون تقاة بضم التاء وقرا حمزة وعلى وخلف بالامالة الوقوف ممن تشاء ز لتناهى الجملتين المتضادتين بعنى الى جملتين مثلهما وبذل من تشاء ط الخير ط قدير ه فى الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى ز لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط وما فى الارض ط قدير ه محضرا ج والاجزاء ان توقف على سوء لتقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء العقب الكفرين ه العلمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم ج لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اى سمع دعاها وعلم رجاءها حين قالت او اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال النصب باضمار اذكر

التفسير اعلم انه سبحانه لما ذكر من طرائق المعاندين ما ذكر علّم نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم طريقة مباينة لطريقتهم
من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض من يا وانما اخرت
تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع
همزته في يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة
من امّ وزيّف بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان
يتم على اصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب بانه انما لم يتوسط العاطف لئلا يصير السؤال
ان ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون آكد وبان الاصل كثيرا ما
يرفض كما في ما اكرمه فانه لا يقال شيء اكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء
لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو ياهناه ويانومان ويامكلعان وفل واجاز
المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين افتتح مكة
وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع
من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع
لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأنّ مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت
لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه
ان يسأله ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا
الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه
تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه
مالك الملك كافة بين انه الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملّك كل مالك مملوكه فصّل ذلك بقوله تؤتي الملك
من تشاء اي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك
قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق
والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد ومن المتمردين
ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم

فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة
في اسلافنا فنحن احق بها وقد ذكرنا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بكثرة عددهم وعُددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك يؤتي الملك وهو النبوة من يشاء
وينزع الملك النبوة ممن يشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل
كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب او بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود
وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها
غالبا مظفرا مطاعا ومعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال
وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا ان الكل بالله
تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل فقد سد باب اثبات الصانع وان
بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب وفاعل السبب
ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور شعر لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ¤ بنجوم اقطار السماء تعلقي ¤ لكن من رزق الحجى حرم الغنى
ضدان مفترقان اي تفرق ¤ ومن الدليل على القضاء وكونه ¤ بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ¤ وكذا الكلام في نزع الملك
فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى
والحواس وتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم
والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ
عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين او في الدنيا ولا عزة
في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة
من الناطق والصامت وتكثير الحرث والنتاج في الدواب والقاء المهابة في قلوب الخلق وكل ذلك يسير لله تعالى وتقديره
بيدك الخير اي بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع
والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم
اعدائك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا تخلو عن حكمة ومصلحة ولكنا لا نعلم تفصيله فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير
اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذكره صار مذكورا بالضمن في قوله انك على كل
شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار او بالعكس ففي كل منها قوام العالم ونظامه او تأتي بالليل عقيب النهار

فتلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم تأتي بالنهار عقيب الليل فتلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما
عقيب الآخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذاك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت
المؤمن من الكافر ومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث او الحيوان من النطفة والطير من البيضة
وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او تخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس واخراج
النبات من الارض تسمى احياء يحيي الارض بعد موتها وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة واذا كان الله
قادرا على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه
ببيان الشفقة على خلق الله ونقول لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده
وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون بالجزم ولكن كسر الذال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه
[illegible] والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة
الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا
من يهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة
لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس ايضا في رواية
الضحاك عنه نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم
على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم
بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد
ورد ذلك في آيات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها
ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا ايها الذين آمنوا
وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث كالمتوسط من القسمين وهو الركون اليهم
والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره
وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا ان يجر
الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس
من الله اي من ولايته او من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من
دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة
عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي
فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فانه يجتلبهما فان اراد احد ان يعرف الحكم لابد

ان يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقاة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة
ووقاه وقاء وكثرات فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة
فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة
او التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع
من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك من الناس وقلبك معي
وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة
ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرّض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تأثيرها في الظاهر لا في احوال القلب ومنها
انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول
ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال اتشهد ان محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال
[illegible] ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما
الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظيره هذه الآية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق
باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب
الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان
جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها
لصون النفس لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى
ولهذا اسقط فرض الوضوء وجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط
وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا ارجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقابه
وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدر المعاقب وفائدة ذكر النفس
تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي يحذركم الله عن
نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم
لان القلب في الصدر فجاز اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله تعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا انه
تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعد بالوعيد والترغيب بالترهيب
فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص
ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انه منصوب بمضمر اي اذكر
والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في منه لليوم اي تود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا

لولان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت او زمانا والمقصود تمني فقده
كقوله ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف حاضرا او يكون جزاؤه
حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل ان
يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الموصول الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود
جزاؤه وهو قليل كقوله شعر ولا اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقرأة عبد الله ودت يحتملها على الشرط
الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تأكيد للوعيد والله رؤف بالعباد
قال الحسن ومن رأفته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته
وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي او هو وعد كما ان التحذير وعيد
المراد بالعباد عباده المخلصين كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي كما هو منتقم من الفساق ومحذرهم نفسه فهو رؤف بالمطيعين
المحسنين ثم انه دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال ان كنتم تحبون
الله قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا
فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد
نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة
ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل
الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا
اولى بالتعظيم من اصنامكم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما والحاصل ان كل من يدعي
محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الجلية
على نبوة محمد وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره فمن احب الله
كان لا غاية لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد بين في تفسير قوله والذين آمنوا
اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء
الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي رحيم
في الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله
بن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك
ان الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق القى شبهة في البين امره الله تعالى ان يقول انما اوجب الله تعالى
عليكم متابعتي لا لما تقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا
على ان يكون الماضي الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما تقول الرسول لهم فان الله لا يحب الكافرين محبة الله لهم عبارة عن الثناء عليهم

وايصال

وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل
بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية اي جعلهم صفوة خلقه والمختار من
منهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم
بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار
وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عليهم السلام مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية
فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة
ونظيرها ما حصل لابرهيم صلوات الرحمن عليه وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى
شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام وقال ان الله
من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع
اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النملة
ومثله ما يروى ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف من مسيرة
ايام وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب
ان يحمل هذا على معنى آخر وهو انه تعالى لم يجعل المنافي منافيا للاعجاز او لخاصية او دعائي المنافي حتى يصير
واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه الف
باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة
فكعروج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعروج عيسى الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية
العقلية فلان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس او كالمخالفة صفاء ونورانية وانجذابا الى
عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس واكمل ولهذا بعثت مكملة
للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين ومصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك
افضل من البشر او من سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على ان اول الاشياء
اصطفاء آدم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد آدم وهم شيث واولاده
الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم صلوات الرحمن عليه شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدأ الظهور
الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعل اسحق مبدأ الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك
في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فلما ظهر محمد نقل نور النبوة ونور الملك اليه وابقى الدين
والملك في امته الى يوم القيمة فالمراد بآل ابرهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما وآل

آل عمران قيل اولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بعمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله
اذ قالت امرأة عمران ولاشتراك عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية
عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله تعالى اياه لا لكونه شريكا للاله ولان هذا اللفظ
شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بدل من آل اي ممن سوى آدم بعضها من بعض قيل اي في التوحيد
والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير آدم كانوا
متوالدين من آدم وقيل يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران
وان من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم
من عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان
ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بن ايشى ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفي
خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله
واحباؤه تعريضا للعوام ببطلان هذا الكلام فكان اول الكلام تعريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف التأويل
مالك الملك هو ملك الوجود فلا يكون وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات
مستعدا للبقاء كالملك والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود
نورك وتذل من تشاء بذل الفيض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تضمن للدعاء بذكر السبب كانه قيل
واذا انك الذي تقدر على اعطاء كل خير فآتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات
صفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة
وتخرج القلب الميت عن الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح
والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر
ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شيء الا ان تخافوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها
كيلا تعجز عن السير في الرجوع وتهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات قهره
قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في ارض نفوسكم يوم تجد كل
نفس ما عملت اثر الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا
محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية لحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما بنوم الغفلة فاذا
مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة ثلث درجات
ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله
عليه الصلوة والسلام والثانية درجة الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات

محبة المحب

محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعي الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب شعر
وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبون
اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة شعر احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا
ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد
وفيه قال شعر ما عبد الله لا ارجو مثوبته لكن تعبد اعظام واجلال والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال
وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه
المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية شعر غذينا بالمحبة يوم قالت لها الدنيا ائتيا طائعينا وحقيقة
هذه المحبة ان تفني المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار منه
فان المحبة نار لا تبقي ولا تذر واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة
وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب
ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرأ القارئ بين يدي الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير رحمه الله تعالى
قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا
مدح صنعته فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك
اختلف مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل
المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة وشرطهم الاعمال فقيل لهم
فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت
بالخاص من اهل المعرفة بالفضل وشرطهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم
بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات
وشرطهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم
عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا وبي يفهم بين روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات
ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي
والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدق فان ثمرة محبته لكم ان الله اصطفى
آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع
في آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو ان نفخ فيه من روحي فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله
خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص اولاد آدم نوحا وآل ابرهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض
بالوراثة الدينية والعلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وصالحهم بهم يمطرون وبهم
يرزقون الله حسبي

إذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم ○ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطن الرجيم ○ فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ط كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يمريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ○ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ○ فنادته الملئكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصلحين ○ قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ○ قال رب اجعل لى اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار

القراآت منى انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو. بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة وانى اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد وقرأ ابو بكر

وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فنادته بالياء والامالة على وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث فى المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان بان الله بكسر الهمزة ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلى الباقون بالتشديد لى اية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف منى ج للابتداء باحتمال انك العليم ○ انثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء المتكلم الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه جعلها من كلامها. بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان واحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم ○ حسنا لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل الاول الرب وفاعل المشدد الرب وتعديه الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لا لان وجد جواب كلما رزقا ج للفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ○ ربه ج لما علمنا فى ذرية طيبة ج للابتداء ولو الدعاء ○ فى المحراب لا ولمن كسر ان لان من كسر جعل النداء فى معنى القول الصلحين ○ عاقر ط ما يشاء ○ اية ط ... والابكار ○ التفسير انه سبحانه ذكر فى هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم زوجة عمران بن ماثان بنت فاقوذا اخت ايشاع التى كانت تحت زكريا. روى ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينا هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته فى اليم محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلص من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبنى اسرائيل غنيمة ولا سبى وكان فى دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين وكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبى الا ومن نسله محرر فى بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا فى الغلمان لان الجارية لا تصلح لذلك لما يصيبها من الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما فى بطنى محررا فلما وضعتها يعنى ما فى بطنها لانها كانت انثى فى علم الله او على تاويل النفس او النسمة او الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمى بالحمل ثم ادخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه انه بيع ما سوف تحمله الجنين الذى فى بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب انى وضعتها حال كونها انثى ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها انى وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذى تقدم منها والخوف من انها لا تقع الموقع الذى يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى وعالمت والله اعلم بما وضعت

وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث ولا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا
في شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها
محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب
اني وضعتها انثى ولكنك اعرف واعلم بحال ما وضعت فلعل لك فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد حاضر ذهني لكنها في الذكر
لحاضر ذهني تقديرا لدلالة ما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى لحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرأ بما وضعت
بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله
اعلم بالشيء الذي وضعته لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده
نا وايضا ثم قال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذكر ان اباها
مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب
والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب
اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان رباها في بطن امها فتربيها بعد ذلك
بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكي انه
لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته
بالسوط وفي التقبل نوع تكلف وكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف في معناه
تقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها
انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول
اسم ما تقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها
مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في
عام وقيل المراد نماؤها في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا
لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث مرات وفي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب

اقلامهم

اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم
انه كفلها بعد ان فطمت ونشأت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط
وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة تصعد اليها بسلم وقيل
هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة
ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل
عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو
آت في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون
تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان
اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة واني اعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله
كما روي عن النبي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاع في زمان قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله
فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وعلى آله
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين عليهم السلام
وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة عليها السلام على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق
من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي
النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة
والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما
المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كالفعل
المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان الاستهلال
المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه
فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما
من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما توهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس
ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام
فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وزمان المكاشفة
بعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت آخر او يصرخ على ان اثر مس الشيطان ونخسه

يظهر في هيآت النفس واحوالها وانها امور لا يحس بها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعي
استعدادا آخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا عليه السلام
وسائر ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من
عند الله فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى
اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا شاهد عند مريم رزقا معتادا الا انه كان يأتيها من السماء وكان
زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره
على انا لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا
رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي وكان يسألها عن كيفية الحال وجملة امثال هذه الشبهات
وجهها الشك في القرآن وفي الحديث او العصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله
في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وايضا كيف قنع بمجرد اخبارها في زوال التهمة
وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها
على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عليه الصلوة والسلام وذلك
قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات
فقد يستعار هنا وثمه وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان او المكان
امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء
وبالعكس وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر
وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية
الوقت الانسب في الطلب واما المعتزلة فحين انكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى
آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد
الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فحينئذ يصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي
لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب
في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه
انه لو لم يكن اصلح لم يشفع الله عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له
اسباب مخصوصة كانت مفقودة في حقه فكأنه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق
هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد
هاهنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر
فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف الاسماء الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت

طلحة

طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني مجيب
وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة
ظاهر اللفظ الجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ما روي ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل
الاطعمة النفيسة اي يركب من هذا الجنس ويأكل منه او ان جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون يبشرك
بيحيى يحتمل ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو
ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى نبشرك بولد اسمه يحيى كما جاء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى
وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا
بكلمة من الله ولو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهذه حامل بيحيى وتلك
بعيسى فقالت يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى فقالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما
في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من
آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وسمى عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله
وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه مبين
الحقائق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله
لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبر عن حدوث امر
ثم اذا حدث قلت قد جاء قولي او كلامي اي ما كنت اقول واتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه
في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب
الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء والضعف في الآلة
وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل فهو الذي لا يأتي النساء لا للعجز
بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث
عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط
مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا يعنيه روي انه مر
وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما هو مجموع الامرين
فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال من الصالحين اي من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين
كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين او لان صلاحه كان اتم بدليل قوله صلى الله عليه وعلى آله ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية
غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان الختم على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا
ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين

ثم ان الملئكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انّى يكون لي غلام وقد بلغني
الكبر ادركتني السن العالية واثّر فيّ طول العمر واضعفني وان اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك
وبلغك وذلك اذا امكن تصوّر الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو
يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب
للانسان الذاهب وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ويقال رجل عاقر اي لا ينبت شيئا فان قيل لما كان
زكريا هو الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فلم تعجّب واستبعد بقوله انّى يكون من ان يحصل لي غلام والجواب
على ما في الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان
بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة
في زمان الشيخوخة لذلك استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون وعن السدي ان
الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر واستبعاده كان
من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم
يسأل عما سأل استبعادا او تشككا في قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة
المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله
يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان فكذلك
مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه
عليه الصلوة والسلام لفرط سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها
العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام اي بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال
ومعنى قوله الا تكلم قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن امر الدنيا واقدر على الذكر والتسبيح ليكون في
تلك المدة مشغولا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء الواحد علامة على المقصود
واداء لشكر تلك النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية الاعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر
مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه
الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عليه السلام عوتب بذلك حيث سأل الآية بعد
بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصيّر بحيث لا يقدر على الكلام ثلثا واحسن العتاب ما كان مجانسا لنفس الواقع
ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل ان يكون قد
طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق
جميعا مع مناسبته للواقع حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مأمورا
بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اي اشارة بيد او رأس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب

المتحرك

للمتحرك كما قال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام
لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير
تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رُمُزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رَمَزا بفتحتين جمع رامز كخادم
وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا
قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله
بعضهم على ظاهره كيلا يكون تكرارا للذكر وقد تسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشي
على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
من اول النهار ومنه الباكورة لاول الثمار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان لله تعالى
في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن اطعام
طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى عليهما السلام فتقبل
منّي راجع الى المحرر اي الى التحرر اي تقبلها منّي لان تكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها اي تقبلها ربها
لان ربّيها بقبول حسن كقبول ذكرا او قبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رأفته ان جعل كفالتها
الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اي من فتوح
الغيب الذي يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وآله وسلم ابيت
عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجر
ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سبب
تحريك قلب حنة لطلب الولد كذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر
من لوث الحجاب والواسطة الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو ارواح الاولياء ومن دونه
حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذي هو ارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذي هو ارواح الكافرين
والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلي بسائر سرّه في الملكوت محاريب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام
اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بالموت لا موت القلب بالمعاصي ولا موت الصورة لانه استشهد والشهداء احياء لا يموتون بل
احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا اي حرّا من رق الكونين بل سيدا
لرقيقي الكونين وحصورا انفسهم عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول رب انى يكون لي غلام لم يكن استبعاده
من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك
واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة في تلك الحالة بشواهد الحق في الغيب فلا تفرغ
لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا تقوى الروح الحيواني ويستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى به

الشهوة الميتة فتسمى ما تولد من الشهوة الميتة التي احياها الله تعالى يحيى ولا سيما لهذه الحالة في الايام الثلثة
امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا

وإذ قالت الملئكة يا مريم إن الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العلمين ۝

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ۝ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ط

وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ۝

إذ قالت الملئكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها

في الدنيا والآخرة ومن المقربين ۝ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصلحين ۝

قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى

أمرا فإنما يقول له كن فيكون ۝ ويعلمه الكتب والحكمة والتورية والإنجيل ۝ ورسولا

إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير

فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله

وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ۝

ومصدقا لما بين يدي من التورية ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية

من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ۝ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فلما

أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

آمنا

آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ۝ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا

مع الشاهدين ۝ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ۝ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك

ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة

ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ۝ فأما الذين كفروا فأعذبهم

عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ۝ وأما الذين آمنوا وعملوا الصلحت

فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظلمين ۝ ذلك نتلوه عليك من الآيات

والذكر الحكيم ۝ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ۝ الحق من ربك فلا تكن من

القراءة ويعلمه بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون إني أخلق بكسر الهمزة
الياء نافع أني أخلق بالفتح فيها ابن كثير وابو عمرو وزيد لمسيئة بتشديد الياء وزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم
يقول بلغني لمن خلفنا يقول لمن حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فيكون بتاء الثانيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا الانصاري
الى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرأ قتيبة وابو عمرو طريق ابن الزعراء بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد
رويس ضم الهاء الباقون بالنون **الوقوف** العلمين ۝ الراكعين ۝ اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقين
يختصمون ۝ منه قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف
الى الصلحين لان وجيها حال وما بعده معطوف على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين
المقربين ۝ الصلحين ۝ بشر ط يشاء ط فيكون ۝ والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على وجيها الصلحين
او منصوبا بالمحذوف اي ونجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ اني اخلق بالكسر باذن الله ج
والثاني كذلك للفصل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ۝ ج للعطف واطيعون ۝ فاعبدوه ط مستقيم ۝ الى الله
انصار الله ج لان آمنا في نظم الاستيناف مع امكان الحال اي وقد امنا بالله كذلك لا نقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام
مسلمون ۝ الشاهدين ۝ ومكر الله ط الماكرين ۝ القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والآخرة ز للابتداء بالنفي مع ان المنفي

تمام المقصود ناصرين ه اجر ربهم ط الظلمين ه الحكيم ه آدم ط لان الجملة لا تتصف بها المعرف فكون ه الممترين ه

التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امرأة عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه السلام وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ويجوز ان يكون الاصطفاءان بمعنى واحد للتكرير والصرف يحمل المغاير فالاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها قبول تحرير ها مع كونها انثى ومنها قال الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكرياء وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة في حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها من ولادة عيسى بغير اب وشهادته ببراءتها عما قذفها اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها لما روي انه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال كمل من نساء العالمين اربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن السلام ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي امر بالصلوة تسمية للشيء بأعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعي مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغيير العبارة وقد يسمى الشيء باحد اركانه واما تسمية للشيء بمعظم اركانه بناء على ما قيل ان الركوع افضل من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر وللتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها ولكن يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقته اللائق والواو يفيد التشريك لا الترتيب او المراد انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء وروي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن اقل في خدمتك من احدى النساء ذلك الذي سبق من انباء حنة وزكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب [illegible] قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفي من اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير

بعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بواسطة جبريل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفي استماع الانباء وحفظها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة المستبعدة في حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق الالقاء لدلالة الالقاء عليه وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض لاستحقاق ذكر المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي في الخبر انهم كانوا يلقونها في الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جري الماء فاليد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا عليه السلام فصار اولى وقيل غرق برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا على ضد جرية الماء فغلبهم وقال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التشاح منها ما يكتبون عليها اسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي ووقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى اصل الاشتقاق الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون تنازعا على التكفل قيل هم خزنة البيت وقيل بل الاحبار وكتاب الوحي والشبهة في انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم هذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع ولان يكون اختصاما آخر بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشانها والقيام باصلاح مهماتها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لان الدين حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية ان لها ولابنها شانا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبريل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا ابدال من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف فهذا على ان الاختصام والبشارة وقعتا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الكل ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر والانتقال الى ان توجه الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب امر ممكن في نفسه وكيف لا وقد نشاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد كتولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر المعفن والعقارب عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود

ذلكما لمكن فيجب القطع بصحته ومما يزينه في العقل بيان أن التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون أسبابا لحدوث الحوادث
كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلافه لو كان على
قريب من الأرض وقد جعلت الفلاسفة هذا كأصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع أن تعالى لما تخيلت
صورة جبرئيل كفى ذلك في انعلاق الولد في رحمها فإن مني الرجل ليس إلا لأجل العقد فإذا حصل الانعقاد لمني
المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظ من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لأنه تعالى
غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية أي بكلمة حاصلة من الله وذكر أن عيسى لما خلق من غير واسطة أب
بل بأثر كلمة كن في حقه أظهر وأكمل فكان كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال إنه محض الجود
ونفس الكرم وصريح الإقبال والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية
ومعناه المبارك وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب أيشوع أما اشتقاق عيسى من العيس البياض
الذي تعلوه حمرة فبعيد وأما اشتقاق المسيح من المسح فقريب وعلى الأول عن ابن عباس سمي بذلك لأنه ما كان
يمسح ذا عاهة إلا برئ وقال أحمد بن يحيى لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها وعلى هذا يجوز أن يقال المسيح بالتشديد
كشريب وقيل لأنه مسح من الأوزار والآثام وقيل لأنه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لأنه ممسوح
بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز أن يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون به الأنبياء
حين يولدون وقيل لأن جبرئيل مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لأنه خرج من
بطن أمه ممسوحا بالدهن وأما المسيح الدجال فسمي بذلك لأنه ممسوح إحدى عينيه أو لأنه يمسح الأرض أي يقطعها
في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال دجل في الأرض أي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل إذا موّه ولبّس وتقديم
المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وإنما نسب إلى مريم والخطاب لمريم تنبيها
على أنه لا أب له حتى ينسب إليه كما في سائر الأبناء فلا ينسب إلا إلى أمه وذلك من جملة ما اصطفيت به وإنما ذكر ضمير
الكلمة في اسمه لأن المسمى بها مذكر وإنما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن
صفة لأن المراد التعريف والتمييز والذي تميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر
وقيل الكريم لأن أشرف أعضاء الإنسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة والبراءة عن العيوب وفي الآخرة
والآخرة بشفاعة أمته المحقين وعلو الدرج في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كأمر
في الوقوف أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر
أمه وقيل الآلة المعروفة لاضجاع الصبي وكيف كان فالمراد أنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المهد
وكهلا عطف على الظرف أي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من
قولهم اكتهل النبات أي قوي روي أن عمره بلغ ثلاثا وثلاثين ثم رفع إلى السماء وأكمل أحوال الإنسان ما بين الثلثين
والأربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضيل المراد أن يكون كهلا بعد نزوله من السماء وأنه حينئذ يكلم

الناس

الناس ويقتل الدجال فإن قيل إن تكلمه في المهد من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره
فالجواب من وجوه قال أبو مسلم معناه أنه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة
ولا شك أنه في غاية الإعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الأحوال من الصبي إلى الكهولة فإن
التغير على الإله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لإظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي
والنبوة وقال الأصم المراد أنه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضيل جواب آخر وههنا بحث للنصارى
قالوا إن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها ولا شك أن مثل هذه الواقعة يكون بحضرة جمع عظيم وتتوفر الدواعي على
نقله فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى لأنهم أفرطوا في محبته حتى
ادعوا الإلهية لكنهم أطبقوا على إنكاره فعلمنا أنها لم توجد أصلا والجواب أن إطباق النصارى على إنكاره ممنوع ولو سلم
كلام عيسى في المهد إنما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب إليها من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا لا
يمتنع في مثلهم التواطؤ على الإخفاء وبعد يومين بذكر إذ ذكر فإن غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم إلى البهت
أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الأسباب بقي الأمر مكتوما إلى أن نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله
ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه أن الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الأسنى
والأمد الأقصى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا أو تشككا وإنما أرادت تعيين
الجهة كما مر في قصة زكريا فأجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره إلا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق
لأن القدرة ههنا أتم وهو بخلق المولود بلا أب أغرب ولهذا أكده بقوله إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره
في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق لأن قوله يخلق ما يشاء
متضمن قوله يخلقه ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لأن المذكور في قوله أنا نبشرك ونحو
ثم الذي علمه أمور أربعة أولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة ويمكن أن يعرف الحق لذاته والخير
لأجل العمل وثالثها التوراة لأن البحث عن أسرار الكتب الإلهية لا يمكن إلا بعد الاطلاع على العلوم الجمة ورابعها الإنجيل
وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بإنزاله عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم
والإحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده إلى بني إسرائيل أي إلى كلهم
لأنه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بأنه مبعوث إلى قوم مخصوصين منهم أني قد جئتكم متعلق بمحذوف دل عليه
لفظ الرسول أي ناطقا بأني قد جئتكم وإنما وجه هذا الإضمار العدول عن الغيبة إلى التكلم وأما قوله ومصدقا لما بين يدي
فمعطوف على قوله بآية أي مع آية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي وجئتكم لأحل
وفي الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي
أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي
وعن الزجاج أن التقدير ويكلم الناس رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لأنه عدد

انواعا من الآيات ثم ابدل عن الآية قوله انى اخلق فيمن قرا بفتح ان ويحتمل ان يكون ان مع ما بعده مرفوعا اى هى
انى اخلق ومن قرا انى اخلق فللاستيناف او للبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب
وهذا احسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيات الشئ اصلحته فانفخ فيه اى في
ذلك الطين المصور او الشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا
من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرا طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا
يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب
كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين
دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى
اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شئ كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشئ حيا وذكر انه تولد
من نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او نقول ليس الامر
كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق
لقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابرهيم في المناظرة ربى الذي يحيى ويميت فلو حصل لغيره
هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى
وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير
وقيل الاكمه من عمى بعد ان كان بصيرا رواه الخليل وعن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض
ظهر في ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه
مضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل
الدم الصائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره فيشتعل البلغم حارا وهو داء عياء عسر
البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر
بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا اخذ جلده بالابهام
والسبابة وانشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه دم او رطوبة موردة ولا شك ان ابراء مثل هذا
المرض من قبيل الاعجاز يروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق
اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيى الموتى احيى عازر وكان صديقا له ودعا سام
بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا
ورجع الى اهله وبقى وولد له قال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات بياحى يا قيوم وكرر قوله باذن الله
دفعا لوهم من توهم فيه الالهوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول الامر
يخبر بالغيوب روى السدى انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم

بان اتكم

بان اتكم قد خبأت لك كذا فيرجع الصبى الى اهله ويبكى الى ان ياخذ ذلك الشئ فقالوا الصبيانهم لا تلعبوا
مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت
فقالوا خنازير فقال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر
من وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك
والادخار افتعال من الذخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان
ذلك الخبر صار معلوما بالوحى ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقدم مسئلة خلاف ما يقوله المنجم والكاهن فان
ذلك باستعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها انه
رسول من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدى من التورية وذلك انه يجب على كل نبى ان
يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف
بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى عليه السلام تقرير احكام التورية وازالة شبهات المنكرين و
المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا آخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا ينافي
لما في التورية اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التابيد مذكورا فالناسخ
والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التورية فمجئ عيسى يكون تصديقا لما في
التورية وعن وهب بن منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التورية وانه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت
ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرائع
باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض
الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك
التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل
ذى ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وهى
قولى ان الله ربى وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا
لقوله انى قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتى بغير اب
فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله
ان الله ربى وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهال من النصارى الضالين
المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى
لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا عاملوه فقال فلما احس اى علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك
بالحواس او انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدى لما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل

جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قوم كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار رئيسا فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك انه جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال يا امت اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقع فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه في آخر امره للقتل وكان هو في الهرب منهم قال لاثني عشر من الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجاب الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم ادنى اذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد من طلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال في موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ويحتمل الى الله قيل من يضيف نصرته اياي الى نصرة الله عز وجل اياي وقيل من انصاري الى ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين متعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام

وقيل

وقيل بمعنى في اي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه فغاب الصباغ لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فعمد عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريده فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة وكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه او هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك

اذا كنت ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقض والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو انه رفع الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه روي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبرئيل لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على رجل من ذكره ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب اخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يحبب امرك وكان يخبرهم انه رسول الله وانهم احياء الموتى وابرأ الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت منه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طيارس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له طيطس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه وهم اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يأول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه عاملهم معاملة من يمكر وهو عذاب على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك اي متم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل ارفعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم ارفعك الي وهذا القول يروى عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع ابن انس انه توفاه ورفع الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي آخذك بروحك وبجسدك جميعا فرافعك الي دفعا لوهم من يتوهم انه اخذ

١٠ ر ح

بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل اجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك وكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقدم وتاخير فان الواو لا تقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا وتوايده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله تعالى ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات انه تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابرهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم او المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا له ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى لهم في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول ان المراد متبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ثم آمنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد او المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره كما قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالا الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فحينئذ اجوز ان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر القي شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يامرهم احتمل ان يكون محمدا انسانا آخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدرك الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانه جوز ذلك وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب سفسطة وآخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي اهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاءهم بالزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا القاء مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك

ان الله بشرك بكلمة كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه فهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربي بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم اعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدو امره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذريته ثم لم يرده الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي الممسوح وكهلا في حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحيته بقبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء عليهم السلام ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التي هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر واحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنع عن قبول انوار الصفات الى ان يخرج بمدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي آيات المعجزات وعلى الولي امارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابلا انوار الصفات في بدو امره فكلم الناس في المهد ويكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم ويحيي ويبرئ الى غير ذلك من الآيات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله اعوان دين الله آمنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف او القهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح

فاعز نهم

فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله ثم قال ان كن فيكون هذه سنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجسام والملك ولكنه اجراها في تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حواء منه بلا ام وخلق عيسى بن مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما لانف من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين يعني الكينونة قاله في الازل فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون

يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقد والذى المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى
الرابع ان النصارى على كثرتهم فى المشارق والمغارب واشد طهرة فى محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار
المتواتر والطعن فى المتواتر يوجب الطعن فى نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقى حيا زمانا طويلا
فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك لاشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر
المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك فى وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثانى والثالث
ان ذلك يفضى الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافى التكليف والتلبيس المذكور تدارك لانه تعالى امر عيسى الحاضرين معه العالمين
لواقعه وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين فى ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء
طرفين والوسط وعن الخامس ما روى ان الذى القى عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا اصبر على انا نقول قد ثبت
بالقاطع صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى كل ما اخبر عنه فهذه الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع
سدد لى الهداية قال ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين
المؤمنين وبين الجاحدين له وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بالقتل والسبى والذلة
وانواع المصائب والرزايا التى لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشئ فى غير موضعه التكذيب فى مقام التصديق والعمل
السيئ مكان العمل الصالح وذكر ان المحبة عبارة عن ايصال الجزاء اليه وهو ان اراد ذلك الكافر لانه لا يوصل الثواب اليهم
الى المعتزلة المحبة والارادة واحد والمعنى انه لا يريد ظلم العالمين ذلك الذى سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ
خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد هو ذكر الشئ بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك
لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل ان يراد به
العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ
فبقى ان يكون من الوحى ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر
يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو بسببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم
كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم احكمت آياته اى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم
اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر تعالى انه انزل هذه القصص مما كتب هناك
قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول
انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط
من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اى حاله الغريبة كحاله
ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير اب وام اغرب فشبه
الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغى ان يكون اقوى حالا من المشبه فى وجه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله

خلقه

[illegible]

خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمى آدم لانه خلق
من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها ولذلك كان فى ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث
وقيل انه اسم اعجمى كآزر ووزنه فاعل لا افعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا الكوز اصله من الطين ثم
قال له اى لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان لانه حكاية حال ماضية
واما تصويرا لتلك الحالة العجيبة كقوله تعالى فاضربها بلاد هش فخرت او المراد اعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه
يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخى الخبر عن الخبر لا تراخى المخبر عن المخبر كقول القائل اعطيت زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته
امس الفين اى ثم انا اخبركم انى اعطيته امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب اى صيره بشرا سويا ثم انه
انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفيته ووقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص
بكن ادخاله فى الوجود قالت الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون اشد الا
بالارض فيصلح للخلافة فيها ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى اضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم
بالضلال وخلق الملائكة من الهواء الذى هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج
البحار وابقاها معلقة فى الفضاء وخلق آدم من التراب الذى هو اكثف الاجرام فآتاه النور والهداية وكل ذلك
باهر ودليل ظاهر على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران
الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور
ثم مزج من التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا انى خالق بشرا من طين ثم انه سل من الطين
الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعله طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم يبس
رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى
قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة
واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما
الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق يعنى الذى انبأتك من شأن عيسى لا الذى اعتقد النصارى فيه انه اله وولد
الذى يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار او الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما تقال الحق من الله والباطل من الشيطان
فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانبارى اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه
شرا وفى هذا النهى ترغيب له فى زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة وقد مر نظائره فى سورة البقرة التأويل
الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن له جنس حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء
على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الكائنات لقوله لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وآله وسلم
آدم فمن دونه تحت لوائى واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى انى اصطفيتك على الناس ويا مريم ان الله اصطفاك اصطفاك
اباه وطهرك عن الآفات بغيره واصطفاك على نساء العالمين لنيل درجة الكمال ولئن لم يكن ذلك من شأن النساء

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ۝ يا أهل الكتاب لم تلبسون
ای یهود و نصاری چرا کافر شوید بآیتهای خدای وشما گواهید بر صحت آن ای خداوندان دانش چرا می‌آمیزید
الحقّ بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ۝
صواب را بباطل وپنهان می‌دارید صواب را وشما می‌دانید

القراءة هاأنتم بالمد وغير الهمز حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل هأنتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز **الوقوف** الكاذبين ۝ القصص الحق ج الا الله ط الحكيم ۝ المفسدين ۝ من دون الله ط لتناهي جملة وانه الى ابتداء شرط مسلمون ۝ من بعده ط تعقلون ۝ ليس لكم به علم ط لا تعلمون ۝ مسلما ط المشركين ۝ والذين آمنوا ط المؤمنين ۝ لو يضلونكم ط يشعرون ۝ تشهدون ۝ تعلمون ۝ **التفسير** روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما اورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم اصرّوا على جهلهم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فأمّنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة ثم قالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرّك على دينك فقال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردّنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلّى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلى الله عليه وعلى آله لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليهم السلام ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا اهلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كالقول

تعال

تعالَ نتفكر في هذه المسألة وهو في الاصل تفاعلوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلمّ ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت هو بنفسه ومن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم انه اتى بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل ووزن افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته وبهله الله اي لعنه وابعده من رحمته ومنه قولهم ابهله اذا اهمله وناقة باهل اي لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة وكذا من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكأن المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعان وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله لانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال وذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذن نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من اراد ان يرى آدم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فنعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكذا في حق سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يجترئ على تعريض اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما يدل على نبوته لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة فان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبه النصارى ان عيسى كان قادرا على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع

ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك
فان تولوا عما وصفت من التوحيد ولان الخالق يجب ان يكون قادرا على كل المقدور وان عالما بجميع المعلومات فاعلم ان
اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم
واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا
ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى نمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد
به كل طبع مستقيم وعقل سليم تعالى قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب
بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان
اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى
عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله
تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة فيها انصاف
من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف
وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه او المراد الى كلمة مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى جمعوا
من الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا
ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح واقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين
ذاتين مستقلين والا لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث اثبتوا الثلثة
ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء
انفسهم من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدونهم ويطيعونهم في المعاصي وهوى النفس ورؤية الامور من
الوسائط الذاتية من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة تظهر فيه آثار اللاهوت ويحل
فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم
معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه من العقلاء فان قبل المسيح
ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشراك ايضا كذلك واذا لم يكن الحكم
الا لله وجب ان لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والائتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت
مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب
اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيره انك انجح فاعترف باني انا الغالب

او يكون

او يكون من باب التعريض ومعناه اعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون
يهوديا او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان
الطول مما بينه وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القرآن اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان
حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم
حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم
هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان
حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد او ليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما المراد
هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش
ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله
والله يعلم كيف كانت حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين عن
اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة
في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صلى الله عليه وعلى آله
صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى
مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني
ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت
ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع
روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في
دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوا
الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي ارائكم فبعثوا عمرو بن العاص
وعمارة بن ابي معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما
عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم
الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا
ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش
فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا

لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة
عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا
هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع
كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق
قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا
بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف
يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح
عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع
محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل أعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا أبقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي أعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي
سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا
قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراطا قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو
كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمنا نحن فبعثنا الينا قومهم
لندفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه
فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم
امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي
انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به
فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ
علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده
لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع
وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى
وامه فقال النجاشي ما يقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع نفثة من سواكه
قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي
يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب
ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم على دين ابرهيم

ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم
يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه
وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والتأييد
والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على
الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم
ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس الآية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين
بالقاء الشبهات وابداء المكائد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم
لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون
امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق الاستفهام
فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي بالتورية والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم او ان ابرهيم كان
حنيفا مسلما او ان الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتورية والانجيل اما الكفر بما يدل عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل
على المدلول او الكفر بنفس التورية لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التورية والانجيل على نعت محمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل
آيات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وآله
ومعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو
اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن
وابن زيد حرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا عنه في
آخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف
ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالآخر كما يفعله كثير من المشبهة وهذا
قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء
الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التورية على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان الاستدلال بها
مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها تتم الاستدلال كما يفعله
المبتدعة في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم من اهل المعرفة او تعلمون
حقيقتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبي
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره
وگفتند گروهی از خداوندان کتاب ایمان آرید بدانچه فرستاده اند بر آنکه ایمان آوردند در اول روز و کافر شوید بدان در آخر روز

لعلهم يرجعون ج ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ط قل ان الهدى هدى الله لا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم ط قل ان الفضل بيد الله ج يؤتيه من يشاء ط والله واسع عليم ج لا
يختص برحمته من يشاء ط والله ذو الفضل العظيم ه ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك ج ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ط ذلك
بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ه بلى من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين ه ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ص ولهم
عذاب اليم ه وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتب لتحسبوه من الكتب وما هو من الكتاب ج
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ه ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن
كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون ه لا ولا يأمركم
ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا ط ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ه

القراءة ءان يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ولا يؤده
ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ويزيد عن يعقوب وقرأ
ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية اليزيدي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء

تعلمون

تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر بحذف المفعول الاول للعلم به ومعوا الناس الباقون
تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يامركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن
المفضل وقراءة ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب **الوقوف** يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله لا لان
التقدير ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرأ ءان يؤتى مستفهما
وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ج
لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم ه اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط
سبيل ج لان الواو للاستيناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ه المتقين ه يزكيهم ص اليم ه وما هو من الكتاب ج
لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون ه تدرسون ه لا لمن قرأ ولا يامركم بالنصب عطفا على
ان يؤتيه اربابا ط مسلمون ه **التفسير** هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل
ويحتمل ان يراد بعض ما انزل اما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى
عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل
شيء ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو ومنه روى ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد
للربيع بن زياد شعر من كان مسرورا بمقتل مالك ؛ فليأت نسوتنا بوجه نهار ؛ يجد النساء حواسرا يندبنه ؛ قد قمن قبل تبلج الاسحار
وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فعنى الشاعر من كان مسرورا فليأت تشفي الغيظ
وادرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخره آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما آمنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد
التأمل التام والبحث التام انه كذاب فيكون هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فلعلهم يرجعون عن دينهم
وقال ابو مسلم معنى وجه النهار وآخره لرؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق
للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امرهم آل في اضطراب فزجوا الايام
معهم بالنفاق فلما ضعف امرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فيكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه
قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه
في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا عن دين الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثاني فقول
من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح وآخره صلوة الظهر
والتقرير انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت

الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها
اول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هولاء اهل كتاب وهم
اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هولاء واطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب
ضعفاء المومنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك وازعا
لهم وفيه ايضا اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه
من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها
كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود
ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما
يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عُدّت الآية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على
قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرا بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر
وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى أأن اي أمن اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم
تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعدّ ذنوب
صاحبه وقد احسن اليه أمن قبل احساني اليك أمن اهانتي لك والمعنى أمن هذا فعلت ما فعلت ام من ذاك
ونظيره قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من
احكام التورية فلا تصدقوه وهذا هو مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت
فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب
وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يقال المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار
الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم
كان اغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم لما استفهم فقال أأن يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم ما دبرتم لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد
والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم
ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به من الآيات عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل
ما اوتيتم فحين لم يومنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق او يقال
الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى
حتى ويتم الكلام المحذوف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل

محذوف

حتى او حجة
في قراءة

محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه ما يشاء من عباده ومتى كان
كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتموه او يحاجوكم يعني هولاء
المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان مثل ان
تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام
الذي هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هولاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الآخرة
انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود
وقوله قل ان الهدى هدى الله هو الهدى جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم
دون غيرهم او لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في
الكشاف اراد اسرّوا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم
وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف
على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد
ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم اي سترتكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله
قل ان الفضل بيد الله موكد للاعتراض الاول او هو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد
قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله
وعلى آله وسلم كان اعظم من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يعقل ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة
دين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند اتباعهم ولن يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا
النهي الاسرار فقط آه هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلّم بهذا فلا يكن الا عند خواصكم
واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شايعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع
قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين ما جرى مجرى كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل
ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يقوله عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في
هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما
اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم
يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما
ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى
الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا تكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان

يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله وان لا يفعله وان ابيح ذلك في المستحق لا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح ومواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما آتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل من خالفهم في الدين واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة فيهم من يوتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه والمفاد به ومنهم من يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال امنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤديه اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤديه اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة وقوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه قال انظر واخر انكر ومنهم من حمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء

الذي

الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم بالغوا في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم روي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاج والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه لمجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قولهم نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من اهل الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود او فوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدا والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتميمها وتزيينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاخلال فكل متق موف بالعهد ولا عكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين والمتقين فانهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا تمشي الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الآية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شأن محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشى والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان امير كم

واكسوا عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبّه لنا فرويدًا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته
ثم انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكلموه وسايلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا
هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم
وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم
يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه واليمين هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد
او وعيد او انكار او اقرار بذكر اسم الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه
ونحوهما ثم انه رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم اشارة الى
حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف
الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم
لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه وقد يامر بحجبه عنه ويقول لا اكلمك ولا ارى وجهك واذا اجرى
ذكره لم يذكره بالجميل قال في الكشاف ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر
الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه
ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان
مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى
يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات
الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية
والا لزم من هذه الآية ان لا يكون الله تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود
وهو الذي يختص الله تعالى به اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤيته براءة العباد ايضا وقتئذ نفي رؤيته لا يرونه حينئذ
وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه
صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم
بالكتاب قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي
عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية
وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة

وفي الكشاف اي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف انتهى وذلك ان لي اللسان شبه بالتشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله تعالى عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا
ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق من الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي
دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم عطف
عليه النفي العام ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله
بمعنى كونه حكما من احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله
انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا
قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان وجدوا اقواما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء
واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكونوا
طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحق
بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد
ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا
ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهم في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب
ان زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان ابا رافع
القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا
فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا
قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله
ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية قال قوله
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان
لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى
لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام عن الله تعالى
ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون

بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة
لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا
بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما تبعهما امتنع من مثله
مثل هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف
يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام
لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب النصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من
ادعى على رجل فعلا فقيل له فلان لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن تكذيبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله ان يتخذ
من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل ومعناه النفي لا النهي
ومعنى ثم قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني
منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته
وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف
بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو الذي يرب
العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بامورهم والالف والنون كما في ريان وعطشان للمختص
بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير بمثل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي سمي ربانيا
لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه يعني لا آمركم ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى
ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية
وسواء كانت عربية او عبرية تدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن
محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية
وما مصدرية وتعلمون من التعلم او العلم على القرائتين فيعلم منه ان التعليم او العلم والدراسة وهي القراءة
توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا
لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا ان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل
بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس
شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع
وفي الآية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العلماء ورثة الانبياء تامل تفهم باذن الله تعالى ولا يامركم من
قرا بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفي المتقدم اي ما ينبغي لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء
الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالف الى ان يامر الناس بعبادة نفسه ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان يكون حرف النفي زائدا فيرجع المعنى الى ان

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح
فحيث قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة
الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين عزير كانه اخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة
الانبياء ومن قرا بالرفع على الاستيناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير في على
قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل لعيسى عليه السلام وانما خص الملائكة والنبيين
بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح ايامركم اي البشر وقيل
الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اي انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا
مسلمين وهم الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يسجدوا له قلت وضع الشيء ابتداء اسهل من رفع
نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما صح ولا يعقل ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم امته بعبادة نفسه او
المستنبئ فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد ان فهم الاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
و یاد کن چون گرفت خدای عهد پیغامبران را هر آنچه دهم شما را از نامهٔ آسمانی و دانش پس آید بشما پیغامبری
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا
باور دارنده مر آن را که با شما است البته ایمان آرید و هر آینه یاری دهید گفت خدای آیا اقرار کردید و قبول کردید بر آن عهد مرا گفتند
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك
اقرار کردیم ما گفت پس گواه شوید و من با شما از گواهانم پس هر که اعراض کند پس از آن پس ایشان
هم الفسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض
ایشانند بیرون آیندگان از دین آیا جز دین خدای را می جویند و برای او گردن نهاد هر که در آسمانهاست و در زمین
طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
باختیار و بی اختیار و با حکم او باز گردانند شما را بگو ایمان آوردیم بخدای و آنچه فرو فرستادند بما و آنچه فرو فرستادند بر ابراهیم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان او و آنچه دادند موسی را و عیسی را و پیغامبران دیگر را از پروردگار ایشان
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
هیچ جدائی نمی کنیم در ایمان به یکی ازیشان و ما مر او را گردن نهادگانیم و هر که جوید جز دین محمد دینی را پس هرگز قبول نکنند از او
وهو في الآخرة من الخسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
و او در آن جهان از زیان کاران است چگونه راه نماید خدای گروهی را که کافر شدند پس از ایمان ایشان و گواهی دادند که پیغامبر محمد راستکار
حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظلمين اولئك جزاؤهم ان عليهم
راستست و آمد بدیشان حجتهای روشن و خدای راه ننماید گروه ستمکاران را ایشانند پاداش ایشان آنست که بر ایشان

لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خلدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم

ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم

كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها آتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو غير عباس وقرار عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرا يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمز الارض بغير الهمز روى البخارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما **الوقوف** ولتنصرنه ط اصرى ط اقررنا ط الشاهدين ٥ الفسقون ٥ يرجعون ٥ من ربهم ص منهم ج مسلمون ٥ منه ج لعطف المختلفين الخسرين ٥ البينات ط الظالمين ٥ اجمعين ٥ لا فيها ج ينظرون ٥ لا للاستثناء رحيم ٥ توبتهم ج الضالون ٥ افتدى به ط ناصرين ٥ **التفسير** الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه او من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فنوجه ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن على رضى الله عنه انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه والذى يدل على صحته ما روى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعى فهذا على سبيل الفرض والتقدير ولهم انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف او امة النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ الامة ويراد به المجئ كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم وقيل النبيون اهل الكتاب وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابى وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

واما الاحتمال

واما الاحتمال الثانى فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به وينصروه ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤن واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والمقدر للذى آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا تفتقر الى تكلف الرابط ان يقال اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة فلا اصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جواب القسم ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرنه وادخل اللام في الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر وتمهد ان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه بان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه ايضا وجهان احدهما ان تكون ما مصدرية اى اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ولمجئ رسول موافق لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء والثانى ان تكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل اصله لمن ما اى لمن اجل ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احديها ويؤول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراآت قيل لا بد من اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكانه قيل واذ اخذت او اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او الكتاب لذوى الكتب والحكمة لغيرهم او جعل الداعى الى الكتاب والى العمل كالذى انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجئ الى النبيين وانما يجئ الى الامم معناه اى في زمانكم وان كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها ولو وقع فيها خلاف فذاك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجئ مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة

على الرسل الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا
اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد اخذ الميثاق انه تعالى
شرح صفاته في كتب الانبياء المتقدمين فاذا صادفت احواله مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له
وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او اممهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على
تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في الزمان الماضي فيكون معنى الاية
ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصر
دينه بان يظهر حقيته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وفي قواعد مكارم الاخلاق فيكون
هذه الاية تمهيدا لما يجيء بعد من قوله قل آمنا بالله الاية قال ااقررتم كل نبي لامته مستفهما بمعنى الامر اقررتم
بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشيء
يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلك اصري عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ
منها عدل اي لا يقبل ويأخذ الصدقات اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ثم بعد
المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم من الشاهدين
وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل
فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا
هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل واصله ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا
وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله
فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله
وطاعته ووعيد الناقض لذلك معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة
فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب اقررتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك
هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل ايبغون
غير دين الله لان الاستفهام انما يكون عن الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما اختلفوا فيه من دين
ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلا الفريقين بريء من دينه فقالوا
ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل التقرير
الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن كفرهم بسبب الحجة بل البغي والعناد
كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكروا ان يفعلوا ذلك وقرر انهم يفعلونه ثم بين ان الاعراض عن دين الله خارج

عن فضيلة العقل وكيف لا وما خلص لهم الانقياد والخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ما سواه ممكن وكل ممكن
لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته في طرفي وجوده
وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا ونظر الاية ولله يسجد من في السموات والارض
فلا سبيل لاحد عن الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل اي طائعين
وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم
دفع قضائه وقدره واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف او عند الموت او نزول العذاب
وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله
نفسه ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار
بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا
وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق
كل رسول كان قبله امر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد
في قل فظاهر بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في آمنا فللتشريف لانه بانضمام من معه في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم
ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته او اجلالا
لقدر نبيه حيث امره ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم
ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة احواله الا بالفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله
ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب
حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا مقتضى
الميثاق ثم ان قلت انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل نبي جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله
واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد اخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بان يؤمن بكل رسول كان قبله
ولم يأخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من فوق
وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القرآن
بالاعتبارين جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا فان الوحي يأتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى
لمكان قل فان الرسول يأتيه الوحي بطريق الاستعلاء وزيف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها في كل
موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين ليصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار ان يعلم
ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء آخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود

الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الآخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون
ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالآية على ان الايمان والاسلام
واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للآية وقد ذكرنا
مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الآية وان اريد
به الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول
ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد
ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم البينات والمعجزات كفروا به
بغيا وحسدا وعنادا او لددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم
اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد
قال كان الحارث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله
هذه الآية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقرأهن عليه فقال الحارث والله انك
لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله لاصدق الثلاثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا وقال المعتزلة في
الآية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر
معذورا ولا يجوز ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفرة الكفار فلا بد من تفسير الآية بشيء آخر سوى
نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية
خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف وفي دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه
عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه
وقال اهل التحقيق كيف يهدي الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق
الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل اذ هو في تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق
واكن ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الآية يؤول
الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا ما يسوغ
انكاره وبعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون
المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين

الواضعين

الواضعين الشيء في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلاث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب
مزيد الايمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل
ولهذا صرح في آخر الآية بانه لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الآية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك
جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو يحقق قول المتكلمين بان العذاب اللاحق بالكافر
مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة
وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع
الخلق بالعبادات واظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور
في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفر وهو المراد
في الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند
المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وانكارهم لكل معجزة تظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم ونظيرها
وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن وعطاء وقتادة
وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل
عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الآية
الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم في هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وانضاف بالدليل ان التوبة بشروطها
مقبولة فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند
حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن وقيل هي محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري يحتمل انه
قوله الا الذين تابوا ويريد انه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة عن تلك الزيادة
لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على
الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر يموتون على الكفر لما في فعلهم من قساوة القلوب والافضاء
الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا
اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما لم يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان
القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد او يهودي مزداد للكفر بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا
يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى برز الكلام في معرض الكناية
ومن المعلوم انه اذا ذكر اللازم واراد الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يتبين فائدة العدول على وجه يصير
القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي

وهي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي
عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم
يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلاثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة
مقبولة وهو الذي سبق لاجله الآية التي ردفها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله
لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الآية الاخيرة وملء الشيء قدر ما يملأه
وذهبا نصب على التميز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون
عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا اتلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الآية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحال الوضع
هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خص به فماذا
يجيبون ولعل عقيدتهم في هذه المواضع انها من الاسولة المنقلبة ومعولهم والسر في التخصيص هو ان لما قيد في
الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم اما
الواو في قوله ولو افتدى به فانما تشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر اقاويل العلماء فيه قال الزجاج
وابن الانباري انها للعطف والمقدر لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى
ايضا لم تقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة
فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا
الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل
ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا اي انت وذلك لان المثلين يقوم احدهما مقام الآخر في اغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من
المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيامة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع في الذهب هنالك فما فائدة هذا الكلام
فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء
وفرض ان في بذله نفعا للآخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب
وبه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم تعالى اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق
وماتوا اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من
ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة

لن تنالوا

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم ۝ كل الطعام
[illegible]
كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل
[illegible]
فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ۝ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
[illegible]
فاولئك هم الظالمون ۝ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝
[illegible]
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ۝ فيه آيات بينات
[illegible]
مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
[illegible]
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ۝ قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله
[illegible]
شهيد على ما تعملون ۝ قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا
[illegible]
وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ۝ يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
[illegible]
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ۝ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله
[illegible]
وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ۝
[illegible]

القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد ندج البيت
بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف
الجزء الرابع تحبون ط عليم ط تنزل التورية ط صادقين ۝ الظالمون ۝ حنيفا ط المشركين ۝ للعالمين ج لان ما
بعده يصلح حالا ومستأنفا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط مع الواو ولان الامن من الآيات آمنا ط سبيلا ط
العالمين ۝ بآيات الله ق تدقيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ۝ شهداء ط تعملون ۝ كافرين ۝ رسوله
لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم ۝

التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علّم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون
به في الآخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برًّا
في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم
بكل الخيرات لم تفوزوا باحراز خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف
رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله حائط لي بالمدينة يعني بيرحى
وهو احب اموالي الي صدقة فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال
ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن كعب وروي ان زيد
بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اسامة فوجد
زيد في نفسه فقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر
رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما رآها اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال
للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه
فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارًا الى ان يدخلوا في
قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجعلها
المتقين لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون والثاني الجنة اي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد
بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى ان تبروهم وتقسطوا
ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه
لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه لقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة وقيل هو طيب المال وارفعها كما مر وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم
ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به
وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب
في بذل المحبوب لوجه الله ومن في من شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه او يعلم الوجه الذي لاجله ينفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة القوم وتقرير ذلك من وجوه
احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على انكار النسخ فاورد عليهم ان الطعام الذي حرم
اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا

ان ذلك

ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بان يطالبهم باحضار التورية
الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لانه كان اميا فامتنع ان يعرف المسألة الغامضة
من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابرهيم فكيف تاكل لحوم الابل
والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
الا ان يعقوب على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية
وثالثها ما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم فغاظهم
ذلك واشمأزوا وامتعضوا من ان يقال ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك
من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت كل الطعام اي المطعومات كلها لدلالة
كل على العموم ولئن كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويؤكل
وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما
يتخذ منها وقال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد
الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابرهيم صلوات الرحمن عليهما وعلى هذا يكون اللام في الطعام
للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر
يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا
فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا
قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر لئن شفاه الله لا ياكل شيئا من العروق وجاء في بعض الروايات
ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف
صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء لما اشاروا اليه باجتنابه فعل وذلك باذن من الله
فهو كتحريم الله ابتداء وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية
وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد
طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب اوفر لا سيما ومدارهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله
وتسديده معهم اوفى ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد
عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه على اسرائيل فلما نسب الى
اسرائيل دل على انه باجتهاد كما يقال الشافعي يحل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه
الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه
يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ويعني قوله

حرمه

من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة
بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم لما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى
فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصدقه فلهذا قيل فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك
هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف والضالون المكذبون والمفترون
ظلمهم لانفسهم ولمن يقتدي بهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبهة الثالثة وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجاتكم
الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه
تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم على دين ابرهيم صلوات الرحمن عليه في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله حكم ابرهيم بحله
وفي الاصول لان محمدا وابرهيم كليهما صلوات الله وسلامه عليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى
خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب
عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء
فكان تحويل القبلة الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ
وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل
لما انجر الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اورد فيها فضيلة البيت ليتفرع
عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان
حج البيت كان من ملة ابرهيم واهل الكتاب لا يحجون قال العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريته
فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا
واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه
من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم من كونه اول ان يكون
بيت المقدس مثلا ثانيا له ومشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس يحتمل
ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يراد اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم حصل في المفسرين
قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله تعالى في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله
هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي
سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام عن
آبائه قال ان الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في الارض
ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمرو

مجاهد

وكان
مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام
زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلثة صفوح منها كتاب
في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي
الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله
ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما
روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد
وجودها وانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع وبان تكليف الصلوة كان لازما ثابتا في اديان جميع
الانبياء وايضا قال تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها
من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي اول بيت وضع للناس وهذا محال خلف القول الثاني روي ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا
قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي
من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود ولكن لا نزاع في ثبوت تلك
الاولية كما رويناه آنفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والآثار في فضائل البيت ان الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس
جبريل والباني ابرهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات
والطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى والجمار فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة الف انسان
كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمار
مسيل ماء او مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطيور
تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطباع لا يؤذي
بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها ان سكانها فلم يتقل اليه ان ظالما هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس
فقد هدمه بخت نصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير
ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه
كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابرهيم صلوات الرحمن عليه وانه من اعظم الآيات ومنها ان لا يسكنها احد
من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فبقي ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود اهل البهيم
الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل ياتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر
حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لا جعلهم
في الآخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة
الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كرانت ورانم

وضربة لازم ولازب مما تعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح
بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم يتباكون
فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة قال بعضهم رأيت محمد بن علي الباقر يصلي
فمرت امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل
وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا باس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد
لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الآية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون
ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما
مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس
من كل جانب وقطر ولعل سائرها كان ارضها امتص ماءها وقيل لان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها
فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصاب مباركا فعلى الحال
من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد
وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض
لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله
من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها
في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء
المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك
الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار تلك الارواح بنوره وعظم
لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال رحمه الله تعالى ويجوز ان يكون بركته ما ذكره في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء
فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك انه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين
والركع السجود واذا كانت الارض كرة فكل آن يفرض فانه صبح لقوم وظهر لآخرين وعصر لغيرهم ومغرب او
عشاء فلا تخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما
كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما فيه من الآيات
والاعاجيب او لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج وجاز ان يكون محله رفعا اي وهو
هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددناه من بعض فضائله وان يكون قوله مقام ابرهيم غير متعلق بما قبله فكانه
قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابرهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات بيانه وتفسيره
قوله مقام ابرهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته

وجوه

وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابرهيم كان امة واما ان يجعل المقام
مشتملا على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاء
هذا الاثر دون آثار سائر الانبياء آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا
من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة تفسير الآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر
او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة
من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على ان الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم
الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه
قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابرهيم وامن من دخله ولله على الناس حج
وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابرهيم وهي ما اقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ
ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قاله في الكشاف وفيه تأكيد لكون مقام
ابرهيم وحده بيانا واما حديث امن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا وقيل كان آمنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا
وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم
كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس
حج البيت لما ذكر فضائل البيت اردفه بايجاب الحج وفيه لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم
والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من
استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز ان ينوى الاستيناف بمن والخبر او الجزاء محذوف اي لزمه او فعليه
والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه
قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى
الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن
والكافر وعدم الايمان لا يصلح معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري يكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع ان الايمان
بالله الذي هو شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل
واحتج جمهور المعتزلة بالآية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله
التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجابت الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مأمورا بالفعل

قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف ما لا يطاق او بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في
التكليف فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة
لا ينافي توجيه التكليف اليه اعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها
لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة
الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن
المجنون وعن الصبي الذي لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهي في محفتها
فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا
يصح مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا
يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حج الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ايما صبي حج ثم بلغ فعليه حج الاسلام وايما عبد حج ثم عتق فعليه حج الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر فاعتبر
وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن يعود الى الاسلام والتكليف والحرية
ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب
حجة الاسلام شرط زائد على الثلاثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرة بنفسه
واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه
وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فسر الاستطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي
على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة او يلحقه مشقة شديدة
ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الآخر لزمه
الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا
فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل
او باجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له
اهل او عشيرة يرجع اليهم او لا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع
الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكن ودست ثوب
يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته
او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال ولا عبرة بخوف الفقر

في الاستقبال

في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان رضي ببذل يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة
السلامة وفي البر وجود علف الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن
ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة
ولا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكن المسير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج
الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه
الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى
على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان
وبعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع
الثاني فهو استطاعة الاستنابة وانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون
عاجزا عن المباشرة بسبب الموت او لكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فقال يا رسول الله اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال
فاقضوا حق الله تعالى فهو احق بالقضاء وعنه ان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج
ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار
لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان
ثواب النفقة للآمر ويسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك نفقتك
وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون معلومة
فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال
ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية انواع من التوكيد
والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب له عليهم لكونه الها يجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم
يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال
وايراد للغرض في صورتين لتقريره في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه او فاني وانه يدل على غاية السخط والخذلان
ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا كان غنيا عن العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة
ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد

عدم وجوب الحج وتوكده ما روى عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب
وعن الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين
والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به
ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد
هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه اى تعذر عليكم الذهاب
الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها
دابة الا نفقت اى هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اى لم يمهل عقوبتهم ولم يستاصلوا ثم انه سبحانه
لاين اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم
عليه وهذه الحال توجب ان لا تجترؤا على الكفر بآياته ودلائلها على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم انه لما انكر عليهم
في ضلالهم وتحتم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من آمن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء
الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكارهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام
بجهدهم وكدهم او تذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا اى اعوجاجا
نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول واما الذي يرى فيقال فيه
عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون
وتقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام
فالمقدر تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اى صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل وانما تذكر وتؤنث
والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية
الى الابد وان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا او المراد انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم
من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم
على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال
مضل قال ابن عباس او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم
عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق به الاصرار
على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر
طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك
فيما اظهروه من الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبه وفي تكرير الخطاب
في الآيتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك

سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن اسلم وجابر ايضا ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم
الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث
تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين
اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه
ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة
وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال
فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
حتى قام بين الصفين فقراها ورفع صوته فلما سمعوا صوته انصتوا اليه وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح
وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن معه من المهاجرين
فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات
قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان
شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فما رايت يوما قط اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم
وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم
على لسان الرسول غضة في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة
ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا في كل ما يعن
لكم الى الكتاب والنبي قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فان كان قد مضى
الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين وكانه باق على ان عترته وورثته يقومون مقامه
بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي
وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا اشارة لهذه الامة
انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيامة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه او
يلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه
من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهداية بل قالوا انه فعل العبد تاولوا الآية
بان المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف

فقد هدي اي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر به
حاصلا او معنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده
التأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم لان الفراش لا ينال من نور
الشمع وهو شعلته حتى انفق ما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي
وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من
القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم
لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه ولستولت نفسه اولئك
كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات
وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه اولئك هم
خير البرية فكان كل الطعام حلالا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه لموت النفس
وحيوة القلب ولستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل
صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابرهيم وكانت ملته انفاق المال على الضيفان وبذل
الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع
للناس لان الله غني عن العالمين ولكنه انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع بمكة صدر
الانسان مباركا عليه وهدى يهتدي به جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح
له وانشرح فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات
يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابرهيم ببذل المال والنفس والولد ومن دخله
كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل ع الخليل لمن استطاع
اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السير واركانه منها الاحرام بالخروج عن
الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمالوفات والتطهير عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى [illegible] الارض
والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة
بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف
السبعة حول كعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية
بانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا تعرض لنفحات الالطاف ولا ترقب
لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل بهم
وانما يستكملون هم منه قل يا اهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا
يعلمون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهوى الا منه

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ○ واعتصموا بحبل الله
ای آنکه ایمان آوردند بترسید از خدای چنانچه حق ترسیدن اوست و باید که نمیرید الا که مسلمان باشید و چنگ زنید بعهد خدای یا بکتاب خدای
جميعا ولا تفرقوا ص واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
همه و پراکنده مشوید و یاد کنید نکوئی خدای را بر شما چون بودید دشمنان پس پیوند داد میان دلهای شما پس گردید
بنعمته اخوانا ج وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ط كذلك يبين الله لكم آياته
بنکوئی او برادران و بودید بر کناره گوی از آتش پس خلاص داد شما را از آن همچنان پیدا کند خدای برای شما دلایل خود را
لعلكم تهتدون ○ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
تا بگروه راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند سوی نیکی و فرمایند بکارهای پسندیده و باز دارند
عن المنكر ط واولئك هم المفلحون ○ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
از کارهای ناشایست و آنان ایشانند رستگاران و مباشید چون آنانکه جدا شدند و اختلاف کردند از پس آنکه آمد بدیشان
البينات ط واولئك لهم عذاب عظيم لا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ج فاما الذين اسودت
دلایل روشن و ایشان مر ایشان راست عذابی بزرگ در روزی که سپید شود روها و سیاه شود [illegible] پس اما آنانکه سیاه شده باشد
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ○ واما الذين ابيضت وجوههم
روهای ایشان گویند ایشان را ای کافر شدید از پس ایمان شما پس بچشید عذاب را بانچه بودید که کافر شدید و اما آنانکه سپید شده روهای ایشان
ففي رحمة الله ط هم فيها خالدون ○ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ط وما الله يريد ظلما للعالمين ○
پس در رحمت خدای اند ایشان در آن جاوید باشند این که گفتیم آیتهای خداست می خوانیم آن را بر تو بصدق و صواب و نخواهد خدای هیچ ستمی برای جهانیان
ولله ما في السموات وما في الارض ط والى الله ترجع الامور ○ كنتم خير امة اخرجت
و مر خدایراست آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است و بسوی خدای باز گردانند کارها را هستید شما بهترین گروهی که بیرون آورده اند
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ط ولو آمن اهل الكتاب
برای مردمان می فرمائید بکارهای نیک و باز می دارید از کارهای ناکردنی و ایمان می آرید بخدای و اگر ایمان آوردندی اهل کتاب
لكان خيرا لهم ط منهم المؤمنون واكثرهم الفسقون ○ لن يضروكم الا اذى ط وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ○
[illegible]
القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف
مسلمون ○ ولا تفرقوا ص لعطف المتفق اخوانا ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف منها ط تهتدون ○
المنكر ط للعدول المفلحون ○ البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر
وتسود وجوه ج اسودت وجوههم وقفة لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ○ ففي رحمة الله ط خالدون ○
بالحق ط للعالمين ○ ما في الارض ط الامور ○ وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون ○ قيل لا وقف عليه ووقف

لان المعرف لا تتصف بالجملة الا اذى ط الا دبار وقف لان ثم لترتيب الاخبار اى ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا
لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون ٥ التفسير انه سبحانه لما حذر المومنين اضلال الكفار امرهم في هذه الايات
بجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها
والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين
شق ذلك على المسلمين فنزل فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه
وكما يحق ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي والجمهور لا يراد
بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره
وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يومر بالاتقاء الاغلظ
والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه الآية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا
وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما هو نهي عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله
ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق
الآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونكم مجتمعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا
لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي عن مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه لان وجه الشبه
وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء
على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق
الحق دقيق والسائر عليه غير مامون ان تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل هاهنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان
كانت عبارات المفسرين متخالفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما
روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها
قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
هذا القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود
من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى
عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة لقوله قال صلى الله عليه وسلم
ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروي السواد الاعظم
وروي ما انا عليه واصحابي وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة وقد تمسك بالآية نفاة القياس قالوا
الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية

فالقول

فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب
العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمة عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء
والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان
وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق
فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امر امر برفق ناصح
لا بعنف معير وكان حبه لحزب الله ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده وقيل كانوا
كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفاء الله ذلك بالاسلام
والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام
انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان
والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول
الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه تقال اشفى على الشيء
اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في منها للحفرة او للنار
او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله شعر كما شرقت صدر القناة من الدم
قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال
له قومه انا لنراك في ضلال مبين اي ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم
على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها
وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا
ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم
وسائر الالطاف حتى آمنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المومن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو
العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال
العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى
او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني اهل السنة وقد مر في اوائل سورة البقرة ثم رغب المومنين
الكاملين في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي
والكف عما لا ينبغي من محرمات ومكروهات فلا جرم اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا

ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضده اما بيده او بلسانه او بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك
في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند
وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام
به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال آخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر
على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء
الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتهما وكيف يباشر
فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر
وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا
على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين
عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلاثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى
وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد
الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد والثاني ما يؤمر
به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها
والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه او انهدم سوره او طرقه
ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذوو
المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين
وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ
السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن تعرض هيآت العبادات
كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او يزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو
ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به
واذا راى رجلا واقفا مع امراة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة
فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله من الخلوة معها
ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة
من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص
بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان
ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك

ايمانا

ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك لان هذه الدعوة منصب النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن هنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الآية
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكنى بقوله تعالى واولئك هم
المفلحون اي الاخصاء بالفلاح مدحا لهم وقد تمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه
ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر
لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامراة ان يامرها
بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي وانكار المنهي واجبان على الفاسق فبترك
احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف
بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى
عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل شعر وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض
والقرآن ينعى على من يقول ما لا يفعل لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف
تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم ازك الم اصل الم اصم الم افعل كذا وكذا فاجيب بلى يا عدو الله
ولكن انك اذا خلوت بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان
احدهما انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حرفوا
فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم انجر الكلام الى امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل
فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة
وثانيهما انه لما امر الامة بالامر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون
فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الآية من تتمة
الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا
بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او تفرقوا
بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف
ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات
الواضحة والنصوص الظاهرة واولئك الذين اتبعوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه وفي تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكمه هذا اليوم ان تبيض بعض
الوجوه وتسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة

ونى امثال هذه الالوان للمفسرين قولان احدهما والرسيل انى سلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز
مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسن بن على عليهما السلام الامر لمعوية قال له رجل يا
مسود وجوه المومنين وتمام الخبر سوف يجى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء فى الشيب شعر
يا بياض القرون سودت وجهى عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما
وهما النور والظلمة اذ الاصل فى الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره وازهاره وابيضت
صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكموده واسودت صحيفته واحاطت
به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة فى ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف فيعظمونهم او يصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم
بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف فى الدنيا انه يحصل له فى الاخرة احدى الحالتين
ازدادت رغبته فى الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق ان الصفات الميئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات
والعادات الذميمة ظلمات وكل منهما لا تظهر آثارها كما هى الا بعد المفارقة الى الاخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالاية على ان المكلف اما مومن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم
اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المومنون ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى فى آخر الاية فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون واعترض القاضى عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة فلا تفيد العموم
وايضا المذكور فى الاية هم المومنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلى من اهل النار مع انه غير داخل
تحت هذين القسمين وكذا القول فى الفساق والجواب لم لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج
الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وايضا انه جعل موجب العذاب فى آخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر
لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو
الترتيب انه ابتدا بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتى
غضبى ولما فى ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وانه فن بديع فى الفصاحة ومن المراد بقوله الذين كفروا بعد ايمانهم
قال ابى بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدى فى البسيط باسناده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
وقيل المراد انكم كفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج
انهم اهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكفروا به بعد بعثته وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن
هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
ولما رأى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى
تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب انى لعلى اراك انى سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه
قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا

فاعاذكر

فاعاذكر الله منهم هذا اما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذى فى جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام
لا يوجب الكفر البتة والاستفهام فى قوله اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضى فيه وكذا فى قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر
منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففى رحمة الله فالمراد بها الجنة التى هى
محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اى لا يظعنون عنها
ولا يموتون وفى اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته
وفى اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا
دلائل واشارات الى ان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب ثم كيف لا وقد لوح فيه بقوله تلك الاحكام التى وردت فى حيز
الوعيد والوعد والتقضى ذكرها آيات الله نتلوها عليك ملتبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسئ
باساءته او ملتبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد
المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عن مواعيد اصدق القائلين قال الجبائى وقوله ظلما نكرة
فى سياق النفى فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء صدر منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان
فاعلا لشئ من اقسام الظلم لكان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من
جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشئ وصح
منه كونه مريدا له فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى انه يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما
فى السموات وما فى الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز
او الحاجة وكل ذلك على الله محال لانه مالك لكل ما فى السموات وما فى الارض بل لكل ما فى الوجود وربما يقال معنى الاية
اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى
لو عذب البرئ من الذنب لشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف
فى ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثانى ايضا محال على قولكم لان كل ذلك بارادة الله وتكوينه
عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح فى مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح
بنفى صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولم يتوقف التمدح بذلك على صحة
النوم والاكل عليه الثانى انه تعالى ان عذب من ليس مستحقا للظلم لم يكن ظالما لكنه فى صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين
على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق فى هذا المقام ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه واذا كان اللطف والقهر
من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما فى مظهره يكون وضع الشئ فى موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله
ولله ما فى السموات وما فى الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما فى السموات وما فى الارض اجابت المعتزلة
بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله وايضا الاية مسوقة فى معرض
المدح ولا مدح فى نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما فى السموات وما فى الارض يتناول ما كان مظروفا لهما

وذلك من صفات الأجسام لا من صفات الأفعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول
فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله تعالى دفعا للتسلسل او الترجيح من غير مرجح قال الحكماء انه تعالى قدم
السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية
مستندة الى خلقه وتكوينه فيكون الجبر ايضا لازما من هذا الوجه والى الله اى الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور
فالاول اشارة الى انه مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى ان معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم
وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امر ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم
خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما
انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين
يعني انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اى تلك الكرامات
والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان
ان كل ما في الوجود ملكه وبملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك مزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة
العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف انها لو توقعهم في طريق القهر
والاعراض لاحد على ما يفعل المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين
قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم
فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اى حدثتم ووجدتم خير امة
والاكثرون على انها ناقصة ثم انه ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل واجيب بان
كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله او في
اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التورية والانجيل وقال ابو مسلم هذا
تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه تعالى يقول لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير
امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا
لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم السابقون الاولون ومن صنع مثل
صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانباري بان الزائدة لا تقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب
عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا تقول كان عبد الله قائم على ان كان عبد الله [illegible] لان البداءة بها دليل شدة
العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اى صرتم خير امة واصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء
الواحد وامة محمد هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في نحو قول العلماء اجمعت الامة
وقعت عليهم وقد تقال لكل من جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج
ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام

مثلهم ح

وقوله

وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها
اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اى كنتم للناس خير
امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها
لو لم يحكموا بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل
معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اى جهة يقتضي ذلك كون هذه الامة
خير الامم مع ان الصفات الثلث كانت حاصلة لسائر الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد
واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة
وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وتخليصه
من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع انا نبي السيف
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا
معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله
وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر المنكر وفائدة القتال على الدين لا ينكره منصف
فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتاملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا خوف بالقتل
دخل في دين الحق بكرها الى ان يألف مستدرجا واما الايمان بالله فلا شك ان في هذه الامة اكمل لانهم آمنوا بكل
ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او ثواب او عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددنا ولا ايمان في الحقيقة
الا به ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان
الايمان مقدم على كل الطاعات لان الآية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتاكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد وكان تقديمه اهم وليعلم ان التكميل
افضل من الكمال نفسه ولهذا يستلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان
بالله تكرير المزية بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا تفيد الترتيب وايضا المراد ان يبنى عليه قوله ولو آمن وفي
التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يتبين فيه الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخيرية
وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير
الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل
الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر
ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة

او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجل ان الحاصل على هذا التقدير عز الاسلام
مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الاجر في الآخرة مرتين وعلى ما لم فليس الا الاستشباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر
من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للمعهود السابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى عن دينه فيقال
الكفر او برادفه او المراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة
ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال وهو آية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى الا ضرارا لا يجاوز اذى
بقول كطعن في الدين او تهديد او تحريف نص او القاء شبهة او اظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر
كالاذى يقال آذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضر فصح انتصابه والتقدير لن يضروكم
شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا او من هذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل رفع ليكون نفي النصر
وعدا مطلقا ويكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم
اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف عنهم راسا فلن يستقيم لكم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي
في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ابدا كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان
اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر او لعل المراد نفي النصرة
عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحال وفي الآية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من اهل الكتاب
كيلا يلتفتوا الى تضليلهم وتخويفاتهم التاويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم
لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا تنسف وجودكم المجازي الا وقد
سلمتم لتصرفات الالهية والجذبات الربانية ولتستفيدوا الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا
اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله
وهو كل سبب يتوسل به الى الله من اعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب اذ مشربهم الاحوال
فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن
وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم
منها بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك يبين الله لكم آياته للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها
الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون
الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
لان الوجوه تخبر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم هم

ارباب

لاحكام

حكم على الاعتصام

ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم
القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا
انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاق مع اهل الله هم فيها خالدون في الآخرة لانه يموت على ما عاش عليه
ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله
يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة
لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم بشؤم
عصاتهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زلاتهم لعنة وزلاتنا رحمة ومنها شكايتهم
الينا وشكرنا اليهم قبل وجودنا ولو آمن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق
الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق
ه وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ه

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله
لازم كردانيده شد بر ايشان خواری را هر جا يافته شوند مگر بعهدی از خدای و عهدی از مردمان بالتزام جزيه و سزاوار شدند [illegible]
وضربت عليهم المسكنة ط ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ط
ولازم كردانيده شد بر ايشان بيچارگی آن عقاب بسبب آنكه ايشان هستند كه كافر می شوند بنشانهای خدای و می كشند پيغمبران [illegible]
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ه ليسوا سواء ط من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله
آن كشتن بسبب آنست كه نافرمانی كردند و بودند كه از حد می گذشتند نه اند اهل كتاب برابر [illegible] جماعتی راست ايستاده می خوانند آيتهای خدا را
آناء الليل وهم يسجدون ه يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
در ساعات شب و ايشان نماز می گزارند ايمان می آرند بخدای و بروز قيامت و می فرمايند بكارهای شرعی نيكو و باز می دارند از كارهای ناكردنی
ويسارعون في الخيرات ط واولئك من الصالحين ه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ط والله عليم بالمتقين ه
و می شتابند در ادای طاعات نيكيها و ايشان از جمله نيكان اند و آنچه كنند از نيكی پس هرگز منع كرده نشود ثواب آن را و خدای داناست بحال پرهيزگاران
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ط واولئك اصحاب النار ج
بدرستی آنانكه كافر شدند هرگز باز ندارد از ايشان خواستهای ايشان و نه فرزندان ايشان از عذاب خدای هيچ چيز را و ايشان ملازمان آتش اند
هم فيها خالدون ه مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت
ايشان در آن آتش جاويدانند داستان آنچه خرج می كنند كفار [illegible] در زندگانی نزديك چون داستان بادی [illegible] سرد باشد [illegible]
حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته ط وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ه يا ايها الذين
كشت زار گروهی كه ستم كردند بر خود بعصيان حق پس هلاك كند آن را و ستم نكرد بر ايشان خدای ولكن بر نفس خود ستم كردند [illegible] ای آنانكه
آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ط ودوا ما عنتم ج قد بدت البغضاء
ايمان آورده اند مگيريد دوست خالص [illegible] تقصير نكنند در خوی فساد را دوست داشتند [illegible] در مشقت افكند شما را بتحقيق ظاهر شد دشمنی

من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ط قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ه ها انتم اولاء
تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتب كله ج واذا لقوكم قالوا آمنا ج واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ه ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ط وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط ه
القراءة ويا ارعون وبابه كسارعوا ونسارع ممالة قتيبة وابو عمرو طريق ابن عبدوس ما يفعلوا
فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسوهم وبابه من كل همزة
مجزومة بغير همز الاعشى داود قتيبة والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب
وابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم وما بعده محرك للساكنين
فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة **الوقوف** المسكنة ط بغير حق ط
يعتدون ه قيل لا وقف وعلى الوقف لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه الضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين
عصوا وا عند واحد الفريقين سواء ط يسجدون ه قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون والاصح ان الايمان بالله والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر اوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات ط الصالحين ه تكفروه ط المتقين ه شيئا ط
النار ج خالدون ه فاهلكته ط يظلمون ه خبالا ط ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون ه كله ج
للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق
من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ه تسؤهم ز للابتداء بشرط آخر والوصل اجود اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم
يفرحوا بها ط لتناهي وصف الذم لهم وابتداء شرط على المؤمنين شيئا ط محيط ه **التفسير** هذا اخبار
من مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والمولن في عامة الاحوال بالقتل والسبي
والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او ملتبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين
فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا
وما لهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة
الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب
نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا
والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن المراد بها الجزية

لزم

وانما اوردت

وانما اوردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى
منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا ولكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والمدقعة
البتة وباقي الآية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق
لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكره في الموضع اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك يوافق ما بعده
من جموع السلامة كالذين والصابئين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتفظيعا
لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي اذن الله ان يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق ثم نكره في المواضع الباقية اي بغير حق اصلا لا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء
كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة
الا انه اضمر ذكرها لان القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا قال ابو ذؤيب
دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد
وعبدالله لا يستويان زيد عاقل دين ذكي فيغني هذا عن ان تقول وعبدالله ليس كذلك وقيل وهو اختيار ابي عبيدة
ان امة مرفوعة بليس على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير
ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي تفسير اهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى
قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبدالله بن سلام واضرابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا اشرارنا ولو كانوا من خيارنا
لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني انهم كل من اوتي الكتاب
من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج
الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية
فبشرنا وقال انه لا يصلي هذه الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هؤلاء الآيات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين وقال القفال
رحمه الله تعالى لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا
بمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي ينام فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا
ان يقال المراد كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسماهم الله اهل الكتاب كأنه قيل اولئك الذين سموا انفسهم باهل الكتاب حالهم
وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى باهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من
هذه الآية تقرير فضيلة اهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة
له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الآية دلت على ان
المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حسنة قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم

الصفة الثانية يتلون اي امة قائمة تالون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكأن التلاوة
هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها اِنًى
مثل مِعًى واِنْيٌ واِنْوٌ مثل نِحْيٍ ونِحْوٍ الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل ان يكون حالا من يتلون كأنهم
يقرءون القرآن في السجدة تخشعا الا ان ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا يأباه
ولان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا
وقياما قال الحسن يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك على حسب النشاط والراحة ولان يكون المراد وهم يصلون
ويتهجدون والصلوة تسمى سجدة وركعة وسبحة ولان يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض
وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال
حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد وفيه ان
غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شيء بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام وذلك بسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم
الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في
جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكورات كلها وهي من صفات المدح
لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا تفوت فهي المبادرة آفات وما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال العجلة من الشيطان
مخصوصة بهذه الآية على انها لا تفيد كلية الحكم لان القضية اهملت اهمالا كيف والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التأخير
لكونه ما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب فيه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي او لكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر
وتأمل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فتغتنم فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وآله وسلم اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة
واولئك من الصالحين وذلك لان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فقد كمل
المقصود وتمارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك
من الصالحين فقال وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا تعدى الى مفعولين
مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر
عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده
بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه
فما ظنك بمثيب هذا شأنه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الآية وقد سبق تفسير مثله في اول السورة
ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون
بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الآية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس

وقتادة

وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا فمعنى الآية كمثل ريح
فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف ان يكون الصر صفة بمعنى البارد فالموصوف محذوف اي فيها قرة صر
كما تقول برد بارد على المبالغة او تكون في تجريدية كما يقال رايت فيك اسدا اي انت اسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل
وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض
من التشبيه حاصل وسواء كان بردا مهلكا او حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب
الذي مر ذكره في اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح
وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله
ولهذا قيده بقوله في هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني
ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي جمع العساكر عليه في كونه
مبطلا لما تقدمه قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون
عائد الى جميع الكفار وذلك لان انفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له اثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر
واما ان يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر
والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قدموا الآخرة رأوا كفرهم مبطلا لآثار تلك الخيرات
فكانوا كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا
وهو معصية كالانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي تخريب ديار المسلمين وايضا فسر الآية
بخيبتهم في الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم
واظهر الله الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا
هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الآخرة كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات
اما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب
بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عثير وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدله الله خيرا منه
في الدنيا او في الآخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك
حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع
في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه وفي غير اوانه ثم اصابته الآفة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير في وما
ظلمهم للمنفقين اي ما ظلمهم بان لم تقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب
الحرث اي ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال
المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤ
كانوا يصافون المنافقين ويواطئون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع

نهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره
اي اموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي من الجسد
خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق
بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاورة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهي
عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن اتخاذ من غاير جنسهم واهل ملتهم بطانة وانهم تقدم الاهم والذي هم
بشانه اعنى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل
معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا او جهدا على التضمين اي لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه
رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم
وفساد حالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا
اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد احبوا وتمنوا ان يضركم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين
انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك غير زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء
هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط حذفت الهاء تخفيفا
واقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكشرهم عن الانياب
وعدم التقية في تكذيب النبي والكتاب واما من المنافقين فذلك لان المداجي لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه
وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما
تخفي صدورهم اكبر لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه
الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الايات ان كنتم
من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون
على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير آليكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما
قد بينا فكلام مبتدأ واحسن من ذلك وابلغ ان تكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كانما قيل
لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما آية ودادة
العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا الفن احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط
بينها العاطف ولا عاطف هنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوى
بالبراهين ولا تخفى جلالة هذه الفوائد ثم استانف للتحذير نمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء
الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم
الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم
لاختلاف الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض

او تحبونهم

او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في
امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها مما لا يكاد تنحصر داخلة في الاية
ثم ذكر سببا آخر مما يابى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر
احد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في
وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف
المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن
هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل
موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم
والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن
فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة تكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي
الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرون
من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يذيبكم او موتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو
مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم
فاني اعلم ما اضمروه الخلاء بي ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك
بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فكن امرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا
آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة
والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباب تسؤهم سائه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد
ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف هنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس
اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض
والشماتة قلما توجد اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل شعر عند الشدائد تذهب الاحقاد الا ان يكون هناك تمام
غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين في القضيتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى
هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من
موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال
ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه ارشاد من الله تعالى الى ان يستعان على دفع
الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك
وقال بعضهم شعر اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان

لان الله بما يعملون في عداوتكم او بما تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله **التأويل**
ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص لانهم لم يعتصموا بمحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته
ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليبسوا اي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه
شبرا تقرب اليه ذراعا مثل ما ينفقون نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية لقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
كمثل ريح هي هوى النفس فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد
الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث وقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون
في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما اغنمتموه وتركتموه للرياضة هممهم وعلو
همتكم او فرحوا بما قاسيتم من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم بالاعتراض
الفاسد وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتنافر الارواح واختلاف
حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور
ان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن فيه

واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ط والله سميع عليم ۝ لا اذ همت طائفتان

منكم ان تفشلا والله وليهما ط وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ج

فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۝ اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف

من الملئكة منزلين ۝ ط بلى لا ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم

بخمسة آلاف من الملئكة مسومين ۝ وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن

قلوبكم به ط وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ۝ لا ليقطع طرفا من الذين كفروا

او يكبتهم فينقلبوا خائبين ۝ ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم

ظالمون ۝ ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ط والله غفور رحيم ۝

القراءة تبوئ

القراءة تبوئ المؤمنين بغير همز ابو عمرو غير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد
وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالفتح
الوقوف للقتال ط عليم ۝ لا لان اذ بدل من اذ غدوت او تعلق بالوصف او بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان
الواو للحال وليهما ط المؤمنون ۝ اذلة ج للفاء تشكرون ۝ منزلين ۝ ط لتمام المقول بلى لا لاتحاد مع ما بعده
مسومين ۝ قلوبكم به ط الحكيم ۝ لا لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ۝ ربع الجزء ظالمون ۝ وما في الارض ط
من يشاء ط رحيم ۝ **التفسير** انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك
ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال
فلما خالفوا امر الرسول انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم
ووجه آخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه
لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا الكلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد
كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول تبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو
كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة احد وهو قول
ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم وذلك ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله
اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت
فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته
هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى
دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوحي
يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
بعد صلوة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد من اهلك عن مجاهد والواقدي انه مشى على رجليه
الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كأنما يقوم القدح
ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله
بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه اثبتوا
في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم

لما خالف رأي عبد الله بن أبي شق عليه ذلك وقال أطاع الصبيان وعصاني ثم قال لأصحابه إن محمدا إنما يظفر بعدوكم
وقد وعد أصحابه أن أعداءهم إذا عاينوهم انهزموا فإذا رأيتم أعداءكم انهزموا فيتبعونكم فيصير الأمر على خلاف ما ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا
وكان جملة عسكر الإسلام ألفا وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف فقواهم الله
مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا أن تكون هذه
الواقعة كواقعة بدر وطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يعلموا أن ظفرهم
يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قال تعالى إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم
في أخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه إلا أبو بكر
وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر أن محمدا قتل فأشرف أبو سفيان وقال أفي القوم
محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال
إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك فقال
أبو سفيان يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله
أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله
مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول
قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع إلى التفسير بوأه منزلا وبوأت له منزلا
أنزلته فيه ومقاعد أي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه
قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك أي من موضع حكمك ويحتمل أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما
أمرهم أن يثبتوا في تلك الأمكنة ولا ينتقلوا عنها سميت بالمقاعد لذلك ويحتمل أن المقاتلين قد يقعدون في
الأمكنة المعينة إلى أن يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لأقوالكم عليم بضمائركم
ونياتكم فإنا بينا أنه كان في القوم موافق ومنافق إذ همت طائفتان منكم هما حيان من الأنصار بنو سلمة من
الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان أن تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر أنها ما كانت
عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فإن ساعدها
صاحبها ذم وإن ردها إلى الثبات والصبر فلا بأس بما فعل وعن معاوية أنه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع
رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة شعر أقول لها إذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي ومما يدل على أن ذلك الهم لم يفض إلى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت
عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله

وعلى الله

وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل تفعل من وكل أمره إلى فلان إذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه
إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن
جابر فينا نزلت إذ همت طائفتان منكم نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما
أخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء إن الله تعالى أبهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر
ولقد نصركم الله ببدر وإنه ماء بين مكة والمدينة عن الواقدي أنه اسم الماء بعينه وعن الشعبي أنه سمي باسم رجل كان
الماء له وأنتم أذلة إنما جاء بجمع القلة دون الذلائل الذي هو للكثرة ليدل على أنهم مع قلة العدد وهو المراد
بذلتهم كانوا قليلي العدد أيضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين أو لعل المراد أنهم كانوا أذلة في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن
الأعز منها الأذل أو لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة وإلى هذا الوقت ما اتفق لهم
استيلاء على أولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم
ما أنعم به عليكم من نصره أو لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول للمؤمنين
اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في إذ قوله نصركم أو حصل يوم أحد فيكون بدلا ثانيا من إذ
غدوت والأول قول أكثر المفسرين لأن الكلام متصل بقصة بدر ولأن العدد والعدد يوم بدر أقل فكان الاحتياج
إلى المدد أكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن إسحق لأن المدد يوم بدر كان بألف
من الملائكة لقوله تعالى في سورة الأنفال فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة دون ثلاثة آلاف وخمسة آلاف وأجيب بأنهم
أمدوا بألف ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة آلاف ثم زيد ألفان آخران فصاروا خمسة آلاف فكأنه قيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم بألف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قيل لهم إن تصبروا وتتقوا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف وهو كما روي أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأصحابه أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم
قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فإني أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة وانصب لعل أهل بدر أمدوا
بألف ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد إمداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بأن
الكفار إن جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم إنه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغتهم هزيمة
قريش فاستغني عن إمداد المسلمين بالزيادة على الألف قالوا إن الكفار كانوا يوم بدر ألفا والمسلمون على الثلث منهم فأنزل الله
ألفا من الملائكة بعدد الكفار إيضاحا وعدهم أن يجعل الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا واتقوا وأجيب بأن هذا
تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن أن يكون الأمر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم أحد هو الذي
كان يأتيهم الأعداء أما يوم بدر فهم ذهبوا إلى الأعداء وأجيب بأن المشركين لما سمعوا يوم بدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فأخبرهم
الله تعالى أنهم إن أتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف ثم قالوا في وجه النظم إنه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال وعلى الله فليتوكل

المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم و عُددكم فلقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد
ثم انزال الملئكة خمسة آلاف كان مشروطا بشرطان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر
الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط واما انزال ثلثة آلاف فانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعدهم ذلك
بشرطان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملئكة
يوم احد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه
ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول
صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه ملك أُيِّد به وعن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه
وما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد الملئكة فمنهم من ضم العدد الناقص
الى العدد الزائد كان الوعد بامداد الثلثة الآلاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الآلاف مشروط بالصبر والتقوى
ومجيء الكفار من فورهم فها استعارات وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع آخر فكمل
المجموع تسعة آلاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية آلاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا
بالف ثم زيد الفان فصح ان يقال وعدوا بثلثة آلاف ثم زيد الفان آخران فوعدوا بخمسة آلاف واجتمع اهل التفسير
وارباب السير انه تعالى انزل الملئكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم تقاتل الملئكة سوى يوم بدر وفيما سواه
كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال لم تنصر الملئكة بالقتال بل بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار
المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملئكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك اهل الارض
كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا احضر هو يوم بدر فاي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فاي
فائدة في ارسال سائر الملئكة وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا
لو قاتلوا فاما ان يكونوا بحيث يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلثة
آلاف واكثر ولم يقل احد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب
الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم حز الرؤس ومزق البطون واسقاط الكفار
من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر
والمسلم والموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل ولو كانوا اجساما لطيفة هوائية
فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى
قادر على ما شاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر
روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق
ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع
الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد

[illegible]

اشارة هذا الدين على تمهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى
فله الحمد على ما اولى وله الحكم في الآخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول
البأس فلا جرم اظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة لتميز الموافق
عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر لاشبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي
التكليف وينوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك امد بالملائكة حين امد على عادة الامداد بالعساكر ولا ان ملكا واحدا
يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة
لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة آلاف من الملئكة
وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية
سد الخلة والقيام بالامر ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة
قيل فيه امده يمده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر بلى
ايجاب لما بعد النفي لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من
فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره
كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة آلاف مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور
فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها او بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم
ربكم بالملئكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة
الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر
الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم
صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملئكة كذلك
وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملئكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت
الابل وسومتها ارسلتها للرعي فالمعنى ان الملئكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم
كما يهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر
المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اي الا لتستبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة
بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا كثروا ولا من عند الملئكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به
الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية
على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها

اي ما ننصر وقطعهم

ليقطع طرفا من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد
الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت
في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب
فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم فيكون الخيبة لا تكون الا بعد التوقع ونقيضها الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده
ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه
ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر لك تخدمني لتعينني ليقوم
بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك
قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر
رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن اقواما فقال اللهم
العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الآية او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء
وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن
منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك وهو مروي عن ابن عباس
وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الآية
في الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث جماعة من خيار
الصحابة زهاء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع
عسكره واخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعد
ما يرفع رأسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن رعلا والعن لحيان وعصية وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف حتى
انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الآية يدل على انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ
يتوجه الاشكال بان ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قادح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى
والجواب ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط ولعله شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله
ذلك على ما لا ينبغي من الفعل او القول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا انه كان مشتغلا بذلك الفعل
فانه محمول على ترك الاولى والنهي لارشاد الى اختيار الافضل وايضا ان دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما
هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف سؤله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤله ولهذا سأل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا
يستحقه طهرا وزكاة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة من شان

هذه

هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك من امر خلقي شيء الا ما يكون من امري
وحكمي وقوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من
التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منعه صلى الله عليه وآله وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه
وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب
عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت
زيدا فاعلم ذاك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم
على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا الظاهر ببرهان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه
والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى
وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم
ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او عصيانهم ثم اكد ما ذكره من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله
ما في السموات وما في الارض اي بها والحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر
لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين
وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله
والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب
من يشاء على الذنب الصغير وايدوا هذا النقل بدليل عقلي وهو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا
للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد او معصيته تنتهي الى الله وفعل الله
لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة فناقشوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب
من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة
فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك فممنوع والله تعالى اعلم التأويل اخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت
وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات نفسه
الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاتك الروحانية مقاعد لقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص
للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب واوصافه والروح واخلاقه
والله وليهما ليخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول
للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكابدة
الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس كقوله وانزل جنودا

لم تروها. بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليمحو بعضا من الصفات النفسانية التي هي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم من يشاء على ما يشاء لكونه شاهي تبارك

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة ص واتقوا الله لعلكم تفلحون ج واتقوا النار التي اعدت للكفرين ج

واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ج وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض لا

اعدت للمتقين لا الذين ينفقون في السراء والضراء والكظمين الغيظ والعافين عن الناس ط والله يحب المحسنين ج

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار

خالدين فيها ط ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن لا فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا

ويتخذ منكم شهداء ط والله لا يحب الظلمين ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكفرين

القراءة سارعوا بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وحماد الباقون بالفتح **الوقوف** مضاعفة ص لعطف المتفقتين تفلحون ج للعطف للكافرين ج ترحمون ج ومن قرأ سارعوا بغير واو توقف مطلق والارض لا لان ما بعده صفة الجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب عن الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين للمتقين مؤمنين

مثله ط من الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظلمين لا للعطف على الكافرين

التفسير قال القفال رحمه الله تعالى يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا مضاعفة ليعلم انه منهي عنه مطلقا وانما هو نهي عما كانوا عليه في الجاهلية من تضعيف كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر اهل النار الكفار فغلب جانبهم كما قالوا اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان وجدان الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول ولهذا ايتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لانهما متلازمان ومتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم وتنكير المغفرة لقصد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذكرها الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف على المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن المتيسر ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات كقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما صار ملكا له فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا اي لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمن الجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك

بالطول ونظيره بطائنها من استبرق بان البطائن في العادة تكون ادون حالا من الظهارة واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة أفي الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حالي الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير انكر عليها فقالت أتحسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس او حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا اسكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لأمثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلوات الله عليه ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذاك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك لان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار

أتته

أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاسأله عن ذنبك لعل الله يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة الزنى لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان يستغفر عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه وانه سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواقدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسألة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم لقوله تعالى يستغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا

ثم المفيتني لا اشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي قال حدثني ابو بكر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر
الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا لم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب
يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى راسه واصرا ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا وحرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاني زيد وهو راكب ولم ترد نفي المجي والركوب معا وذلك لان المقام
مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد
يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتميز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يحتمل ان يراد نفي الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي المجي في حال الركوب
لا نفي المجي على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا ابطل قول من قال ان الثواب
تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه
لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر
ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة
وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي
هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة
بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته او من سن
الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر
وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين
فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر بقي له اللعن والعقاب
ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال احد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر او لان الغرض زجر
الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف
احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى السير لان لمشاهدة اثار
الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل شعر ان اثارنا تدل علينا، فانظروا بعدنا الى الاثاره هذا بيان المشار اليه
بهذا اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة
للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حث عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين والاعتبار بما يعاينون

من اثار

من آثار هلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس
وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام
الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان
عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية واقول يشبه
ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين وباي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة
يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص المتقون
بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه
قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا
تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم
انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم
للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية
لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لان الله سيثيبكم
هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم احد فبينما هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد
بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم
ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى
هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم احد كئيبا حزينا جعلت
المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح
بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر
وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها
جمع قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال
فانتم اولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم
احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت
عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في اول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والتماثل في عدد القتلى والجرحى غير لازم وانما تكفي المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام
موصوف وصفة مبتدأ خبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد فان الضمير لا يوصف
ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات

من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال
تداولته الايدي اي تناقلته والايام دول اي تنتقل من قوم الى آخرين لا يدوم مسارها ومضارها فيوم يحصل فيه
السرور له والغم لعدوه ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال
شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المومنين واخرى
ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين واخرى
على المومنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المومنين في جميعها لحصل العلم الضروري
الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة
ان تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله
والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب وتكثر الفوائد
والمقدر نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفائدته بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في
ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة ثم منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه
الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في
تفسير قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه وتاويل الآية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا
علم فلان او قدرته والمراد معلومه او مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير
في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمومن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز
فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء ويقول بعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة
تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى
العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده معناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين
فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا
شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا
به من الشدائد او المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين
بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا دار السلام لانهم ماتوا بخلاف غيرهم وقال
ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قاله ابن
عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض العلل
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المومنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين آمنوا
ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء

قال الزجاج

قال الزجاج معنى الآية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المومنين كان المراد تمحيص ذنوب المومنين اي تطهيرهم وتصفيتهم
وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك
انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج ومهل ليقطع طرفا فينقصها من اطرافها **التاويل** لا تاكلوا
الربوا ما يودي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملا جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله
خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام
الذين هم ارباب الوسائط بقوله واتقوا اي بالقناعة النار اي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوز ان يقدر في
طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان لمسارعة النفس والجنان عرضها السموات والارض اي المسافة بين
العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
عن عيسى عليه الصلوة والسلام انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية
بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون اموالهم في السراء والضراء وارواحهم في الضراء
بل ما سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي روية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه
وروئيته ومن يغفر ومن يستر بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من روية الوسائط
والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم
وجنات من اصناف الطاف يجري من تحتها انهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم
امم لهم سنن فسيروا في ارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا
على ما فاتكم من اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الدنيا والآخرة لانكم من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح
ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة
ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهدة والمكاشفة وليمحص الله في البشارة الى
ان كل الم ونصب يصيب المومن فهو تطهير وتمحيص لقلبه وتكفير لسيئاته وما يصيب الكافرين من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو
سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه ووجه آخر البلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار
الغيوب ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ۝ ولقد كنتم
[illegible]
تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ۝ وما محمد الا رسول قد خلت
[illegible]
من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
[illegible]

وسيجزي الله الشكرين ۝ وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ط ومن يرد

وزود بود که پاداش دهد سپاس داران را ونباشد هیچ تنی را که بمیرد مگر بفرمان خدای نبشته شده بوقت معین وهر که خواهد

ثواب الدنيا نؤته منها ج ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ط وسنجزي الشكرين ۝

پاداش نیکی درین جهان بدهیم او را ازین وهر که خواهد پاداش نیکی آن جهان بدهیم او را ازین وزود باشد که جزا دهیم سپاس داران را

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ج فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا

وچند پیغامبران که کارزار کردند وبا ایشان بودند جماعات بسیار پس سست نشدند برای آنچه رسید بدیشان در راه دین وضعیف حال نشدند

وما استكانوا ط والله يحب الصبرين ۝ وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا

وفروتنی نمودند اعدا را وخدای دوست دارد صبر کنندگان را ونبود گفتار آن جماعات مگر آنکه گفتند ای پروردگار ما بیامرز برای ما گناهان ما را

واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكفرين ۝ فاتهم الله ثواب

وازحد گذشتن ما در کار ما وثابت دار قدمهای ما را ویاری ده ما را بر گروه کافران پس داد ایشان را خدای نیکی پاداش

الدنيا وحسن ثواب الآخرة ط والله يحب المحسنين ۝ يايها الذين امنوا ان تطيعوا

این جهان ونیکی پاداش نیکو آن جهان وخدای دوست دارد نیکوکاران را ای آنانکه ایمان آوردند اگر فرمان برید

الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خسرين ۝ بل الله مولكم ج وهو خير النصرين ۝

آنان را که کافر اند بازگردانند شما را بحالت کفر پس بازگردید زیانکاران در دو جهان بلکه خدای یاری دهنده شماست واو بهترین یاری دهندگان است

القراءة رأيتموه بغير همز يعني بالتليين ونحوه رأوك ورأوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرد ثواب وبابه مدغما ابو عمرو والشامي ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل نؤده وكأين بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همز وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي بغير نون في الوقف وكاي الباقون وكأين في الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصبرين ۝ تلقوه ص لطول الكلام رسول ج لان ما بعده صلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين ۝ مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ۝ قتل ط لكون قتل النبي الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بانه سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله الوقف كثير ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب ما استكانوا ط الصبرين ۝ الكافرين ۝ الآخرة ط المحسنين ۝ خاسرين ۝ مولكم ج الناصرين ۝

التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذاك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الآخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه وفي اصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا

الجنة

الجنة ولم تجاهدوا بعد وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان المحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين ولن يعلم الصابرين وجه آخر وهو ان يكون مجزوما ايضا لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين اياهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق لصناعته قالت الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني اي رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقيتم انتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليهم ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة واخذ طلحة بن عبيد الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما وظن ابن قمئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان

فشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه
فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول
اي رسول قال ابو علي وقد يكون الرسول في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا تتخطاها الى البقاء والدوام
قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان
الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب
الجملة الشرطية عن الجملة قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد
او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله
او موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء او قتلهم فان موسى
عليه الصلوة والسلام مات ولم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه الصلوة والسلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه
وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم
في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم
وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة باي طريق كان ولذا انهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق
القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها
ومعنى او هو الترديد والتشكيك اي سواء فرض وقوع الموت او القتل فلا تاثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار
او الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كالقول للولد العاق عند العتاب ان هذا
الذي تاتي به من الافعال لا يضر السماء والارض بل يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان
من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد
فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم
اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه
مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم وفيه
امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس
ان تموت وجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل توهمهم بان القتل
مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل او فيه تحريض
المؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم
المعارك او الغرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه صلى الله عليه وعلى اله وسلم فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر

فسيخلو

الا وقد

الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه
انهم قد قصروا في الذب عنه وجواب عما قال المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش
والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه
لا يحدث شيء الا بمشيئة الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا بان يأذن
الله وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل وقال ابو مسلم
الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين
والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى
ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا بان يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين احد ليقتله ولكن جعل
من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما ارسل به فلا تهنوا في غزوكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن
العلم اي لن تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دلالة على ان المقتول ميت باجله وان تغيير
الاجال ممتنع ولهذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه اي كتب الموت كتابا مؤجلا
موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ
الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق
مضافان الى الله تعالى واما الكفر والايمان والفسق والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب الله تعالى ذلك
فانما كتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا واجيب ان هذا تعكيس القضية
لان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو مجبرا لا قادرا على الايمان
حينئذ فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة كما اخبر الله تعالى في هذه
السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وفي الآية
مدح للفريق الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة
ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فابهم الجزاء واضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم
تشغلهم شيء عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت
في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في جانب الثواب
والعقاب القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس امامه فان قصد بذلك السجود
عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكاين
مثل كذا في كون المجرور مبهمين عند السامع الا ان في ذا الاشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد
المبهم ومميزهما منصوب مفرد على الاصل والاكثر ادخال من في مميز كاين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكاين

بالقتل

في الاصل عن الكاف لمن كذا وكذا اي كما في شكك رجلا مالك بين فيه كذا رجلا وكاين رجلا ان سل العدد المبهم من اي جنس
هو ولم يتبين العدد المبهم فاي في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم
الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا
صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة
الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك
تجدها في كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه
مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى وربيون معناه الالوف او الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة
اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال ربثوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة
والربيون الرعية والكسر فيه من تغيرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء
قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة
فكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لتقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير
من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله في القتال
وربما يؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان يرجح القراءة الاولى على هذه
الرواية ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل من
اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا لما اصابهم وابعد من تغايرها
فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا
ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان
واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلق
اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون لانه سكن لصاحبه ليفعل
ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منتزاح اي بعيد يريد منتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كأنه
صار يتغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا
مستعينين عند ذلك بالتصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان تهتدي هذه الامة بهم
فان من عوّل في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب
والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستقصار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر
المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك ظاهرا على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فلزم
تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب

اولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا لان الاسراف في
كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر
الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء واحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم
كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الآية تأديب وارشاد من الله تعالى في
كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح
الصدر وثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل في الحال فالمراد انه حكم لهم بحصولها في الآخرة
وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله اي سيأتي قال القاضي ولا يمتنع ان تكون الآية مختصة بالشهداء
وانهم في الجنة عند ربهم لما ماتوا احياء وثواب الآخرة كله حسن فلذلك حسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها
بالمضار وكدرها ووصفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض
منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الآية
المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الآية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض
بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه
على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل منه وبعنايته
وفضله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم
في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن علي رضي الله عنه هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه
في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله
كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى
المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم
اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء
لدى العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده
من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويطيعوكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطأ وجهالة لانهم
عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض لاحد سواه قدرة على النصر لانه
خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصر غيره لو فرض فانه
مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه

التأويل

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بتجلي عالم الملكوت ولم يظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب

على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل ان تلقوا المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقدرون ارواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فمثل الايمان التقليدي لا اعتبار له فيقلب المقلد عن ايمانه عند انعدام المقلد من الوالدين او الاستاذ وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سوال المنكر في قولهما من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه هاه لا ادري كنت اقول فيما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن اوصافها الدنية واخلاقها الردية وتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كالشرطية الليل لا تنتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية ولستجلاب الفيض بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق فقد راى نعمة وجود الرب المنعم فثوابه نقدية الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد شعر خليلي هل ابصرتما او سمعتما باكرم من مولى تمشى الى عبد اي زائرا من غير وعد وقال لي اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الآخرة وسيجزي الشاكرين اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدى العدو الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والافتقار الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون

في انفسهم

في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وماويهم وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل تغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بما يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف ووافق حفص الا ههنا الجولي فلمت الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء اظهر لان اذا مع جواب اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر ومنعكم نصره والوقف على تحبون ط في الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف

اي لتنفذا الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور ه الجمعان لا لان انما جزاء لتركبوا ج لاحتمال الواو حالا ولسبقنا فاعنهم ط
حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد تتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه
يجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل اولى للعطف الامر بالرحمة على النهي
عن الفظاظة تعريضا الامر ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط
المؤمنون ه التفسير انه تعالى ذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة
بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم اسباب الاستيلاء ثم ان
هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في
يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم
نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لوروده في سياق تلك القصة قال السدي
لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم
وفروا ومنهم من غير سبب حتى روي ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم
اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب فزعه من
سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع
هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا
هو في الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص
باولئك الكفار بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار
لانه تعالى قال امن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود
لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فلا يلزم منهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة
كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة
والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالقهر قال الجوهري السلطان
بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن تقوم
عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله شعر ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل
ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف في
وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع
الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه
اما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشراك لوجود الدليل على نفي الشريك

ولما ذكر

ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو الاستيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال وماواهم اي المكان الذي يأوون اليه
النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين فيه ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه
اذا اصاب بطنه ورأسه اذا اصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم رأى في المنام
انه ذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما
ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد
هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة
يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة
قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال
بعض العلماء هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل لان وعدهم النصر كان مشروطا
بالصبر وقال آخرون ان الجزاء ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قول البصريين انه محذوف كما مر في الوقوف
وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان
فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم
وثم هنا كالساقطة وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم
فرقتين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزموا المشركين ورأوا اماراتهم بصعود الجبل وكشفهن عن
سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه
وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اما ان يكون بمعنى الشأن والقصة
اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم به
وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا في انفسهم عن الثبات طمعا
في الغنيمة ثم تنازعوا بطريق القول في انا هل نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد
الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد
الآخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد
كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قال الاشاعرة
معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل
واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا
التفسير وقالوا كيف اضاف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا وايضا انه عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان فعلا لله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم

وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا
المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم
العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه وتحصنوا به فلما كان ذلك انصرافا جائزا اضافه الله تعالى الى نفسه يعني انه كان بامره وباذنه
ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام
على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبائهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة
على معذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله ولقد عفا عنكم يرجع الى غير المعذورين
وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يأمركم
بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى
ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم
ليتوبوا عما تركوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك
الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة
على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن من اهل العفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا
صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من اكابر الصحابة ثم ان
ظاهر الآية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء
رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه تعالى سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة انه
لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما متعلق باضمار اذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون
لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون
او ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي
والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفل الى اعلى واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد
لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي
عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة ويحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم
الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتأخرة يقال جئت
في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم
والاول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل اذ يقال ثاب اليه اي رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها
عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا اللفظ على الآية

وهذا الظن فاسد اما عند اهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة
لا يجب ان يشرفه باخرى واما عند من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك
من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب لاضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكليف
واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة
ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك بها اهل النفاق
فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون رأي عبد الله بن ابي
وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنهم لو اطاعونا ما قتلوا
وثانيها ان من عادة العرب انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء
الذي كان يعدنا به محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقدرة شيء وثالثها انقطع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير
المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر كله لله والحوادث باسرها مستندة الى قضائه وقدره
فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا
الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
هاهنا اي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من تبعه ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه
ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح
لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب
تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص
الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص
مورده النيات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وقد اهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي ومنهم طائفة واهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال من قد اهمتهم
انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذي هو قوله
بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين
الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان
كانك قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه
لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول
لا يصدر الا عمن كان ظانا ان لنا شأنا في حقيقة هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء والقدر فازاح ذلك الظن
بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم كان سؤالهم ذلك مظنة
ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون

فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول لما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل ان يسال ما الذي
يخفونه في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي
مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة
الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان
شاء آمن وان شاء كفر فامر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يجيب عن هذا الاعتقاد بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر
والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدة الابتلاء ويبين لكم تمييز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها
حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور
صاحبها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان الابتلاء ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الحكمة او للاستصلاح قوله
عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا
وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قتل ثم بعده رجال
ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن اعن رسول الله تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هاك المغزل اغزل
وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل
المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل
المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار
يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة
واما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف
وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة
وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا
بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن
المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروى ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
نحو من ثلثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول
زللت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين او منطق والاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها
والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات
قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا
على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما اذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على
حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة
المركز اوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فلشؤمها قدر الشيطان على دعائهم

الى التولي

الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا
لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يواخذ بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء يعني في اي
السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول
عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند
الى الاستزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون اعلالا آخر اما في هذه الغزوة او قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم
ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ
وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا
حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الآية وقال القاضي الاقرب
انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم
حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطاء في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا
النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط
ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني
المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار
باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يتكلم وعلى تقدير فرض التكلم
كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة لاشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين
وان كانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها
للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع
وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا او حين ضربوا المشاكل في المضي قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية
والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن اخبر عنهم بعد ذلك لا بد ان
يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى
امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية فكان هذا المستقبل كالكائن الواقع
ويمكن ان يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة
وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما
يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه وقال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض
فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اما اللام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم

ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اى قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فلكون لام العاقبة
كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف يستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان
اقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر او الغزو لم يمت او لم يقتل فازدادت
حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحيوة والموت لا يكون الا بتقدير الله فانه لا يحصل
له شيء من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون
في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين
وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما اعلم الله المومنين بطلانها وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم
في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان متعلق اللام
قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة
لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم
اى الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله
اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق قضيته واحكامه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه
قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم
الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي رضي الله عنه يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش
ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا
تكونوا مثلهم ومن قرا على الغيبة فالضمير للذين كفروا وتكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ونهى المومنين عن كونهم مثلهم لانه سبب القعود عن الجهاد ونفرة الطبع عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في
سبيل الله او متم لمغفرة من الله اى شيء من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر
وكذا في الآية الاخرى والمعنى ان القتل او الموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم
فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا عن ابن عباس خير من طلاع
الارض ذهبة حمراء ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا او ورد على حسب
معتقدهم ان اموالهم خير لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم
يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا من مرض او خوف يمنعه
عن الانتفاع وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلا بد لها
من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة اصفى واصفى وابقى واتقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة لانتفاع الحمار بلذة
قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملك المقرب بشروق انوار العزة عليه ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله
تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت او القتل فهل تبقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الحسية

الحسية

والخيالية فتركتموها لا محالة فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال
في دين الله وصلتم الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الآية الاولى وعكس في الثانية لتقع الابتداء
والختم على ما هو افضل او لان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين
الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم الى الله باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب
على احوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها
تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر
ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد
ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها
بناء يحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ ويعيد ولا قدرة على الاعادة لاحد غيره
ومنها اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او اموات لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم ان القاتل
والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر في
الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه
والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما احسن هذا النسق
يروى ان عيسى صلوات الله عليه مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون
فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة
والرحمة فقال هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه
الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على
ان المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه
لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان
مدح الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روي ان امرأة عثمان دخلت على النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عفان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي
الا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مه وروي انه قال حينئذ اعياني ازواج الاخوات ان يتحابوا
ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال انما انا لكم مثل الوالد
لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا حلم احب الى الله من حلم
امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما
واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم
لديه وراوا فيه آثار الشفقة وامارات النصيحة وعن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين

فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يأنس لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوت شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث لتتميم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فللنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان تكون ما استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا لله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد موافاة سائر الاسباب الالهية السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وبربط على جأش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيئ الخلق واصل فظ فظظ كحذر وقد فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسية بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام وقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة احد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فتعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعل مع محمد صلى الله عليه وسلم من الدلالة والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية

فاذن

فاذن جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف ولا تستبعده الاشاعرة الا ان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذاك بالحقيقة كسب لنفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى قد عفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله تعالى بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل اي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار والتركيب يدل على الاظهار والكشف فالمشاورة تظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شأنهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الآن اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل تجوز المشاورة في كل الامور قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن لمعهود سابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد يروى عن الشافعي رضي الله عنه انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم البكر تستأمر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي

على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والراى الحسن وعن جابر بن زيد انه قرا فاذا عزمتُ بالضم اى اذا ارشدتك الى شيء والزمته اياك فتوكل علىّ ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده اى من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه او بمعنى قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليخص المومنون اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما تصوره الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل ان يراعى الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله ايها الطلاب وعده الا من طلبنى وجدنى اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا فشلتم قال النفس وخالفتم فى امر الطلب وعصيتم الدليل المربى من بعد ما اراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ ذلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة قرئ هذه الآية عند الشبلى فصاح صيحة وقال ما كان من احد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعنى بعد ابتلائكم عفا عن التفاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المومنين فى الازل اذ تصعدون فى طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الامن الدنيا والآخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادى الى عبادى فجازاكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة فى طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفى جزاءكم ثم اخبر عن انزال حقائق اصناف الطافه على عباده فى صور مختلفة فانزل الامن نصورة النعاس على الصحابة واخرج جواهر الوقائع السنية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها تقع من النوم واليقظة وطائفة من ارباب النفوس ومدعى الاسلام لا همّ لهم الا همّ انفسهم من استيفاء حظوظها واستبقاء لذاتها ظن الجاهلية ويقولون الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدى حزب الشيطان وليبتلى الله ما فى صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما فى صدورهم من غل يوسوس فى صدور الناس وليمحص ما فى قلوبكم ايها المومنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب فى قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا السنخ من معدن الانسان حديد ما كسبوا

من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى فى كل شيء من الخير والشر اسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا فى الارض سافروا فى البلاد مستفيدين من العباد او سلكوا فى ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا عندنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة فى قلوب الصديقين والله يحيى قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحزنون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقى الحقائق قد مرت فى التفسير وقد سنح عندى فى هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان نفهم منه الخطاب مع الروح الانسانى انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفى كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وفقدت الكمالات التى خلق الانسان لاجلها ثم الكلام فى ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم والله حسبى

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ط وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ج ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

و نسزد هيچ پيغمبرى را كه خيانت كند در غنيمت و هر كه خيانت كند آيد با آنچه خيانت كرد روز قيامت پس تمام داده شود هر تنى را جزاى آنچه او حاصل كرده بود

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّٰهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللّٰهِ وَمَأْوٰهُ جَهَنَّمُ ط وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

و ايشان ستم كرده نشوند آيا پس آنكه متابعت نمود خشنودى خدا را چون آنكس بود كه سزاوار شود بخشم از خداى و جاى او دوزخ و بد جاى بازگشتن است

هُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ اللّٰهِ ط وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

ايشان كه اهل ثواب و عقاب اند اصحاب مراتب متفاوت اند نزد خداى و خداى بينا است بآنچه مى كنند بحقيقت انعام فرمود خداى بر مومنان چون فرستاد در ميان ايشان پيغامبرى

مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ ج وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ

از جنس ايشان كه مى خواند بر ايشان قرآن را و پاك مى كرد ايشان را از شرك و اخلاق ذميم و مى آموزد ايشان را قرآن و بيان شرائع و هر چند كه بودند از پيش

لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمَّآ أَصٰبَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذَا ط قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ط

در گمراهى هويدا آيا چون رسيد شما را بلا كه رسيده بوديد دو چندان آن در روز بدر بگوئيد كجا است [illegible] بگو اين از نزد شما است

إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصٰبَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ فَبِإِذْنِ اللّٰهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ

هر آينه خداى بر همه چيزى توانا است و آنچه رسيد شما را در روزى كه بهم رسيدند دو گروه پس بفرمان خداى بود و تا ظاهر كند خداى مومنان را و تا ظاهر كند

الَّذِينَ نَافَقُوا ج وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَوِ ادْفَعُوا ط قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنٰكُمْ ط

آنان كه نفاق كردند و گفته شد مر ايشان را كه بيائيد تا كارزار كنيد در راه دين خداى يا دفع كنيد دشمنان را گفتند اگر دانستيمى كارزار را هر آينه متابعت شما كردمى

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمٰنِ ج يَقُولُونَ بِأَفْوٰهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ط وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝

ايشان براى كافرى در آن روز نزديكتر بودند از ايشان براى مسلمانى مى گويند بدهنهاى خود آنچه نيست در دلهاى ايشان و خداى داناتر است بآنچه پنهان مى دارند

الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم

صادقين ٥ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ٥

فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ٥ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المومنين ٥ الذين

استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ٥

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا

حسبنا الله ونعم الوكيل ٥ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله

والله ذو فضل عظيم ٥ انما ذلكم الشيطن يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين ٥

القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون

بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد

ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ

عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف الوقوف ان يغل ط لابتداء

الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ٥ نصف الجزء جهنم ط المصير ٥ عند الله ط

بما يعملون ٥ والحكمة ج لمكان العطف مبين ٥ مثليها لا لان الا لاستفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط

قدير ٥ وليعلم المومنين ٥ لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم اوادفعوا ط

لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط يكتمون ٥ ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون

او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا ط صادقين ٥ امواتا ط عند ربهم قف يرزقون ٥ لا لان فرحين حال من فضله لا

للعطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون ٥ م للاية ولاستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا

للذين يحزنون وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المومنين ٥ ج لان الذين

يصلح صفة للمومنين ومبتداء خبره للذين احسنوا او نصبا على المدح والاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط

لمن لم يقف على المومنين عظيم ٥ ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتداء محذوف ايمانا ق والوصل اولى للعطف

واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ٥ سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ٥ اولياءه ص لوصل النهي

عن الخوف بعد ذكر التخويف مومنين ٥ التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء

في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة

الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله

عليه وآله وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري

غل يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيد الغلول في

المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فارق روحه جسده

وهو بريء من ثلث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله

اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله

اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني

فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك

لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا

قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك

ومعنى الاية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها

اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق

سبع سموات افلا يكون امينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله

ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما يخان اي

يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه السلام لما كان

منصبا كانت الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه بسبب الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة

الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة هناك اقبح وثانيهما يخون

اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر

قال القفبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته

غالا او يوجد غالا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان

يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه

اذا كان اغلّ يعني وجده غالاً وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر فقال بعض المنافقين لعلّ رسول الله اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة مطلقا وقال ان اكثر ما
جاء من هذا القبيل في التنزيل يسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان
تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس في الكلام ما كان لك ان
تُضرب بضم التاء والحق ان القراءتين حجة على غيره بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما وقعت
غنائم هوازن في يده غلّ رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يُغلّ يعني يخان ولمن جعل يُغلّ بمعنى يوجد غالا فالقراءتان
متعاضدتان ويوافقها اسباب النزول اكثرها يروى انه تأخرت قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم
وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني
اغلّكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الغنائم بزائد
فنزلت ~~وعن ابن عباس~~ وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم
بل ظننتم انا نغلّ ولا نقسم لكم وروى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع
فنزلت مبالغة في النهي لرسول صلى الله عليه وسلم يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وسمّي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه
عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس
او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكوة
يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثّل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب
انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي
قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك
ليذوق وبال امره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة في انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك
الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال ابو مسلم هذا على سبيل
التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزّره عليه يوم القيامة ويجازيه لانه
لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفي صرف اللفظ عن ظاهره
من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول
انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب

ثم فصل

ثم فصّل ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك
افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشرّه ارادة امتنام اجل الغلول وقال الزجاج
افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم
يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من
الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأويه
جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة ان يسوى بين المسيء والمحسن ولا ان
اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات وحسن هذا الحذف
لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل
عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم
في انفسهم درجات لا ان لهم درجات وقيل المراد هم ذووا درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان
الله لان الغالب في العرف استعمال حرف الدرجات في اهل الثواب والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء
بسخط من الله ومأويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه
كما تقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه تفيد في الجملة تشريفا وانه يليق
باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب وانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه
ينادي يا رب وهل يعذب احد عذابي والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات
اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير
بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد منّ الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما
بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة ومنها انه تعالى قال [illegible]
بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم قبله جاهلين وانما حصل لكم
الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه
باقصى ما يقدر عليه ويكون مجاهدا باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد
ومعنى المنّ ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما الذي يعود الى اصل البعثة واما الذي يعود الى
بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يرد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح
عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى
ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملال فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات فيزول
فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما ان الشعاع

بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي ومن الثاني ان هذا
الرسول بعث من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن
مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم
اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به
وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابراهيم صلوات الله عليه كان مشتركا بين اليهود
والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتورية والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله
محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من الملك لان
الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعن فاطمة عليها السلام انهما قرآ من انفَسهم بفتح الفاء اي اشرفهم
وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد
بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم
واما سائر اوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله
ربنا وابعث فيهم رسولا واعلم ان قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه
ان النعمة اذا اوردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا واتم وقعا
ثم لما اجاب عن نسبة النبي الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره
وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية
على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى
هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان تكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل
افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم
والمراد بالمصيبة واقعة احد وبمثليها وقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل
المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى
فان المسلمين هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاول يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام
المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال
الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من
عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول في امره في
الخروج عن المدينة وكان رايه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة
الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره
ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا

الفداء

الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل ناخذ
الفداء منهم فنقوى به على قتال العدو ونرضى ان يستشهد منا بعدتهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو
من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا في الفعل والترك وانه من عند نفسه
وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد استغنى عن الله
لان القدرة عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم
يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن
مخل بين الماذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية ولان اعتبر ثم المصالح فذاك قد وقع ليعلم المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق
وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصويرهم انهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق وفي ذلك الوقت
واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل
هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم
تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم عمل الاخرة
وطلب مرضاة الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم
تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائلا سال فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم
الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون من الفريقين قتال البتة او المراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا
لو افقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة
وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كافية في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال
والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم والامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى وعدهم
النصر والغلبة ان صبروا واتقوا فلم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان جوابهم قال هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانهم بتباعدهم بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه
تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان الاقرب من الكفر حصول الكفر وقال الحسن اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون
كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر
لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف
صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وبما يجري من احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة
في الارض ولا في السموات الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل
من ضمير يكتمون وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة

في النسب او في سكنى الدار او في الحقيقة في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه واعترض
الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود
عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل ارادوا
تثبيط عزم غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن تتبع تخيل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك
رغب في القعود وفتر طبعه عن الجهاد فابطلهم الله تعالى بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن
القدر ولان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب
الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على
ان القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يتحرز منه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا والخطاب للرسول او لكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم او المراد لا يحسبن حاسب
او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام
فكانه مذكور كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل
من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا اطيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق
لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال
نظر الي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال
الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك قال اسألك
ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي
فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا
اصابتهم نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية
تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فمن طائفة انها على
سبيل المجاز فقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجميل الجزيل في العقبى روي ان عبد الملك
بن مروان لما رأى الزهري وعلمه وفقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز
هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روي انه لما اراد معوية ان يجري العين
الى قبور الشهداء امر بان ينادى من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانقطرت دما ومنهم من قال المراد انهم لا يغفلون
كما لا يغفل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري البعث
المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القربات فالثواب اولى وبانه نهي عن حسبانهم امواتا والذي
من

القعود م

[illegible]

بل

بل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمن فيه
ومما روينا عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار لا يكون في
الدنيا لا بد ان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن حيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد
كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وذلك لان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان
والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى آخره والباقي مغاير
للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء
المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله
ثم يعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تأمل في امر الولادة علم وجدا احوال النفس مضادة
لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الآخر كما ان البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات
ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا
وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع
على انهم احياء في الحال بحيوة جسدانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش
ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها
ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا
نوع من السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تنتقل الى
بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما
تلتذ او تتألم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي
اقول ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس
ببدع ان تتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس
في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه تفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح
والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت
ان يكون لها علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان تقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن شاهدا في القبر
من غير حركة ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان
ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم
اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر
انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى
نافى تكليف سائر الاحياء وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين
اجمع

واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى بمزيد اللذة بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلاً للثواب كما عجلوا في الانقطاع
عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه
يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذووا كرامة كقوله فالذين عند ربك او المراد
بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون
وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو توفيق
الشهادة وما خصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة
مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر
الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل
بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم يستبشرون
بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال الاخوان
وهو سبب تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم ان اخوانهم من عند الله يحصل لهم سرور وان
من قبل حالهم في انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد
وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين
ثم انه تعالى يمدح المؤمنين لغزوتين متصلتين بغزوة احد يعرف اولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر
الصغرى اما الاولى فما روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا
اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب الكفار
ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الآن ان يخرج معي الا
من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في
قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا بالاتيان بجميع المامورات
واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات
روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ
على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة
فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة وصلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ودفنهم
بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها

فقالت

فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له
وجاءت امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة
بعدك هدر واما الثانية فروى ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا
موسم بدر الصغرى لقابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل
خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم
معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من
الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم وقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم
لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع
سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل
الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرنا وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس
كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة
ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه
ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم
وضمن لهم جعلا حمل بعير من زبيب وقال السدي هم منافقوا المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان
الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم وقول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
فكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص
بحسب زيادتها ونقصانها واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتاويله ان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها
جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكانهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد واقتفوا
الخليل صلوات الرحمن عليه حين القي في النار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم
ونعم الوكيل الكافي او الكافل او الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل وهو الربح
بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل
لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني ولن ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون

هذا غزوًا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم
ينبههم على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم ولن ينجي احدًا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المومن
ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدًا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان هو الشيطان لعتوه وتمرده واغوائه ثم بين
شيطنته بقوله يخوف اولياءه اي الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبره والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه
فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين فان الايمان يقتضي ان توثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء
هم ابو سفيان واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف
اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم
وقيل التقدير يخوفكم باولياءه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه بحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي
وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد تعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبي

التاويل قد ذكرنا ان النفس بعد مفارقتها لها نوع تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاءً له على تعجيل اذاقته مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم
الشهداء في الحقيقة وهكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات
ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وبجرع هموم مخالفات النفس ومكابدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة
وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر
لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء في ان ارواحهم
في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله تعالى
من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء
والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما كون الطير خضرا فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة
تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط
بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني
ما وجدتها في كتب التفسير والتاويل وارجو ان اكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله اعلم بمراده

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله
و باید که اندوهگین نگرداند ترا آنانکه شتاب می نمایند در کفر بدرستی ایشان هرگز زیان نرسانند خدای را چیزی می خواهد خدای
الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر
که نگرداند مر ایشان را هیچ بهره در آن جهان و مر ایشان راست عذابی بزرگ بدرستی آنانکه اختیار کردند کفر را
بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا
بجای ایمان هرگز زیان نرسانند خدای را چیزی و مر ایشان راست عذابی دردناک و باید که نپندارند آنانکه کافر شدند

انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين
که مهلت دادن ما ایشان را بهتر است برای ایشان جز این نیست که مهلت می دهیم مر ایشان را تا زیادت شوند در گناه و مر ایشان راست عذابی خوار کننده
ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله
نیست که خدای بگذارد مومنان را بر آن حال که شما بر آنید از اختلاط تا آنکه جدا کند جنس ناپاک را از جنس پاک و نیست که خدای
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا
مطلع گرداند شما را بر آنچه غایب است و لکن خدای برگزیند از پیغمبران فرستادهٔ خود آنرا که خواهد پس ایمان آرید بخدای و پیغمبران او و اگر ایمان آرید
وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
و پرهیزکاری نمایید پس شما راست مزدی تمام و باید که نپندارند آنانکه بخل می ورزند بآنچه داد ایشان را خدای از بخشایش خود
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث
که آن بخل بهتر است مر ایشان را بلکه آن بدتر است مر ایشان را زود باشد که طوق گردن ایشان کنند آنچه بخیلی کردند بدان روز قیامت و مر خدای راست میراث
السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
اهل آسمانها و زمین و خدای بآنچه میکنید شما آگاه است بتحقیق شنود خدای گفتار آنانکه گفتند بدرستی خدای درویش است
ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
و ما توانگرانیم زود بود که بنویسیم آنچه گفتند و کشتن ایشان پیغمبران را بی استحقاق و گوییم بچشید رنج آتش سوزان را
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد
این عذاب بسبب آنست که پیش فرستاده دستهای شما و بسبب آنکه خدای ستمکار نیست بندگان را آنانکه گفتند بدرستی خدای پیمان کرد
الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل
با ما که باور نداریم هیچ پیغمبری را تا آنکه آرد بما قربانی که بخورد آنرا آتش بگو بتحقیق آمدند شما را فرستادگان
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد
پیش از زمان من با معجزات روشن و بآنچه گفتید پس چرا کشتید ایشان را اگر هستید راست گویان پس اگر دروغ داشتند ترا پس بتحقیق
كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة
بدروغ نسبت کردند پیغمبران را پیش از تو که آمدند با معجزات ظاهر و کتابها و کتاب روشن هر نفسی چشنده
الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
تلخی مفارقت روح است و جز این نیست که تمام دهند شما را مزدهای شما روز قیامت پس هر که دور کرده شود از آتش و درآورده شود در بهشت پس بتحقیق رستگار شد
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين
و نیست زندگانی این جهان مگر کالای فریب هر آینه آزموده شوید در مالهای شما و تنهای شما و هرآینه شنوید از آنانکه
اوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
داده شدند کتاب پیش از زمان شما و از آنانکه شرک آوردند رنج بسیار و اگر صبر کنید و پرهیزکاری نمایید پس بدرستی آن از کارهای محکم است

وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ز فَنَبَذُوهُ

و یاد کن چون گرفت خدای عهد آنان را که داده شد ایشان را کتاب هر آینه هویدا کنید آن کتاب را برای مردمان و پنهان مکنید پس افکندند آن را

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ط فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ه لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا

باز پس پشتهای ایشان و بدل کردند بدان بهای اندک را پس بد آنچه خریدند مپندار آنان را که شادی شوند بدانچه

أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ج وَلَهُمْ

کردند و دوست می دارند که ستایند ایشان را بآنچه نکرده اند پس مپندار ایشان را بجای رستن از عذاب و مر ایشان راست

عَذَابٌ أَلِيمٌ ه وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ط وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ه

عذابی دردناک و مر خدای راست پادشاهی آسمانها و زمین و خدای بر همه چیزی توانا است

القراءة ولا يحزنك من الإفعال حيث كان إلا قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين آمنوا وقرأ يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاي ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن بما مر ولا يحسبن والتي بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الأولى فلا تحسبنهم فإنها بالتاء وفتح الباء الباقون الأوليان على الغيبة والأخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل وعلي ويعقوب عباس يجزي الباقون خفيفا بفتح الياء وكسر الميم بما يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو لقد سمع وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير إعادة الخافض فيهما زحزح عن موضعها بتجاع وأبو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لأنهم غيب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير روبس وأبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقف في الكفر ج للابتداء بأن ولاحتمال إضمار اللام أو الفاء شيئا ط في الآخرة ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ه شيئا ج لما ذكر في الآخرة أليم ه لأنفسهم ط إثما ج لما ذكرنا أيضا مهين ه من الطيب ط ورسله ط عظيم ه خيرا لهم ط شر لهم ط القيامة ط والأرض ط خبير ه أغنياء م كيلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء نوقف مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لأن التقدير ويقول الله أو نقول الزبانية فلا ينعطف على قوله سنكتب مع اتساق المعنى الحريق ه للعبيد ج لاحتمال النصب ولكون المراد بهم الذين والوقف أولى لأن لا ظلم للعبيد مطلقا لا للعبيد الموصوفين نعم لو كان بدلا من الذين قالوا إن الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ه المنير ه الموت ط يوم القيامة ط لابتداء شرط في أمر معظم فقد فاز ط الغرور ه كثيرا ط الأمور ه ولا تكتمونه ز لأن الجملتين وإن اتفقتا لكن النبذ متصلا بأخذ الميثاق فلم يضف إلى الظرف إذ قليلا ط يشترون ه من العذاب ج لما ذكر أليم ه والأرض ط قدير ه التفسير نزلت في كفار قريش وأنه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وإنه العاقبة له وإن جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الأديان كلها ونسلي في التأنيث وسار عنهم هم أنهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب

واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر ويقولون إن محمدا طالب ملك فتارة يكون الأمر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه أحد وقيل إن قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فبين الله تعالى أن ردتهم لا أثر في لحوق ضرر بك ونصر بعضهم هذا القول بأن المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر إنما تناسب من كفر بعد الإيمان لا المستمر على الكفر وبأن إرادته أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة إنما تليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبط وبأن الحزن إنما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قدره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الانتفاع بإيمانهم أو انتفاعهم بالإيمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين ولا وبال ذلك يعود عليهم كادل على بقية الآية فإن قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فالجواب أنه نهى عن الإسراف في الحزن بحيث يأتي على وظيفة لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك أنهم لن يضروا والله أي دينه شيئا من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة فيه دليل على أن إرادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على أن الخير والشر والنفع والضر بإرادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الإخبار عن إرادة عدم الجعل دون الإخبار عن عدم الجعل إشعار بأن استحقاقهم للحرمان بلغ إلى حد أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم ولأن الداعي إلى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم أنزل في اليهود خاصة وهو الأشبه أو في الكفار عامة إن الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كأنه قيل إن أكثرهم يتنازعونك في الدين لا لأجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر ويقولون يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على إلحاق الضرر بالغير ولو قيل إن الآية في المرتدين فالمعنى أن اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الرأي والإنسان المضطرب الحال لا قدرة له على إيصال الضرر إلى الغير ثم بين أن تقاعد المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء أحد وآثار حزين فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وأن مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وأن مع ما في حيزه بدل منه وصح الإبدال وإن لم يمض إلا أحد المفعولين لأن المبدل في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن إملائي خير لهم على أن ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي لا تحسبنهم أصحاب أن الإملاء خير لهم أو لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم قال الأصمعي يقال أملى عليه الزمان أي طال وأملى له أي طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملاء للأرض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاوة من الدهر أي حينا وبرهة وإنما نصب على التمييز وفي وصف العذاب أولا بالعظيم ثم بالأليم ثم بالإهانة تدرج من الأهون إلى الأشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الأشاعرة هاهنا أن إطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على أنها ليست بخير وفيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا أنه نص على أن الغرض من هذا الإملاء أن يزدادوا إثما فإذن الكفر والمعاصي بإرادة الله وأيضا أخبر عنهم أنه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصل لهم إلا ازدياد البغي والإثم والإتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين وأجابت المعتزلة بأن المراد أن هذا الإملاء ليس خيرا من موت الشهداء إذ الآية من تتمة قصة أحد لا أنه ليس بخير مطلقا وزيف بأن بناء المبالغة يجيء ذكره

لا مع المفضّل عليه لكنه لم يذكر فعلنا انه لنفي الخيرية لا النفي كونه خيرا من شيء آخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة الاملاء وليس كل علة
بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك للاضلال وتقول ما كلمت عوظني لك
لا للزيادة في ايذائك في النفي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان
ان علمه تعالى بانهم سيزدادون اثما على تقدير الامهال علة ما عليه ازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له فالاولى في الكلام
تقديم وتأخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر
ان الاولى وفتح الثانية ورد بان التقديم والتأخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها
ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الآخر
بآثار الحوادث وابداء الوقائع كما في قضية احد شعر لله در النائبات فانها ۝ صدأ اللئام وصيقل الاحرار
فقال ما كان الله ليذر اللام لتأكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في
حكم الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وبها لغتان ميزت الشيء بعضه من بعض اميزه ميزا
وميّزته تمييزا وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة رجحه ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا انه
للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه فيعلم انه المطرح من السير الملقى
لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون وبم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم
النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فيتميز بذلك الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء
كلمة الدين وفل شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء ومدار الكلام على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استأثر
الله تعالى به لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول ايضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه
من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذاك منافق
الثالثة ان هذا ايضا اختص بعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان
بالله ان تعتقدوه وحده عالما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من
الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه
فتقولون فلان مؤمن وفلان منافق فان سنة الله جارية بان لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الا
بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق او يختارهم للرسالة
ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين
بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء
الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد
بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عرضت علي امتي في صورها كما عرضت

على آدم

على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزءوا وقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر
ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين الآية وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في
النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك
فنزلت وقال ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز وجل لما
بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا يحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب
قدر مضافا اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا
فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير لا يحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين
على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكوة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم وان تارك التفضل لو عد بخيلا
لم يتخلص انسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين
يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس
انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا
يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب ويعضده ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم
وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سئل عن علم
يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فالاكثرون
حملوا على ظاهره وقالوا ان يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول
انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه
يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الذي
لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه اي يطوقه يقول انا كنزك انا كنزك والمالكون
على طريق التمثيل لا على ان ثمه اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا
جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون بأداء ما منعوا حين لا يمكنهم الاتيان به
فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره
فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود
انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا انفرد به
بعد ان كان مشاركا فيه ومثله وورث سليمان داود اي انفرد بذلك الامر بعد ان كان داود مشاركا له فيه او غالبا عليه
والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهو ابلغ في الوعيد
لان الغضب كأنه تناهى الى حد اقبل فيه الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وذلك انه لما امر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير
ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما يطلب المال لاجل الزكي
نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في
الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل
المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل
ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم ان ربنا يستقرضنا
اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطمه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لابي بكر
رضي الله عنه ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال كذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية
تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا
فلا يبعد ان محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما طلب منهم الجهاد ببذل الاموال كانوا قد قالوا لو كان الهه غنيا فاي حاجة به
الى اموال الناس ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما قيل لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين
بهم حكمهم حكمه ثم انه سبحانه لم يجبهم عن شبههم اما على قواعد اهل السنة فلانه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد
ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة فلانه يقول في هذا التكليف فوائد منها
ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك يرتبط امور
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود
عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب
وجوده ثم شك في كمال غناه وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب وانما
يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة
او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن
حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيمة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه
ما نسبوا فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل
بمعنى مفعل كاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم
المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية

قوله

عن الوعيد

عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك لعذاب او الوعيد بما قدمت ايديكم من السيئات الفعل وذكر الايدي لان اكثر
الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضها باللسان او بسائر الجوارح والآلات
وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله اي وبان
الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما لو لم يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة
ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا
والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل لانه
مالك الملك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتب العذاب عليه لا يكون ظلما
قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد
بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر ان ايصال العقاب اليهم
كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين واقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون
وتحقيقه ما ذكرنا انه مالك الكل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم ان يصير عنه
كانه قال ان خيل اليكم ان في الوجود شرا او باء على ما في ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل لتبعية الخير الكثير
فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني ولان هذا الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير او نقول اراد نفي الشر
القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قصة
الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب
بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا
رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله
النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم
فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت
فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر
كالكفران والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان
اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية
مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه
العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة
سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا ان يجيء بهذه
الاية المعينة وحينئذ لا يكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم

رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بعد لوله وموداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الايمان يجب عند الاتيان
بالقربان وانما ذكر مجيء الرسل بالبينات ولم تقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك لان القوم يحتمل ان يقولوا الاتيان
بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط
فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار
بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم
بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك اي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات
وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر وهي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب
ذي حكمة فتشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ
والكتاب المنير الموضح او الواضح المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم
وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب لوصفه بالانارة او الاستنارة
اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكائيل وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير
التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم
والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا تتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد
بكل نفس كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا
الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة
ولاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار التكليف والملائكة عند من يجيز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل
قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا
وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون باقيا حال حصول الذوق
قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة
الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية تؤثر في تحليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة
الغريزية ولا تزال تستمر هذه الحالة الى ان تفنى الرطوبة الاصلية فتطفى الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق
كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح المجردة لا موت لها ولا يسلمها المسلمون فيه وانما توفون اجوركم
يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجر يعطى قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزحزحة التنحية والابعاد والزحزحة تكرير فقد فاز لم يقيد الفوز
بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق
المتناول لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه

الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها
تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر او الغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب عليه السلام لين مسها
قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن
آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت
موكدة وضمت الواو للساكن ولما يجب لما قبلها من الضم والمراد ما ينالهم من الفقر والضر والقتل والجرح او التكاليف الشاقة
البدنية والمالية من الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف واهليه
واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة
او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من حزمها وبانها
التي لا يرخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب او هو من عزائم الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان
هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخة باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون
به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في اكثر الاحوال والامر بالقتال لا ينافي الامر
بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه
كفار قريش في شعره وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون المشركون واليهود فاراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك ونزلت
الآية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج
قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود
وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا تغبروا علينا
فسلم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول
ان كان حقا ان لا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله
فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد
الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل
عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وانزل الله تعالى هذه الآية
ثم انه تعالى تعجب من حال اليهود انه كيف يليق بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة به [illegible]
الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم انهم كانوا يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله باضمار اذكر والضمير في لتبيننه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم
لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كانه اكد

الظاهر

عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يوكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو للحال اى غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن موكدا بالنون لانه امر بالبيان متضمن النهى عن الكتمان لكنه صرح به التاكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشئ المطرح المتروك عن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه وسلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول صلى الله عليه وعلى آله او لكل احد واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة العامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اى لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين والثاني للتاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه اى بمكان الفوز وقال الفراء اى ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبى صلى الله عليه وعلى آله يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآيتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبى الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وعلى آله والقرآن وفرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذى جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة ونحن اولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يعنى بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الى الغزو تخلفوا عنه فاذا اقدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في ان الانسان لا ينبغى ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا اكثر مجارى امورنا على هذه الحالة فنسأل الله العصمة والمداراة ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والوضاءة كيف يرجو النجاة

من

من كان معذبا هذا القادر الغالب **التأويل** هو خير لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتى البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا او بالعكس سيطوقون تشبيه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه منشاء معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان ولايرث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداده وارثه فميراثه لله لقد الله فقير ونحن اغنياء فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيعكس القضايا فيكفر فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا تنقاد لرسول الى الخاطر رحمانى او الهام ربانى حتى ياتينا بقربان هو الدنيا وما فيها بجعلها نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تاكله نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذى قلتم اى بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولابد لها من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظاهر ومن اهل الرياء اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور

اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ۝ الذين يذكرون الله

هر آينه در آفرينش آسمانها و زمين و آمد شد شب و روز هر آينه دلالتهاست بر وجود صانع مر خداوندان [illegible] آنكسانى كه ياد ميكنند خدا را

قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا

ايستاده و نشسته و بر پهلوها خفته و انديشه ميكنند در آفرينش آسمانها و زمين مى گويند اى پروردگار ما نيافريدى اين را [illegible]

سبحنك فقنا عذاب النار ۝ ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظلمين من انصار

پاكا تو پس نگاه دار ما را از عذاب آتش اى پروردگار ما بدرستى كه تو هر كرا در آرى در آتش پس بتحقيق دور كردانيدى [illegible]

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا

اى پروردگار ما بدرستى كه ما شنوديم آواز دهنده را كه مى خواند سوى ايمان كه ايمان آريد بپروردگار خود پس ايمان آورديم اى پروردگار ما بيامرز براى ما گناهان ما [illegible]

سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ۝ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف

بديهاى ما و قبض كن روح ما را با جماعت نيكان اى پروردگار و بده ما را آنچه وعده دادى بر زبان پيغمبران خود و شرمسار مكن ما را در روز قيامت بدرستى كه تو خلاف نمى كنى

الميعاد ۝ فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا

وعده را پس اجابت فرمود براى ايشان پروردگار ايشان [illegible] ضايع نگردانم كار هيچ كار كننده را از شما [illegible]

واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ۝ لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد ۝ متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد ۝ لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ۝
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب ۝
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ۝

القراءات الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والبخاري عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر رفع عن ابن مجاهد والنقاش في جمع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقاتلوا وقتلوا مشددة الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاخلاس عباس الوقوف لاولي الالباب ۝ ج لاحتمال الذين صفة او استئنافا او رفعا على المدح بتقدير اعني الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف اي يقولون ربنا باطلا ج للابتداء او سبحانك بعطفها والا فالمقول يتحد وقال التعقيب متعقب النار ۝ اخزيته ط انصار ۝ فآمنا ق قد قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرير لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا اي اذا آمنا فاغفر الابرار ۝ ج للآية والعطف يوم القيمة ط الميعاد ۝ انثى ج لاتحاد الكلام والابعضكم مبتدا من بعض ج الانهار ج لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب ۝ البلاد ۝ ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم ط المهاد ۝ من عند الله ط للابرار ۝ لله لا لان ما بعده حال آخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب ۝ تفلحون ۝ التفسير انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والارواح بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة

في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض واعلم انه ذكر في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله ايسر وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قد مر هناك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان تكون باللسان وبسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال آخر اي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاضطجاع وهذا موافق لمذهب الشافعي رضي الله عنه في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق حديثا طيبا ويقول الاستلقاء امنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كان اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذاك وضع الغافلين وقال ابو حنيفة يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورته في النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء لانه بكل شيء محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته لا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها

فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء
من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي انزهك
عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه
ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض
ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا
عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي بالغت في اخزائه نظيره قوله فقد
فاز وفي كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك قوله ربنا اننا
سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه الحق في زعمي والله اعلم باسرار كلامه عن النبي صلى الله عليه وسلم
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله
الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا عبادة كالتفكر
وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم
كانه لعظم شأنه معهود ذو العلم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل
بنزع الخافض اي بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد
ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة نزه بها عن العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار
ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار
جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا لمرجح عام وذلك المرجح لا بد
ان ينتهي الى الله تعالى فان الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد
بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي
والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك
وان خلقتهما في غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما
وصف ذاته بالغنى اقر انفسهم بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام
بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها
واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن
ان يقتصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها
فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل
الحتم والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب ولكن افعال الله تعالى

مستتبعة

مستتبعة لمصالح العباد لا انها في جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك
ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاجابة
كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكذلك تعليم من الله تعالى عباده
في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه
وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت
المعتزلة في الآية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلاة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى
لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن مع النبي مخزيا ان لا يكون
غيره وهو مؤمن مخزيا وايضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين
اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين ادخلوا
النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزي نفي الخزي على الاطلاق والمطلق
يكفي في صدقه صورة واحدة وهو نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا
كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالآية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن
لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي
الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الآية والمقدمات بأسرها يدخلها المنع اما الاولى فباحتمال ان يسمى بعد
الفسق مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد تمسك حكماء
الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني
وقد تمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي
الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تأثير للشفاعة
الا باذن الله فيؤول معنى الآية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز
فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا ادلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه
ناصرا له وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل
على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لقوله ادع الى سبيل ربك وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن
يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر
بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال شعر يا واضع الميت في قبره، خاطبك الدهر فلم تسمع، وفي ينادي الى كذا
وكذا دعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الآخر نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص
وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتأخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاءنا منادي الامير ينادي بكذا وقيل معناه لاجل الايمان

ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله أن آمنوا وأن مفسرة او مخففة معناه اي آمنوا او بأن آمنوا والفائدة في الجمع
بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شأن المطلق والمجمل
وكونه حينئذ اوقع في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية
واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكبائر
والثاني الصغائر وقيل الاول اريد بها ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه
معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم ومن اتباعهم او مشاركين لهم في
الثواب او على مثل اعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مشارك في ذلك الاعتقاد احتج الاشاعرة
بالاية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر
بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى اجابهم الى ذلك لقوله فاستجاب لهم ونعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاصحاب الكبائر
بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان
وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان
تعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل
وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد
مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في آخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية
او المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهلا لوعيدك او طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء
او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق
ثم لان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة لان التخجيل والتفضيح
يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا الى المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا
في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا تخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها
فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة
الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة او النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار
ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع جعلوا اول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني
عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في
هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطاء وكاشف الغطاء
عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى
حكى عنهم في هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي بأني لا اضيع
عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل

لما ذكر

لما ذكروا اما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد
فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان
مني اي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله
يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشأن العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا
اوطانهم مع الرسول او بعده باختيارهم واخرجوا من ديارهم الجأهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد طريق
الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل اي قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا
فاما لان الواو لا تفيد الترتيب والترتب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من توهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب القسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو
الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو
الذي طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم
بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة اي ثوابا مختصا به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كقول الرجل عندي ما تريد
اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن
ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع اي على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك
هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات
الغني عن جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان
الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل رأسا عن الحسن انه
قال انه تعالى استجاب لهم لانه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله [illegible]
يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد [illegible]
وتبصيرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد [illegible] قال
قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او له والمراد هو تثبيت على عدم الاغترار [illegible]
قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم في البلاد
والمتاجر ذلك التقلب او الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعم الآخرة او في جنب ما اعد الله لهم
من الثواب او هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين امدي الازل والابد ومع قلته سبب للوقوع في نار جهنم
ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة فلهذا استدرك وقال لكن الذين
اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد للضيف … ومن هنا …

لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله
وما عند الله اشارة الى مقام العندية والقرب الذي لا يوازنه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال
من جنات لتخصصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء
او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار بين ان حال مؤمني
اهل الكتاب كحالهم فقال وان من اهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
عليه السلام فاسلموا وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
بغير ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن
للابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم
الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة
شان هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات
فيعلم ويعطي بالكل احد من جزاء الحسنات والسيئات او المراد سرعة موعد حسابه فيكون بشارة بقرب حصول
الاجر ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك لان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق
بوحده فامره بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا
وآفاتها ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامره بالمصابرة ويدخل فيه تحمل
اخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع
اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة
من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل
من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق
[illegible] فامر بالتقوى [illegible] وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو
[illegible] الدين والدنيا [illegible]

كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع
كالاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم
فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر
منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد
فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط
اولئك ايضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
انه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم الرباط ثلث مرات والله تعالى اعلم

التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل
صفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بقشر الذكر والفكر
الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر لم
الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون
الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما خ
باطلا اي خلقته اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن العبث بالخلق
يا غنيا عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الحرقة والندامة والغواية والضلالة ثم اخ
من شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع
ينادي فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل ان تخلقنا
وبرحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى على قدر همتكم ورجوليتكم ف
عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معا
وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء و
وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها ان
والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفو والمروة والف
والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم و
والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها انو
ثوابا من [illegible] حسن ثواب [illegible] ولا [illegible]

علماء متقين يكون ايمانهم من نتيجة نور الله الذي دخل قلوبهم ويومنون بما انزل اليكم من الجلي والخفي والاثار
والمكشوف وما انزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا تجلى
لشيء خضع له لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا من العلم والحكمة عرض الدنيا لان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام
العندية بلا تأخير اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاآت ورابطوا
الارواح للوصول الى الله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

تم الربع الاول من التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان من تصانيف
المولى الامام الهمام الحبر الفاخر والبحر الزاخر افضل المتاخرين شارح كلام المتقدمين والمتاخرين
نظام الملة والدين الحسن النيسابوري جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتغمده بالرحمة
والرحمة والغفران يوم الاحد الثامن والعشرين من ذي الحجة حجة لسنة اربع وسبعين في الجامع المعمور
بالحسنة الاشرفية من بلاد الجزيرة بلدة يزد زادها الله امنا وامانا على انامل اضعف عباد الله تعالى
واحوجهم الى خفايا الطافه ابي محمد عمر محمد بن اسحق بن اسماعيل العباسي الهاشمي الاصفهاني اصلح الله
شانه ووقاه عما شانه ونفعه به وبامثاله وقد نقل من النسخة المكتوب اكثرها بخط
المصنف روح الله روحه وما لم يكن من خط المصنف صحح المصنف وكتب على حواشيه
صحح مصنفه بقدر الامكان والله المستعان وعليه التكلان
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين

قوبلت هذه المجلدة بالنسخة المنقول عنها وصححت بقدر الامكان
وفرغ من المقابلة الكاتب المذكور ختم الله عاقبته بالحسنى يوم الجمعة الرابع
من شهر الله المحرم الحرام لسنة احدى وثمانين وسبعمائة هجرية

